رحمة للعالمين

(سفر نفيس في السيرة النبوية العطرة غير مجرى حياة المشاهير)

تأليف
العلامة المؤرخ النسابة
القاضي محمد سليمان المنصور فوري رحمه الله
(١٢٨٤-١٣٤٩هـ)

تعريب
الشيخ عبد السلام عين الحق السلفي

قدم له ونقحه وعلق عليه
صلاح الدين مقبول أحمد

الجزء الثاني

دار إيلاف الدولية
للنشر والتوزيع

رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ

(سِفْرٌ نَفِيسٌ فِي ٱلسِّيرَةِ ٱلنَّبَوِيَّةِ ٱلعَطِرَةِ غَيَّرَ مَجْرَى حَيَاةِ ٱلْمَشَاهِيرِ)

الجُزْءُ الثَّانِي

العنـــوان: رحمة للعالمين

تـألــيف: القاضي محمد سليمان المنصورفوري رحمه الله

اللغــة: العربية

ترجمـه للعربيـة: الشيخ عبد السلام عين الحق السلفي

طريقـة النشـر: كتاب مطبوع

عـدد الصفحـات: الجزء الثاني: ٤٨٨

الترقيم الدولـي: 978-9933-587-78-9

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

دار إيلاف الدولية

للنشر والتوزيع

الكويت

فرع حولي: شارع المثنى - بجوار مجمع البدري

نقال: ٩٨٨٥٦٥٠٥ ٩٦٥+ - هاتف: ٢٢٦٤١٧٩٧ ٩٦٥+

(دار وقفية دعوية)

المدير العام : د. فرحان بن عبيد الشمري

falaslmi@gmail.com

رحمة للعالمين

(سفر نفيس في السيرة النبوية العطرة غير مجرى حياة المشاهير)

تأليف
العلامة المؤرخ النسابة
القاضي محمد سليمان المنصور فوري رحمه الله
(١٢٨٤-١٣٤٩هـ)

تعريب
الشيخ عبد السلام عين الحق السلفي

قدم له ونقحه وعلق عليه
صلاح الدين مقبول أحمد

الجزء الثاني

دار إيلاف الدولية
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المؤلّف

(للجزء الثاني)(١)

الحمد لله ربّ العالمين، وسلام على المرسلين، والصلاة والسلام على سيّدنا ومولانا محمّد النبيّ الأميّ، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وجعله خاتم النبيّين، وسيّد المرسلين.

اللهم إني أسألك يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا جار المستجيرين، يا أمان الخائفين، يا عماد من لا عماد له، يا سند من لا سند له، يا ذخر من لا ذخر له، يا حرز الضعفاء، يا كنز الفقراء، يا عظيم الرجاء، يا منقذ الهلكَى، يا منجي الغرقى، يا محسن، يا مجمل، يا منعم، يا مفضّل، يا جبّار، يا منير! أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار، وشعاع الشمس ونور القمر، وخفيف الشجر وخرير الماء.

يا الله! أنت الله، لا شريك لك، أسألك أن تصلّي على محمد عبدك ورسولك في الأوّلين، وفي الملأ الأعلى إلى يوم الدين، وعلى جميع إخوانه من النبيين، وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين، آمين.

أما بعد:

فهذا هو الجزء الثاني لكتاب «رحمة للعالمين». وقد ظهرت الطبعة الأولى للجزء الأول عـام ١٩١٢ الميلادي، ولكن لم يتوفّر لي الورق الممتاز لطبعة الجزء الثاني، لنشوب الحرب العالميّة الأولى (من أغسطس سنة ١٩١٤م إلى نوفمبر سنة ١٩١٨م) وظلّت هذه المسودة

---

(١) مقدّمة المؤلف هذه على الجزء الثاني حذفها الدكتور سمير عبد الحميد، من طبعة «دار السلام» بالرياض. (صلاح)

حبيسة في مكانها.

أما الطبعة الثانية من الجزء الأول، فاضطررنا لها عام ١٩١٦م، لأن كثيرا من المدارس الإسلامية، والمدارس الثانوية الحكومية، قرّرت تدريس الجزء الأول في منهجها الدراسي، وكان يعزّ علي أن يقع الطلبة في حرج لنقص نُسَخ الكتاب.

والورق الذي استعمل له، في طبعته الثانية، لم يكن أملس وأبيض مثل طبعته الأولى وإن كان أغلى منه بنحو ضعفين.

كنّا ما زلنا في البحث عن الورق الجيّد للجزء الثاني، ولكنّ الآن يطبع الكتاب على ما تيسّر منه.

وغير خافٍ على أولي الخبرة من العلماء، أن تأليف السيرة النبويّة العطرة كم هو في الصعوبة بمكان، ولكن إذا كانت الذرّة التافهة تستطيع أن تكون مقياسا لضوء الشمس البازغة فقليل البضاعة، كثير الأشغال مثلي، الذي ليس له في هذا الدرب من وليّ ولا نصير، يستطيع أيضًا أن يكتب شيئا عن السيرة.

ولكن شعور بالواجب قد تغلّب على الصمت، ولوعة من الحبّ قد أقلقت القلب الجامد، وتوفيق من الله تعالى يدفعني دائما إلى أداء هذه المهمة، وعناية ربانية تجذبني إلى هذه الجادة المستقيمة، ويرنُّ في أذني النداء الربّانيّ: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ [التوبة: ٤١].

وأعتقد أن من آمن بالنبي ﷺ، وانقاد له، يتحتّم عليه أن يثني عليه، ويشيد بذكره حسب علمه وفهمه. إن نور القمر وضوء الذرّة كلاهما مظهر لنور واحد مع الفرق الملموس بينهما. إن كان نور القمر الساطع اللطيف الصافي يجذب الأبصار، فإن ضوء الذرّة الضئيل أيضا يلمع عند أقدام السائرين ويستوقف أنظارهم.

إن إعلان القرآن بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. يزيد الإيمان، ويشجّعه في كل مرّة، وقوله ﷺ «المرء مع من أحبّ»[1] معلم الطريق لكل من له وجدان صحيح.

---

(١) البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. (صلاح)

ولولا كل هذه العمد التي توكأت عليها، لما استطعت أن أتجرّأ -بلا شك- على أن أكتب ولو حرفًا واحدًا.

إن المقتطف من أزهار روضة السيرة النبوية النضرة يجد أمامه باقة من أزهار، يمتّع جمالها وبهاؤها كلّ عين مبصرة. فعلى مقتطفها أن يقتني منها ما يشاء حسب ذوقه.

والواقع أن ما يفوته لا يكون أقلّ مما اقتطفه.

هذا الجزء الثاني يحتوي على أمور هامّة، يبدأ ببعضها مؤلفو السيرة كتبهم. ولكن كنت اقتصرت في الجزء الأول من هذا الكتاب على الأمور الضرورية المتعلقة بالسيرة، ليكون كاملًا في موضوعه، حتى لو لم تظهر بقية أجزائه.

والحمد لله على أني أرسل اليوم «الجزء الثاني» إلى المطبعة، داعيًا الله سبحانه وتعالى أن يبلغني إلى ذلك اليوم الذي أجهز فيه «الجزء الثالث» كذلك، **حتى أستطيع أن أتفرغ لتأليف كتاب مفصل في السيرة**[1] يكون أبسط وأجمل، بعد الوفاء بهذا الوعد: اللهم أمنيّتي هذه، كم هي مباركة فوفّقني لتحقيقها[2] ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝٢٠﴾ [إبراهيم: ٢٠].

الفقير إلى الله

محمد سليمان المنصورفوري

---

(١) وفق الله تعالى المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لإكمال الجزء الثالث قبل وفاته سنة ١٩٣٠م، ولكن لم يحالفه الوقت لتتحقق رغبته في تأليف كتاب مفصل في السيرة النبوية العطرة. (صلاح)

(٢) هذا ترجمة بيت فارسيّ، نصّه:

يا رب إيں آرزوئے من چه خوش ست   تو بديں آرزو مرا برساں. (صلاح)

الباب الأول

نسب النبي ﷺ

عدد أيام حياة النبي ﷺ

۲۲۳۳۰ يوم و ٦ ساعات (من اليوم الواحد والثلاثين)

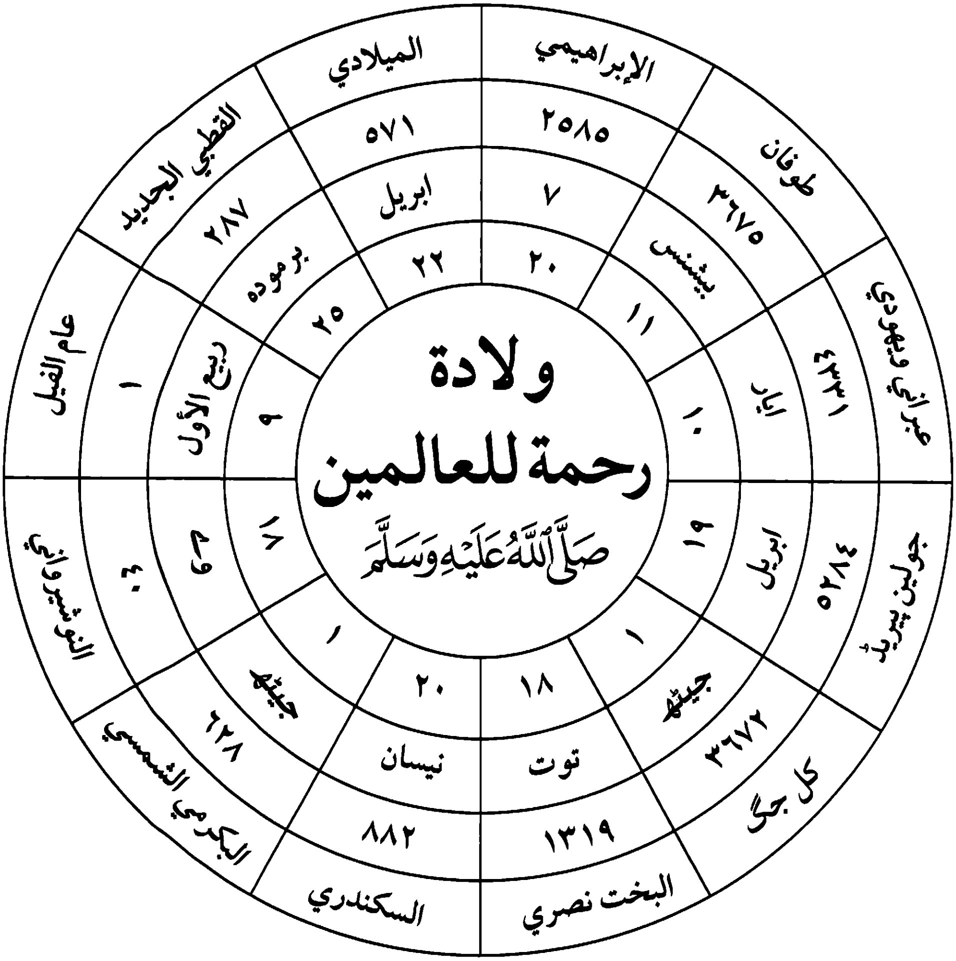

ولد النبي ﷺ في اليوم الثالث والعشـرين من تقويم عيد النصـارى (Easter)، وفي اليوم الخامس والعشرين من عيد الفصح لليهود، ويشمله يوم وفاته ﷺ أيضًا.

عدد الأيام حسب هذه التقاويم المعروفة عند أهلها المبدوءة بمولده ﷺ المبارك.

عدد أيّام الرسالة والنبوة: ٨١٥٦ يوم

يوم الأحد من عيد النصارى (إيستر) في سنة ٥٧١م، كان يوافق السادس عشـر من صفر، وهو يوافق ٢٩-٣١ من شهر مارس ٥٧١م.

وفي ٤٣٣١ العبري=٥٧١م، كان عيد الفصح لليهود يوافق يوم الخميس، الثالث عشـر من صفر=الثامن عشر أو السادس والعشرين من شهر مارس.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الفصل الأول

«الشجرة الطيبة»

يمكن تقسيم هذه الشجرة المباركة إلى ثلاثة فروع:

الفرع الأول

يبدأ هذا الفرع من النبي ﷺ، وينتهي إلى عدنان.

قال الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله المعروف بابن عبدالبرّ (٣٦٨-٤٦٣هـ) في الاستيعاب: **«هذا ما لم يختلف فيه أحد من الناس»**.[(١)]

ورأيت من الأفضل أن أبحث عن أسماء أمّهاته الكريمات أيضًا، مثل أسماء آبائه العظام، وأشكر الله تعالى على أني اطلعتُ على أسمائهن كلّهن، من عبد الله إلى عدنان مع أسماء آبائهن وقبائلهن.

فقد ظفرت -مثلا- باسم والدته ﷺ: آمنة «فوجدت معها اسم أبيها وأمّها أيضا» مع نسبهما.

أنعموا النظر في سلسلة هذا النسب الكريم بأسره، لعلّكم لا تجدون في صفحات التأريخ ملكا من كبار ملوك الدنيا، يمتاز نسبه بهذا الوضوح والتفصيل.

---

(١) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (١/ ١٣٣). وزاد بعد سرد نسبه ﷺ: «وقد روي من أخبار الآحاد عن النبي ﷺ، أنه نسب نفسه كذلك، إلى نزار بن معد بن عدنان، وما ذكرناه من إجماع أهل السير وأهل العلم بالأثر يغني عما سواه. والحمد لله». (صلاح)

ثم انظروا عظم شأن هذا النسب في كل سلسلة من ناحية الأب والأم، تجدوه خالصًا من كل وهن وخمود وخمول.[١] هذا شرف لا يحظى به إلا من اصطفاه الله تعالى على العالمين منذ أزل الآزال، وحفظ له نسبه في كل قرن وجيل، من لدن آدم إلى ذاته ﷺ المباركة.[٢]

وقد رجعت في تحقيق أسماء أمهاته الكريمات من قبل آبائهن، إلى «التأريخ الكبير» للطبري[٣]، و«الطبقات الكبرى» لابن سعد[٤]، وأيضًا إلى «الكامل في التأريخ» لابن الأثير[٥] أحيانًا.

---

(١) أخرج الطبراني في المعجم الأوسط (٤٧٢٨) عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من قول النبي ﷺ: «خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء.» (حسّنه الألباني في «صحيح الجامع»: ٣٢٢٥) (صلاح)

(٢) حتى اعترف بشرف نسب النبي ﷺ أبو سفيان، الذي كان من ألدّ أعدائه قبل إسلامه، حين سأله هرقل، قال أبو سفيان: «...فو الله لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذبًا لكذبت عنه. **ثمّ كان أوّل ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟**

قلت: هو فينا ذو نسب! وقال هرقل: فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها.» (البخاري(٧) واللفظ له، ومسلم (١٧٧٣) عن أبي سفيان بن حرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث طويل) (صلاح)

(٣) «هو: محمد بن جرير (-٣١٠هـ) ثقة، وكتابه «تأريخ الرسل والملوك»، وقد خصّص قسمًا من تأريخه للسيرة». («السيرة النبوية الصحيحة»: ١/ ٦٧) (صلاح)

(٤) هو: محمد بن سعد (-٢٣٠هـ) وقد خصّص المجلدين الأولين من كتابه للسيرة، وهو ثقة يتحرّى في كثير من رواته إلا أنه ينقل عن الضعفاء أيضًا. (المصدر المذكور: ١/ ٦٦) (صلاح)

(٥) «هو: عز الدين علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري (-٦٣٢ هـ)، وهو مؤرخ ثقة، وكتابه تأريخ عام خصّص قسمًا منه للسيرة». (المصدر المذكور: ١/ ٦٨) (صلاح)

الفرع الثاني

أما الفرع الثاني من نسبه ﷺ، فهو ما فوق «معد بن عدنان» ولم يذكر المحدّثون رَحِمَهُمُ اللَّهُ في كتبهم «التفصيل الذي كما سنذكره مفصّلا ههنا».

وذلك لأنه عسرت عليهم رواية هذا الفرع، لما قد التزموا به من الشروط في رواية الأحاديث الصحيحة، وكان هذا غاية ورعهم وتقواهم، إلا أن سائر المحدثين يذكرون ثمانية أو تسعة أسماء لأعلام هذا النسب ليصلوا به إلى إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وكان هذا الإيجاز في ذكر النسب الكريم معروفًا لدى بني إسرائيل أيضًا بحيث إنهم كانوا يذكرون أسماء بعض الأعلام في النسب على سبيل الإيجاز. فقد ورد في «إنجيل متّى» في نسب يسوع المسيح:

«نسب مسيح بن داود بن إبراهام.[1]»

والظاهر أن متّى ترك متعمّدًا بين المسيح وداود ستة وعشرين جيلًا، وبين داود وإبراهيم اثني عشر جيلا روما للاختصار.

وبما أني خفيت عليّ صحة قول من قال: «**كذب النسّابون**[2] **ما فوق**

---

(١) متى (١/ ١) الآن إبراهام في الترجمات العربية للكتاب المقدس تكتب إبراهيم.

(٢) ابن سعد في الطبقات (١/ ٥٦) بلفظ: «كان إذا انتسب (أي النبي ﷺ لم يجاوز في نسبه) «معد بن عدنان بن أدد»، ثم يمسك ويقول: «كذب النسّابون، قال الله عزّ وجل ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ۝٣٨﴾ [الفرقان: ٣٨]، وقد أخرجه أيضا ابن عساكر في «السيرة النبوية» (٤١-٤٥) [ذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (١١١)، وفي ضعيف الجامع (٤١٦٦، ٤٣٥١) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقال: «موضوع». وضعفه ابن الملقن في شرحه على البخاري (٢٠١٢) وقال: الأصح رفعه على ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»]. راجع «السيرة النبوية في فتح الباري» (١/ ٢٠٦-٢٠٧) مع التعليق)
وقال شيخنا صفي الرحمن المباركفوري في «الرحيق» (٢٦): «قد مال المحقق الكبير العلّامة القاضي محمد سليمان المنصور فوري (أي مؤلف هذا الكتاب رَحِمَهُ اللَّهُ) إلى ترجيح ما ذكره ابن سعد، والذي ذكره ابن جرير والمسعودي وغيرهما في جملة الأقوال.» (صلاح)

عدنان.[١]» ورأيت كثيرا من العلماء الذين هم يُعتبرون أئمة في الحديث والتأريخ يذكرون الفرع الثاني، اجترأت على ذكره في هذا الكتاب.

وفي «سبائك الذهب»[٢] للسويدي:

«قد اختلف في كراهة رفع النسب من عدنان إلى آدم، فذهب ابن إسحاق وابن جرير وغيره إلى جوازه، وعليه البخاري وغيره من العلماء.[٣]»

ونقل الإمام جلال الدين السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: «رحلة الشافعي» المحادثة التي جرت بين الإمام الشافعي وهارون الرشيد، وفيها:

«**فقال لي**: أبن لي عن نفسك.

قال الشافعي: فانتسبت حتى بلّغت آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالطين.»[٤]

بناء على هذه النقول، رأيت إيراد هذا الفرع في الكتاب، بحيث ذكره أحسن من تركه.

---

(١) قال البغوي في شرح السنّة: «لا يصحّ النسب فوق عدنان» (١٣/ ١٩٣). ذكر ابن قيم الجوزية نسبه ﷺ إلى «عدنان»، وقال: «إلى ههنا معلوم الصحة، متفق عليه بين النسّابين. ولا خلاف بينهم أن «عدنان» من ولد إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم. وأما القول بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجهًا (زاد المعاد: ١/ ٧١). (صلاح)

(٢) «سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب» لمحمد أبين سويدي. (ص ١٩)

(٣) نبّه الحافظ ابن حجر إلى أن البخاري اقتصر من النسب الشريف على «عدنان» (فتح الباري: ٧/ ١٦٤). وأخرج البخاري في التأريخ الكبير (١/ ٥-٦) بإسناده عن محمد بن إسحاق مثل هذا النسب، وزاد بعد «عدنان»، «ابن أدد بن المقوم بن قارح بن يشجب بن يعرب بن ثابت بن إسماعيل بن إبراهيم»، وكذلك ذكره ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٥٦-٥٧) والطبري في «تأريخ الأمم» (٢/ ١٩١- ١٩٢)، وقد نقل ابن حجر في الفتح (٦/ ٥٣٨- ٥٣٩) بحثًا مفصلًا في بيان ذلك عن «كتاب النسب لأبي رؤبة علي بن محمد بن نصر». (السيرة النبوية في فتح الباري: ١/ ٢٠٦-٢٠٧). (صلاح)

(٤) رحلة الشافعي (ص٢٠)، وهي رسالة مقتبسة، بتقديم محب الدين الخطيب، طبع دار القاسم. (صلاح)

وكنت رأيت هذا الفرع أوّلا في كتاب «الخطبات الأحمدية»[1] للسيد أحمد خان غفرالله له، ولكنه لم يذكر له مرجعا. وكذلك كان ذكر نسب برخيا، كاتب أرمياه؛ ونسب أجيراه، ولكني لم أكن أعرف من أين أخذه.

ووجدت في كتاب الإمام الطبري رواية للكلبي، قال فيها الطبري: «إنها توافق نسب أرمياه كل الموافقة»، إلا أنه يوجد في بعض الأماكن اختلاف في نطق الأسماء لاختلاف الألسنة. وللإمام الطبري رواية أخرى أيضًا، أخذها عن نسّاب عربيّ.

ثم وجدتُ هذا الجزء في كتاب «الطبقات» للإمام ابن سعد أيضا. ولما قارنت بين هذه الكتب، لم أجد فيها بعض الأسماء التي أوردها السيّد أحمد خان في النسب، (وهي: عدنان الثاني، وأدو الثاني، واليسع، وهميسع الثاني، وسلامان الثاني، وثابت، وحمل، ومعد الأول)، ولا أدري من أى كتاب زادها.

وإني أثبت الأسماء المتفق عليها فقط، التي وردت في روايات أخرى.

(١) «الخطبات الأحمدية على تأريخ العرب والسيرة المحمدية»، ألف هذا الكتاب في الردّ على الكاتب الإنجليزي وليم ميور في كتابه «حياة محمد» The Life of Muhammad، وهو يحتوي على اثنتي عشرة خطبة، والخطبة الأولى تتعلّق بتأريخ الأرض العربية، وجغرافيتها.
أما مؤلّفه فهو السير سيد أحمد خان (١٨١٧-١٨٩٨م) فهو مؤسس مدرسته (١٨٧٧م)، صارت نواة لجامعة علي كره الإسلامية، وكان يوالي الحكم الإنجليزي، ولجأ إلى تأويل النصوص وتحكيم عقله فيها. ورغم هذه الاتجاهات المنحرفة يعتبر رائدًا للنهضة التعليمية في الهند. (راجع «زوابع في وجه السنة» ص: ٩٣، ودعوة شيخ الإسلام ابن تيمية: (٢٥٧-٢٥٨ بالهامش) (وكلاهما لكاتب هذه السطور). انظر ردّ المؤلف على علم الكلام والسير سيد في (ص٤٢٢، ٤٥٠).) (صلاح)

الفرع الثالث

(أ) **الفرع الثالث** من نسب النبي ﷺ الذي يبدأ من إسماعيل، وينتهي إلى آدم، عَلَيْهِ السَّلَامُ، قد أخذ من التوراة الموجودة بيننا. أما إعراب الأسماء فإنه مأخوذ من التوراة المشكّلة المترجمة إلى اللغة العربية.

(ب) قد أثبتت الأعمار أمام كل اسم، وهي أيضًا مأخوذة من التوراة، وهي في الغالب صحيحة. ولكن التوراة يصرّح بأن فلانا ولد له ولد في سنّ كذا، وهذا ينشئ إشكالات عديدة.

وعلى سبيل المثال، انظروا في التصريحات التالية الواردة في التوراة (سفر التكوين):

١- وعاش آدم مائة وثلاثين سنة وولد ولدًا على شبهه كصورته، ودعا اسمه شيثا (٥/ ٣).

٢- وعاش شيث مائة وخمسين سنة، وولد أنوشَ (٥/ ٦).

٣- وعاش أنوش تسعين سنة، وولد قينان (٥/ ٩).

٤- وعاش قينان سبعين سنة، وولد مهللئيل (٥/ ١٢).

٥- وعاش ومهللئيل خمسا وستين سنة، وولد يارد (٥/ ١٥).

٦- وعاش يارد مائة واثنتين وستين سنة، وولد أخنوخ (٥/ ١٨).

٧- وعاش أخنوخ خمسا وستين سنة، وولد متوشالح (٥/ ٢١).

٨- وعاش متوشالح مائة وسبعا وثمانين سنة، وولد لامك (٥/ ٢٥).

٩- وعاش لامك مائة واثنتين وثمانين سنة، وولد ابنا و أسماه نوحًا (٥/ ٢٨).

١٠- وعاش نوح اثنتين وخمس مائة سنة، وولد ساما[١].

---

(١) لم يذكر في كتاب التكوين: أن نوحا كان ابن اثنتين وخمس مائة سنة، حين ولد له سام، ولكن الذي ورد فيه هو: أن نوحا كان ابن ست مائة سنة، حين جاء الطوفان، وأن ساما كان بعد الطوفان بسنتين ابن مائة سنة، وولد له أرفكشد. فكانت النتيجة أن نوحا كان ابن اثنتين وخمس =

١١- ولما كان سام ابن مائة سنة ولد أرفكشاد بعد الطوفان بسنتين (١١/ ١٠).
١٢- وعاش أرفكشاد خمسا وثلاثين سنة وولد شالح(١١/ ١٢).
١٣- وعاش شالح ثلاثين سنة وولد عابر(١١/ ١٤).
١٤- وعاش عابر أربعا وثلاثين سنة وولد فالج(١١/ ١٦).
١٥- وعاش فالج ثلاثين سنة وولد رعو(١١/ ١٨).
١٦- وعاش رعو اثنتين وثلاثين سنة وولد سروج(١١/ ٢٠).
١٧- وعاش سروج ثلاثين سنة وولد ناحور(١١/ ٢٢).
١٨- وعاش ناحور تسعا وعشرين سنة وولد تارح(١١/ ٢٤).
١٩- وعاش تارح سبعين سنة وولد أبرام(١١/ ٢٦).

ملاحظات وإشكالات في بيان هذه الأعمار:

فإن سلّمنا ذلك لزمت منه رؤية شيث عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لنوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأن إبراهيم كان ابن ثمان وثمانين سنة في حياة نوح، وأن إسماعيل كان بلغ من عمره سنتين في حياة نوح.

ويلزم مما ذكر، أن نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عاش بعد الطوفان نحو ثلاث مائة وخمسين سنة، مع أن عصر ولادة إبراهيم بعد الطوفان بثلاث مائة وثمان وأربعين سنة، وولد له إسماعيل إذ كان ابن ست وثمانين سنة.

وهذه أمور لم يقل بها أحد من علماء أهل الكتاب. ولذلك ظل الشكّ يساورني في التفصيل المذكور.

ثم اتفق لي أن أقرأ البحث نفسه في كتاب «تأريخ أبي الفداء»[1] ففرحت فرحًا ممزوجًا بالعجب، بأن هذا المؤرّخ الفاضل أيضًا يوافقني على هذا الرأي. وقد زادني ثقة به

= مائة سنة وولد له سام. [«في سفر التكوين (٥/ ٣٢): «ولما كان نوح ابن خمس مئة سنة،ولد ساما وحاما ويافث.»، لعل الطبعة التي اعتمد عليها المؤلف ليس فيها هذا النص.» من إفادات الأخ بدر العتيبي]

(١) تأريخ أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر).

واعتمادًا، أن الإمام أبا محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري المتوفى سنة (٤٥٦هـ) أيضا صرّح في «كتاب الفصل» بالرأي نفسه.

ملخص القول، أن الأسماء التي يضمّها الفرع الثالث صحيحة، أما المعلومات الأخرى فبعض مواضعها مشكوك فيها.

وبما أن صحة الأسماء هي التي يحتاج إليها في توثيق النسب، يمكنني أن أقول: إن هذا الفرع من النسب الشريف صحيح تماما.

بعد هذه التوطئة اللازمة إليكم فروع هذه الشجرة المباركة من النسب الكريم:

(شجره طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السماء)

لسيّدنا أبي القاسم محمد رسول الله خاتم النبيين ﷺ

الفرع الأوّل[(١)]

الرقم المسلسل	آباؤه العظام	أمهاته الكريمات	عمومة الأمهات	خؤولة الأمهات
١	عبد الله[(٢)]	آمنة	وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب[(٣)].	برة بنت عبد العزى بن عبد الدار بن قصي.[(٤)]
٢	عبد المطلب	فاطمة	عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة.[(٥)]	صخرة[(٦)] بنت عبد بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة.
٣	هاشم	سلمى	عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن	عميرة[(٧)] بنت صخر بن حبيب بن الحارث بن ثعلبة

(١) راجع «عمدة الطالب في نسب أبي طالب» لجمال الدين أحمد بن عنبة، اعتنى به وشجره: السيد يوسف بن عبد الله جمل الليل. (ص ٤٤ مبسوط رقم: ١) (صلاح)

(٢) هو: عبد الله بن عبد المطلب أبوالنبي ﷺ يذكر بعفته وطهارته في الجاهلية سيأتي ذكره بعنوان «عبد الله والد النبي ﷺ».

(٣) انظر الرقم المسلسل(٦) من آباء النبي ﷺ.

(٤) انظر الرقم المسلسل (٥) من آباء النبي ﷺ.

(٥) انظر الرقم المسلسل (٧) من آباء النبي ﷺ.

(٦) أم صخرة هي: تخمر بنت عبد بن قصي، واسم جدّتها: سلمى بنت عامرة بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر، واسم جدّة جدّتها: عاتكة بنت عبد الله بن وامكة بن ظرب.

(٧) أم عميرة هي: سلمى بنت عبد الأشهل، واسم جدّتها اثيلة بنت زعوار.

الرقم المسلسل	آباؤه العظام	أمهاته الكريمات	عمومة الأمهات	خؤولة الأمهات
			عدي بن النجار (تيم الله) بن ثعلبة الخزرجي.	بن مازن بن النجار ساكن المدينة.
٤	عبد مناف	عاتكة	مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهشة بن سليم بن منصور[١].	ماوية (صفية)[٢] بنت حوزة بن عمرو بن صعصة بن معاوية بن بكر بن هوازن[٣].
٥	قصي	حُبّى	خليل بن جثبية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة (وهو الخزاعي).	هند[٤] بنت عامر بن النضر بن عمرو بن عامر (من الخزاعة).
٦	كلاب	فاطمة	سعد بن سيل(خير) بن حمالة بن عوف بن عامر الجادر (كان أول من بنى جدار الكعبة فقيل له الجادر) أزدشنوه.	ظريفة[٥] بنت قيس بن أمية ذي الرأسين بن جيثم بن كنانة بن عمرو بن القين بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان بن إلياس.
٧	مرة	هند	سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك[٦].	أمامة[٧] بنت عبد مناة بن كنانة.

(١) الرقم (١٧) من آباء النبي ﷺ.

(٢) أم ماوية هي: رقاش بنت الأسحم، واسم جدّتها: كبشة بنت الرافقي.

(٣) الرقم (١٧) من آباء النبي ﷺ.

(٤) أم هند هي: ليلى بنت مازن (من خزاعة).

(٥) أم ظريفة هي: صخرة بنت عامر.

(٦) انظر النسب رقم (١٢) من آباء النبي ﷺ.

(٧) أم أمامة هي: هند بنت دودان بن الأسد خزيمة.

الرقم المسلسل	آباؤه العظام	أمهاته الكريمات	عمومة الأمهات	خؤولة الأمهات
٨	كعب	محشية	شيبان بن محارب بن فهر[١].	وحشية[٢] بنت وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة.
٩	لُويّ	ماوية	كعب بن القين(هو النعمان) بن حير بن شيع الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.	عاتكة بنت كاهل بن عزرة.
١٠	غالب	عاتكة	يخلد بن النضر بن كنانة[٣].	أنيسة[٤] بنت شيبان ابن ثعلبة بن عكابة ابن عصب بن على بن بكر بن وائل.
١١	فهر الملقب بقريش	ليلى	الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة[٥].	سلمى[٦] بنت طابخة بن إلياس[٧].
١٢	مالك	جندلة	عامر بن الحارث بن مضاض بن زيد بن مالك الجرهمي	هند بنت الظليم بن مالك بن الحارث الجرهمي.
١٣	نضر	عكرشة	عدوان (الحارث) بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر.	

(١) انظر النسب رقم (١١) من آباء النبي ﷺ.

(٢) أم وحشية هي: ماوية بنت ضبيعة بن ربيعة بن نزار.

(٣) انظر الرقم (١٣) من نسب آباء النبي ﷺ.

(٤) أم أنيسة هي: تماضر بنت الحارث واسم جدّتها رهم بنت كاهل.

(٥) انظر الرقم (١٦) من نسب آباء النبي ﷺ.

(٦) أم سلمى هي: عاتكة بنت الأسد، واسم جدّتها زينب بنت ربيعة.

(٧) انظر الرقم (١٧) من هذا النسب الشريف.

الرقم المسلسل	آباؤه العظام	أمهاته الكريمات	عمومة الأمهات	خؤولة الأمهات
١٤	كنانة	برّة	مر بن أد بن طابخة[١] (أخت تميم بن مر).	
١٥	خزيمة	عوانة (هند)	سعد بن قيس بن عيلان بن إلياس[٢].	وعد بنت إلياس[٣].
١٦	مدركة	سلمى	أسلم بن الحاف بن قضاعة.	
١٧	إلياس	ليلى (خندف)	حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.	ضرية بنت ربيعة بن نزار[٤].
١٨	مضر	رباب	حيدة بن معد[٥].	
١٩	نزار	سودة	عك بن الريث بن عدنان[٦]	
٢٠	معد	معانة	جوشم بن جهلمة بن عمر بن برة بن جرهم.	سلمى بنت الحارث بن مالك بن غنم (من جرهم).
٢١	عدنان	مهدد	لهم بن جلحب بن جديس بن جاثم بن أثرم (إرم).	

(١) طابخة هو أخو مدركة(١٦).

(٢) انظر الرقم (١٧) من نسب آباء النبي ﷺ.

(٣) انظر الرقم (١٧) من نسب آباء النبي ﷺ.

(٤) انظر الرقم (١٩) من نسب الآباء.

(٥) انظر الرقم (٢٠) من نسب الآباء.

(٦) انظر الرقم (٢١) من نسب الآباء.

الفرع الثاني[١]

نسبه ﷺ إلى إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

الرقم المسلسل	برواية الكلبي الطبري[٢].	برواية ابن سعد في الطبقات.	توضيحات الإمام الطبري التي أثبتها فيمن روى عنهم.
			وأخبرني بعض النسّاب أنه وجد طائفة من علماء العرب قد حفظت لمعد أربعين أبا بالعربية إلى إسماعيل. واحتجت لقولهم ذلك بأشعار العرب، وأنه قابل بما قالوا من ذلك أهل الكتاب فوجد العدد متفقًا، واللفظ مختلفًا، وأملى ذلك عليّ فكتبته عنه[٣].
٢٢	أدد	أدد	
٢٣	هميسع	هميسع	وهو هميدع يقاله أيضا الشاجب.
٢٤	سلامان	سلامان	وهو منجر ويقاله أيضا نبيت.

(١) راجع «عمدة الطالب» (ص ٤٥-مبسوط رقم (٢)) وذكر فيه ثمانية أبناء فقط. وقال: «الرواية الأولى فيما اشتهر بين النسابة». وذكر في مبسوط رقم (٣) الرواية الثانية للكلبي (ص ٢٦) وذكر في مبسوط رقم(٤) الرواية الثالثة لبعض أهل الكتب(ص ٤٧). (صلاح)

(٢) «حدثني الحارث، قال حدثنا محمد بن سعد، قال حدثنا هشام بن محمد، قال: وكان رجل من أهل «تدمر» يكنى أبا يعقوب، من مسلمة بني إسرائيل، قد قرأ من كتبهم وعلم علما، فذكر أن بروخ ابن ناريا كاتب أرميا أثبت نسب معد بن عدنان، ووضعه في كتبه، وأنه معروف عند أحبار أهل الكتاب، ومثبت في أسفارهم، وهو مقارب لهذه الأسماء ما روى عن الكلبي محمد بن السائب، أذكره من بعده، ولعلّ خلاف ما بينهم من قبل الألسنة، لأن هذه الأسماء ترجمت عن العبرانية». (تاريخ الطبري ٢/ ٢٧٢-٢٧٣).

(٣) تاريخ الطبري (٢/ ٢٧٤).

الرقم المسلسل	برواية الكلبي في الطبري.	برواية ابن سعد في الطبقات.	توضيحات الإمام الطبري التي أثبتها فيمن روى عنهم.
٢٥	عوص	عوص	
٢٦	بوز	بوز	وهو ثعلبة وإليه تنسب قبيلة الثعلبية.
٢٧	قموال	قموال	وهو بوز وهو عثر العشائر وأول من سنّ العتيرة للعرب.
٢٨	أبيّ	أبيّ	وهو سعد رجب وهو أول من سنّ الرجبية للعرب.
٢٩	عوام	عوّام	وهو قموال يقال له بريح الناصب وكان في زمن سليمان عليه السلام.
٣٠	ناشد	ناشد	وهو محلّم ذوالعين.
٣١	حزا	حزا	وهو العوام.
٣٢	بلداس	بلداس	ويقال له المحتمل أيضا.
٣٣	يدلاف	تدلاف	وهو رائمة لقبه هو.
٣٤	طابخ	طابخ	يقال له طاهب ولقبه العيقان.
٣٥	جاحم	جاحم	وعلة لقبه.
٣٦	ناحش	ناحش	والشحدود لقبه.
٣٧	ماخي	ماخي	وكانت العرب تدعوه الظريب خاطم النار.
٣٨	عيفي	عيفي	وهو عافي وهو عبقر أبو الجن وإليه تنسب جنة عبقر.
٣٩	عبقر	عبقر	وهو إبراهيم جامع الشمل، وإنما سمّي جامع الشمل لأنه أمن في ملكه كل خائف، وصارت الطرق آمنة.
٤٠	عبيد	عبيد	وهو إسماعيل ذو المطابخ سمّي بذلك لأنه حين ملك أقام بكل بلدة من بلدان العرب دار ضيافة.
٤١	الدعا	الدعا	ويقال له يزن الطعّان وهو أول من قاتل بالرماح.

الرقم المسلسل	برواية الكلبي في الطبري.	برواية ابن سعد في الطبقات.	توضيحات الإمام الطبري التي أثبتها فيمن روى عنهم.
٤٢	حمدان	حمدان	ويقال له إسماعيل ذو الأعوج وكان الأعوج فرسا له، وإليه تنسب الأعوجية من الخيل.
٤٣	سنبر	سنبر	ويقال له بشمين وهو المطعم في المحل، لأنه كان يعدّ الطعام في محلّه لكل شخص.
٤٤	يثربي	يثربي	وهو بثرم ويلقب بالطمح أيضا.
٤٥	نحزن	نحزن	اسمه: بحزن ولقبه القسور.
٤٦	يلحن	يلحن	لقبه العنود.
٤٧	أرعوى	أرعوى	ولقبه الدعدع.
٤٨	عيضى	عيضى	ولقبه: عاقر.
٤٩	ديشان	ديشان	وهو الزائد.
٥٠	عيصر	عيصر	وهو عاصر النيدوان ذو الأندية، وفي عهده نشبت الحرب بين نبيت وجاوان من بني القاذور.
٥١	أقناد	أقناد	ولقبه: أباه همة.
٥٢	أيهام	أبهام	اسمه: بهامى لقبه: دوس العتق ودوس أجمل الخلق.
٥٣	مقصر	مقصى	اسمه: مقاصري لقبه الحصن والنزال.
٥٤	ناحث	ناحث	
٥٥	زارح	زارح	لقبه: قمير.
٥٦	سمّى	شمّى	اسمه: سما، ولقبه: المجشر.
٥٧	مزّي	مزّي	ويقال له أيضا مرهر.
٥٨	عوض	عوص	ولقبه: السمر والصفي أيضا.
٥٩	عرام	عرام	
٦٠	قيدار	قيدار[1]	

(١) اسم زوجة قيدار «حاضرة» وهي من قبيلة «جرهم».

الفرع الثالث(١)

نسب إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ

الرقم المسلسل	الاسم	العمر
٦١	إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ(٢)	١٣٧ سنة.
٦٢	إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ(٣)	١٧٥ سنة.
٦٣	تارح (آزر)	٢٠٥ سنة.
٦٤	ناحور	١٥٩ سنة.
٦٥	سروج (ساروغ)	٢٣٢ سنة.
٦٦	رعو	٢٣٩سنة.
٦٧	فالج	٢٣٩ سنة.
٦٨	عابر	٤٦٠ سنة.
٦٩	أرفكشاد (أرفخشد)(٤)	٤٣٨ سنة.
٧٠	سام	٦٠٢ سنة.
٧١	نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ	٩٥٠ سنة.
٧٢	لامك	٧٧٧ سنة.
٧٣	متو شالح	٩٦٩ سنة.
٧٤	أخنوخ إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ.	٣٦٥ سنة.

---

(١) راجع «عمدة الطالب» (ص ٤٨) «مبسوط» رقم (٥) إلى نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ. ومبسوط رقم (٦) من نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ (ص ٤٩). (صلاح)

(٢) سيأتي ذكر إسماعيل وأم إسماعيل هاجر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قريبًا [بعنوان: «أم المسلمين هاجر وإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ»]

(٣) سيأتي قريبًا ذكر سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ. (صلاح)

(٤) في الأطلس: عابر بن شالح بن قينان بن أرفخشذ.

الرقم المسلسل	الاسم	العمر
٧٥	يارو	٩٦٢ سنة.
٧٦	مهلاييل	٨٩٥ سنة.
٧٧	قينان	٩١٠ سنة.
٧٨	آنوش	٩٠٥ سنة.
٧٩	شيث عَلَيْهِ السَّلَامُ.	٩١٢ سنة.
٨٠	آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ(١).	٩٣٠ سنة.

---

(١) «عرج النبي ﷺ ليلة المعراج إلى السماء الدنيا، فإذا فيها آدم، فقال: فسلمت عليه فردّ السلام: ثم قال: مرحبا بالابن الصالح، والنبي الصالح». (البخاري رقم: ٣٨٨٧، ومسلم رقم: ١٦٤) عن حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

هذا، وأبونا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ينتهي إليه نسب النبي ﷺ، وقد بين النبي ﷺ طهارة نسبه الشريف، فقال:

«خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء.» (الطبراني في الأوسط (٤٧٢٨)، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٢٢٥) كما تقدم.)

هذا طهارة نسب النبي ﷺ.

- وعن واثلة بن الأسقع، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم.» (مسلم: ٢٢٧٦)

هذا اصطفاء نسب النبي ﷺ.

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا، حتى كنت من القرن الذي كنت فيه.» (البخاري: ٣٥٥٧)

- قال الله تعالى: ﴿...ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ...﴾ [الأنعام: ١٢٤]

هذا اصطفاء نبوّته ﷺ، هكذا نبينا ﷺ، هو النبي المصطفى المختار طهارة، ونسبًا وزمنًا ونبوّة. فصلى الله عليه وبارك وسلّم تسليما كثيرا. (صلاح)

نسب المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ

بعد بيان نسب النبي ﷺ نودّ أن نثبت هنا نسب المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ المذكور في إنجيل لوقا ومتّى، ليطلع القارئ على مزيد من المعلومات في هذا الموضوع.[1]

وقبل أن نسرد نسبه ينبغي أن نعلم أن علماء النصارى وإن هم يوصلون نسب المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، إلا أنه ثبت من (الدرس الثامن والأربعين من الإصحاح الثامن) من إنجيل يوحنّا أن اليهود المعاصرين للمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، كانوا ينكرون هذا الشرف الثابت، وينسبونه إلى سلالة السامري.[2]

الفرع الأوّل

من يوسف (زوج مريم)[3] إلى زروبابل

إنجيل لوقا[4]	إنجيل متى[5]
يوسف	يوسف
هالي	يعقوب
متثات	متان
لاوي	-

---

(١) بعث عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ (١-٣٢م) سنة ٢٩م تقريبًا، بفلسطين في بني إسرائيل، ورفعه الله إليه سنة ٣٢م تقريبًا. والله أعلم. (أطلس سامي عبد الله، وتأريخ الأنبياء والرسل:ص ٣٠)

(٢) إن السامريّ أيضا من بني إسرائيل، إلا أن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يأتي اسمه في سلسلة نسب السامريّ.

(٣) هكذا مكتوب في الكتاب المقدّس [«إنجيل»] الآن. [وهذا خلاف الوارد في الكتاب والسنّة، فلعنة الله على الظالمين وهو عيسى بن مريم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ]

(٤) أنظر لوقا (٣/ ٢٣-٢٧).

(٥) أنظر متى (١/ ١٢-١٦).

ملكى	-
ينا	-
يوسف	-
متاثيا	-
عاموص	-
ناحوم	-
حسلى	-
نجاى	-
مآث	اليعازر (أر ألعازر)
متّاثيا	اليود
شمعى	آخيم
يوسف	صادوق
يهوذا	عازور
يوحِنا	الياقيم
ريسا	ابيهود
زربابل	زرُبابل
المجموع-٢٠	**المجموع-١١**

ملاحظات على نسب المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

١- قد ذكر لوقا في إنجيله من يوسف إلى زروبابل عشرين جيلا، وذكر متّى أحد عشر جيلا.[(١)]

٢- يختلف كل منهما في بيان سلسلة النسب عن الآخر اختلافا شديدا، إذ الأسماء التي وردت في إنجيل لوقا ومتّى لا يشبه بعضها بعضا البتّة، سوى اسمين يوسف وزروبابل فقط.

(١) كما تقدّم الآن في الفرع الأوّل. (صلاح)

٣- أخبرني بعض علماء النصارى عن وجود نسب مريم عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ في إنجيل لوقا، ونسب يوسف في إنجيل متّى أو بالعكس. لسررنا جدًّا لو كان الأمر كذلك أيضا، ولكن من المدهش المحيّر أن سلسلة نسب الزوج والزوجة، يوجد فيها تفاوت زمني طويل، بحيث يصل الفرق إلى تسعة أجيال.

٤- تنتهي سلسلة النسب الواردة في إنجيل لوقا إلى «ريصا بن زروبابل»، والواردة في إنجيل متّى إلى أبيود بن زروبابل، فمن الممكن قياسًا، أن يكون يوسف ومريم من أصل «ريسا» و «أبيهود» ابني زروبابل، ولكن لا بدّ هنا أن نتحقق: هل كان من ولد زروبابل من يسمّى ريسا وأبيهود، أم لا؟

نحن وجدنا في الإصحاح رقم (٣/ ١٩-٢٠) من أخبار الأيام الأول، أسماء ولد زروبابل، ولكن مع الأسف ليس فيهم أحد يدعى، ريسا وأبيهود.

٥- أن لوقا ومتّى اتفقا على أن زروبابل ابن شألتيئيل، وأما أخبار الأيام (٣/ ١٨-١٩) فقد ورد فيه أن زروبابل كان ابن فدايا، وابن أخي شألتيئيل.

الفرع الثاني

وهذا يبدأ من شألتيئيل وينتهي إلى داود، وبما أن نسب شألتيئيل يوجد في التوراة أيضا: أضفنا له عمودا ثالثا في هذا الفرع ليتّضح أيضا مدى تطابق هذا النسب بكتاب سماوي ثالث (التوراة)، بالإضافة إلى لوقا ومتى[1]:

إنجيل لوقا	إنجيل متّى	الكتاب المقدس (التوراة)
(٣/ ٢٨-٣١)	(١/ ٦-١٢)	(أنظر سفر الأخبار الأول ٣/ ١٠-١٧)
شألتئيل	شألتئيل	سيألتيئيل
نيرى	يكنيا	يكونيا (يكنيا)
ملكى	-	-

(١) في بعض الترجمات اختلاف في شكل الأسماء، مثل:
عزيا= عوزيا. يوثام= يوتام. مياثا=متاتا.... (العتيبي)

أدّى	-	يهوياقيم
قوسام	يوشيا	يوسياه (يوشيّا)
المودام	آمون	آمون
عير	منسىَّ	منسى
يوشوع	حزقيا	حزقياه
أليعازر	آحاز	آخاز
يوريم	يوثام	-
متثات	عزيا	عزريا (عزّيًا)
لاوي	-	أمصيا
شمعون	-	يوآش
يهوذا	-	حزيا (آخزيا)
يوسف	يورام	يورام
يونان	يهوشافاط	يهوسفط (يهوشافاط)
ألياقيم	آسا	اسا
مليا	أبياه	ابيا (أميّا)
منا	-	-
متّاثا	رحبعام	رحبعام
ناتان	سليمان	سليمان
داود	داود	داود
المجموع-٢٢	**المجموع-١٦**	**المجموع-١٩**

١- وقد عدّ لوقا من شألتيئيل إلى داود اثنين وعشرين جيلًا، وعدّ متّى ستة عشر جيلًا، والتوراة تسعة عشر جيلا.

٢- إن لوقا جعل شألتيئيل من أصل ناتان بن داود، وأما متّى والكتاب المقدس (التوراة) فإنهما نسباه إلى سليمان بن داود. وحدثني أحد النصارى أن سليمان هو ناتن.

ولكن أنا متردّد في صحة هذا القول، لما قد ورد في أخبار الأيام الأول (٣/ ٥) ما نصّه: «إن شمعى، وشوباب، وناتان، وسليمان، ولد هؤلاء الأربعة من بطن بتشوع بنت عميئيل».

٣- إن ما ذكر لوقا ومتّى في إنجيل هما من الأسماء بين شألتيئيل وداود في هذا الفرع مختلفة تماما فيما بينها. وكان نفس الاختلاف في الفرع الأول أيضا. فعلّل أحد البنين لمريم والثاني لزوجها يوسف. ولكن اجتمع كلا النسبين بزرو بابل.

ومن المستحيل أن يكون لشألتيئيل وحده نسبان اثنان، كما لا يمكن أن نجعل شألتيئيل من أصل كل من ناتان بن داود وسلمان بن داود.

ويستنتج من هذا أن آباء المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ سيعدّون من سدنة بيت المقدس، إذا ثبت كون شألتي إيل من أصل ناتن بن داود، كما أنهم سيعتبرون ملوكا إذا صحّ انتماؤه إلى سليمان بن داود. ولكن مع الأسف لم تثبت صحة كلّ من النسبين.

4- نحن نرجّح هنا النسب الوارد في إنجيل متّى على النسب الوارد في إنجيل لوقا، وذلك لإن الإصحاح الثالث من أخبار الأيّام الأول يؤيّد ويصدّق النسب الوارد في إنجيل متّى، بخلاف النسب الوارد في إنجيل لوقا، فإنه لم يلق أي تأييد، رغم قول لوقا قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق. (لوقا ١/ ٣).

٥- مما يبعث على السرور أن متّى والتوراة كلاهما يتفق في كثير من الأسماء، ولكن من المؤسف أنهما لا يتفقان فيها إلى النهاية.

فتدبّروا قليلًا في النسب، وجدتم أن متّى لم يذكر أي اسم بين يوسياه ويكونياه، مع أن أخبار الأيام الثاني (٥/ ٣٦) قدذكر بينهما اسمًا. ويظهر من دراسة هذا الإصحاح أن يهوياقيم بن يوشيا، هو الذي تولّى عرش الحكم بعد أبيه يوشياه، وكان اسم يهوياقيم الملكي يهوياقيم.

وكذلك إذا درست أخبار الأيام الأول (١٦/ ٣) علمت أن يكونياه كان من أبناء يهوياقيم، لا من أبناء يوشيا، كما يظهر من النسب الذي ذكره متّى.

٦- يقول متى (١/ ٩): «يورام». هذه الألفاظ تشير إلى أن يونام كان ابنا من صلب غرياه، كالأسماء الأخرى الموجودة في هذا النسب، التي تبدو منها أن العلاقة بينهما

علاقة الأبوّة والبنوّة. ولكن الذي يبدو من مطالعة الإنجيل هو:
أن خزيا ولد من يورام (أو يورام).
ومن حزيا: يوآش.
ومن يوآس: أمصيا.
ومن أمصيا: عزريا.
وهذا التصريح الوارد في الإنجيل قد أكد لنا أن متى قد فاتته هنا أيضا أسماء ثلاثة أجيال.

٧- يقول بعض علماء النصارى: إن متّى كان قد ترك متعمدًا أسماء أخزيا ويوآش وأمصيا لأنهم كانوا بلغوا من سوء العمل مبلغا لا ينبغي لأجله أن يعطى لهم مكان في هذا النسب الكريم. ويمكن أن يكون هذا العذر صحيحا، لأني وجدت أنسابًا غيره على هذا المنوال.

ولكن الذي يدعو إلى التفكير هل انتهج متّى هذا المنهج في الواقع أم لا؟ ففي «أخبار الأيام الثاني» تعليق موجز على كل ملك، فمثلا ورد عن هؤلاء الثلاثة ما يلي:

خزياه: وهو أيضا سلك في طرق بيت آحاب، لأن أمه كانت تشير عليه بفعل الشرّ (٣/ ٢٢).

يوآش: وتركوا بيت الربّ إله آبائهم وعبدوا السواري والأصنام (١٨/ ٢٤).

أمصيا: وعمل المستقيم في عيني الربّ، ولكن ليس بقلب كامل (٢/ ٢٥).

فإن رتّبنا هؤلاء الثلاثة حسب الجريمة، فإن يوآس أشدّهم جريمة لعبادته الأصنام، وخزياه أقلّ منه لأعماله السيئة، وأمصيا أقلّ منه لتجرّد عمله الصالح من الإخلاص.

وعلينا أن ننظر الآن: هل يوجد أحد غير هؤلاء الثلاثة علّق عليه بمثل هذا التعليق أو أشدّ منه؟

إن اسم آخرز موجود في النسب الذي ذكره متّى، ويقول عنه الإنجيل: وعمل أيضا تماثيل مسبوكة للبعليم. (أخبار الأيام الثانى ٢/ ٢٨)

ويقول عن آمون: وعمل الشرّ في عيني الربّ (أخبار الأيام الثانى ٣٣/ ٢٢).

ويقول عن منسّي: وعمل الشرّ في عيني الربّ، حسب رجاسات الأمم (أخبار الأيام الثّاني ٣٣/ ٢).

ويقول عن رجعام: ترك هو، وبنو إسرائيل كلّهم معه شريعة الربّ.

هذه الوثائق كلّها تدلّ على وجود رجال، عدا هؤلاء الثلاثة، أيضا جنوا جناياتهم، وهم ممن ذكر متّى أسماءهم في النسب، فثبت بذلك أن متّى لم ينتهج ذلك المنهج الذي يقول به «أصدقاؤنا» اليوم[1]. ومن هنا ظهر أن متّى لم يوافق التوراة في ذكر النسب من الفرع الثاني.

الفرع الثالث

النسب المسرود من داود إلى آدم ممكن أن يكون فرعًا ثالثًا لنسب المسيح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ. ولكن الظاهر أن نسب ابن داود وهو الذي يتّصل بنسب داود، وما فوقه يعتبر نسب داود، وليس هناك خلاف في نسب داود الوارد في التوراة، كما أن أهل الكتاب لم يختلفوا في الفرع الثالث من نسب نبيّنا ﷺ، الذي يبتدئ من قيدار بن إسماعيل وينتهي إلى آدم. ومع ذلك فإني أثبت النسب من داود إلى إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ تيمنًا وتبركًا.

الاسم	الملاحظة
داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ	تولّى الحكم وهو في الثلاثين من عمره، ثم توفّي سنة ١٠١٥ق. م. بعد ما حكم أربعين عاما. وعلى هذا كانت ولادته قبل ٩٤٥ سنة من مولد المسيح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.
يسى	
عوبيد	
بوعز	اسم زوجته راعوث. وقد ضمّ الكتاب المقدس كتابًا

(١) وهو أنه لم يذكرهم، لأنهم لم يكونوا على مستوى الذكر في هذا النسب الكريم. بل يظهر أن متّى بعدم ذكرهم خالف التوراة في ذكر النسب. (صلاح)

الاسم	الملاحظة
	باسمها «راعوث».
سلمون	هو الذي كان دخل الأرض المقدّسة مع يوشع عَلَيْهِ السَّلَامُ، من بين أصحاب موسى. واسم زوجته راحب.
نحشون	هو من رؤساء بني إسرائيل، الذين كانوا رؤوس ألوف بني إسرائيل (الأسباط). وهو الذي كان أحصى في برية سيناء بني يهوذا بعد الخروج من مصر بأربعة عشر شهرًا بأمر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وحينئذٍ كان عدد محاربي هذه الفرقة، الذين كانوا أبناء أربع وعشرين سنة فصاعدًا، أربعة وسبعين ألفا وستّ مائة (الإصحاح الأول العدد ١/ ١-٢٨) كان هذا الحادث قبل ١٤٩٠ ق، م.
عميداب	نطقه بالعربية (عمينا داب)
آرام	نطقه بالعربية أرام
حصروم	حصرومن
فارص	ابن تمر، ووردت قصته في كتاب التكوين.
يهوذا	نطقه بالعربية: يهودا
يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ	
إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ	
إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ	ورد ذكره في شجرة نسب النبي ﷺ.(١)

* * *

(١) راجع الرقم (٦٢) من نسبه الشريف الذي تقدّم آنفًا. (صلاح)

الفصل الثاني

أحوال موجزة لبعض أشهر المشاهير من أعلام الشجرة النبويّة العالية.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١].

آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ

هو أبو البشرية، وأوّل إنسان خلقه الله تعالى ليجعله خليفة في الأرض.(١) عمّر تسع مئة وثلاثين سنة،(٢) وكان آدم ابن مئة وثلاثين سنة، حين ولد له شيث. (التكوين ٥/ ٣-٥)

وقد ورد في القرآن الكريم أن الله أسكن آدم في الجنة بعد ما خلقه.(٣) ولكن العلماء اختلفوا في تعيين هذه الجنّة:

فمال أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ، وأبو القاسم البلخي، وابن قتيبة، وأبو مسلم الأصفهاني رَحِمَهُمُ اللَّهُ إلى أنها موضع من مواضع الأرض.

أما من عداهم من المفسّرين فقالوا: إنها في السماء.

ومنهم من يقول: هذه الجنة غير جنّة الخلد.

ومنهم من يقول: إنها هي جنّة الخلد.

وسوف يأتي ذكر الحقائق التي أوردها الإسلام بخصوص آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ**، في هذا الكتاب ضمن بابين: «باب فضيلة سيّد المرسلين» و «باب أساطير الأولين».**

---

(١) قال عزّ من قال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ...﴾ [البقرة: ٣٠].

(٢) «على هذا كان خلقه عَلَيْهِ السَّلَامُ سنة ٥٨٧٢ق.م. ووفاته سنة ٤٩٤٢ ق.م. وكان مكان بعثته الجزيرة العربية، وقيل الهند وذكر في القرآن (٢٥) مرّة، وتوفي في مكة المكرمة، وقيل: في الهند.» («أطلس تأريخ الأنبياء والرسل» للشيخ سامي عبد الله المغلوث، وعنه في «تأريخ الأنبياء والرسل» للبلوشي (ص٢٥). (صلاح)

(٣) قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ...﴾ [البقرة: ٣٥]

نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

هو أوّل رسول من ربّ العالمين. وفي التوراة لما كان نوح ابن ست مئة سنة، حدث الطوفان على الأرض، يعني أن مياه الطوفان فاضت في الأرض في سنة ستّ مائة، في اليوم السابع عشر من الشهر الثاني من عمر نوح.

وقد انفجرت ينابيع البحار وانفتحت طاقات السماء، واستمر المطر على الأرض أربعين يوما بلياليها. وكان طول السفينة التي صنعها نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مائتي ذراع، وعرضها خمسين ذراعا، وارتفاعها ثلاثين ذراعا، وكانت ثلاث طبقات. وبعد مائة وخمسين يومًا نقصت المياه، واستقرت السفينة في اليوم السابع عشر من الشهر السابع، وعاش نوح بعد الطوفان ثلاث مائة وخمسين سنة.(١)

وقد وُصِف نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بآدم الثاني في التأريخ الإسلامي، كما جاء في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الصافات: ٧٧].

وكان لنوح ثلاثة بنين [سام وحام ويافث(٢)]، وهم يزينون الأرض، ويعمّرونها، وبهم تعمّرت معمورة العالم أجمع، وتزيّنت وازدهرت.

---

(١) كتاب التكوين (٥/ ٣-٥) [وعلى هذا، كان عمره تسع مئة وخمسين سنة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [العنكبوت: ١٤]، وكانت لادته سنة ٤٥٣٣ ق.م. تقريبًا، ووفاته ٣٠٤٢ ق.م. وبعث في جنوب العراق وذكر في القرآن (٤٣) مرّة، وتوفي في مكة المكرمة. كما في أطلس سامي عبد الله، والبلوشي (ص٢٥)، ولم يثبت حديث صحيح في تعيين مدافن الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ تعيينًا دقيقًا غير نبينا ﷺ (صلاح)]

(٢) عن سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ قال: «سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم.» (رواه الترمذي، وذكره الألباني في ضعيف الترمذي: ٣٢٣١، ٣٩٣١، وأحمد وضعفه شعيب الأرنؤط في تخريجه (٢٠١٠٠) إلا أن النسّابين والمؤرخين اتفقوا على هلاك جميع الأمم الموجودة في الطوفان سوى ما كانوا في السفينة وكذلك اتفقوا أن جميع نسل البشرية من بنيه الثلاثة. (أطلس سامي عبد الله، تأريخ الأنبياء والرسل: ٨٥-٨٦). (صلاح)

[١] أولاد سام(١)

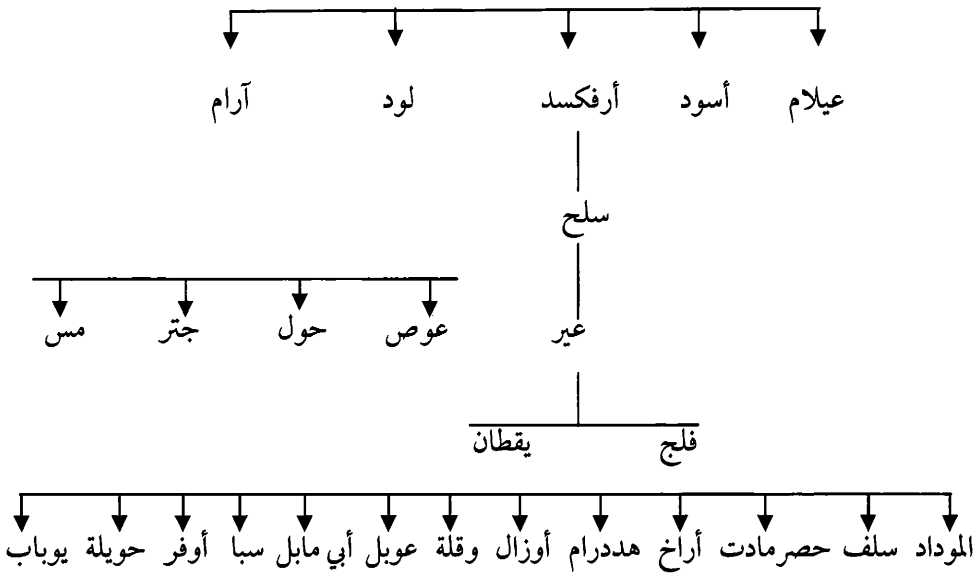

(١) أسماء ولد سام وحام ويافث مأخوذة من كتاب «التكوين»، من [الكتاب المقدّس].

(فائدة): سام هو أوسط بني نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ. والعرب من ولد سام باتفاق المسلمين، والبربر: فيهم خلاف هل هم من العرب أو غيرهم؟

وكذلك من ولد سام: الجرامقة (من أهل الموصل) والسريان، والعبرانيون، والفرس، والكرد، والنبط (وهم أهل بابل) وغيرهم أيضًا. (أطلس: ٨٥-٨٦، وتأريخ الأنبياء والرسل: ٨١-٨٤). (صلاح)

[٢] أولاد حــام(١)

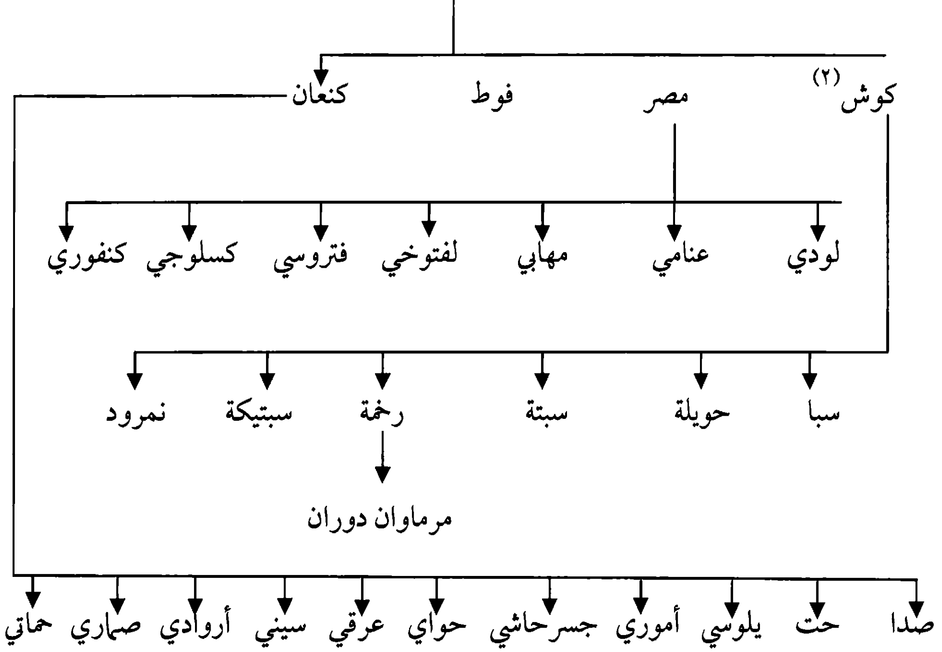

(١) حام: أصغر بني نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٢) الهند: من بني كوش بن حام. (أطلس: ص٨٦)

وكذلك من أولاد حام: السند، والحبشة، والنوبة، والزنج، والقبط، والقوط، والكنعانيون، وزويلة: أهل برقة في القديم، قيل: إنه من بني حويلة بن كوش بن حام. (أطلس: ٨٥-٨٦) (صلاح)

[٣] أولاد يافث[1]

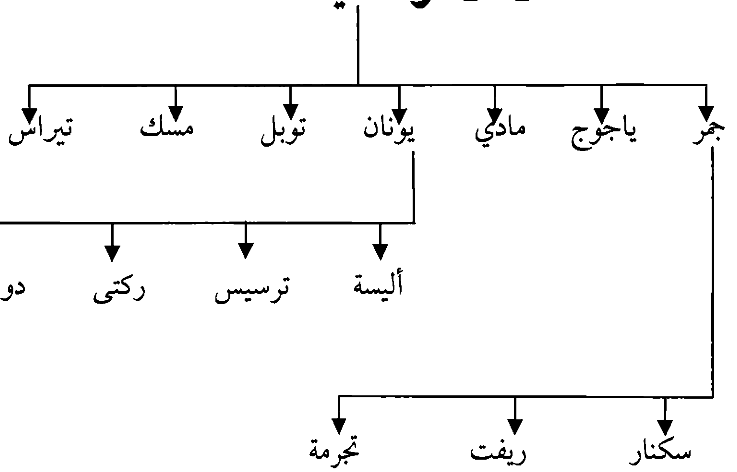

وكان لنوح ابن رابع اسمه «يام»، الذي غرق في الطوفان لسوء عمله.[2]

---

(١) يافث: هو أكبر أبناء نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومن أولاده:

الديلم، والصقالبة، والصين، والفرنج، واللمان، والأثبان، واليونان (وهم ثلاثة أصناف: بنو اللطين، والإغريقيون، والكيتميون، وإلى هذه الفرقة يرجع نسب الروم). راجع «أطلس تأريخ الأنبياء والرسل» للشيخ سامي عبد الله (٨٥-٨٦)، وتأريخ الأنبياء والرسل للشيخ البلوشي (٨١-٨٤). (صلاح)

(٢) ذكر الله تعالى أمره في كتابه فقال: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٤٥ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٤٦﴾ [هود: ٤٥-٤٦]. (صلاح)

حال سـام (أو سم)

الشعوب السامية:

هو أكبر أولاد نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ[١]، وقد ولد حين كان نوح ابن اثنتين وخمسمائة سنة.

كان سام أبـًا لجميع الأمم والشعوب والمعلّم الأوّل لسائر الألسنة، التي أطلق عليها المؤرّخون الأوربيون اسم اللغات السامية.

اللغات السامية:

ويظهر من البحث والتحقيق أن اللغة السامية ما زالت حيةً في القارتين: آسيا وإفريقيا على السواء، ومنها تفرّعت اللغات الفولانية والآرامية، والسريانية، والأثيوبية، ومن المسلّم به أن العبرية والعربية هما أغنى اللغات السامية وأكثرها انتشارًا، وإثراء للخزائن العلميّة.

الجزيرة العربية أوّل موطن لأولاد سام:

وقد اعترف مؤرخان قديمان معروفان: سبرنيجر وسكريدر -تبعا لمن سبقهما من المؤرّخين- بأن الجزيرة العربية هي أوّل موطن لأولاد سام.

ويؤيّد رأي هؤلاء المؤرخين قول الله تعالى في القرآن: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧]. فإنه وصف مكّة بأنها أمٌ لجميع القرى.

العرب هم حملة التقاليد السامية:

وقد ثبت تأريخيًّا أن بعض الشعوب، نزحوا من جزيرة العرب في العصور القديمة، وسكنوا الأراضي الخصبة المجاورة لها. والدليل على ذلك أن العرب هم الذين بقيت فيهم العادات والتقاليد السامية في صورتها الحقيقية، فإن حياتهم البسيطة الساذجة ما زالت تجري على وتيرة واحدة.

---

(١) قيل: سام أوسط أولاد نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما تقدم.

اللغة العربية هي التي سلمت من الضياع:

واللغة العربيّة هي التي سلمت من الضياع على مرّ العصور. أما العبرية فكانت أيضًا سليمة في زمن من الأزمنة القديمة، ولم يبق اليوم من آثارها في أيدي العلماء إلا نقوش ميشا أو سلوآرم.

مصير اللغات الساميّة الأخرى:

إن سقوط الإمبراطورية اليهودية وزواج اليهود مع الأشدوديين، واستعباد بني إسرائيل، وخراب القدس، وتفرّق اليهود في الأقطار المختلفة، كل ذلك من الأسباب الطبيعية، التي لم تبق اللغة العبرية في صورتها الأصلية، وأحدثت انقلابًا عظيمًا، حتى اللغة الآرامية صارت لغة اليهود بدل العبرية. إذا كان هذا شأن العبرية، فكيف باللغات السامية الأخرى؟

إن العلماء لم يطلعوا على اللغة الفولانية إلا بعد العثور على النقوش الحجرية، التي اكتشفت قبل أربعة قرون من مولد المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. ولكنّها تنوسيت حتى أن من قرأوا هذه النقوش لا يثقون هم أنفسهم بصحة ما قرأوه.

كانت اللغة الآرامية في زمن ما لغة الكنعانيين جميعًا، وانتقلت معهم إلى جميع الأقطار، التي وطؤوها من كنعان إلى تركستان الصينية مرتادين العشب والكلأ. ويزعمون أن كلمة «إرَم»، التي وردت في القرآن الكريم -بكسر الأول وفتح الثاني وفي التوراة بفتحتين- هي من آثار هؤلاء القوم. ولم يبق لهذه اللغة اليوم عين ولا أثر.

إن كتاب «بندلي لوك» يعتبر أثرًا من آثار لغة سامر، وقد اعترف كل من بحث في لغته بأنها مشتقة من العربية والعبرية والآراميكية. ولذا ليس في مقدور العالم كلّه اليوم نطقها وبيان مفرداتها، كما أنها لم تكن قطّ لغة مستقلة بذاتها.

أما اللغة العبرانية، التي كان يتكلمها المسيحيون الآرمينيون، الذين كانت «أديسا» عاصمتهم في القرنين: الخامس والسادس، فلم تحظ هذه اللغة الوليدة بحياة طويلة.

وبالجملة فإن اللغة العربية هى اللغة الوحيدة، التي بقيت حيةً سائرة سالمةً من بين سائر اللغات السامية، ويدوي صوتها حتى اليوم في الشام، والعراق، ومصر، وفلسطين، والمغرب، وتونس، وتمتد مساحة منتزهاتها من أكسفورد إلى البرازيل.

تشابه اللغات السامية فيما بينها:

الأمور التي تشترك فيها اللغات السامية هي:

(أ) وجود المصدر الثلاثي.

(ب) المماثلة بين قواعد الاسم والفعل.

(ج) الترابط بين الأسماء والضمائر والأفعال.

(د) التشابه بين التراكيب النحويّة.

(هـ) والتشابه فيما يتعلق به الفعل اللازم والفعل المتعدّي.

وكل من يتقن العربية، وله خبرة بقواعد الصرف والنحو العربي، وما فيها من كمال وشمول واتساع: يعلم جيدًا أنها هي المصدر الوحيد لسائر اللغات والألسنة، التي عرفت على وجه البسيطة بعد الطوفان، كما كان سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ الجدّ الأكبر لجميع الشعوب التي وجدت على وجه هذه البسيطة المعمورة.

سيّدنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ(١)

نزح بأمر الله تعالى من مسقط رأسه وموطن أبيه إلى أرض «كنعان»، وهو في الخامسة والسبعين من عمره، ومعه زوجته سارة وابن أخيه لوط، ووعده الله بأنه سيجعل هذه الأرض لخلفه من بعده.

ثم قدم مصر(٢) وبها أعجب فرعون بزوجته سارة، وكانت من أجمل الناس، فأرادها لنفسه ولما تعرّض لعذاب الله شديدا، ردّها إلى إبراهيم. ثم رجع إبراهيم إلى أرض «كنعان»، وافترق منه لوط، ونزل إلى سدوم في دائرة الأردن.

وحدث بعد فترة أن كدر لاعمر ملك عيلام وملوكه الثلاثة الذين تحالفوا معه، نظّموا حربًا ضد ملك سدوم وحلفائه الأربعة، وأخذوا جميع أملاك «سدوم» وأسروا لوطا ابن أخي إبراهيم، واستاقوا أنعامه. فلما بلغ ذلك إبراهيم، تبعهم إلى حوبة، التي في شمال دمشق، واسترجع لوطًا وغيره من الأسر مع أملاكهم، وعاد بمغانم كثيرة.

---

(١) تقدم آنفًا ذكر سلسلة نسب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ومنه إلى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في الفرع الثالث من نسب النبي ﷺ. كان إبراهيم (١٩٩٧-١٨٢٢ ق.م.) من الكلدانيين ولد في أرض بابل في العراق على الصحيح، بعث في العراق وبلاد الشام وغيرها، وتوفي في الخليل (بحبرون) سنة ١٨٨٢ ق.م. كما تقدّم ذكره في الفرع الثالث من نسب النبي ﷺ.
ليلة أسري بالنبي ﷺ عرض عليه الأنبياء. وفيه: «رأيت إبراهيم فإذا أقرب من رأيته به شبهًا صاحبكم يعني نفسه..» (ذكره الألباني في صحيح الترمذي ٣٦٤٩-٣١٣٠)، ومسلم (١٦٧-١٧٢) عن جابر بن عبد الله، وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ذكر النبي ﷺ الأنبياء الذين لقيهم في المعراج. فلقي في السماء السابعة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ. قال: «فسلمت عليه، فردّ السلام، ثم قال: «مرحبا بالابن الصالح والنبيّ الصالح». (البخاري رقم ٣٨٨٧، ومسلم (١٦٤) عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة الأنصاريّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. (صلاح)

(٢) ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة الجزء الأول من هذا الكتاب، لعلّ إبراهيم اتجه إلى مصر، استيناسًا بأن ملكها كان أصله من «بابل». (صلاح)

وتلقّاه في الطريق ملك سدوم و«ملكي صادق»[١] ملك شاليم -وكان كاهنًا لله العلي- فأعطاه إبراهيم عشرًا من كل الغنائم، وردّ بقيته إلى ملك سدوم، ولم يأخذ لنفسه منه شيئا إلا نصيب الرجال الذين كانوا قد ذهبوا معه من قبائل عاذ وأشكول وممرا.

وولد له إسماعيل وهو في السادسة والثمانين من عمره[٢]، ولما كان ابن تسع وتسعين سنة، ظهر له الربّ في الرؤيا، وقال له بأن يختن كل مولود بعد ثمانية أيام بمولده، وأنه سيبقى هذا الأمر في ذرّيته كآية خالدة لعهد الله[٣]، فاختتن إسماعيل وهو ابن ثلاث عشرة سنة.

ثم سكن إبراهيم بين قادس وسور، وأقام في جرار حيث أراد ملكها: «أبي ملك» أن يتناول سارة، ولكنه ردّها إلى إبراهيم بأمر من الله وأكرم مثواه.[٤]

وكان إبراهيم ابن مئة سنة حين ولد له إسحاق. ثم حدث في ذلك الزمان أن تم الحلف بينه وبين أبي ملك ملك جرار، فتغرّب في أرض الفلسطينيين أياما كثيرة، ثم زوّج إبراهيم ابنه إسحاق مع ربقا حفيدة أخيه ناحور.

وتوفّي إبراهيم وقد تجاوز مائة وخمسا وسبعين سنة[٥].

يكنى إبراهيم أبا محمد، كما يكنى أبا الأنبياء، لأنه لم يبعث بعده نبي إلا من نسله وعقبه، كما قال تعالى في القرآن الكريم:

﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].[٦]

---

(١) إن عقيدة النصارى عن «ملكي صادق» عقيدة غريبة. ففي رسالة بولس إلى العبرانيين: هو بلا أب، بلا أم، بلا نسب، لا بداءة أيام له ولا نهاية حياته، هذا يبقى كاهنا إلى الأبد. وهو مشبّه بالله عند النصارى في كونه أزليًا أبديًا بلا نسب. (الإصحاح٧).

(٢) وفي صحيح البخاري: أن إبراهيم كان ابن ثمانين سنة.

(٣) التكوين (الإصحاح١٧/ ٩-١٥).

(٤) يظهر من هذه الواقعة أن سارة عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ تعرضت لمثل هذا الحادث مرتين في حياتها: مرّة في هذا المكان، ومرّة في مصر، كما تقدّم. والله أعلم. (صلاح)

(٥) دفن بمغارة مكفية التي هي أمام ممرا.

(٦) **من مناقب إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ:**

- إبراهيم أحد أولي العزم من الرسل.

وهذا هو السبب الذي لقّب لأجله بعمود العالم الثالث، وسيأتي ذكر أحواله المبارك في الأبواب القادمة صلى الله عليه وعلى آله وبارك وسلّم.[1]

=

- إبقاء ذكره في الناس بالخير، وبالصلاة عليه في الصلوات.
- إنه اختص بالخلّة.
- إنه اعتبر أمّة.
- إنه جعل قدوة للاتباع.
- إبقاء كلمة التوحيد في عقبه.
- إبقاء النبوة والكتاب في ذرّيته.
- إنه أوّل من يكسى يوم القيامة. (البخاري: ٣٣٧٠، ومسلم: ٤٠٦) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

راجع الأدلة على هذه المناقب في «تأريخ الأنبياء والرسل»: ١٤٥-١٥٢). (صلاح)

(١) راجع التفصيل عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ «تأريخ الأمم والملوك» للطبري (١/ ١٦٢-١٦٣)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١/ ١٣٩-٢٧٧)، و«تأريخ الأنبياء والرسل» (١١٥-١٥٣). (صلاح)

أم المسلمين(١) هاجر(٢) عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ

هاجر من أفضل النساء وأعلاهن مكانة، لأنها:

١- كبيرة مصر وأميرتها.(٣)

٢- وزوجة الخليل إبراهيم صلوات الله وسلامه عليهما.

٣- ومحدثة(٤) الملائكة.

---

(١) جاء في سورة الحج ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨]. استنبطنا من هذه الآية لقب «أم المسلمين» لهاجر عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ. [أما كون هاجر عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ أم العرب، فذكره البخاري في كتاب الأنبياء (رقم ٣٣٥٨) فقال: (قال أبو هريرة: تلك أمكم يا بني ماء السماء) [قال ابن الملقّن: عني به هاجر] وقال ابن حجر: كان خاطب بذلك العرب لكثرة ملازمتهم للفلوات التي بها مواقع القطر لأجل رعي دوابهم، ففيه تمسك لمن زعم أن العرب كلهم من ولد إسماعيل.
وقيل أراد بماء السماء «زمزم»، لأن الله أنبعها لهاجر فعاش ولدها بها، فصاروا كأنهم أولادها، قال ابن حبان في صحيحه: كل من كان من ولد إسماعيل، يقال له: ماء السماء، لأن إسماعيل ولد هاجر، وقد ربّي بماء زمزم، وهي من ماء السماء.
قيل: سمّوا بذلك لخلوص نسبهم وصفائه، فأشبه ماء السماء. وعلى هذا فلا متمسك فيه. (التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن: ١٩/ ٢٨١، والفتح: ٦/ ٤٨١ شرح الحديث رقم ٣٣٨٥). (صلاح)

(٢) ذكر الحافظ ابن حجر: «اسمها (هاجر أو آجر)، وقال: «الجيم» مفتوحة على كل حال، وهي اسم سريانيّ.» (الفتح: ٦/ ٤٤١) (صلاح)

(٣) قال الحافظ ابن حجر: «**ويقال: إن أباها كان من ملوك القبط، وإنها من حفن (بفتح المهملة وسكون الفاء) قرية بمصر. قال اليعقوبي: كانت مدينة. انتهى.**
وهي الآن كفر من عمل ألصنا بالبرّ الشرقي من الصعيد في مقابلة الأشمونين، وفيها آثار عظيمة باقية». (الفتح: ٦/ ٤٤١، شرح الحديث رقم ٣٣٥٨). (صلاح)

(٤) المحدَّث بفتح الدال المهملة هو الذي حدث معه الملائكة. قد استنبطنا لهاجر كلمة المحدَّثة، لما قد ثبت من التوراة والأحاديث الصحيحة مجيء الملائكة إليها، وتحدّثهم معها.

٤- وأم إسماعيل عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ.

٥- وأم العرب المستعربة.

٦- ومؤسِّسة البلد الأمين: مكّة المكرمة.

٧- وجدّة النبي ﷺ.

سبب تسميتها بـ«هاجر»:

اسمها «هاغار» بالعبرية، وقد سمّيت آجر، لأن فرعون لما رأى من كرامة سارة، وهبها هاجر، لتكون في خدمتها أي: أنها أجر مصيبة، عاناها إبراهيم وسارة من قبل الملك.

وأما تسميتها بهاجر(١) فهو بسبب هجرتها إلى بيت الله الحرام (مكّة)، لتستقر بها ذرّيتها، وتدعو الناس إلى التوحيد الخالص. ثم وهبت سارةُ نفسها هاجر إبراهيم عَلَيْهِالسَّلَامُ ليتزوّجها، فحملت منه في أول سنة من النكاح.

هجرة إبراهيم بهاجر وولدها إلى مكة:

وبينما هي حامل بهذا الولد السعيد إذ جاءها ملك من الملائكة، فبشرّها بأنها ستلد ابنا، وتسمّيه إسماعيل(٢)، وأن ذرّيته تكثر حتى لا تُعدّ.(٣)

وقد شاء الله تعالى أن يجعل بني إسماعيل أمة عظيمة مستقلّة، فتمّ ذلك بحيث لما رأت سارة هاجر قد حبلت، بدا حبها لهاجر ينزل من قلبها وجعلت تزدريها، ظنًا منها أن هاجر الآن تستهين بها. وطلبت من الخليل عَلَيْهِالسَّلَامُ أن يغيّب وجهها عنها، وكان من إرادة الله تعالى أن اختار بني إسماعيل لسدانة بيته، فسار إبراهيم بهاجر وولدها حتى وضعها حيث مكة اليوم. يقول القرآن الكريم:

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ

---

(١) ورد في كتاب أشعياء (الإصحاح٥٤/ ١) البيان الآتي عن هاجر: «بنو المستوحشة أكثر من بني ذات البعل». إن المستوحشة ترجمة لهاجر، وذلك لأن هذه الآية تحوي ذكر هاجر وسارة.

(٢) التكوين (١٠/٤٠).

(٣) التكوين (الإصحاح١١/ ١٠-١١).

ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وفي صحيح البخاري:

«ليس يومئذ بمكّة أحد، وليس بها ماء»(١).

من فضائل هاجر عَلَيۡهَاٱلسَّلَامُ:

ولما ولّى إبراهيم ظهره، قامت إليه هاجر، وقالت: إلى من تتركنا؟ قال: إلى الله، قالت: رضيت بالله(٢).

وجاء في سفر التكوين من التوراة:

«لما فرغ الماء من القربة، وساءت حال إسماعيل، نادى ملك الله هاجر من السماء، وبشّرها بأن الله سيجعله أمة عظيمة وأبصرت بئر ماء»(٣).

وفي صحيح البخاري:

«فإذا هي بصوت، فقالت: أغث إن كان عندك خير، فإذا جبريل وغمز عقبه على الأرض فانبثق الماء»(٤).

ففي هذه النصوص من صحيح البخاري والتوراة دلالة واضحة على ما كانت لهاجر

---

(١) البخاري كتاب الأنبياء [رقم ٣٣٦٤] عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، مطوّلا، وفيه [فوضعهما(أي هاجر وإسماعيل) هنالك، ووضع عندهما جرابا فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقا، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي، الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارا، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله الذي أمرك بهذا؟ قال نعم، قالت: إذن لا يضيّعنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الكلمات، ورفع يديه فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧]. (صلاح)

(٢) صحيح البخاري «كتاب الأنبياء» [رقم ٣٣٦٤، كما تقدم آنفًا تعليقًا].

(٣) التكوين (الإصحاح٢١/ ١٥-١٩).

(٤) البخاري (رقم ٣٣٦٥) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، وفيه: «فدهشت أم إسماعيل، فجعلت تحفز، قال: قال أبو القاسم ﷺ: «لوتركته كان الماء ظاهرًا....» بطوله. (صلاح)

من مكانة عالية عند الله، حيث كلّمها الملك طورًا، وناداها من السماء طورًا آخر، حتى انبثق الماء، وظهرت البئر كرامة لها عند الله تعالى.

رمي أهل الكتاب «هاجر» بكونها أمة، تقليلًا بشأنها:

ومن المؤسف أن أهل الكتاب يغمضون أعينهم عن هذه الفضائل الواردة في هاجر، ويقولون: إنها أمة، حطًّا من شأنها.

والمسلمون يوافقون أهل الكتاب من اليهود والنصارى، على أن فرعون مصر أعطى هاجر لخدمة سارة، كما في صحيح البخاري من كتاب الهبة عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال:

«هاجر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بسارة فأعطوها آجر فرجعت، فقالت: أشعرت أن الله عز وجل كبت الكافر، وأخدم وليدةً».

وقال ابن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ:

«فأخدمها هاجر»(١).

---

(١) (البخاري رقم (٢٦٣٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(تنبيه): إن كلمة «**فأخدمها**» الواردة في الحديث الشريف، ترادف كلمة «شفحة» العبرية، بمعنى «الخادمة»، وكان قد استعملها والد السيدة هاجر عَلَيْهَا السَّلَامُ [قال ابن حجر: قال: وقال ابن سيرين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «فأخدمها هاجر»، وسيأتي موصولا في أحاديث الأنبياء (رقم ٣٣٥٨) مع الكلام عليه.

قال ابن بطال: لا أعلم خلافا أن من قال: أخدمتك هذه الجارية، أنه قد وهب له الخدمة خاصة، فإن الإخدام لا يقتضي تمليك الرقبة، كما أن الإسكان لا يقتضي تمليك الدار، قال: واستدلاله بقوله «فأخدمها هاجر» على الهبة لا يصحّ، وإنما صحت الهبة في هذه القصة من قوله «فأعطوها هاجر» قال: ولم يختلف العلماء فيمن قال: كسوتك هذا الثوب مدة معينة أن له شرطه، وإن لم يذكر أجلا فهو هبة، وقد قال تعالى: ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ ...﴾ [المائدة: ٨٩]، ولم تختلف الأمة أن ذلك تمليك للطعام والكسوة. انتهى.

والذي يظهر أن البخاري لا يخالف ما ذكره عند الإطلاق، وإنما مراده أنه إن وجدت قرينة تدلّ على العرف حمل عليها، وإلا فهو على الوضع في الموضعين، فإن جرى بين قوم عرف في تنزيل =

استبعاد كون «هاجر» أمة، رواية عند المسلمين:

أما الزعم بهذه الرواية عند المسلمين أن هاجر كانت أمة، فمستبعد قطعًا، وهنا أبحث في هذا الموضوع بشيء من التفصيل لتطمين أهل الكتاب.

يقول ربّي شلومو إسحاق أكبر مفسّري التوراة عند اليهود، في شأن هاجر عند تفسيره للإصحاح(١٦) من التكوين، ما نصّه:

«ابث برعه هابثا كشّرا نسيم شِغسُّوا سارة اهموا اطاب شتّها بتي شفحه بيت زه ولو كبيرة بببيت أخير».(١)

ما معناه: أن هاجر كانت بنت فرعون، ولكنه لما رأى عظم كرامة سارة، التي ظهرت بسببها، قال: **لأن تعيش ابنتي خادمة في بيتها، خير من أن تعيش ملكة في بيت غيرها.**(٢)

اتّضح من هذه الشهادة أمران:

١- أن هاجر كانت بنتا لملك مصر.

٢- وقعت كرامة سارة وعظمتها من ملك مصر موقعا عظيمًا، حتى رأى إخدام ابنته إياها سعادةً لنفسه، وفخرًا واعتزازًا لأهله.

فما أسعد سارة التي افتخرت ابنةُ الملك بأن تخدمها.

وما أسعد هاجر التي نشأت وترعرت منذ نعومة أظفارها في رعاية الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

=

الإخدام متزلة الهبة، فأطلقه شخص وقصد التمليك نفذ، ومن قال هي عارية في كل حال فقد خالفه، والله أعلم. (الفتح: ٥/ ٢٧٧ رقم ٢٦٣٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، و «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» لابن الملقن (١٦/ ٤٥٤). صلاح]

(١) راجع «البراهين الباهرة في حرّية هاجرة» للمولوي غلام رسول الجِريّا كوتي.

(٢) ذكر المؤلف في مقدمة الجزء الأوّل من هذا الكتاب، أن ملك مصر هذا، كان أصله من (بابل)، التي هي موطن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضًا، ولما لم ينجح في محاولاته الشرّيرة ضدّ سارة عَلَيْهَا السَّلَامُ ورجع إلى صوابه، وتأكّد من كرامة هذه العائلة الكريمة، فأخدمها بنتها هاجر، لتتربى عندهم تربية صالحة، وتتزوّج في أهلها وعشيرتها هناك. (صلاح)

شهادة تكفي، ولكنها تحتاج إلى مزيد من التحقيق:

وشهادة ربّي شلومو إسحاق المذكورة تغنينا عن تفصيل آخر، ولكننا نودّ هنا توثيق هذه الشهادة بأن نوضّح أن «اللغة العبرية»، بها كلمات خاصّة بمختلف أحوال العبيد والإماء كما يلي:

١- فكلمة «شيبوت حرب»، تطلق على ما يغنمه المرء في الحرب من العبيد والإماء.

٢- وكلمة «مقنت كسف» تطلق على من يشترى من العبيد والإماء بالمال.

٣- ويطلق «يليد بايث» على أولاد العبيد والإماء.

وإذا تصفّحنا التوراة بأكملها لا نجد فيها كلمة من هذه الكلمات الثلاث أطلقت على هاجر عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ.

قول ضرّة في ضرّتها حين الغضب لا يقبل:

نحن نعترف بأن سارة عيّرت هاجر بقولها «أمتي»، كما يقول التوراة. والأمة مدلولها بالعربية نفس مدلولها بالعبرية: أي «الجارية».

ولكن من قلّة الفهم، أن نحمل كلمة ضرّةٍ في ضرّتها عند الغضب على معناها الحقيقي.

ما هو جواب أهل الكتاب عن هذه الحقائق فهو جوابنا:

وسبق أن ذكرنا أن فرعون أخدم سارة هاجر، فممكن أن يجعله «أصدقاؤنا»[1] دليلاً قاطعًا على كون هاجر أمة. فلذا عليهم أن يقرأوا الإصحاح(٣٠) من التكوين:

١- إن اسم أمة لياه -إحدى نساء يعقوب- زلفة، وهي أمّ جاد وأشير ابني يعقوب.

٢- واسم أمة راحيل -إحدى نساء يعقوب- ليئة، وهي أم دان ونفتالي ابني يعقوب.

وهؤلاء الأربعة يعني: (جاد وأشير ودان ونفتالي) هم من أسباط إسرائيل الاثني عشر ممن دعا لهم يعقوب وموسى وداود وعيسى عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ حينا بعد آخر، ولم يذكروا في التوراة بما يزري شأنهم من أنهم أبناء الإماء إزاء سائر إخوانهم الثمانية. وبغضّ النظر عن

---

(١) يريد به «أهل الكتاب». (صلاح)

زلفة وبلها، فإن «لياه» و«راحيل» ابنتي خال يعقوب، وزوجتي يعقوب كما تقول التوراة، وهما تعترفان بكونهما أمتين:

«فأجابت راحيل ولياه، وقالتا له:ألنا أيضا نصيب وميراث في بيت أبينا، ألم نحسب منه أجنبيتين، لأنه باعنا، وقد أكل أيضًا ثمننا» (التكوين 31/ 14-15).

إن راحيل ولياه -وهما السيدتان اللتان ولدتا موسى وداود- تعترفان بكونهما أمتين، فهل لأهل الكتاب أن يقولوا في شأن هاجر شيئًا، ويطعنوا فيها، بينما لا توجد في التوراة كلمة تشينها، مثلما هو الحال في راحيل ولياه.

دعوة أهل الكتاب لمزيد من التأمّل:

- وليتأمّل أهل الكتاب أنهم جعلوا ملكة مصر أمةً، لمجرّد أن أباها وهبها لخدمة العائلة النبوية الكريمة.

ولكن ماذا يقولون في يوسف الذي باعه المدينيون في مصر لفوطيفار؟ (التكوين: الإصحاح ٣٧/ ٣٦).

- وكذلك عليهم أن يقرأوا الدرس السابع من الإصحاح (٧/ ٣٩) من التكوين ففيه:

- «وحدث بعد هذه الأمور، أن امرأة سيّده رفعت عينيها إلى يوسف ».
- ثم اقرأوا الدرس(39/ 19-20) من نفس الإصحاح ففيه:

«فكان لما سمع سيّده كلام امرأته، الذي كلمته به قائلة بحسب هذا الكلام: صنع بي عبدك أن غضبه حمى وأخذ يوسفَ سيّده ووضعه في بيت السجن (ص٦٦)».

في المواضع الثلاثة المذكورة ذكر فوطيفار على أنه سيّد يوسف.

وورد في الإصحاح(٣٩/ ١٩) من التكوين:

«نادت امرأة فوطيفار يوسف بالعبد.»

فهل صار يوسف عبدًا في الحقيقة لإطلاق هذه الكلمات عليه؟

فإن صحّ أن يوسف لم يصبح عبدا لمجرّد اشتراء فوطيفار إيّاه، فيصحّ أيضًا أن هاجر لا تكون أمة بخدمتها لسارة، كما لم تصبح أمةً لوصف سارة إياها بالأمة. والحمد لله

على ذلك.

كلمات: «الوليدة والجارية والأمة» تستعمل للابنة أيضًا:

وليعلم الذين يباشرون قراءة النصوص العربية، أن كلمة «الوليدة والجارية والأمة» في العربية، تستعمل للابنة كما تستعمل للأمة.

والأصل أن الإسلام لا يخاطب الإماء إلا بالكلمات التي وضعت أصلا للبنات، فإن رأوا كلمة من هذه الكلمات استعملت لهاجر، فلا ينبغي أن يجعلوها دليلا على كون هاجر أمة.

بل عليهم أن يتذكروا ما في صحيح البخاري من قول الرسول ﷺ «فأخدمها»[(١)] الواحد إذا خدم رجلا لم يصر بذلك عبده.

فإن أنس بن مالك الأنصاريّ خدم النبي ﷺ عشر سنوات، ولكن لا يقول أحد: هو عبده.

- وكذلك جدّ النبي ﷺ كان اسمه الحقيقي «شيبة»، ولكن كان يسمّي نفسه مدى حياته بعبد المطّلب شكرا لعمّه الكريم «المطّلب»، حتى غلب هذا اللقب على اسمه الأصلي، ولكن لم يذكره أحد من المؤرّخين بأنه عبد للمطّلب.
- وكذلك لما رجع يعقوب من خؤولته، بعث خدمه بالهدايا إلى أخيه عيسو، وأمرهم بأن يقولوا له: «لعبدك» يعقوب هذه هدية مرسلة لسيدي عيسو، وها هو أيضا وراءنا» (التكوين: الإصحاح ٣٢/ ١٨-٢٠).

ومع هذا، لا يعتقد أحد من النصارى بأن يعقوب كان عبدًا لعيسو، رغم ورود هذا اللفظ.

وفي البيوت العريقة بدلهي (الهند)، يطلقون على بنتهم كلمة «الأمة»، ولا يفهم أحد من هذا الإطلاق أن هذه الابنة أمة لهم.

آمل أن لا يبقى في ذهن القارئ أيّ إشكال بعد ذكر هذه الأدلة.

---

(١) البخاري (رقم ٢٦٣٥، ٣٣٥٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

سيّدنا إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

هو بكر إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. ولد من بطن هاجر[1]، وسمّاه أبوه إسماعيل (التكوين١٦/ ١٥) وهو يرادف سميع الله، كذلك بين معناه في التكوين من التوراة ففيه:

«وقد سمع الله لصوت الغلام حيث هو». (التكوين٢١/ ١٧)

وقد ختن يوم ختن إبراهيم، فقال الله لإبراهيم ذلك اليوم:

«أما أنت فتحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يختن منكم كل ذكر». (التكوين١٧/ ١٠)

فإسماعيل هو أوّل من امتثل لعهد الله في أوّل يوم من نزوله، فصار «ابن العهد» وللأسف أن المسيحيين لا يتأمّلون هذه الفضيلة لهذا المولود المبارك.

نشأته في جوار بيت الله الحرام:

وكان إبراهيم قد أسكن إسماعيل وأمّه هاجر حيث مكّة اليوم. وإبراهيم وابنه إسماعيل عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ هما اللذان رفعا القواعد من البيت كما يقول القرآن الكريم:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

زواجه:

وتزوّج إسماعيل بنت مضاض سيّد جرهم.[2] وكانت جرهم من أشهر القبائل

---

(١) تزوّج إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بزوجات أخرى غير سارة وهاجر، فأنجبن له أولادا (وقيل: عددهم ثلاثة عشر) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في البداية والنهاية (١/ ٢٧٧ باب ذرّية إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ): «قد كان للخليل بنون كما ذكرنا، ولكن أشهرهم الأخوان النبيان العظيمان الرسولان، أسنّهما وأجلها الذي هو الذبيح على الصحيح: إسماعيل بكر إبراهيم الخليل من هاجر القبطية المصريّة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ من العظيم الجليل.» (راجع أسماء أبنائه في «تأريخ الأنبياء والرسل»: ص١٤٤) (صلاح)

(٢) وفي صحيح البخاري: [رقم ٣٣٦٥ عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا] «فمرّ ناس من جرهم [ببطن الوادي... فقالوا: يا أم إسماعيل: أتأذنين لنا أن نكون معك أو نسكن معك فبلغ ابنها] فنكح فيهم امرأةً» (مختصرًا).

القديمة وبيد مضاض كان أمر بلده. إن كرامة هاجر الذاتية، وفضيلتها الموروثة هي التي استطاع بها إسماعيل أن يتزوج في مثل هذه الأسرة الكريمة.

وفي التوراة أن هاجر زوّجت إسماعيل بمصر. فممكن أن تكون له زوجة مصرية أيضًا، ولكن من المتحقق أن جميع أولاده من بطن زوجته الجرهميّة التي كانت من العرب.

إسماعيل هو الذبيح عند جمهور المسلمين:

إن إسماعيل هو الذي لقّب بالذبيح، ويزعم أهل الكتاب أن الذبيح إسحاق.

والجمهور من المسلمين يقولون: إن إسماعيل هو الذبيح، وينكرون كون إسحاق ذبيحًا. ولا ينبني إنكار المسلمين بكونه ذبيحًا على الأساس الذي ينبني عليه إنكار أهل الكتاب، فإن إنكار كل فضيلة من فضائل إسماعيل يعتبرونه من لوازم المعتقدات الدينية عندهم.

أما المسلمون فلا يفرّقون بينهما، ولا يفضلون أحدهما على الآخر، وكيف وقد ورد في الحديث الشريف: إن العمّ صنو أبٍ[1]، وعقيدتهم تفرض عليهم الإيمان بكل نبيّ شأن إيمانهم بمحمد ﷺ؟

فهل يجحد مسلم بعد هذا كلّه بفضيلة نبيّ من الأنبياء حسدًا وعنادًا؟ نعوذ بالله من ذلك!

وثمة طائفة قليلون من علماء الإسلام، ثبت عندهم كون إسحاق ذبيحًا فصرّحوا برأيهم، وجهروا به بكلّ حرّيتهم، ونقل المتأخرون آراءهم، ومع ذلك لم يطعن فيهم أحد.

دلالة آيات القرآن الكريم على كونه ذبيحًا:

ولكن الذي صحّ عند جمهور المسلمين أنّ الذبيح إنما هو إسماعيل، ولا أدلّ على ذلك من القرآن، حيث قال:

---

(١) أخرجه الترمذي، وذكره الألباني في «صحيح الترمذي» (٣٧٦١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «العباس عم رسول الله ﷺ، وعم الرجل صنو أبيه أو من صنو أبيه.»، والبخاري (١٤٦٨) بنحوه، ومسلم (٩٨٣). (صلاح)

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ
مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ
سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾
قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ
عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ
عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [الصافات: ٩٩ – ١١٢]

ووجه الاستدلال بهذه الآيات:

١- ورد فيها ذكر البشارة بغلامين اثنين مرتين، بُشّر أولاً بغلام حليم، وذكرت معه قصة الذبح كلّها. وبعد الفراغ من بيانها بُشّر بإسحاق.

فقوله تعالى: (بغلام حليم) إن أريد به إسحاق، فكيف يصحّ بعد ذكر قصته قوله (بشّرناه بإسحاق)؟ ويؤيده ما ورد في سورتي «الحجر» و«الذاريات» حيث وصف الله فيهما إسحاق «بغلام عليم».

فكأن إسماعيل «غلام حليم» وإسحاق «غلام عليم». وقبل أن نفرغ من إثبات هذا الأمر نرى من الواجب أن نبيّن أن كتاب «التكوين» حين أمر فيه بذبح الغلام، فقد أمر بعد ذلك بأن يذبح ابنه الوحيد.

وقد ثبت في التوراة أن إسحاق ولد بعد إسماعيل بثلاث عشرة سنة، فالظاهرُ أن إسحاق لا يسمّى وحيدًا، لأنه يوجد له أخ أكبر منه.

وأيضا لما ذُكرت في القرآن الكريم قصة الذبح، فقد ورد بعدها قول الله (وبشّرناه بإسحاق)، وذلك يدل على وقوع قصّة الذبح قبل ولادة إسحاق. وبما أن إسماعيل كان إذ ذاك وحيدًا لأبيه تصدق عليه صفة الوحيد تمامًا.

٢- **والوجه الثاني:** أن الآيات الواردة في سورة «الصافّات» تتضمن شهادة معنوية وهي: «**ترك الذبح العظيم في الآخرين**».

واليوم يستطيع كل رجل أن يرى أن بني إسماعيل وبني إسحاق أيهما يحتفل بذكرى الذبح منذ خمسة آلاف من السنين باستمرار؟ وأيهما لا يوجد عنده لهذه الذكرى عين

ولا أثر؟

وها نحن نذكر هنا نصًّا من التوراة نفسها دليلًا عليه. ورد في كتاب أشعياء:

«تغطيك كثرة الجمال بكران مديان وعيفة كلّها تأتي من شبا تحمل ذهبا ولبانا وتبشّر بتسابيح الربّ. كل غنم قيدار تجتمع إليك، كباش نبايوت تخدمك تصعد مقبولة على مذبحي وأزين بيت جمالي». (أشعياء: الإصحاح(٦٠/ ٦-٧).

إن مديان وعيفة وشبا كلّهم بنو قطورة: أي أبناء أخي إسماعيل، الذين سكنوا اليمن -وليسوا بني إسرائيل-.

وكذلك قيدار ونبيت كلاهما من صلب إسماعيل، فتقديم هذه الشعوب كلّها القرابين على منسك واحد، وإخبار الله تعالى في القرآن بأنّه مذبحه، ووجود البيت الحرام هناك، كل ذلك يدلّ دلالة واضحة على أن هذا المذبح ما كان إلا بمكّة حيث نزل بها إسماعيل، وأقامت حولها ذرّية ابنيه قيدار ونبيت. ومن أنكر هذا الدليل الساطع فكأنّه أنكر الحقائق والبديهيات.

إسماعيل نبيّ مبعوث إلى الجزيرة العربية[1]:

بعث الله إسماعيل نبيّا في كل من جزيرة العرب والحجاز واليمن وحضرموت. وكان وجوده مصدر التضامن والتحالف بين الشعوب والبلاد المختلفة النائية.

تفكروا أن إسماعيل بكر لإبراهيم، الذي ولد بالعراق، وسكن في الشام، وبكر لهاجر، التي ولدت بمصر، وتغرّبت مع زوجها في أرض فلسطين والشام قبل آلاف السنين، ثم أقامت بجزيرة العرب، وصهر لبني جرهم، التي كانت من أشهر القبائل العربية.

ثم تدبّروا أن مسكن إسماعيل في موضع تقع في أحد جوانبه مصر، حيث خؤولته وفي الجانب الآخر العراق حيث آباؤه، وفي جانب الشام حيث أخوه إسحاق، وفي آخر اليمن حيث انتشر أبناء أخيه قطورة.

(١) وكانت ولادة إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ سنة ١٩١١ ق.م. ووفاته ١٧٧٤ ق.م. بعث في مكة المكرمة في العماليق وقبائل اليمن (جزيرة العرب)، وورد اسمه في القرآن (١٢/ مرة) وتوفي في مكة المكرمة سنة ١٧٧٤ ق.م. تقريبًا. (المصدر المذكور: ٢٦). (صلاح)

وهناك صهر عيسو بن إسحاق، الذي بكثرة أولاده يسيطر على الأرض التي تجاور ضواحي إيطاليا.

تعلّم إسماعيل العربية من أصهاره:

ثم تدبّروا أن لغة أمّه قبطية[1]، ولغة أبيه عبريّـة ، وأصهاره ينطقون العربية الخالصة، ومنهم تعلّم إسماعيل العربية ومهر فيها.[2]

موقع إسماعيل من الأهمية رشّح أن يكون نبي الرحمة من أبنائه:

فالفرصة التي أعطاها الله إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ للدعوة إلى الدين الإسلامي الحنيف، ونشر التوحيد الخالص في هذه البلاد، وبهذه اللغات كلها، تشير إلى أن ابنه المصطفى هو الذي يستحقّ أن يكون مرشّحًا لهداية العالمين جميعا، فلقّب برحمة للعالمين في كلام الله أوّلا، وعلى لسان الخلق ثانيًا.

«اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

إسماعيل وإسحاق كلاهما يشارك الآخر في الفضل والكرامة:

إن أهل الكتاب يعترفون عامّة بأن إسماعيل من صلب إبراهيم، إلا أنهم ينكرون مكانته الروحية العالية. وأعتقد أن عدم تفكيرهم في التوراة أو رفضهم حكمها، هو الذي أدّى بهم إلى ذلك.

ونحن الآن نذكر من التوراة نصوصًا، يعلم بها أهل الكتاب والمسلمون معهم، أن إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ يحظى بكل فضل، يتمتع به إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ:

(أ) سمع الربّ لمذلة: هاجر-١٦-١١-التكوين.

---

(١) تقدّم نقل قول ابن حجر في «هاجر» أنه يقال: «إن أباها كان من الملوك القبط...» (فتح الباري:٦/ ٤٤١ شرح الحديث رقم ٣٣٥٨، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ). (صلاح)

(٢) البخاري (رقم ٣٣٦٤) في كتاب الأنبياء، عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيه: «شبّ الغلام، وتعلّم العربية منهم». (صلاح)

سارة-١٨-١٤-التكوين.

(ب) سمّى الله: ابن هاجر إسماعيل-١٦-١١-التكوين.

ابن سارة إسحاق-١٧-١٩- التكوين.

(ج) بارك الله: إسماعيل ابن هاجر-١٧-٢٠- التكوين.

إسحاق ابن سارة-١٧-١٩- الكوين.

(د) كان الله مع: إسماعيل-٢١-٢٠- التكوين.

إسحاق-٢٦-٢٤- التكوين.

(ه) خرج الملوك من: إسماعيل-٢٥-١٦- التكوين.

إسحاق-١٧-٦- التكوين.

وكفى بما شهد كتاب الله التوراة.

كان إسماعيل راميا:

وفي الحديث الشريف -كما في التوراة أيضًا- أن إسماعيل كان راميا(١) وفي صحيح البخاري:

«لما جاء إبراهيم إسماعيل يريد بناء البيت، وافقه يصلح نبلًا له(٢)» (وهذا يدلّ على مهارته في الحدادة أيضًا).

وقول زوجة إسماعيل لإبراهيم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: «طعامنا اللحم، وشرابنا الماء»(٣) يشير إلى أن إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ قضى حياته كلّها على الماء واللحم فقط.

---

(١) البخاري رقم (٣٥٠٧) عن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خرج رسول الله ﷺ على قوم من أسلم يتناضلون بالسوق، فقال: ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميًا...». (صلاح)

(٢) بلفظ: «ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله: إني مطلع تركتي، فجاء فوافق إسماعيل من وراء زمزم يصلح نبلًا له.» (البخاري: ٣٣٦٥ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا). (صلاح)

(٣) البخاري نحوه، رقم (٣٣٦٥) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وزاد: «اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم.» (صلاح)

كان صادق الوعد:

وأشاد القرآن الكريم بذكر إسماعيل، حيث قال:

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥﴾ [مريم: ٥٤ – ٥٥].

أخبرت الآيات المذكورة أن إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ كان صادق الوعد.

ما هذا الوعد؟:

أما ما هذا الوعد، فتدلّ عليه آية أخرى، وهي قوله تعالى:

﴿وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥﴾ [البقرة: ١٢٥].

فتبين من هاتين الآيتين أن إسماعيل أوفى بما عهده الله إليه، ودعا المسلمين إلى العقيدة السليمة، والعمل الصالح، والركن المحكم والشريعة البيضاء، والهدى المبين. وضرب لهم أمثلة رائعة وأقام في حقل الدعوة والإرشاد من النماذج النفيسة ما يليق بسموّ شأنه وحده.

كل منهما كان يشاطر الآخر أفراحه وأتراحه:

وتذكر لنا التوراة أن إسحاق وإسماعيل كل واحد منهما كان يشارك أفراح الآخر، ويشاطر أتراحه، وإن كان الأول يسكن بالشام، والثاني في جزيرة العرب إلا أن الأخوين كانا يقيمان في مكان واحد في أكثر الأوقات، فهما اللذان دفنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد وفاته[(١)].

تشابه عجيب بين أولادهما:

وهناك تشابه عجيب بين أولاد إسماعيل وإسحاق بحيث ظهر نور النبوّة في ذرية قيدار، الذي هو ثاني أبناء إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، مثل ما استمرت النبوّة في ذرّية يعقوب، الذي هو ثاني أبناء إسحاق.

أما نبيت: بكر إسماعيل، وعيسو بكر إسحاق، فلم ينالا هذا الشرف.

---

(١) التكوين (الإصحاح ٣٥/ ٩).

إسماعيل لم يفارق رحاب بيت الله حيًّا وميتًا:

عمّر إسماعيل مائة وسبعا وثلاثين سنة كما تقول التوراة[١]، وفي «تأريخ مكة»: إنه دفن في الحجر مع أمه. يا لها من دعوة إبراهيم ربّه:

﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ۝٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧].

بلغت هذه الدعوة من التأثير إلى حدّ أن هذه النفوس الربّانية الزكية، لم تفارق رحاب بيت الله الحرام حتى بعد موتها.

أولاد إسماعيل كانوا معروفين بأسمائهم وديارهم:

وفي التوراة: أن إسماعيل ولد له اثنا عشر ولدا[٢] وهم:

(١) نبيت (٢)قيدار (٣)أدبئيل (٤)مبسام (٥)مشماع (٦)دومة (٧)مسا (٨)حدار (٩)تيما (١٠)يطور (١١)نافيش (١٢)قدمة.[٣]

وكذلك جاء في التوراة:

«هؤلاء بنو إسماعيل وهذه أسماؤهم بديارهم وحصونهم، اثنا عشر رئيسا حسب قبائلهم»[٤].

نحن على يقين، أن ديار بني إسماعيل وحصونهم كانت مشهورة بأسمائهم لدى الناس، حين كتبت هذه الكلمات في التوراة، أما اليوم فليس لها أثر معلوم على وجه اليقين، إلا أن الديار التي توجد فيها آثارها، فإنما هي في الجزيرة العربية، وتثبت صحّة موقعها ببيان التوراة هذا: «أقام إسماعيل بصحراء فاران»[٥]، وكذلك تثبت منه أن «فاران» تقع في الجزيرة العربية، وأن «مكة» هي «فاران».

نبيت: بجانب «الينبوع» قرية تسمّى «نبيتًا». وهي التي سكنها نبيت يقينًا.

---

(١) التكوين (الإصحاح ٢٥/ ١٧).

(٢) التكوين (الإصحاح ٢٥/ ١٣).

(٣) التكوين (الإصحاح ٢٥/ ١٥).

(٤) التكوين (الإصحاح ٢٥/ ١٦).

(٥) التكوين (الإصحاح ٤١/ ٢١).

القيدر: وقريب منها بلدة تدعى «الحضير» نطقها يشبه بنطق الدال، فمن المظنون أن تكون تدعى أوّل ما تدعى القيدر.

ومبسام: توجد آثارها في نجد.

ودومة: تقع بين المدينة والشام في الجزيرة العربية. حكمها النصارى في عهد الرسول ﷺ، وكانت تعرف بدومة الجندل حينذاك.

ومسا: ربما توجّه نحو اليمن، فإن بها قرى باسم موسى.

وحدار: باسمه يوجد بلد في جنوب الجزيرة العربية، يسمّى «جديدة»، ومن أكبر قبائله بنو حدر.

وتيماء: توجد قرية بهذا الاسم حتى الآن. أسلم أهلها مع أهل فدك في عصر النبي ﷺ. وهي تقع في نواحي فدك بالقرب من طريق خيبر.

وقيدمة: ربّما نزل باليمن وأقام فيها. وقد ذكر المسعودي قوم قدمان، ونسبهم إلى بني إسماعيل.

أما غيرها من القرى فلم تزل سرًا مطويًا، ولم يعرف عنها شيء على وجه الدقّة[1]. والكلام في ذلك لا يمتّ إلى موضوعنا إلا بصلة بعيدة، إذ قد ذكرنا ما كان يجب ذكره من نبذ عن حياة إسماعيل المباركة. والحمد لله.

---

(١) ملخصا من «الخطبات الأحمدية» للسيّد أحمد خان. (مؤسس «جامعة علي كره الإسلامية» بمدينة علي كره، يو، بي-الهند)

عدنان[١]:

هو الجدّ الحادي والعشرون من أجداد النبي ﷺ، وتثبت كرامته عند الله بأن بخت نصر لما هاجم العرب أول مرة، أنذره أرمياه وبروخا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بأن لا يهاجم على عدنان.

أما القبائل الأخرى فأذن له من الله بالهجوم عليها، فهاجم بخت نصر على قبائل غير عدنان، وأخذهم أسرى، فأسكنهم في وادي الفرات، وهم الذين أقاموا دولة العرب القديمة التي عرفت بالأنبار.

أنجب عدنان ولدين، وهما: معد بن عدنان، المذكور اسمه في عمود نسب النبي ﷺ.

وعك بن عدنان، الذي خرج من الحجاز إلى اليمن، وأقام بها دولته، وتدلّ على ذلك النصوص الحجرية، التي عثرت عليها شركة الهند الشرقية في حصن الغرائب سنة ١٨٣٤ الميلادية[٢].

معد:

لما غزا بخت نصر الجزيرة العربية مرة ثانية، انتقلت بنو عدنان إلى اليمن، أما معد فقد ذهب به يرمياه إلى الشام، فلما زال سلطان بخت نصر عن جزيرة العرب رجع معد إلى الجزيرة، وبحث فيها عن بني جرهم، فلم يجد إلا جرهم بن جلهمة فتزوّج بنته التي ولد منها نزار.

عاش أرمياه عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل مولد المسيح بثمان وثمانين وخمسمائة سنة، كما يقول كبار المحققين النصارى. وبما أن معد بن عدنان عاصر أرمياه، فلذا ثبت منه أن بين النبي ﷺ

---

(١) قد أجمع النسابون على نسبه إلى عدنان، وإن لم ينقل حديث صحيح بكامل نسبه، ولكن صحت أحاديث ببعضه، على أن من يعرف مدى اهتمام العرب بأنسابها في عصر النبوة وما قبله يدرك أن سلسلة نسبه إلى عدنان لا تحتاج إلى كبير توثيق، ما دام علماء النسب والأخبار متفقين عليها، وما دامت من المعلوم بالضرورة في ذلك العصر. («السيرة النبوية الصحيحة»: ١/ ٩٠)، وكذلك راجع «تأريخ الأنبياء والرسل» (ص٥١٥- ٥١٨): اجتماع القبائل العدنانية مع رسول الله ﷺ)
(فائدة): ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تراجم مختصرة للمعروفين من هذا الفرع الأول من آباء النبي ﷺ في ترجمة «سيدنا إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ»، وستأتي قريبًا إن شاء الله. (صلاح)

(٢) الخطبات الأحمدية للسيد أحمد خان.

وبين عدنان ألف ومائة وثمان وخمسين سنة.

وبين النبي ﷺ وبين عدنان واحد وعشرون جيلا، وعلى هذا فمتوسط ما عاش كل جيل خمس وثمانون سنة. وليس في هذا شك لصحة شجرة هذا النسب من جهة، ولصحة تعيين زمن أرمياه من جهة أخرى.

وقد قدّر السيد أحمد خان في كتابه «الخطبات الأحمدية» متوسط عمر كل جيل ثلاثًا وثلاثين سنة، ولذلك اضطر إلى القول بتكرار بعض الأسماء في الجزء الثاني من شجرة نسب النبي ﷺ.

ويزول هذا الشك بما ذكرناه في الجزء الأول من النسب، من أن متوسط عمر كل جيله خمس وثمانون سنة.

فيما يلي شجرة نسب أولاد معد(١):

معد

*نزار(٢) — قنص (سميت أولاده بالقنصيين)

نزار(٣):

يكنى أبا أياد، وإليه يجتمع نسب الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى. وفيما يلي شجرة نسب ولده:

---

(١) وقد ذكر ابن سعد الأسماء الآتية أيضا من أولاد معد، هم: قناصة، سنام، عرف، عوف، شك، حيدان، عبيد الرماح، جنيد، جنادة.

(٢) الاسم الذي يأتي ذكره في عمود النسب النبوي أثبتناه في الدرجة الأولى، ورمزناه هكذا(*) واتبعنا هذه الطريقة في هذا النسب إلى عبد الله والد النبي ﷺ.

(٣) يجتمع معه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بنو ربيعة، ومن بني ربيعة بنو أسد، وضبيعة ابني ربيعة، ومن بني أسد بكر وتغلب وعنزة أبناء وائل بن قاسط، ومن بني بكر بن وائل بنو حنيفة، ومن بني حنيفة مسيلمة الكذاب، ومن بني تغلب سجاح بنت الحارث التغلبية التي ادعت النبوة ثم أسلمت بعد هزيمتها، ومن بني بكر بن أسد طرفة بن العبد الشاعر الجاهلي صاحب المعلقة الثانية ويجتمع معه عليه السلام أيضًا في نزار بنو إياد بن نزار ومنهم قس بن ساعدة الإيادي الذي يضرب بفصاحته المثل. والله أعلم. («تأريخ الأنبياء والرسل»: ص٥١٨) (صلاح)

	نِزار		
*مضر	أياد	ربيعة	أنمار

كان نزار قد أعطى قبل وفاته الإبل والخيمة الحمراء لمضر، والخيل والسلاح لربيعة، والغنم والبقر لأياد، والحمير لأنمار. توجد ذرية ربيعة ومضر في وسط الجزيرة العربية، وذرية أنمار في نجد وضواحي الحجاز، وذرية أياد في الثغور.[(١)]

مضر[(٢)]:

هو أول من سنّ حداء الإبل، كان ذا مال كثير في بني عدنان بالحجاز، اشتهر في التاريخ باسم مضر الحمراء، لأن جميع ما ورثه من أبيه من الخيام والدنانير كانت حمراء. وكان مضر على ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

إلياس[(٣)]:

يكنى أبا عمرو، ولما مات حزنت عليه زوجته حتى لم تستظل بظلّ بعده. كان يلقب بكبير القوم، قرئ إلياس بكسر الهمزة وفتحها. وفيما يلي شجرة نسب ولده:

---

(١) والدة مضر وإياد: سودة بنت عك، ووالدة ربيعة وأنمار: خدالة بنت دحلان الجرهمية. راجع كتاب «بكر وتغلب» لمحمد بن إسحاق طبع نخبة الأخبار بمصر سنة ١٣٠٥ هـ.

(٢) يجتمع معه عَلَيْهِ السَّلَامُ قيس عَيلان بن مضر بقبائلهم المتعددة. وقد جعل الله لقيس من الكثرة الكاثرة أمرًا عظيما فإنهم ملأوا الحجر والمدر خاصة في جزيرة العرب فمن ولد قيس عيلان جميع قبائل غطفان وجميع قبائل هوازن ومن هوازن بنو سعد بن بكر ومنهم حليمة السعدية التي أرضعت النبي ﷺ ومن هوازن أيضًا بنو كلاب وبنو كعب وبنو جشم وبنو نضر ومن بني نصر مالك بن عوف النصري قائد المشركين يوم حنين ثم أسلم بعد المعركة وحسن إسلامه ومن هوازن أيضًا بنو سلول وبنو ثقيف وغيرهم.
ومن قيس عيلان بنو عبس وبنو ذبيان ومن بني ذبيان بنو فزارة ومنهم عدوان وباهلة وغيرهم من قبائل قيس عيلان. («تأريخ الأنبياء والرسل»: ص٥١٧) (صلاح)

(٣) يجتمع معه عَلَيْهِ السَّلَامُ بنو تميم بن مرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس وبنو ضبّة بن أدّ ومزينة ومنهم النعمان بن مقرّن المزني قائد المسلمين في معركة نهاوند وشهيدها. («تأريخ الأنبياء والرسل»: ص٥١٧). (صلاح)

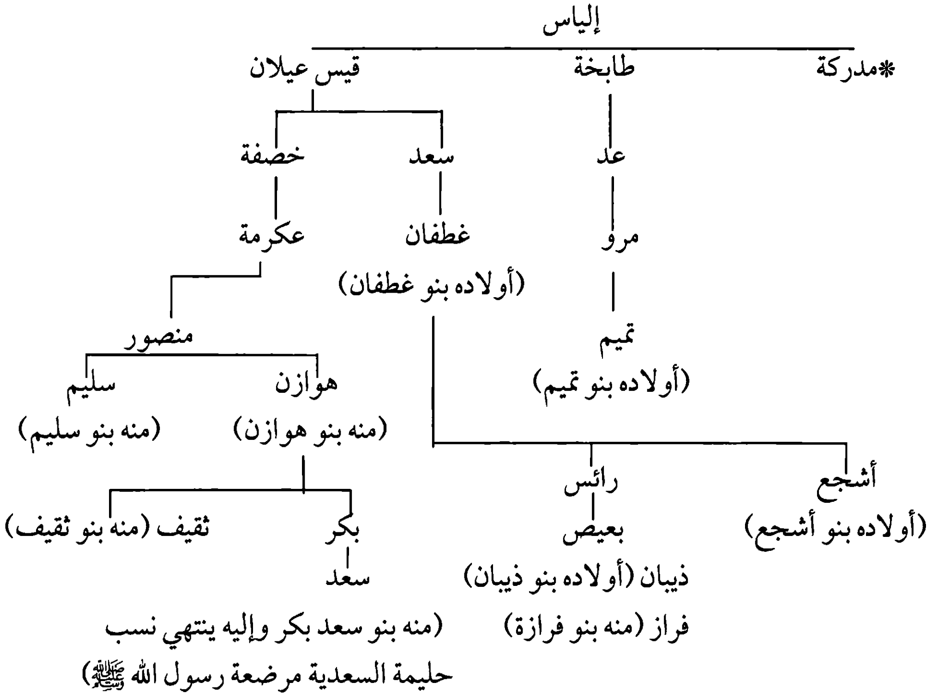

مدركة[1]:

كان اسم مدركة عمروًا وكنيته أبا هذيل.كان هو وأخوه في إبل لهما يرعيانها، فعدت عادية على إبلهما، فتبعها عمرو فأدركها، وطبخ أخوه الأصغر طعاما ريثما عاد. فلقب أبوهما الأوّل بمدركة، والثاني بطابخة وغلب اللقب على الاسم.

وفيا يلي شجرة نسب أولاده:

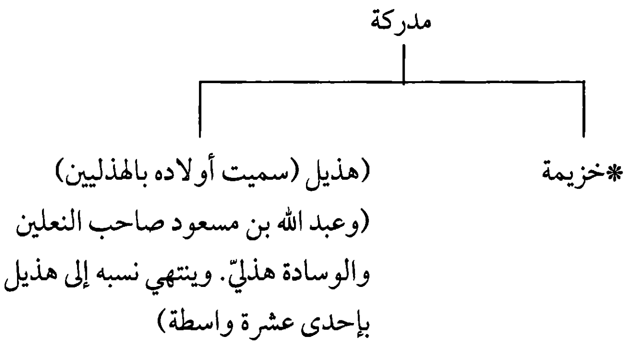

(١) يجتمع معه عَلَيْهِ السَّلَامُ بنو هذيل بن مدركة ومنهم عبد الله بن مسعود الهذلي. («تأريخ الأنبياء والرسل»: ص٥١٧). (صلاح)

خزيمة[١]:

يكنى أبا الأسد. وفيما يلي شجرة نسب ولده:

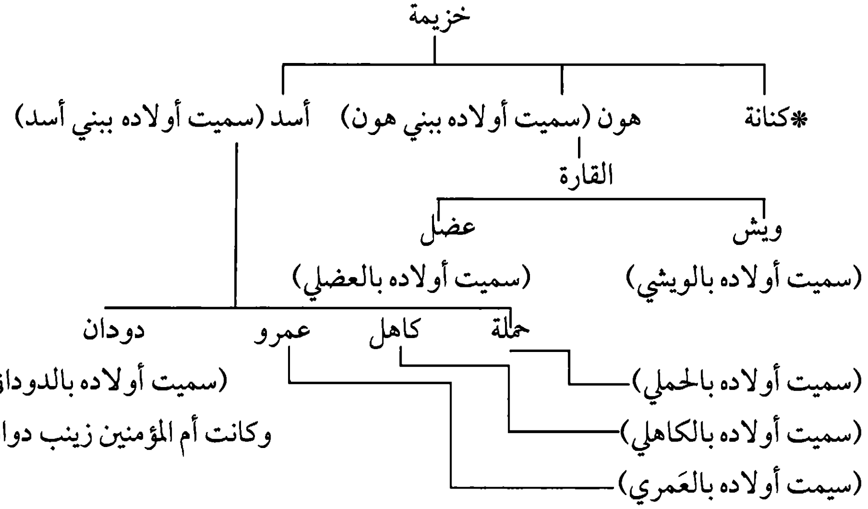

كنانة[٢]:

يكنى أبا النصر. وفي صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم.»[٣]

---

(١) يجتمع معه عَلَيْهِ السَّلَامُ بنو أسد ومنهم طليحة بن خويلد الذي ارتد عن الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ وادّعى النبوة وهو الذي قتل عكاشة بن محصن الأسدي في حال ارتداده ثم أسلم طليحة بعد هزيمته في مقابلِ خالد بن الوليد وحسن إسلامه والله أعلم. («تأريخ الأنبياء والرسل»: ص٥١٧). (صلاح)

(٢) يجتمع معه عَلَيْهِ السَّلَامُ كل من ينتمي إلى كنانة من بني عبد مناة، وملكان وملك وعمرو وعامر أولاد كنانة ومنهم بنو بكر ومنهم أبو الأسود الدؤلي وبنو مدلج وبنو ليث وبنو ضمرة. («تأريخ الأنبياء والرسل»: ص٥١٧). (صلاح)

(٣) رواه مسلم (٢٢٧٦) بلفظ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم.» (صلاح)

وفيما يلي شجرة نسب أولاده:

كنانة

- *نضر (سميت أولاده ببني نضر)
- مالك (سميت أولاده ببني كنانة)
- عبدمناف ← خزيمة أو مصطلق (بنو المصطلق أولاده)
- عمر (سميت أولاده بالعمريين)
- أحابيش ← (سميت أولاده هم الأحابيش)
- عامر (سميت أولاده بالعامريين)

النضر:

اسمه قيس وسماه العرب بالنضر لجماله ونضارته. كان يكنى أبا يخلد.

نضر

↓

*مالك (عرفوا ببني مالك)

مالك بن النضر:

يكنى أبا الحارث ونسبه كما يلي.

مالك

- فهر أو قريش
- حرث (سميت أولاده بالمطيبين)

فهر الملقّب بقريش[١]:

في زمنه خرج حسان حاكم اليمن بجيشه، يغزو مكّة، وكان يريد أن يهدم الكعبة، ويحمل أنقاضها إلى اليمن، ليبني الكعبة هناك، فقاتله فهر وإخوانه، فانهزم حسّان، وأخذ أسيرا فظلّ حبيسا ثلاث سنين، ثم أطلق فهر سراحه، فمات وهو في طريقه إلى اليمن.[٢]

---

(١) يجتمع معه عَلَيْهِ السَّلَامُ بنو الحارث بن فهر، ومنهم أبو عبيدة بن الجراح أمين الأمة وبنو محارب بن فهر وجميع قبائل قريش، وفهر هذا هو أبو قريش كلها فكل من كان من ولد فهر فهو قرشي، ومن لم يكن من ولده فليس قرشيًا، وقيل: إن النضر بن كنانة وهو قريش. والأول أصحّ والله أعلم. («تأريخ الأنبياء والرسل»: ص٥١٦). (صلاح)

(٢) الكامل لابن الأثير.

وقد أقرّت العرب لفهر بالعظمة والرفعة بعد هذا الفتح.

وفهر هو الذي لقبه «قريش». وقريش بلغة الحجاز الحوت الذي يعدّ أكبر الحيوانات في البحر. وقد سمّى فهر وأولاده قريشا لأنهم كانوا أشدّ بأساً وأعظم شأناً بين جميع القبائل العربية. وإليكم أبياتا في ذلك:

وقــريش التي تسكـن البحـر بهـــا سميـت قريش قريشـــا
سلطت بالعلو في لجـّـة البحر على ســاكني البحور جيوشـــا
يـأكل الغثّ والسمين لا يترك فيها لـذي الجنـاحين ريشـــا
هكـذا في الأنـام حيّ قريـش يــأكلــون الأنــام كشيشـــا

وفيما يلي نسب أولاده:

فهر

*غالب — محارب (سميت أولاده ببني محارب)

غالب[1]:

يكنى أبا تيم. ونسبه كما يلي:

غالب

*لؤي — تيم (سميت أولاده ببني تيم أو ببني الأوام)

(١) يجتمع معه عَلَيْهِ السَّلَامُ بنو تيم الأدرم. (صلاح)

لؤيّ(١):

يكنى أبا كعب. وشجرة نسب ولده كما يلي:

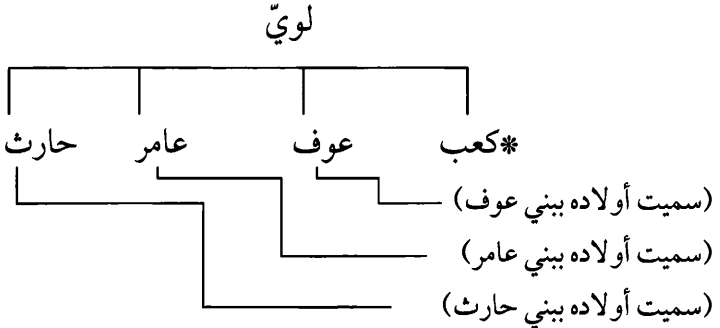

كعب(٢):

كان كعب كاسمه رفيع الشأن جليل القدر، وعام ولادته في العرب إلى حادث الفيل أي نحو أربعة قرون. وكان يكنى أبا هصيص.

(١) «يجتمع في لؤيّ مع النبي ﷺ بنو عامر بن لؤي ومنهم سهيل بن عمرو خطيب قريش وبنو عامر هؤلاء هم الذين يسمون بالبطاح وهؤلاء هم سكان مكة وبقية قريش يسمون بقريش الظواهر. وهم: بنو سامة بن لؤي نزلوا بعمان وبنو خزيمة بن لؤيّ وهم عائذة قريش نزلوا في بني ربيعة من شيبان وبنو الحارث بن لؤيّ نزلوا في همدان وبنو سعد بن لؤيّ وهم بنانة نزلوا في بني شيبان». («نسب قريش»(٢/ ٤٤٠-٤٤٢) «تأريخ الأنبياء والرسل»: ص٥١٦) (صلاح)

(٢) كعب بن لؤي كان خطيبًا مفوهًا، يجمع قومه يوم الجمعة، ويقول في خطبته: «أما بعد»، يقال: هو أوّل من استعمل: أما بعد في الخطب. (البداية والنهاية: ٢/ ٢١٣، وراجع «تأريخ الأنبياء والرسل» للشيخ عبد الغفور البلوشي: ص٥٢٢)، ويجتمع في كعب مع النبي ﷺ بنو عدي بن كعب، ومنهم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبنو جمح، ومنهم عثمان بن مظعون، ومنهم من مشاهير الكفرة أمية وأبي ابنا خلف، وبنو سهم، ومنهم عمرو بن العاص. (صلاح)

وشجرة نسب ولده كما يلي:

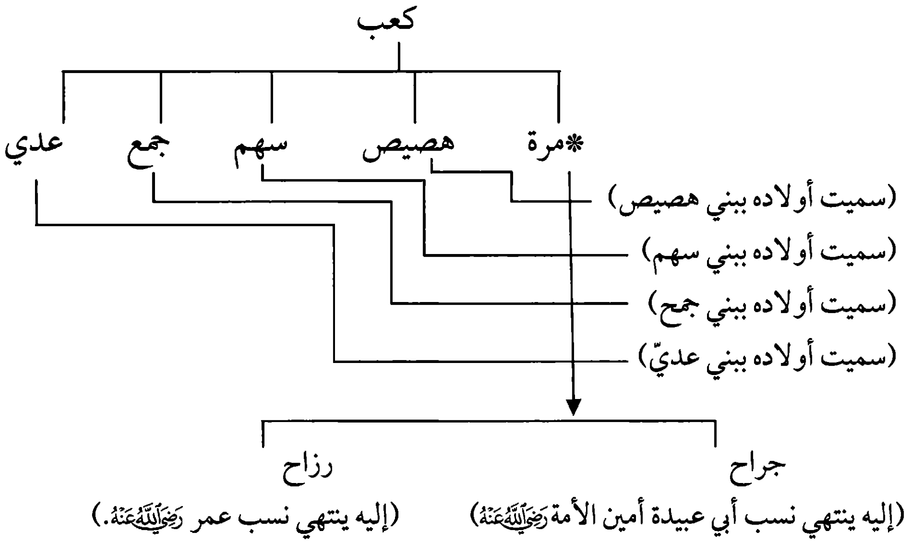

مرة[1]:

يكنى أبا يقظة، وهو الجدّ السادس لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وشجرة نسب ولده كما يلي:

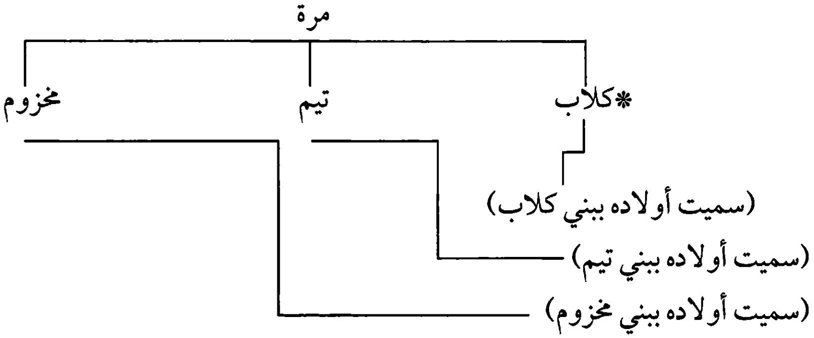

إلى هذا الفرع يجتمع نسب خالد بن الوليد سيف الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) يجتمع في مرّة مع النبي ﷺ بنو تميم بن مرّة، ومنهم أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبنو مخزوم بن يقظة ابن مرة، ومنهم خالد بن الوليد وأبو جهل بن هشام فرعون هذه الأمة. (صلاح)

كلاب(١):

كان اسمه حكيما، وكنيته أبا زهرة. ولقب بالكلاب لأنه كان يربيّ كلاب الصيد.

يقول الشاعر في مدحه:

حكيم بن مرة ســـاد الــورى ... ببــذل النــوال وكــف الأذى

أبـــاح العشيرة أفضـــالـــــه ... وجنّبهـا طـارقـات الــورى

وشجرة نسب ولده كما يلي:

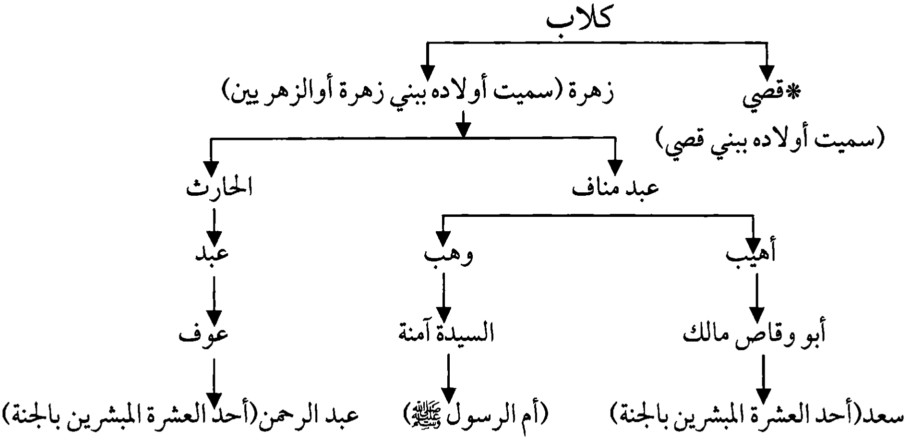

قُصَيّ(٢):

اسمه الأصلي زيد، توفّي أبوه وهو رضيع، فتزوجت أمه ثانية من ربيعة بن خرام الخدري، الذي كانت قبيلته تسكن ثغور الشام، فنشأ بها قصيّ في أحضان أمه، ولما شبّ

---

(١) يجتمع في كلاب مع النبي ﷺ بنو زهرة بن كلاب، ومنهم: أمّه ﷺ آمنة، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف. (صلاح)

(٢) قصيّ هو الذي جمع قريشًا، ومكن لها في مكّة، ونظم شئونها، وقام أبناء قصيّ وأحفادهم بأعمال مهمة أدت إلى ازدهار مكة، وبنفس الوقت أبرزت مكانتهم وفضلهم وشرفهم ومكنت لسيادتهم. («السيرة النبوية الصحيحة»: ١/ ٨٠)

ويجتمع في قصيّ مع النبي ﷺ بنو أسد بن عبد العزى بن قصيّ، ومنهم الزبير بن العوّام الأسدي، وخديجة بنت خويلد أم المؤمنين، وورقة بن نوفل، وبنو عبد الدار ومنهم: مصعب بن عمير العبدري، وبنو عبد قصيّ ومنهم طليب بن عمير العبدري. (صلاح)

قدم مكّة.

وكان زهرة أخًا له أكبر، وكان مكفوف البصر، فلما رأى أن صوت قصيّ يشبه صوت أبيه، اعترف له بالأخوّة، وأورثه من مال أبيه.

كان أمر مكة يومئذٍ بيد خزاعة، فزوّج حليل (رئيس مكة) ابنته حبّى من قصيّ، وأعطاها حقّ ولاية البيت في نكاحها، وجعل أبا غبشان وليّا لها.

فلما هلك حليل باع أبو غبشان مفاتيح الكعبة من قصيّ بزقّ خمر، وصارت ولاية البيت إلى قصيّ، وأبت خزاعة أن تمضي ذلك لقصيّ، فعند ذلك هاجت الحرب بينه وبين خزاعة، وكثرت القتلى في الفريقين جميعا. فحكّموا يعمر بن عوف فقضى بينهم بأن قصيًّا أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة، وأن كل دم أصابه قصيّ من خزاعة وبني بكر، فيه الدية المودّاة، وأن يخلّى بين قصيّ وبين الكعبة وأمر مكة، فجرى العمل بذلك.(١)

فلما ولي قصيّ البيت، وأمر مكة، جمع قومه من بني فهر قريش من منازلهم إلى مكة، وكانوا حينئذ اثني عشر فرعا، كلّهم نزلوا بمكة بسعي من قصيّ وأخذت قريش (أولاد فهر) مأخذ الشرف والمجد في البلاد كلّها.

وسمّي قصيّ قصيًّا، لأنه كان بعيدا عن بلده منذ صباه، وسمّي مجمعا لأنه جمع شمل قبائل قريش. قال الشاعر القديم حذافة بن غانم(٢):

---

(١) كان أمر بيت الله قد صار بعد إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى بني جرهم ،وكانت بنو جرهم أصهارًا لإسماعيل، بيدهم كان أمر مكة وولاية البيت عدة قرون، ثم أصبح أمر مكة وولاية البيت في حوزة العمالقة، ثم تولّى بنوجرهم البيت وأمر مكة مرة ثانية. ولما ظلموا أخرجهم عمرو بن لحيّ الخزاعي (الذي كان ابن اخت بني جرهم) من مكة. إن اعتداءات بني جرهم قد زالت، ولكن عمرو بن لحيّ قد روّج الوثنية سنة ٢٠٧م. كان قد رأى العمالقة بمصر والشام يعبدون الأصنام، وكان سمع بأنها تقضي حوائجهم، فحمل منها صنما يسمّى «هبلا»، فنصبه على الكعبة. ثم أكرم الله بني إسماعيل بولاية البيت في زمن قصيّ سنة ٤٤٠م، وأكرم البيت بحيث جعله قبلة في زمن النبي ﷺ الميمون، وهدمت الأصنام والأوثان كلّها.

(٢) هذه القصيدة قالها ابن غانم وهو يمدح عبد المطلب، ومطلعها:

بنو شيبة الحمد الذي كان وجهه ... لفي ظلام الليل كالقمر البدر

قصيّ لعمري كان يدعى مجمعا   به جمع الله القبـائـل من فهر

ولا يغيبن عن البال أن المؤرّخين غير المسلمين يغلون في بيان مآثر قصيّ، ويقولون: هو الذي أقام الحكومة على مبدأ الشورى فعلًا، يقصدون بذلك أن يثبتوا أن ما جاء به النبي ﷺ من تعاليم، إنما هي شرح لهذا المبدأ.

ولكن من يتدبّر سلوك قصيّ غير العادل في تقسيم الإرث، وتفضيل ابنه عبد الدار على أبنائه الآخرين، وما نتج عنه من الحروب والخصومات بين بنيه، التي يحكيها لنا التأريخ، يعلم أن قصيًّا كان بعيدًا عن الشورى، أو ما يطلق عليه البعض الديموقراطية ومبدأ الإيثار.

شجرة نسب ولد قصيّ كما يلي:

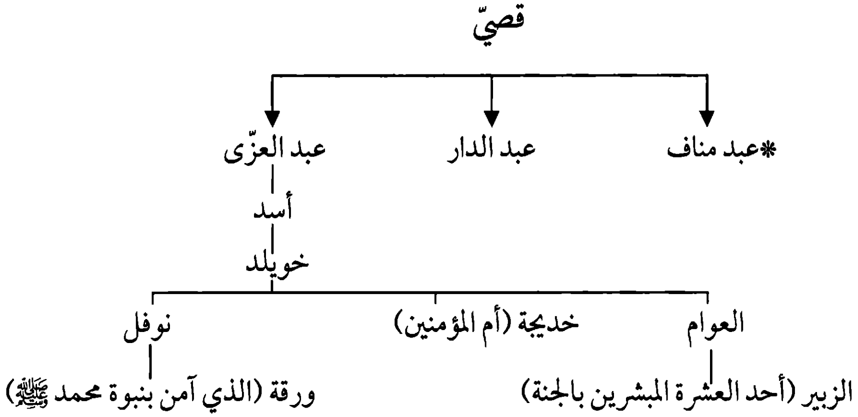

(تخمر وبرّة من بنات قصيّ، وأولاده ذكورًا وإناثًا كلهم من زوجته حبّي)

عبد مناف[1]:

اسمه الحقيقي المغيرة، وقد عرف بعبد مناف لأنّ أمه أتت به أول ما أتت إلى مناة

---

(١) فاز عبد مناف بن قصي بشرف سيادة قومه في حياة أبيه، ثم ساد بعده أبناؤه الأربعة: هاشم، وعبد شمس، والمطلب ونوفل وأولاده هم الذين أخذوا الأمان لقريش من ملوك العالم للدخول في بلادهم للتجارة، وتجمع في بني عبد مناف مع النبي ﷺ بنو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ومنهم عثمان بن عفان وأبو سنان، وبنو المطلب ومنهم عبيدة بن الحارث الشهيد المبارز يوم بدر، وبنو نوفل، ومنهم جبير بن المطعم. (صلاح)

(الذي يسمّى بمناف أيضا) ولقب بقمر البطحاء لحسنة وجماله، وفي عهد سيادته كان يوصي قريشا بتقوى الله والصدق والأمانة.

أنشد أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرة الأبيات التالية أمام النبي ﷺ فسمعها وتبسّم:

يـا أيهـا الرجـل المحـول رحلـه ... هـلا نزلـت بـآل عبـد منـاف
هبلتك أمك لو نزلت بـرحلهم ... منعوك من عـدم ومـن إقـراف
الخـــالطين غنـــيهم بفقـــيرهم ... حتـى يعـود فقـيرهم كالكـافي

الزوجات	الأبناء	البنات
عاتكة الكبرى بنت مرة ابن هلال.	المطلب، هاشم، عبد شمس.	تماضر، برة، حنّة، هالة، قلابة.
واقد بنت عامر بن عبد.	نوفل، أبو عمرو، أبو عبيدة.	
ثقيفة		ريطة

- أما المطلب، فكان بكرًا لأبيه، عرفت أولاده بالمطّلبيين.

وكان للحارث بن المطّلب ثلاثة بنين كلّهم من الصحابة، وهم: عبيدة أبو الحارث الذي استشهد في وقعة بدر، والطفيل والحصين، اللذان توفّيا سنة ٣٢هـ. ينتهي نسب الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ أحد الأئمة الأربعة إلى المطّلب.

وأما هاشم فسيأتي ذكره إن شاء الله.

- أما عبد شمس فإنه أميّة، وقد عرفت أولاده ببني أميّة، ومنهم كان عثمان ذوالنورين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- أما نوفل فعرفت أولاده بالنوفليين، وإليه ينتهي نسب جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومن منته على قومه، أنه حصل لهم على مرسوم ملكي من هرقل، يقضي بحرّية التجارة في العراق.

والتأريخ ساكت عن ذكر أحوال أبي عمرو وأبي عبيدة، حتى أن معظم المؤرخين لم يذكروا اسمها.

وفي صحيح البخاري: عن سعيد بن المسيّب أن جبير بن مطعم أخبره قال: مشيت

أنا وعثمان إلى النبي ﷺ، فقلنا أعطيت بني المطّلب من خمس خيبر، وتركتنا، وإنما نحن وهم بمنزلة واحدة منك؟

قال: «**إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد**».

قال جبير: ولم يقسم النبي ﷺ لبني عبد شمس وبني نوفل شيئا.(١)

وبهذا المعنى روى الإمام الشافعي.(٢)

وفي رواية أبي داود والنسائي: أن بني نوفل وبني أمية طلبوا أسهامهم لإعطائه ﷺ بني المطّلب، فقال النبي ﷺ:

«**إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد هكذا» وشبّك بين أصابعه**.(٣)

من الموارد المالية في الحكومة:

ومن الواضح أن الدخل في الحكومة الإسلامية كان على ثلاثة أقسام(٤):

الأول: الزكاة: وقد صرحت آية سورة التوبة بمن تصرف عليهم، فقال تعالى:

---

(١) البخاري رقم (٣٥٠٢، ٤٢٢٩) عن جبير بن مطعم رضي الله عنه. وروى البخاري (٣١٤٠) تعليقًا: «قال ابن إسحاق: عبد شمس، وهاشم، والمطّلب إخوة الأم وأمهم عاتكة بنت مرة. وكان نوفل أخاهم لأبيهم». (صلاح)

(٢) إن بني عبد المطّلب جعلوا ذوي القربى في كتاب الأم (٤/ ٧١). طبع المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر. وفي كتاب الأصول الكافي طبع نول كشور سنة ١٣٠٣هـ.

(٣) ذكره الألباني في «صحيح أبي داود» (٢٩٨٠)، وفي «صحيح النسائي» (٤٠١٤٨)، وقال: حسن صحيح. (صلاح)

(٤) بما أن قضية استحقاق حقوق ذوي القربى وعدم استحقاقها، تبدأ من أولاد عبد مناف، يجدر بنا أن نذكر هذه القضية في هذا المقام.

قرأ المحدثون (شيء واحد) بالسين المهملة، ومعناه «المساوي».

استمرت الخصومات بين هاشم وعبد شمس، وكذا بين نوفل وعبد المطلب، أما هاشم والمطلب فلم تكن بينهما خصومة قط. كان المطّلب أكبرهم وهاشم أصغر منه.

والمطّلب هو الذي تولّى تربية عبد المطلب، وحينما حوصر النبي ﷺ في شعب أبي طالب كان المطّلب معه.

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ﴿٦٠﴾ [التوبة: ٦٠].

الثاني: الغنيمة: وقد بينت آية الأنفال مصارفها، قال الله تعالى:

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٤١﴾ [الأنفال: ٤١].

قرّر الله في هذه الآية أربعة سهام للغانمين، وجعل السهم الخامس لنفسه، حيث قال: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾. ثم منح حق التصرّف في ملكه لهؤلاء الخمسة: للرسول، ولذي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل.

وفي حديث أبي داود عن عليّ، قال: ولى رسول الله ﷺ تقسيم خمس الخمس عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد تولى عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذلك حياة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كليهما.

وفي «كتاب الخراج» للإمام أبي يوسف: حدثني محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه قال: سمعت عليا، يقول: قلت يا رسول الله ﷺ إن رأيت أن تولّني حقّنا من الخمس، فاقسم في حياتك كي لا ينازعنا أحد بعدك فافعل، ففعل. قال: فولانيه رسول الله ﷺ فقسمته في حياته، ثم ولّانيه أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقسمته في حياته، ثم ولانيه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقسمته في حياته.(١)

وكان الرسول ﷺ يأخذ من الغنيمة قوت عام لأهله، ويترك الباقي لمصالح المسلمين.

وكان حقّ ذوي القربى للقرابة(٢)، لا للفقر، ولذا كان يقسم للغني والمسكين على سواء.

والحصص الثلاث الأخرى كانت لليتامى والمساكين وابن السبيل. وهذه التي قرّرها

---

(١) ذكره الألباني في «ضعيف أبي داود» (٢٩٨٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٣- ٣٧)، ورواته من ثقات الكوفيين. (صلاح).

(٢) إن حقّ القرابة في الإسلام، لا يحصل لذوي القربى إلا بعد وفاة الرجل، ويسمّى هذا الحق بالإرث. ومن خصائص الرسول ﷺ أن أقرباءه أعطوا حق قرابتهم في حياته.

الله، لم يكن يعطى منها نصيب أحد لغيره.

الثالث: الفيء: وقد ذكر تعريف الفيء في سورة الحشر، وكذلك ذكرت في نفس السورة وجوه صرفه أيضا.

قال الله تعالى في تعريف الفيء:

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [الحشر: ٦].

وقال تعالى عن تقسيم الفيء في سورة الحشر:

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧].

ثم ذكر سبب هذا التقسيم فقال:

﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: ٧].

وإليكم الجدول الآتي الحصص المذكورة في الآيات الثلاث:

جدول أحكام تقسيم الصدقات والغنيمة والفيء مع ذكر آيات القرآن المجيد

الآية الواردة في الفيء	الآية الواردة في الغنيمة	الآية الوارة في الزكاة والصدقات	
سورة الحشر الآية(٧)	سورة الأنفال الآية(٤١)	سورة التوبة الآية (٦٠) إنما الصدقات للفقراء	١
ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى	واعلموا أنما غنمتم من شيء		٢
فـ لله	فإن لله خمسه		٣
وللرسول	وللرسول		٤
ولذي القربى	ولذي القربى		٥
واليتامى	واليتامى		٦
والمساكين	والمساكين	والمساكين	٧
		والعاملين عليها	٨
		والمؤلفة قلوبهم	٩
		وفي الرقاب	١٠
		والغارمين	١١
		وفي سبيل الله	١٢
وابن السبيل	وابن السبيل	وابن السبيل	١٣
للفقراء المهاجرين			١٤
والذين تبوّء والدار والإيمان			١٥
والذين جاءوا من بعدهم			١٦

- اقرءوا مع هذا الجدول ذلك الحديث الذي ورد في «مشكاة المصابيح» في كتاب

الفيء عن مالك بن أوس بن الحدثان قال:

قرأ عمر بن الخطاب: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]. حتى بلغ ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾ [التوبة: ٦٠]. ثم قال: هذه لهؤلاء.

ثم قرأ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ [الأنفال: ٤١] حتى بلغ ﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١] ثم قال: لهؤلاء.

ثم قرأ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [الحشر: ٧] حتى بلغ ﴿لِلۡفُقَرَآءِ﴾ [الحشر:٨] ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ [الحشر: ١٠] ثم قال: هذه استوعبت المسلمين.[(١)]

- إذا تدبرنا هذا الجدول، علمنا أن الصدقات قسمت إلى ثمانية مصارف متساوية، ومنها: مصرفان: «المساكين وابن السبيل» وهما اللذان لهما حقّ في الغنيمة والفيء أيضا.

أما الستة الأخرى، فهي التي لها الحقّ في الصدقات فقط، وليس لها حقّ في الغنيمة والفيء وهي: «الفقراء، والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم، وفي الرقاب، والغارمين، وفي سبيل الله».

- **أما الغنيمة**، فقد قسمت إلى قسمين:

الأول: أعطي منها للغانمين أربعة أخماس.

الثاني: الذي هو الخمس، جعله الله ملكه، وقسمه للخمسة على التساوي.

ومن هؤلاء الخمسة: المساكين، وابن السبيل، اللذان كان لهما حق في الصدقات أيضا.

والسهام الثلاثة الباقية للرسول وأقرباء الرسول واليتامى.

- **أما الفيء** فقد جعله الله أولًا ملكه، ثم قسمه للمصارف على التساوي. فالمصارف الخمسة منها، هي التي كان لها حق في الخمس من الغنيمة.

أما الثلاثة الباقية التي لها فيه سهم فهي: الفقراء والمهاجرون وفقراء الأنصار ومن

---

(١) عن مالك بن أوس بن الحدثان، قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تخريج مشكاة المصابيح لابن حجر (٤/ ١٠٧). [حسن كما قال في المقدّمة. وقال الألباني في «إرواء الغليل» (٥/ ٨٤ رقم ١٢٤٥) إسناده صحيح موقوف. وقال شعيب الأرنؤط في تخريج شرح السنّة (٢٧٤٠) إسناده صحيح. (صلاح)]

يأتي من بعدهم.

وقد زيد في الفيء شرط، ليس في الغنيمة، وهو أن الفيء لا يعطى للأغنياء: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: ٧].

- ولا يعزبن عن البال أن الخلافات التي توجد في الفِرق الإسلامية حول إرث الرسول ﷺ، إنما هي في الفيء، والله أسأل أن يزول هذا الخلاف بالتدبر في القرآن الكريم.
- وقد ثبت من حديث صحيح البخاري: أن عمر كان ولّى تقسيم الفيء في خلافته عليًّا والعباس، كما كان تقسيم خمس الخمس بيد علي رضي الله عنه وحده، في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

هاشم(١)

كان اسم هاشم عمروًا، وكان يعرف بعمرو العلى، والمطّلب ونوفل وعبد شمس كلهم إخوانه. ترأس هاشم قومه بعد وفاة أبيه عبد مناف، فأبى له ذلك أمية بن عبد شمس: ابن أخيه، فجعلا بينهما كاهنا من عسقلان، فقضى لهاشم عليه.

وسُمّي هاشما لأنه لما أصابت قريشًا سنوات ذهبن بالأموال، خرج هاشم إلى الشام فأمر بخبز فخبز له، فحمله في الغرائر على الإبل حتى وافى مكّة، فهشم ذلك الخبز يعني: كسره وثرّده، فسمّي بذلك هاشما.(٢)

وكانت قريش بعد ذلك إذا حضر الحجّ أكرموا زوّار البيت، ويثرّدون لهم الخبز واللحم.

ويدلّ على ذكاء هاشم وحزمه، أنه أخذ الحلف والعهد لقريش من قيصر، لأن تختلف إلى بلاد الشام للتجارة آمنة، دون دفع ضرائب أو إتاوات. وأما من على الطريق فألفهم على أن تحمل بضائعهم، ولا كراء على أهل الطريق.

---

(١) هاشم هو الذي أخذ أمانا لقريش من ملوك الشام والروم وغسان، للتجارة الحرة من غير جعالة، كما تقدّم. (صلاح)

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٤٥).

إن العداوة التي كانت نشأت في قلب أميّة ضد عمّه هاشم، قد انتقلت في الأجيال اللاحقة، فكان بنوهاشم وبنو المطّلب في جانب وبنو نوفل وبنو عبد شمس ابنا عبد مناف في جانب آخر. وهناك عشرات الأحداث المشهورة قد وقعت نتيجة لتنافرهم وتباغضهم.

وكان من بركة وجود الرسول ﷺ أن تلاشت العداوة التي ورثتها الأجيال، وصدق عليهم قول الله: ﴿فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣]. ولما مات النبي ﷺ استمرّت الحروب بين بني أمية وبني العباس إلى سنة ١٣٣هـ.

وفيما يلي جدول أولاد هاشم:

زوجاته	البنون	البنات
سلمى بنت عمرو بن زيد النجاري	شيبة وهو عبد المطلب	رقية (ماتت صغيرة)
هند بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجي	أبو صيفي	
قيلة وكانت تلقب بالجزور بنت عامر بن مالك بن جزعة	أسد	
أمية بنت عدي بن عبد الله بن دينار من قضاعة	نضلة	شفاء
واقدة بنت أبي عدي من بني مازن		ضعيفة وخالدة
عدي بنت حبيب من بني ثقيف		حنـة

لا يذكر التأريخ عن أبي صيفي، وأسد، ونضلة إلا قليلًا. وجلّ ما أثر عنهم أنّ أرقم بن نضلة وضحّاك وعمرو ابني أبي صيفي كانوا قد اشتركوا في حلف بني خزاعة مع عمّهم.

ولرقية بنت أبي صيفي بن هاشم أبيات في مدح الرسول ﷺ:

منّـا مـن الله بـالميمون طـائره … وخـير مـن بـشّرت بـه مضـر
مبارك الأمر يُستسقى الغمام بـه … ما في الأنام له عدل ولا خطـر

عبد المطلب(١)

اسمه عامر، يُلقب بـ«شيبة» (ومعناه الهرم)، لأنه ولد وفي رأسه شيبة، وقيل: قصد بتسميته بهذا الاسم التفاؤل له ببلوغ سن الحنكة والرأي.

كان عبد المطلب في أخواله في يثرب، حين مات أبوه هاشم، قدم به المطلب عمّه من يثرب إلى مكة، وأحبّه حبًّا لا يحبّه ولده، وربّاه مثل أولاده. فكان المطلب يصف نفسه بعبد المطلب شكرًا له وإظهارًا لفضله عليه ومعروفه إليه. وقد غلب لقبه الأخير على اسمه الحقيقي حتى فهم أن عبد المطلب هو الاسم الحقيقي له.

وكذلك عرف بشيبة الحمد، والفياض، ومطعم طير السماء، وسيّد قريش، وشريف قريش، ولم يكن أحد من قريش ينكر له ذلك. وهو الذي اختار اسم الرسول ﷺ «محمّدا»، وتولّى تربيته ثماني سنوات. وفي عهد رئاسته ظهر حادث الفيل.

وكان عبد المطلب يعظ الناس، فينهاهم عن البغي والعدوان، ويحثّهم على مكارم الأخلاق. ومن فضائله أنه أعاد حفر زمزم، وكان عمرو بن الحارث الجرهمي قد دفنها، ولم يكن أحد يعرف موضعها لطول الزمن، ذكر أن عبد المطلب أتي في المنام فأمر بحفر زمزم ثلاث ليال متتالية، وبيّن له شأنها، ودلّ على موضعها، فحفر عبد المطلب وابنه الحارث زمزم فلما كان يوم ثالث، وتمادى بهما الحفر، وجدا فيها غزالين من ذهب، وهما

---

(١) عبد المطلب عرف بالفياض لجوده، وشيبة الحمد لكثرة حمد الناس له، وحضر بئر زمزم التي كانت مطمورة، وكان أبناء قصي قبل حفرها يأتون بالمياه من آبار خارج، وهو أوّل من زين أبواب الكعبة بالذهب.

«ولم يكن عبد المطلب أغنى رجل في قريش ولا زعيم مكة الوحيد، ولكن صلته بشؤون البيت العتيق وخدمة الحجيج جعلته من وجهاء مكة وهو الذي حادث أبرهة عندما غزا الأخير مكة».

(«السيرة النبوية الصحيحة»: ١/ ٨١)

وتجمع في عبدالمطلب مع النبي ﷺ بنو أبي طالب منهم على وجعفر، وبنوالعباس ومنهم حبرالأمة عبدالله بن عباس أبو خلفاء بني العباس، وبنو أبي لهب.

ويقال: إنه عاش مئة وأربعين سنة. (صلاح)

الغزالان اللذان دفنتهما جرهم فيها، حين خرجت من مكة، ووجدا فيها أسيافا قلعية وأدراعا.[١]

وكانت قريش ترى فعل عبد المطلب هذا عبثًا من قبل، فلما رأوا الأشياء المطمورة في زمزم تذكّروها، وقالوا لعبد المطلب: يا عبد المطلب! لنا معك في هذا شرك وحقّ، قال: لا، بل خصّصتُ بها دونكم.

وهذه البئر التي يستقي منها كل زائر، والتي فجّرها الله لسيّدنا إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، صارت تذكارًا لعبد المطلب أيضا، وقد وهب الله لعبد المطلب ذرّية كثيرة، نثبت أسماءهم في الجدول الآتي:

أسماء زوجاته	البنون	البنات
صفية بنت جنيدب بن حجير بن زباب بن حبيب بن سوأة بن عامر بن صعصعة بن نضر[٢].	الحارث	
فاطمة بنت عمرو بن عايذ بن عمران ابن مخزوم بن يقظة بن مرة[٣].	الزبير وأبو طالب وعبد الله الكعبة وعبد الله	أم حكيم، والبيضاء وأميمة، وبرة، وأروى وعاتكة
لبنى بنت هاجر من بطن خزاعة	أبو لهب واسمه عبد العزى	
هالة[٤] بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب.[٥]	المقوم، وحجل، والمغيرة وحمزة	صفيه
نتيلة بنت جناب بن كليب من ربيعة بن نزار.[٦]	ضرار وقثم والعباس	

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام. [٣١-٣٢ تهذيب سيرة ابن هشام]

(٢) انظر الرقم (١٣) من شجرة النسب النبوي.

(٣) انظر الرقم (٧) من شجرة النسب النبوي.

(٤) والدة هالة: عيلة بنت المطّلب.

(٥) انظر الرقم (٦) من شجرة النسب النبوي.

(٦) انظر الرقم (١٩) من شجرة النسب النبوي.

منعمة بنت عمرو بن مالك من بطن خزاعة.	الغيداق ومصعب	
المجموع الكلي للزوجات ٦	البنون ١٥	البنات ٦

يظهر من الجدول المذكور أعلاه، أنّ عبد المطّلب كان أبا لخمسة عشر ابنا وست بنات.

ويذكر بعض المؤرخين أن الغيداق هو حجل، وعبد الكعبة هو المقوّم. ولم يكن أحد يسمّى قثما.

وعلى هذا كان عدد أبناء عبد المطّلب اثنى عشر ابنا، وعدد أعمام الرسول أحد عشر عمّا، وهذا هو الصحيح.

وقد اطّلعنا على حياة العشرة منهم، فأحوال السبعة منهم تتعلق بتأريخ الإسلام أيضا.

أما الثامن وهو ضرار، فكان من فتيان قريش، ومعروفًا بالجود والجمال، وتوفّي في بداية بعث النبي ﷺ ولم يخلف أحدا.

أما التاسع: المقوّم فكان أولاده من صلبه، ولكن لم يستمر نسله، وقد ذكر العلّامة الذهبي: «عبد الرحمن بن أبي عمرو بن هند بنت المقوّم».

ويوجد شعر قسري بن حجل في «الطبقات الكبير» وقد سمّى فيه أعمامه الاثني عشر، ولم يذكر شيء في كتب التأريخ عن أحوال غيداق وقثم وعبد الكعبة ويمكن أن يسمّى عبد الكعبة مقوّما.

عاش عبد المطّلب اثنتين وثمانين سنة، وكان مولده في سنة ٤٩٧م ووفاته في سنة ٥٧٩م على سبيل التقريب.[(١)]

وبما أن أولاد عبد المطّلب أعمام وعمّات للنبي ﷺ، نذكر ههنا نبذة عن حياتهم، وحياة أولادهم (حسب قربهم من العصر النبويّ)، حتى لا يجهل القراء بأحوال أهل البيت.

---

(١) تاريخ العرب للبرفيسور الفرنسي سيديو.

الحارث عمّ النبيّ ﷺ

هو أكبر أولاد عبد المطّلب، وبه كان يكنى أبا الحارث، مات في حياة أبيه.[١]

أما نوفل، وعبد الله، وربيعة، وأبو سفيان المغيرة، أبناء عمّ النبيّ ﷺ، فكلّهم أسلموا ونذكر موجزا عن أحوالهم.

(أ) **نوفل بن الحارث:** شهد بدرًا مع المشركين، ثم أسلم أيام الخندق أو أيام فتح مكة. وكان ممن ثبت يوم حنين مع رسول الله ﷺ، وأعان يوم حنين رسول الله ﷺ بثلاثة آلاف رمح. كان أسنّ من إخوته، ومن سائر من أسلم من بني هاشم، توفّي بالمدينة سنة ٢٥هـ[٢].

وأبناؤه الثلاثة: المغيرة بن نوفل، وعبد الله بن نوفل، والحارث بن نوفل كلّهم من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

أما المغيرة: بن نوفل فكان قاضيًا في خلافة عثمان، وهو الّذي تلقّي عبد الرحمن بن ملجم المرادي إذ ضرب عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على هامته بسيفه فصرعه. وتزوّج من أمامة بنت أبي العاص بن الربيع لوصيّته بذلك له، فولدت له يحيى بن المغيرة.

وأما عبد الله بن نوفل، فاستعمله عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الكوفة، وكان يشبه بالنبي ﷺ نوعًا ما. وأما الحارث بن نوفل فاستعمله أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على مكة، واصطلح عليه أهل البصرة، حين مات يزيد بن معاوية.

توفّي الحارث بن نوفل سنة ٦٣هـ، وولد له عبد الله بن الحارث الذي يقال له «ببة» وكان أيضًا من الصحابة.

(ب) **عبد الله بن الحارث:** كان يسمّى عبد شمس، فسّماه رسول الله ﷺ عبدالله. مات في الصفراء في حياة الرسول ﷺ، فدفنه ﷺ، وقال له: «سعيد» أدركته السعادة.

---

(١) كما هو ظاهر من الجدول المتقدّم آنفًا.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر(٤/ ١٥١٢).

(ج) **ربيعة بن الحارث:** يكنى أبا أروى، هو الذي قال فيه رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: أوّل دم أضعه دم ابن ربيعة بن الحارث. وذلك أن الأعداء كانوا قد قتلوا ولدًا لربيعة بن الحارث، فأبطل رسول الله ﷺ الطلب به بعد الإسلام، ولم يجعل لربيعة في ذلك تبعة، وجعل له دية. توفّي سنة ثلاث وعشرين من الهجرة.

وكان ابناه: عبد المطلب، والمطّلب من الصحابة.

أما عبد المطّلب، فمات في إمرة يزيد بدمشق.

وأما المطّلب فكان غلاما على عهد رسول الله ﷺ.

(د) **أبو سفيان المغيرة بن الحارث:** ابن عمّ رسول الله ﷺ، وكان أخا رسول الله ﷺ من الرضاعة. أرضعتهما حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، وكان من الشعراء المطبوعين ومن الصحابة أيضا.

سبق له هجاء في رسول الله ﷺ والمسلمين، ثم أسلم وكان إسلامه يوم الفتح قبل دخول رسول الله ﷺ مكّة.

وشهد أبو سفيان حنينًا، وأبلي فيها بلاء حسنا، وكان ممن ثبت ولم يفرّ يومئذ، ولم تفارق يده لجام بغلة رسول الله ﷺ حتى انصرف الناس إليه.

وقد ذكرنا ما قاله من شعر بعد إسلامه في الجزء الأول من هذا الكتاب.

ذكر ابن إسحاق أن أبا سفيان بن الحارث كان يبكي على النبي ﷺ كثيرًا ورثاه، فقال:

أرقت فبات ليلي لا يزول ... وليل أخي المصيبة فيه طول
فأسعد في البكاء وذاك فيما ... أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلّت ... عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها ... تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا ... يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحقّ ما سالت عليه ... نفوس الناس أو كادت تسيل
نبيّ كان يجلو الشك عنا ... بما أوحى عليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا ... علينا والرسول لنا دليل

أفاطمة إن جزعت فذاك عذر ... وإن لم تجزعي ذاك السبيل
فقير أبيك سيّد كل قبر ... وفيه سيّد الناس الرسول

وكان رسول الله يحبّه حبا شديدا، فقال فيه:

«أبو سفيان خير أهلي أو من خير أهلي»(١)

وقال ابن دريد وغيره من أهل العلم بالخبر: إن قول رسول الله ﷺ **«كل الصيد في جوف الفرا»** إنه أبو سفيان بن الحارث: ابن عمّه هذا.(٢) توفّي سنة عشرين من الهجرة.

وابناه: عبد الله وجعفر من أصحاب النبي ﷺ، شهد جعفر بن أبي سفيان حنينًا، ومات في خلافة معاوية رضي الله عنه.

أبو طالب عمّ النبي ﷺ

اسمه الحقيقي عبد مناف، غلبت كنيته على اسمه، وكان أبو طالب يحبّ رسول الله ﷺ حبّا جمّا لا يحبّ مثله ولده، وظلّ في حياته كلّها ينصر رسول الله ﷺ ويذبّ عنه.

له أربعة بنين وبنتان، وكلهم من أصحاب النبي ﷺ، إلا طالب الذي مات بعد وفاة أبيه، ولم يسلم، ولا يدرى ما حاله، ولا يعرف أين مات(٣)؟

(أ) عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه

كان أصغر من أخيه طالب بن أبي طالب بعشر سنين، وكان أسنّ من أخيه جعفر بعشر سنين. كان قد أخرج إلى بدر مكرها، فأسر ثم أسلم قبل الحديبية، وشهد غزوة مؤتة.

وكان عقيل أعلم بأنساب العرب وأيامها، وكان يمتاز بهذا العلم على الآخرين.

---

(١) رواه الطبراني (٢٢/ ٣٢٧)، والحاكم (٣/ ٢٨٥) عن أبي حبّة البدري، ذكره الألباني في الصحيحة (٨٢٠)، وحسّنه في «صحيح الجامع» (٥٢). (صلاح)

(٢) الاستيعاب (٤/ ١٥١٢). [ذكره القسطلاني في «المواهب اللدنية» (٢/ ٢٧)، ومحمد بن محمد الغزّي في «إتقان ما يحسن» (١/ ٤١٨) عن نصر بن عاصم الليثي مرسلًا، بإسناد جيّد. (صلاح)]

(٣) وفي صحيح البخاري (٤٢٨٣): رواية الزهري أن عقيلًا وطالبًا هما اللذان ورثا أبا طالب.

وكان يكنى أبا زيد. روي أن رسول الله ﷺ قال له:

«**يا أبا زيد إني أحبُّك حبّين حبًّا لقرابتك منّي، وحُبًّا لما كنتُ أعلم من حبّ عمّي إياك**».(١)

توفّي في خلافة معاوية.

ومسلم ابنه كان قدم الكوفة نيابة عن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واستشهد يوم الخميس في ثلاث خلت من ذي الحجة سنة ٥٩هـ، واستشهد محمد وعبد الرحمن ابنا عقيل بن أبي طالب، وعبد الله بن مسلم حفيد عقيل بن أبي طالب في كربلاء.

وفيما يلي شجرة نسب ولد عقيل بن أبي طالب:

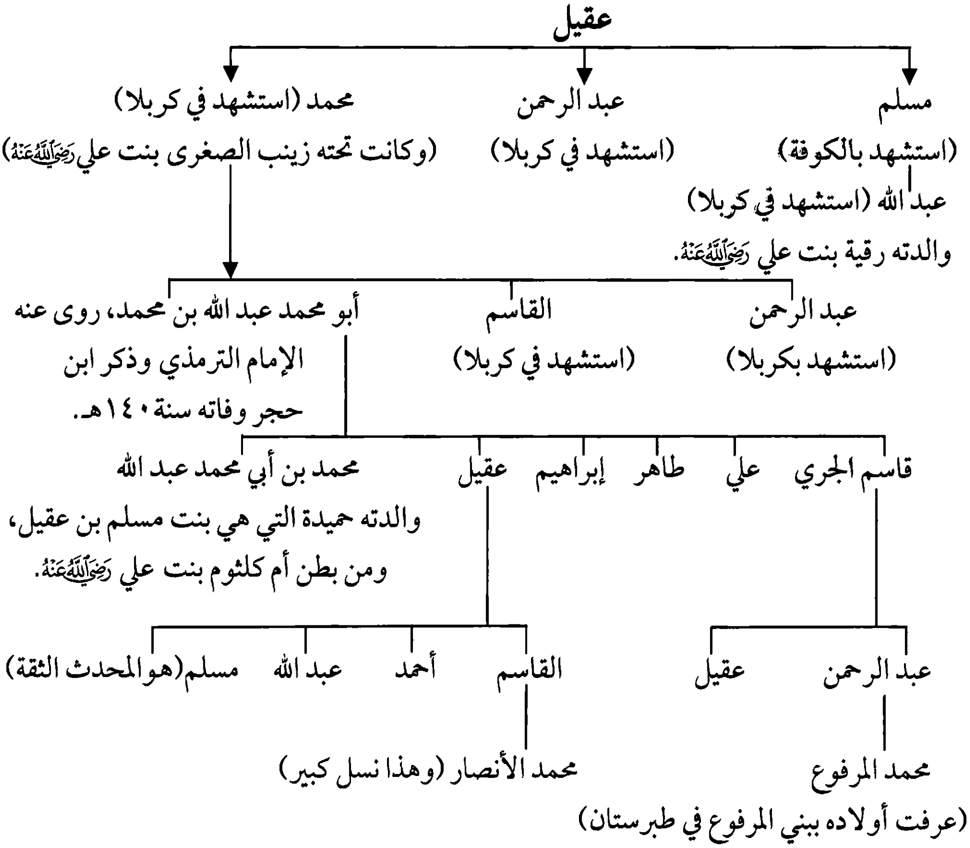

---

(١) الاستيعاب (٣/ ١٠٧٨). [ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٧٦)، عن أبي إسحاق السبيعي عمرو بن عبدالله، وقال: مرسل ورجاله ثقات، وكذا قال الشوكاني في «درّ السحابة» (٢٧٥)، وقال الذهبي في «تأريخ الإسلام» (٤/ ٨٤): روي من وجوه مرسلة. (صلاح)]

(ب) جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

شقيق عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان أكبر من علي بعشر سنين، وكان من المهاجرين إلى أرض الحبشة. وكان بها سيّدا لمن هاجر إليها من المؤمنين، انتشر فيها الإسلام على يده انتشارا عظيما. **وخطبته التي ألقاها أمام ملك الحبشة، ذكرناها في الجزء الأوّل من هذا الكتاب.**

قدم من الحبشة على رسول الله ﷺ في السنة السابعة من الهجرة حين فتح خيبر، فتلقّاه النبي ﷺ واعتنقه وقال:

«ما أدري بأيّهما أنا أشدّ فرِحًا، أبقدوم جعفر أم بفتح خيبر»؟[(١)]

شهد غزوة مؤتة وقاتل فيها حتى قطعت يداه جميعا، ووجد ما بين صدره ومنكبيه وما أقبل منه تسعون جراحة ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح.

قال له النبيّ ﷺ:

«أشبهت خَلقي وخُلقي يا جعفر».[(٢)]

وكان عمره حين قتل إحدى وأربعين سنة.

عن أبي هريرة قال: كان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، حتى إن كان ليخرج إلينا العكة، التي ليس فيها شيء فنشتقها فنلعق ما فيها»[(٣)].

وكان لجعفر أربعة بنين:

(أ) عبد الله بن جعفر: وهو أوّل مولود ولد في الإسلام بأرض الحبشة،كان يسمّى بحر

---

(١) عن الشعبي عامر بن شراحيل: والله ما أدري بأيهما أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر. (أخرجه مطوّلًا ابن أبي شيبة (٣٢٨٧٠)، والحاكم (٤٩٤١) باختلاف يسير، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٢٤٦) واللفظ له. حسنه الألباني في «فقه السيرة» (٣٥٠)، وقال: وبالجملة فالحديث قوي بهذه الطرق). (صلاح)

(٢) البخاري [رقم (٢٦٩٩) عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (صلاح)]

(٣) أخرجه البخاري في باب مناقب جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [رقم ٥٤٣٢عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ].

الجود، لسماحته وسخائه، وكان كثير العبادة. توفّي بالمدينة سنة ثمانين وهو ابن تسعين سنة، وكانت زينب بنت علي تحته. استشهد ابنه عديّ في كربلا وكان قد قتله ابن نهشل التيمي.

(ب) عون بن جعفر. (ج) محمد بن جعفر. واستشهدا بتُستر.

وفيما يلي شجرة نسب ولد جعفر:

جعفر

- أبوجعفر عبدالله الجواد
  - معاوية
    - عبدالله (ادّعي الخلافة في سنة ١٢٥هـ وأسر سنة ١٢٩هـ وتوفّي ١٣٢هـ وليس له ذرية)
  - علي الزينبي (والدته: زينب بنت علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)
    - محمد الإدريس الرئيس
      - إبراهيم
      - جعفر السيد (له عقب يدعى بنو جعفر)
    - إسحاق الأشرف
  - إسحاق العريفي
  - إسماعيل الزاهد (المتوفي سنة ١٤٥هـ وله رواية في ابن ماجة)
  - محمد (استشهد بكربلا) أمه: خوصا بنت حفصة.
  - عدي (استشهد بكربلا)
  - عون (استشهد بكربلا) أمة: جمانة بنت المسيب من بني فزارة.
- عون مساور
- محمد الأكبر
  - عبدالله
  - القاسم (كانت تحته أم كلثوم بنت زينب بنت علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)
- محمد الأصغر
- حميد
- الحسين
- عبدالله الأصغر

- محمد (لم ينجب)
- جعفر (لم ينجب)
- القاسم (أمه: بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر والقاسم والإمام جعفر الصادق أم كل منهما خالة لآخر)

(ج) علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

إن لهذا الإمام، هادي الأنام، أبي الأئمة العظام فضائل ومناقب تحتاج إلى كتاب مستقل ولو حييت لأؤلّفنّ جزءًا خاصًا بسيرته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان عليّ بن أبي طالب أوّل من آمن من النّاس بعد خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا».

وعن سلمان الفارسي، أنه قال: أوّل هذه الأمة ورودًا على نبيّها الحوض، وأوّلها إسلاما عليّ بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وكان علي ابن ثماني سنوات حين أسلم.

وأجمعوا أنه هاجر وشهد بدرًا، والحديبية وسائر المشاهد، وأنه أبلي ببدر وبأحد وبالخندق وبخيبر بلاءًا عظيمًا.

وامتاز بالشجاعة وبفصل القضايا عن أصحابه، وكان زوجا لفاطمة سيّدة النساء، وأبا للحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يكنى أبا الحسن، وكنّاه النبي ﷺ أبا تراب، وما كان له اسم أحبّ إليه منه.

بويع له بالخلافة يوم قُتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في ذي الحجة سنة ٣٥هـ، وقتل هو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على يد عبد الرحمن بن ملجم ليلة الجمعة في مسجد الكوفة، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربعين من الهجرة.

ولد له (من أزواجه الأخرى) ستة عشر ولدا سوى الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

جمع الأطباء لعليّ يوم جرح، وكان أبصرهم بالطبّ أثير بن عمرو السكوني، وكان صاحب كسرى يتطببه، فلما رأى جرح عليّ، وجد الضربة قد وصلت إلى أم رأسه، فأخبر أنه لا يمكن دواؤه ولا يرجى شفاؤه.

وأنشد بكر بن حمّاد التاهرتي في قتله:

قل لابن ملجم والأقدار غالبة ... هدمت ويلك للإسلام أركانا

قتلت أفضل من يمشي على قدم ... وأوّل الناس إسلاما وإيمانا

وأعلم الناس بالقرآن ثم بما ... سنّ رسولنا شرعا وتبيانا

صهر النبيّ ومولاه وناصره ... أضحت مناقبه نورا وبرهانا

وكان منه على رغم الحسود له ... ماكان هارون من موسى بن عمرانا

وكان في الحرب سيفا صارمًا ... ليثا إذا لقي الأقران أقرانا

ذكرت قاتله والدمع منحدر ... فقلت سبحان ربّ الناس سبحانا

إني لأحسبه ما كان من بشر ... يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مرادًا إذا عدت قبائلها ... وأخسر النّاس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الأولى التي جلبت ... على ثمود بأرض الحجر خسرانا
قد كان يخبرهم أن سوف ... قبل المنية أزمانا فأزمانا
فلا عفا الله عنه ما تحمله ... ولا سقى قبر عمران بن حطانا
لقوله في شقي ظل مجترما ... ونال ما ناله ظلمًا وعدوانا
يا ضربة من تقي ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
بل ضربة من غوي أوردته لظى ... فسوف يلقى بها الرحمن غضبانا
كأنه لم يرد قصدا بضربته ... إلا ليصلى عذاب الخلد نيرانا[١]

واسم أم علي وجعفر وعقيل: فاطمة[٢] بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، أسلمت ثم هاجرت إلى المدينة، وبها ماتت.[٣] ألبسها رسول الله ﷺ قميصه واضطجع معها في قبرها، وقال: لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بي منها، إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة، واضطجعت معها ليهوّن عليها.

ذكر المؤرخون عدة أقوال عن أولاد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، منها:

١ - كان له ثمانية عشر ابنا وثماني عشرة بنتا.

٢- كان له تسعة عشر ابنا، توفّي ستة منهم في حياة أبيهم، واستشهد الستة في كربلا، ولا يوجد اليوم إلا أولاد أبنائه الخمسة: الحسن، والحسين، ومحمد الحنفية، وعباس، وعمر الأطراف.[٤]

---

(١) الاستيعاب [٣/ ٢٢١-٢٢٢، طبعة دار الكتب ١٩٩٥م]

(٢) فاطمة (أم عليّ) هي أول هاشمية ولدت لهاشمي. (الاستيعاب: ٣/ ١٩٧) (صلاح)

(٣) قال ابن عبد البر: «توفيت مسلمة قبل الهجرة، وقيل: إنها هاجرت.» (الاستيعاب: ٣/ ١٩٧) (صلاح)

(٤) عمدة الطالب في نسل أبي طالب [للشريف جمال الدين أحمد عنبة (-٨٢٨هـ) اعتني به وشجره اللواء الركن. السيد يوسف بن عبد الله جمل الليل. مكتبة جل المعرفة، والتوبة- الرياض ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م].

وفيما يلي جدول بأسماء أزواجه وأولاده:

أسماء الزوجات	البنون	البنات
١- سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا	الحسن والحسين[(١)]	زينب و أم كلثوم
٢- أم البنين بنت حزام بن خويلد (من هوازن)	عمر والعباس وجعفر وعبيد الله وعثمان	x
٣- ليلى بنت مسعود (من بني تميم)	عبيد الله وأبوبكر	x
٤- أسماء بنت عميس الخثعمية	عون ويحيى	x
٥- خولة بنت جعفر بن قيس	محمد بن الحنفية أو محمد الأكبر	x
٦- أمامة بنت أبي العاص (من بطن زينب)	محمد و أوسط	x
٧- أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي	x	أم الحسن رملة الكبرى
٨- أم حبيبة بنت ربيعة التغلبية	عمر	رقيّة
٩- محياة بنت إمرئ القيس الكلبي	x	حارثة

وكانت له بنات من أمهات شتى لم يسمّ لنا أسماؤهن، منهن أم هانئ، وميمونة، وزينب الصغرى، ورملة الصغرى، وأم كلثوم الصغرى، وفاطمة، وأمامة، وخديجة أم الكرام، وأم سلمة، وأم جعفر، وجمانة، ونفيسة.[(٢)]

وقد ذكرنا أولاد فاطمة ضمن أهل البيت وهنا نذكر أولاد عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

العباس بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

بيده كان العلم في كربلا، ويلقب بسقاء أهل البيت أيضا. استشهد[(٣)] في الرابع والثلاثين من عمره، وأولاده كما يلي:

---

(١) وهناك ابن ثالث [لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] وهو المحسن، ولم يذكر هذا الاسم إلا أبو موسى في كتاب الأربعة في أسماء الصحابة. قال العلّامة الذهبي: تفرّد بذكره أبو إسحاق عن هانئ ابن هانئ عن عليّ.

(٢) تاريخ الطبري (٦/ ٨٩).

(٣) اسم قاتليه زيد بن رقاد الجنبي وحكيم بن الطفيل السنبسي.

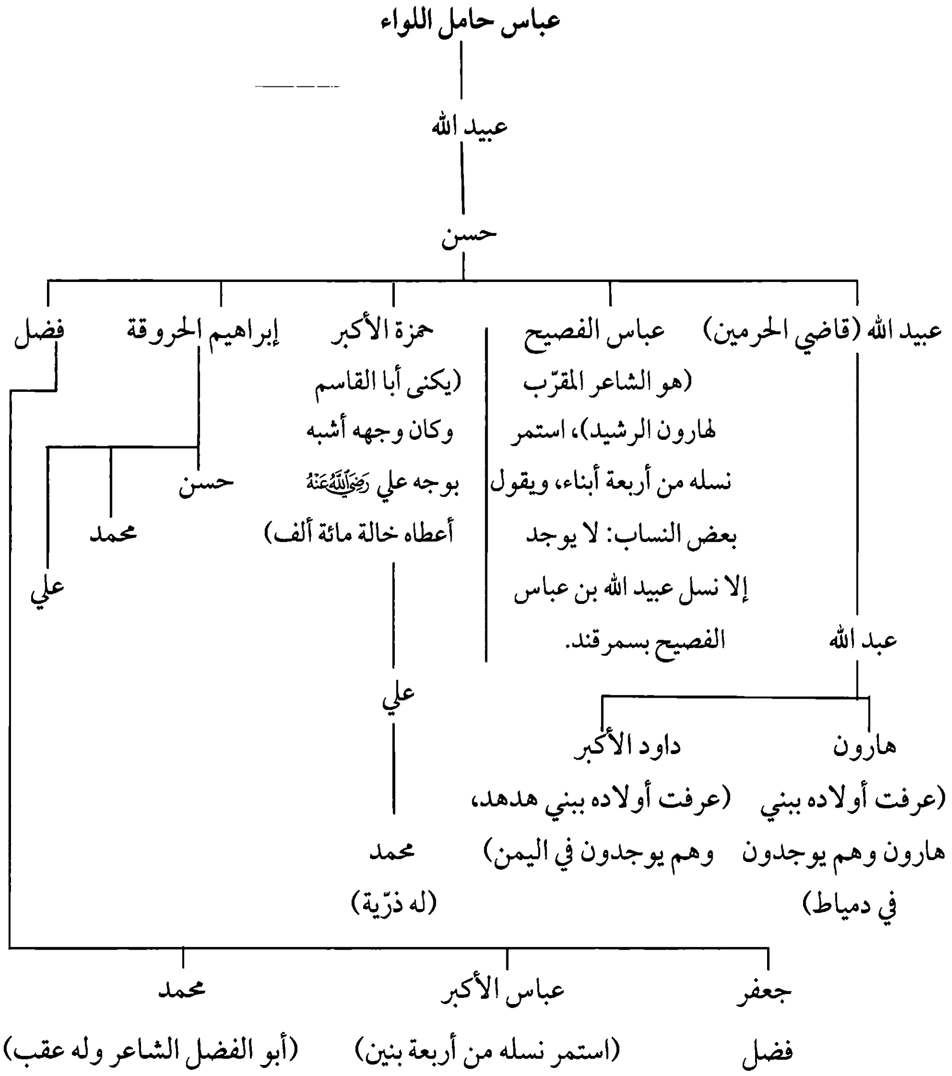

عمر (الأطراف) بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

هو شقيق العبّاس حامل اللواء، واختلف فيمن كان أكبر. توفّي وهو في السابع والسبعين من عمره. يروى أنه استشهد وهو يحارب المختار الثقفي لمصعب بن الزبير.

ونسب أولاده كما يلي:

شجرة أولاد عمر (الأطراف)

عمر (أطراف)

محمد

عبد الله — عبيد الله — عمر — جعفر (من بطن أم ولد)

عمر (كلهم من بطن خديجة بنت الإمام زين العابدين)

عبيد الله ← طيب ← علي (يوجد نسله في بغداد ونواحيها)

عبد الله، علي ← أحمد — محمد — عيسى المبارك — عيسى الصالح

القاسم ملك طالقان

(نسلهم مستمر ونسل قاسم بن محمد يوجد في ملتان حيث كان حكمه أيضا)

عمر ← أبو محمد إسماعيل — أبو الحسن إبراهيم

(يوجد نسله في بلخ وخراسان)

أما جعفر وعبيد الله وعثمان إخوة العباس حامل اللواء فكلّهم استشهدوا في كربلا.

أبو القاسم محمد بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المعروف بابن الحنفية:

أمّه خولة الملقبة بالحنفية من قبيلة حنيفة بن لجيم، التي كانت ارتدّت في خلافة أبى بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأسرت خولة في الحرب، فوقعت في سهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولد محمد بن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة إحدى وعشرين من الهجرة، في خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتوفّي في غرة محرّم سنة إحدى وثمانين من الهجرة.

تروى حكايات كثيرة عن زهده وعبادته، وقوّته وشجاعته. كان يحمل لواء جيش علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال له أحد مرّة: ما لأبيك يُقحِمُك كل عقبة ولا يبعث الحسن والحسين في الحرب؟ فقال: هما عينا عليّ وأنا يده.

تعتقد طائفة من الشيعة، أنه كان إماما بعد أبيه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وطائفة تعتقد أنه كان إماما بعد الإمام الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وكلتا الطائفتين تتفق أن الإمامة استمرّت في أولاده.

ومختار الثقفي الذي أخذ الثأر من قاتلي الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان يصف نفسه مختارًا له.

واسم عبد ابن الحنفية: كيسان، وهو أيضا إمام إحدى الطوائف.

وتعتقد الكيسانية أن محمد بن علي تغيب في جبل رضوى[١] ويكلأ له الأسد والنمر، وتفور بجواره عين الماء والعسل. وهو الذي يظهر قرب الساعة باسم المهديّ.

كان لابن الحنفية أربعة وعشرون ولدًا، منهم أربعة عشر ذكرا. وللثلاثة منهم ذرّية.

وفيما يلي شجرة أولاده:

محمد بن علي المرتضى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

- أبو هاشم
  - عبد الله (من كبار التابعين)
- جعفر (استشهد يوم الحرّة وله ذرّية كثيرة)
- علي (له ذرية كثيرة)
  - أبو محمد الحسن (تعتقد له الطائفة الكيسانية بالإمامة)
    - علي (له ذرية كثيرة)

محمد بن علي المرتضى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

أمّه: السيّدة أمامة بنت السيّدة زينب بنت رسول الله ﷺ، استشهد في كربلاء بسهم أصابه من رجل من قبيلة إبان بن دارم. لا يوجد ذكر لنسبه.

أبو بكر بن علي المرتضى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

أمّه: ليلى بنت مسعود استشهد في كربلا، واختلف بعض النّاس في شهادته.

أمّا الأبناء الآخرون لعليّ مثل عبد الله، وعون، ويحيى، وعمر(ابن حبيبة) فلم تعرف أحوالهم. يسمّى أولاد علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالعلويين أيضًا.

(د) أم هاني بنت أبي طالب

هي شقيقة علي بن أبي طالب، أمّها فاطمة بنت أسد، وهي أم طالب وعقيل وجعفر

(١) إن قمم جبل رضوى تتراءى من ميناء «ينبع» بالسعودية.

وجمانة وهند.

اختلف في اسمها، فقيل: هند، وقيل: فاطمة، (فاختة في الاستيعاب)، كانت تحت هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وولدت أم هاني لهبيرة هانئا، وعمروا، ويوسف وجعدا. أسلمت أم هاني عام الفتح.

فلما أسلمت، هرب هبيرة إلى نجران، ولا تعرف عودته من نجران، ولا يدرى هل أسلم أم لم يسلم. وقال حين فرّ معتذرا من فراره:

لعمرك ما ولّيت ظهري محمّدا وأصحابه جبنا ولا خيفة القتل
ولكنّني قلبت أمري فلم أجد لسيفي غناء إن ضربت ولا نبل
وقفت فلما خفت ضيعة موقفي رجعتُ لعود كالهزبر إلى الشبل

(٥) جمانة بنت أبي طالب

تذكر جمانة من أولاد أبي طالب، ولكن لا يعرف عنها شيء، اللهم إلا ما ذكر ابن إسحاق أنّ النبيّ ﷺ أعطاها من خيبر ثلاثين وسقا، ولم يكن ليعطيها إلا وهي مسلمة[(١)] وفيه دلالة على أنها عاشت إلى فتح خيبر.

(١) الاستيعاب (٤/ ١٨٠١).

حمزة عمّ النبيّ ﷺ

هو عمّ النبيّ ﷺ، وكان يقال له أمير المؤمنين، وأسد الله ورسوله، أسلم في السنة السادسة من المبعث، وظلّ يؤيّد الإسلام، وينصره في حياته كلها، كان حمزة أخا رسول الله ﷺ من الرضاعة، أرضعتهما ثويبة، يكنى أبا عمارة، وأبا يعلى كذلك، وشهد حمزة بدرًا وأبلي فيها بلاء حسنا مشهورًا، وشهد أحدا بعد بدر، فقتل يومئذ شهيدًا، قتله وحشي بن حرب الحبشي من وراء صخر. وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«حمزة سيّد الشهداء».[(١)]

ووقف رسول الله على حمزة، وقد قتل ومثّل به، فقال:

«رحمك الله أي عمّ، فلقد كنت وصولا للرحم، فعولا للخيرات»[(٢)].

قطعت هند كبده، وجدعت أنفه، وقطعت أذنيه، وبقرت بطنه، فلم ير النبي ﷺ منظرا كان أوجع لقلبه منه[(٣)].

وقد قال كعب بن أشرف، يرثي حمزة، وقيل هي لعبد الله بن رواحة:

بكت عيني وحقّ لها بكاها ... وما يغني البكاء ولا العويل
على أسد الإله غداة قالوا ... لحمزة ذاكم الرجل القتيل
أصيب المسلمون به جميعا ... هناك وقد أصيب به الرسول
أبا يعلى لك الأركان هدّت ... وأنت الماجد البرّ الوصول
عليك سلام ربك في جنان ... مخالطها نعيم لا يزول
ألا يا هاشم الأخيار صبرا ... فكلّ فعالكم حسن جميل

---

(١) صحيح الجامع الصغير للألباني (رقم ٣٦٧٦) عن جابر بن عبد الله وعلي بن أبي طالب، وقال: حسن (صلاح).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٤٣٠) وقال: فيه ضعف. (صلاح).

(٣) الاستيعاب (١/ ٣٦٩).

رسول الله مصطبر كريم ... بأمر الله ينطق إذ يقول
ألا من مبلغ عنّي لؤيا ... فبعد اليوم دائلة تدول
وقبل اليوم ما عرفوا أذاقو ... وقائعنا بها يشفى الغليل
نسيتم ضربنا بقليب بدر ... غداة أتاكم الموت العجيل
غداة ثوى أبو جهل صريعا ... عليه الطير حائمة تجول
وعتبة وابنه خرّا جميعا ... وشيبة عضّه السيف الصقيل

ولد لحمزة ابنان وبنتان.

أما الابنان: فهما عمارة ويعلى، ولعمارة وُلد حمزة، ولأخيه يعلى خمسة رجال لصلبه، وماتوا كلّهم.

وأما البنتان: فهما أم الفضل، وأمامة.

روى عن أم الفضل بنت حمزة، عبد الله بن شدّاد قالت:

«توفّي مولى لنا، وترك ابنة وأختا، فأتيا رسول الله ﷺ[1] فأعطى الابنة النصف، وأعطى الأخت النصف».[2]

وأمامة:

وهي التي اختصم في حقّ حضانتها عليّ وزيد وجعفر.

فقال زيد: هي ابنة حمزة الذي هو أخي من الرضاعة، فأنا استحقّ حضانتها.

وقال عليّ: أنا أخذتها لأنها بنت عمّي، وجاءت من مكّة إلى المدينة في هودج فاطمة.

---

(١) ذكره الشوكاني عن عبد الله بن شدّاد: عن بنت حمزة -وهي أخت ابن شدّاد عن أمّه- قالت: مات مولاي وترك بنته، فقسم رسول الله ﷺ ماله بيني وبين ابنته، فجعل لي النصف، ولها النصف (نيل الأوطار: ٦/ ١٨٦) قال: في إسناده ابن أبي ليلى وهو ضعيف.
أما المسألة فثابتة كما في البخاري (٦٧٣٤)، عن الأسود بن يزيد: «أتى معاذ بن جبل باليمن معلما وأميرا، فسألنا عن رجل توفي فترك ابنة و أختا فأعطى للابنة النصف والأخت النصف.» (صلاح)

(٢) راجع الاستيعاب (٤/ ١٩٥٠).

وقال جعفر: هي بنت عمّي، وخالتها زوجي، فقضى بها النبي ﷺ لخالتها، وقال: «**الخالة بمنزلة الأم**».[(١)]

وقعت هذه الواقعة سنة ست من الهجرة، وقد ذُكرت في الصحاح مفصلًا.

تزوّجت أمامة بسلمة بن أم سلمة رضي الله عنهما.

أبو لهب بن عبد المطّلب

كان يعادي النبي ﷺ لدعوته إلى التوحيد. وإذا قام النبي ﷺ خطيبًا في السوق، قام إليه أبو لهب، وقال للناس: لا تسمعوا له فإن به جنّة.

هلك بعد بدر بثمانية أيام بالطاعون. وبقيت جثته ثلاثة أيام متعفنة، ولما تأذّى الناس لعفونتها، أسقطها أهله من السرير بالخشب، وأمطروا عليها بالحجارة حتى توارت فيها، ووجدت النار وقودها من الناس والحجارة معًا.

كان له أربعة بنين، هلك منهم اثنان في الجاهلية، وأسلم اثنان وهما: عقبة والمعقب، عام الفتح، وشهدا يوم حنين، وبها ضاعت إحدى عيني المعقب، وبقي كلا الأخوين بمكة.

وأسلمت درّة بنت أبي لهب، وتزوّجت بالحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، ومن بطنها ولد عتبة، ووليد، وأبو مسلم.

روت درّة عن النبي ﷺ حديثًا، أنه سئل أيّ الناس خير؟ فقال:

«**أتقاهم لله، وآمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر، وأوصلهم لرحمه**»

وروت عنه أيضا: «**لا يؤذى حيّ بميت**[(٢)]».[(٣)]

---

(١) راجع مطوّلًا في البخاري (٢٦٩٩) ومسلم (١٧٨٣) عن البراء بن عازب رضي الله عنه، وكذلك في صحيح الجامع للألباني (رقم ٣٣٢٩) عن البراء وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما. (صلاح)

(٢) ذكره الحافظ العراقي في «تخريج إحياء علوم الدين» (٢/ ٢٦٩) وقال: إسناده حسن. (صلاح)

(٣) الاستيعاب (٤/ ١٨٣٥).

عبّاس بن عبد المطّلب عمّ النبيّ ﷺ

كان العباس أسنّ من رسول الله ﷺ بسنتين، أمّه نتيلة بنت خباب، وهي أوّل عربية كست البيت الحرام بالديباج وأصناف الكسوة.

كان العبّاس في الجاهليّة رئيسا في قريش، وإليه كانت عمارة المسجد الحرام، والسقاية في الجاهلية، فالسقاية معروفة.

أما العمارة، فإنه كان لا يدع أحدا يسبّ في المسجد الحرام ولا يقول فيه هجرا.

كان العبّاس ممن خرج مع المشركين يوم بدر، فأسر فيمن أسر منهم، وكانوا قد شدّوا وثاقه فسهر النبيّ ﷺ تلك الليلة ولم ينم، فقال له بعض أصحابه: ما أسهرك يا نبيّ الله؟ فقال:

«أسهر لأنين العبّاس» فقام رجل من القوم فأرخى من وثاقه، فقال رسول الله ﷺ: مالي لا أسمع أنين العبّاس؟» فقال رجل: أنا أرخيت من وثاقه، فقال رسول الله ﷺ: «فافعل ذلك بالأسرى كلّهم».

والذي ثبت من حديث الحجّاج بن علاط، أنه قديم في الإسلام وكان يكتم إسلامه، وكان مقيما بمكّة بأمر من النبيّ ﷺ يكتب أخبار المشركين إلى رسول الله ﷺ، وكان المسلمون يتقوّون به بمكة، ثم أظهر إسلامه، وشهد حنينًا والطائف وتبوك.

وحضر مع النبيّ ﷺ العقبة الثانية، وكان على دين قومه يومئذ، وفدى يوم بدر عقيلا ونوفلا ابني أخويه: أبي طالب والحارث، من ماله، وانهزم النّاس عن رسول الله ﷺ يوم حنين غيره، وغير عمر، وعلي، وأبي سفيان بن الحارث.

وكان النبيّ ﷺ يكرم العبّاس بعد إسلامه، ويعظّمه ويجلّه ويقول: «**هذا عمّي وصنو أبي**».[1]

---

(١) حسّن إسناده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٧٣)، والشوكاني في «درّ السحابة» (٢٦٧) (صلاح)

وكان العبّاس جوّادًا مطعمًا، وصولا للرحم، ذا رأي حسن، ودعوة مرجوّة.

توفّي العباس لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب، وقيل: بل من رمضان سنة اثنتين وثلاثين، وصلّى عليه عثمان، ودفن بالبقيع، وهو ابن ثمان وثمانين سنة.(١)

أولاده:

ولدت له أمّ الفضل: الفضل، وعبد الله، وعبيد الله، ومعبدا، وقثما، وعبد الرحمن، وأمّ حبيب.

ولد له عون بن العباس من زوجة غير أم الفضل، وولدت له زوجة أخرى تمامًا، وكثيرا، وأخرى حارثا.

١- **فالفضل بن العباس**: أكبرهم، وبه يكنى أبوه أبا الفضل، وأمّه لبابة الصغرى أم الفضل. غزا مع رسول الله ﷺ حنينا وشهد معه حجّة الوداع، وهو ممن غسلوا النبيّ ﷺ بعد وفاته، وكان يصبّ الماء على يد عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يومئذ.

اختلف في وقت وفاة الفضل، فقيل: أصيب في خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سنة ثلاث عشرة، وقيل: قتل سنة ثماني عشرة في خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لم يخلف إلا أمّ كلثوم، وتزوّجها الحسن بن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم فارقها، فتزوّجها أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وروى عنه أخوه عبد الله بن العباس، وروى عنه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢).

٢- **عبد الله بن العباس**: هو أشهر أولاد العبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان يلقّب بحبر الأمة، ومربّي الأمة، توفّي بالطائف سنة ثمان وستين من الهجرة، وعمره سبعون سنة. قال النبيّ ﷺ فيه:

«اللهم علّمه الحكمة، وتأويل القرآن».(٣)

---

(١) الاستيعاب (٢/ ٨١٠).

(٢) الاستيعاب (٣/ ١٢٦٩).

(٣) البخاري (٣٧٥٦) بلفظ: ضمّني النبي ﷺ إلى صدره وقال: «اللهم علمه الحكمة» وفي رواية ابن ماجة =

وورد في حديث آخر:

«اللهم بارك فيه، وانشر منه واجعله من عبادك الصالحين».

قال مسروق: هو أجمل النّاس إذا رأيته، وأفصحهم إذا سمعت كلامه، وأعلمهم إذا سمعت مرويّاته.

كان استعمله عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على البصرة، شهد حرب الجمل وصفين ونهروان، مع أبنائه الحسن والحسين ومحمد، وكفّ بصره في آخر عمره.

وفي ذلك أبيات له:

إن يأخذ الله من عينيّ نورهما ... ففي لساني وقلبي منهما نور

قلبي زكيّ وعقلي غير ذي دخل ... وفي فمي صارم كالسيف ماثور

كان إماما في علوم الشعر والأنساب، وأيام العرب، والحديث والفقه والتفسير، والخلفاء العباسيّون من أولاده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وله مرويّات أزيد من ألف وخمس مائة رواية.

من سلالته كان الخلفاء البغداديّون، الذين دامت حكومتهم من سنة ١٣٢هـ إلى سنة ٦٥٠هـ.

ويتصل نسب سمو أمير (بهاول فور)(١)، بفرع هذه الشجرة العالية.

٣- **عبيد الله بن العباس**: كان أصغر من أخيه عبد الله بن العباس بسنة. استعمله علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عهد خلافته على اليمن، وأمّره على الموسم، فحجّ بالناس سنتي ست وثلاثين وسبع وثلاثين، وكان يعرف بأجود النّاس.(٢)

٤- **معبد بن العباس**: ولد في عهد رسول الله ﷺ، وقتل بإفريقية شهيدًا في زمن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ما روى عن النبيّ ﷺ شيئا.

٥- **قثم بن العباس**: قال عبدالله بن جعفر: كنت أنا وعبيد الله وقثم ابنا العباس، نلعب

زيادة «وتأويل القرآن» كما في «صحيح ابن ماجه للألباني (١٣٦) عن ابن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. (صلاح)

(١) إمارة «بهاول فور» الآن في باكستان. (صلاح)

(٢) الاستيعاب (٣/ ١٠٠٩).

فمرّ بنا رسول الله ﷺ فقال: «**ارفعوا إليّ هذا**» -يعني قثما- فرفع إليه فأردفه خلفه، وجعلني بين يديه، ودعا لنا.

وكان واليا لعلي بن أبي طالب على مكّة، فلم يزل واليا عليها، حتى قتل علي رضي الله عنه. استشهد بسمرقند، حين خرج إليها مع سعيد بن عثمان بن عفان زمن معاوية مجاهدًا.

قال أحد الشعراء في مدح قثم بن العباس:

كم صارخ بك مكروب وصارخة ... يدعوك يا قثم الخيرات يا قثم

وهو آخر الناس عهدا برسول الله ﷺ، وذلك، لأنه كان آخر من خرج من قبره ممن نزل فيه عند دفنه ﷺ.(١)

٦- **كثير بن العباس**: ولد قبل وفاة النبي ﷺ بأشهر، في سنة عشر من الهجرة، وكان فقيها ذكيًا فاضلا، وأم كثير بن العباس روميّة تسمّى سبأ.

٧- **تمّام بن العباس**: هو أخو كثير بن العباس لأم، وأصغر أولاد العبّاس، وكان شجاعا مغوارا، وكان واليًا لعلي بن أبي طالب على المدينة. وله ذرّية.

٨- **عبد الرحمن بن العباس**: ولد في عهد رسول الله ﷺ، وقتل بإفريقيا شهيدا: هو وأخوه معبد بن العبّاس في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

٩- **أم حبيب بنت العباس**: تزوّجها أسود بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي، وسفيان شقيق لأم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها.

---

(١) الاستيعاب (٣/ ٢٦٢) طبعة دار الكتاب العربي بيروت.

الزبير عمّ النبيّ ﷺ

كان النبيّ ﷺ ابن أربع وثلاثين سنة حين مات زبير[١]. كان قد بذل جهدًا كبيرًا لإقامة حلف الفضول[٢]. وذلك يدلّ على صلاحه ورحمته.

وكان شاعرا حرّا، فصيح اللسان ووصيّا لأبيه. ابنه عبد الله، وبنتاه ضباعة، وأم حكيم من الصحابة.[٣]

عبد الله بن الزبير: استشهد في أجنادين[٤] التي وقعت في خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكانت حول جثته جثث القتلى الكافرين وذلك يدلّ على إبلائه في الحرب بلاءً حسنًا. كان النبيّ ﷺ يناديه بابن عمّي وحبّي.

(١) إنسان العيون (١/ ١٣٥).

(٢) انظر «حلف الفضول» في الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٣) الاستيعاب (٤/ ١٨٧٤).

(٤) الاستيعاب (٣/ ٩٠٤).

عمّات النبيّ ﷺ

أم حكيم البيضاء:

هي شقيقة عبد الله، وأبي طالب، والزبير. تزوّجت بكريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف. كان اسم ولدها عامرًا، الذي أسلم يوم الفتح، وابنه عبد الله من الصحابة، استعمله عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على خراسان.

وبنت أم حكيم: أروى، وهي والدة عثمان ذي النورين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(١)

أميمة:

تزوّجت بجحش بن رباب، وولدت من البنات زينب، وأم حبيبة، التي هي زوج لعبد الرحمن بن عوف، وحمنة، ومن الأبناء: عبد الله بن جحش.

كانت حمنة تحت مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم تزوّجها طلحة بن عبيدالله، فولدت له ابنين: محمدا وعمران: اللذين يرويان عن أمهما.

استشهد عبد الله بن جحش يوم أحد، ودفن مع خاله: حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

عاتكة:

كانت قد رأت رؤيا قبل بدر بعدّة أيام. ولما سمع بها قريش استهزؤوا بأن بنات هاشم أيضًا بدأنا يتنبأن الآن، ولكن قد حدث ما كانت رأته في رؤياها. وهذه الرؤيا هي: أن راكبا قام على رأس أبي قبيس، ثم أخذ صخرة ورمى بها ركن الكعبة، فتفتتت فما بقي بيت من بيوت مكّة، ولا دار إلا دخلتها منها علقة، إلا دار بني زهرة فإنهم عصموا منها.(٢)

وعاتكة: معناها الطاهرة.

صفيّة:

هي شقيقة حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كانت صفيّة في الجاهلية تحت الحارث بن حرب بن أميّة، ثم هلك عنها، وتزوّجها العوام بن خويلد بن أسد، وهو شقيق خديجة الكبرى.

---

(١) الزرقاني، والاستيعاب (٤/ ١٧٧٨).

(٢) الاستيعاب (٢/ ٧٢٣). وبنو زهرة لم يشهدوا غزوة بدر.

فولدت له الزبير، وكان ابن أخي خديجة وابن عمّة النبيّ ﷺ وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وولدت له السائب، وكان السائب ممن شهدوا بدرا والخندق وأبلوا فيها بلاء حسنًا.

وكانت صفية، قد قتلت يهوديًا في الخندق، فأعطاها رسول الله ﷺ سهما من الغنيمة.

وقد أثبتت كمال قوة إيمانها بالله يوم أحد، حين رأت أخاها حمزة متلطخا بالدماء، وقد مثّل به، فلم تبك ولم تجزع عليه، بل دعت الله له، ثمّ انصرفت عنه.

برّة:

تزوّجت مع عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي، وولدت أبا سلمة عبد الله، الذي هو أوّل زوج لأم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقد أسلم بعد عشرة رجال. ذكرت أحواله ضمن أحوال أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

أروى:

هي شقيقة والد النبيّ ﷺ. أثبت ابن سعد وابن القيّم إسلامها، وروى الواقدي: أن طليبا ابنها، لما أخبرها بإسلامه، قالت له:

إن أحقّ من آزرت، وعضدت ابن خالك، لو كنّا نقدر على ما يقدر عليه الرجال، لمنعناه وذبينا عنه.

وأنشدت أروى الأبيات التالية في وفاة الرسول ﷺ:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا ... وكنت بنا برّا ولم تك جافيا

كأن على قلبي لذكر محمّدٍ ... وما جمعت من النبي المحاويا[1]

تزوّجت أروى من عمير بن وهيب بن عبد بن قصيّ، وكان طليب ابنها ممن أسلموا قديما. يعد من المهاجرين الأولين، وهاجر هجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة.

يرى بعض الناس أنه أوّل رجل أريق دمه في سبيل الله.

ويقول بعضهم: إنه سعد بن أبي وقاص.

وشهد طليب بدرا واستشهد يوم أجنادين، وليس له عقب من بعده.

---

(١) «السيرة الطيبة» للمولوي كرامت علي الدهلوي.

عبد الله والد النبيّ ﷺ

نذر عبد المطلب لنحر ابنه عبد الله:

كان أحبّ ولد عبد المطلب إليه. وكان عبد المطلب قد نذر لئن ولد له عشرة رهطٍ لينحرنّ أحدهم لله عند الكعبة، فلما توافى بنوه عشرة، أراد إيفاء نذره، فضرب بالقداح، فخرج القدح على عبد الله، فأخذه عبد المطلب بيده، وأخذ الشفرة ثم أقبل به إلى إساف ونائلة، ليذبحه فعارضه ابنه أبو طالب، وقال:

كلّا وربّ البيت ذي الأنصاب ... مــا ذبــح عبــد الله بالتلعــاب
يـا شـيب إن الـريح ذوعقـاب ... إن لنـــا جـــرة في الخطـــاب
أخوال صدق كليوث الغاب(١)

وعارضه أخوال عبد الله، فقال المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم:

يا عجبا من فعل عبد المطّلب ... وذبحــه ابنًــا كتمثــال الــذهب
كلا وبيت الله مستور الحجب ... ما ذبح عبد الله فينا باللعب(٢)

فانتهى الأمر إلى أن ينطلق به إلى عرّافة، فإن أمرته بذبحه، ذبحه، وإن أمرته بأمر فيه فرج، قبله.

فقالت العرافة: أن يقرّب عبد الله، ويقرب معه عشرا من الإبل، ثم يضرب عليها وعليه بالقداح. فقرّب فقربت عشر من الإبل، ثم عشرون، ثم ثلاثون، ثم أربعون، ثم خمسون، ثم ستّون، ثم سبعون، ثم ثمانون، حتى بلغت تسعين، وكل مرّة تخرج القداح على عبد الله إلى أن وصلوا إلى مائة، فخرجت القداح على الإبل، فنحر عبد المطّلب مائة من الإبل فدية لعبد الله، إيفاء بنذره.(٣)

---

(١) «السيرة الطيبة» للمولوي كرامت علي الدهلوي.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) قال الدكتور أكرم ضياء العمري في «السيرة النبوية الصحيحة» (١/ ٩٢-٩٣ مع التعليق):

«وقد صح النقل عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: ...كان عبد المطلب بن هاشم نذر إن =

لا شك أن التضحية بالأولاد من العادات الوحشيّة، ولكنّها كانت توجد في ذلك الزمن في بلاد كثيرة، مثل الهند واليونان ومصر وإيران والصين و بلاد أفريقيا.[(١)]

إن امتاز عمل عبد المطلب هذا بشيء، فإنما يمتاز بأنه نذر خالص لله تعالى، لا لإله غيره[(٢)] كما يفعل الذين يتّبعون هذه العادة، ويمكن أن يكون قد نشأ في نفس عبد المطّلب ميل إلى اتباع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم يدرك الفرق بين المأمور وغير المأمور، وظنّ أن الأب حقّ له أن يذبح ولده.

لقد منّ الله على عبد المطّلب، إذ وفّقه في الإيفاء بنذره، ونجّى عبد الله ابنه.[(٣)]

من بركات هذا النذر على البشرية:

كانت دية النفس في العرب عشرا من الإبل قبل هذه الواقعة، فصارت بعدها مائة إبل.

كأنّ إخلاص عبد المطّلب وطاعة عبد الله لأبيه، رفعت من شأن الإنسان وقيمته في البلاد كلّها.

والظاهر أن تكون نسبة أحداث القتل قد انخفضت بقدر الزيادة في الدية، وهكذا

=

تَوافى له عشرةُ رهطٍ أن ينحر أحدهم....» (الطبري: ٢/ ٢٣٩-٢٤٠ بإسناد صحيح رجاله ثقات، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٤/ ١/ ٥٥ بإسناد آخر صحيح عن ابن عباس)

وقال: «لم تحدّد رواية صحيحة تأريخ عزم عبد المطلب على الوفاء بنذره بنحر عبد الله ابنه، ولكن الرواية الضعيفة من طريق الواقدي تذكر أن ذلك قبل مولد النبي ﷺ بخمس سنين.» (المستدرك للحاكم: ٣/ ٤٨٢-٤٨٣، والضعيفة للألباني: ١/ ٣٣٧). (صلاح)

(١) هذه العادة لا تزال توجد حتى الآن في شعوب «نيبال» و«بورما» الوحشية ولعلّها توجد في بلاد أفريقيا أيضا. (المؤلف)

(٢) ياليت! ولكن ذهابه بعبد الله لإيفاء نذره إلى إساف ونائلة من الأصنام لاينسجم مع تعليق المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا على هذا الحادث. (صلاح)

(٣) حادث نجاة عبد الله يوحي بما قدره الله من ميلاد الرسول ﷺ من أبيه عبد الله بن عبد المطلب، فقد حفظ الله حياة عبد الله بما صرف عبد المطلب عن نحره. (السيرة النبوية الصحيحة: ١/ ٩٣). (صلاح)

سببت هذه الواقعة اليمن والبركة للبلاد والعباد جميعا.

ولا ريب أن الابن الذي سيكون رحمةً للعالمين، كان لا بدّ من أن يكون آباؤه أيضا المحسنين إلى البشرية.

عفّة عبد الله بن عبد المطلب:

روى أبو نعيم والخرائطي وابن عساكر عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قصة تدلّ على عفة عبد الله، وهي: أن فاطمة بنت مرّ الخثعمية أظهرت له حبّها، وعرضت عليه مائة من الإبل، ليلتفت إليها، فأبى عبد الله ذلك[1]، وقال:

أما الحرام فالممات دونه ... والحلّ لا حلّ فاستبينه
فكيف بالأمر الذي تبغينه ... يحمي الكريم عرضه ودينه[2]

زواج عبد الله من آمنة:

وكان عبد الله قد تزوّج من آمنة[3]، ثم توجّه إلى أرض الشام للتجارة. ولما عاد منها،

(١) «قد نسج بعض الكاذبين حكاية حول عبد الله، أرادوا بها المبالغة بإضفاء طابع أسطوري على المولد النبوي، فادعوا أن بغيًا -ومرةً امرأة مستبضِعة، وثالثة: كاهنة، ورابعة: زوجة ثانية لعبد الله- دعته إلى نفسها...
وهذه الرواية منكرة سندًا ومتنًا، ومن يقرأ الروايات المختلفة عنها يدرك مدى الاختلاف والاضطراب في سوقها سواء في تعيين المرأة، إذ مرة هي خثعمية وأخرى أسدية قرشية اسمها قتيلة، وثالثة عدوية اسمها ليلى، وكذلك في صفة عبد الله عندما التقته فمرة هو مطيّن الثياب وأخرى هو في زينته!! ومثل هذا الاختلاق ينبغي أن يطرح من دراسات السيرة الجادّة. (السيرة النبوية الصحيحة: ١/ ٩٤-٩٥). (صلاح)

(٢) الخصائص الكبرى (١/ ٤٠).

(٣) من الثابت تأريخيًا أن عبد الله بن عبد المطلب تزوج من آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وبنو زهرة عشيرة من قريش، وكان عبد المطلب قد تزوج هالة بنت وهيب، ووهيب عم آمنة وقد تربت في بيته، وتفاصيل الزواج لم ترد من طريق صحيحة إذ مدارها على هشام الكلبي وعبد العزيز بن عمران والواقدي، وكلهم متروك عند المحدثين. ولكن موضوع الزواج والعلاقات النسبية مستفيض لا يحتاج إلى سند موثق. (السيرة النبوية الصحيحة: ١/ ٩٤). (صلاح)

أقام بالمدينة ليمتار لأبيه عبد المطّلب تمرًا فمرض ومات بها.[(١)]

عبد الله وآمنة وابنهما محمد هذه الأسماء لها دلالتها:

على كل مؤرخ أن ينظر في أسماء أبوي النبي ﷺ، ويلقي نظرة على تأريخ ذلك العصر ليتعجّب، ويقول: كيف اختيرت لهما مثل هذه الأسماء الطاهرة في ذلك العصر. والحقيقة أن ذلك إرهاص من إرهاصات النبوّة. إن الطفل الذي اغتذى العبودية الإلهية بدم أبيه، وارتضع الأمن العام بلبان أمّه، لا يستغرب أن يكون هو حميد الأفعال، جميل الصفات، ويجري ذكره على لسان الخلق جميعا، بأنه محمّد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم.

توفّي عبد الله في الخامس والعشرين من عمره[(٢)]، والنبي ﷺ في بطن أمّه.[(٣)]

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٣١٧) بإسناد صحيح إلى الزهري ولكن الخبر مرسل. (المصدر المذكور: ١/ ٩٥ مع التعليق). (صلاح)

(٢) انفرد الواقدي بتحديد سنّ عبد الله حين وفاته هذا التحديد. (طبقات ابن سعد: ١/ ٩٩). (صلاح)

(٣) ذكر قيس بن مخرمة -وهو صحابي- ولادة الرسول ﷺ، فقال: توفي أبوه وأمه حبلى به. (مستدرك الحاكم: ٢/ ٦٠٥) وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، مع شيء من الكلام فيه.

هذا هو المعروف المشهور بأن النبي ﷺ ولد يتيم الأب. **قال ابن كثير**: وهذا أبلغ اليتم وأعلى مراتبه.

وقد صحت الرواية في ذلك، وإليه ذهب الواقدي وابن سعد ووافقهما ابن كثير وآخرون، لكن السهيلي، قال: وأكثر العلماء على أنه كان في المهد.

وما دامت الرواية الصحيحة قد أثبتت مولده ﷺ يتيمًا، فلا مندوحة عن الأخذ بها وإن خالفها الأكثرون.

وقد ذكر يتمه في القرآن: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦﴾ [الضحى: ٦]. (السيرة النبوية الصحيحة: ١/ ٩٦ مع التعليق). (صلاح)

آمنة أم النبي ﷺ

آمنة: هي أمّ رسول الله ﷺ، كان أبوها سيّد بني زهرة، وكان من أشراف قريش. وقد ترعرعت في حضانة عمّها وهيب، وكان وهيب، مثل أخيه، سيّد قومه، مطاعا كريمًا.

ونسب آمنة كما يلي:

آباؤها	أمهاتها		
وهب	برّة	بنت	أب: عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي.[1] أم: أم حبيب[2] بنت أسد بن عبد العزى بن قصي.[3]
عبد مناف	قيلة	بنت	أب: وخير[4] بن غالب بن الحارث (من خزاعة). أم: سلمى[5] بنت لؤي بن غالب.[6]
زهرة	جمل	بنت	أب: مالك بن قصية بن سعد بن مليح (من خزاعة). أم: ....
كلاب	فاطمة	بنت	أب: سعد بن سيل (من الأزد). أم: ظريفة بنت قيس.

يتضح من هذه الشجرة أن زهرة وقصيّ ابني كلاب كانا من الإخوة.

---

(١) انظر الرقم (٥) من نسب آباء النبي ﷺ.

(٢) والدة أم حبيب: برّة بنت عوف، وجدّتها قلابة بنت الحارث، وجدّة أمّها: أميمة بنت مالك، وأم جدّة أمها: دبّ بنت ثعلبة، وجدّة جدّة أمها: عاتكة بنت غاضرة، وجدة أم جدة أمها: ليلى بنت عوف بن قصي. (الطبقات الكبرى لابن سعد).

(٣) انظر الرقم (٥) من نسب آباء النبي ﷺ.

(٤) والدة وخير: سلامة بنت واهب، وجدّته أمينة بنت قيس بن ربيعة، وجدّة أمّه: تجعة بنت عبيد.

(٥) والدة سلمى: ماوية بنت الكعب بن القين.

(٦) انظر الرقم (١٠) من نسب آباء النبي ﷺ.

صفة حمل آمنة به ﷺ:

حملت آمنة بمحمد ﷺ في أوّل أسبوع من النكاح. يُروى عنها أنها قالت: قلن (أي العجائز) تعلّقي حديدًا في عضديك وعنقك، قالت، ففعلت. قالت: فلم يكن ترك عليّ إلا أياما، فأجده قد قطع، فكنت لا أتعلّقه.

أمرت آمنة وهي حامل برسول الله ﷺ، أن تسميه أحمد، فسمّته بأحمد، وسمّاه جدّه محمّدا[١]، فمحمد وأحمد كلاهما اسم ذاتي للنبي ﷺ.[٢]

مرضعته حليمة السعدية:

واستيقنت آمنة بعد هذه الرؤيا، أن ابنها سيكون ذا بركة وسعادة. فإن حليمة لما سمعت أنه يتيم، أبت أن ترضعه، فقالت لها آمنة: يا ظئر! سلي عن ابنك، فإنه سيكون له شأن. فلما أخذت حليمة الطفل أنشدت آمنة:

أُعـيذ بـالله ذي الجـلال مـن شرّ مـا مـرّ عـلى الجبـال

حتـى أراه حامـل الحـلال ويفعـل العـرف إلى المـوالي

وغـيره مـن حشـوة الرجـال

(١) لقد رويت قصص وأخبار حول صفة حمل آمنة به، وأنها لم تر أخفَّ ولا أيسر منه، وأنها كانت تلبس التعاويذ من حديد فيتقطع، وأنها رأت في منامها بشارة بجليل مقامه، وأمرت بتسميته بمحمد، ورأت عند استيقاظها صحيفة من ذهب فيها أشعار لتدعو له بها، ولم يثبت شيء من هذه الحكايات. (الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٩٨-٩٩) من طريق الواقدي والسيرة النبوية للذهبي (٢١) رغم حكمه على السند بأنه جيد، لكنه فيه جهم بن أبي جهم، جهله الذهبي نفسه في «ميزان الاعتدال»: ١/ ٤٢٦)

ولكن ثمة أخبارًا تَقوى بعضها إلى الحسن احتفَّت بمولده منها ما يفيد أن آمنة رأت حين وضعته نورًا خرج منها أضاءت منه قصور بصرى من أرض الشام. (السيرة النبوية الصحيحة: ١/ ٩٨-٩٩، ١٠١ مع التعليق). (صلاح)

(٢) روى ابن سعد عن محمد بن علي ابن الحنفية، أنه سمع أباه عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يقول: قال رسول الله ﷺ: «سمّيت أحمد». وهذا الحديث مرفوع [مسند أحمد (رقم ١٣٦١) وقال شعيب الأرنؤوط: حسن، وذكره الألباني في «الصحيحة» (رقم ٣٩٣٩)].

ثم قدمت به حليمة على أمه بعد سنتين، وقالت لها: لو تركت بنيّ عندي حتى يغلظ، فإني أخشى عليه وباء مكّة فردّته معها.

ذهاب أمّه به إلى أخواله في يثرب:

وبعد ما بلغ خمس سنوات من عمره قدمت به حليمة على أمّه، فأخذته أمّه، وسارت به إلى يثرب في أخواله، ولعلّها شاءت أن تزور قبر زوجها الغريب.[١] وكانت معها في هذا السفر أمّ أيمن[٢] أمتها وإبلان للركوب. ثم أقامت بدار النابغة بالمدينة شهرا.

---

(١) استنتج المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذهاب آمنة إلى يثرب لزيارة أهلها، أنها لعلها تزور قبر زوجها أيضًا، وكذلك ذكر النبي ﷺ من ذكريات صباه في المدينة موضع قبر أبيه أيضًا، فإن صحت هذه الروايات فلا ضير أن تزور آمنة (الزوجة الوفيّة الكريمة) قبر زوجها العفيف الكريم عبدالله بن عبد المطلب الهاشمي والد النبي ﷺ. وجدير بالذكر في هذا المقام أن شيخنا صفي الرحمن المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ لعله أخذ هذه المعلومة كالمعهود من كتابنا هذا، في كتابه «الرحيق المختوم»، فعبّر عنها بقوله الآتي: «ورأت آمنة -وفاء لذكرى زوجها الراحل- أن تزور قبره بيثرب، فخرجت من مكة قاطعة رحلة تبلغ نحو خمس مائة كيلو متر....»

فكلام المباركفوري فيه صراحة بأنها خرجت إلى يثرب لزيارة قبر زوجها الراحل وفاء له.

وعلى هذا، قال الشيخ الملّاح:

قوله: «وفاء لذكرى زوجها الراحل؟». أين الدليل على تاريخ ذهابها لزيارة قبر زوجها؟

وأنه كان في نفس اليوم الذي توفي فيه؟

فضلا هل هذه التقاليد من إحياء ذكرى زوجها الراحل كانت معروفة لديهم؟! («التعليق على الرحيق المختوم»: ٤٨). (صلاح)

(٢) أم أيمن بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصين بن مالك بن سلمة بن عمر بن النعمان. كانت خادمة عبد الله بن عبد المطلب، وصارت للنبي ﷺ ميراثا. كان النبي ﷺ يكرمها، ويقول: أم أيمن أمّي بعد أمّي وكان يزورها.

تزوّجها عبيد الحبشي فولدت له أيمن، ثم تزوّجها زيد بن حارثة، فولدت له أسامة. وكان أبو بكر وعمر يزورانها في منزلها. استشهد أيمن في غزوة حنين. مدح العباس بن عبد المطلب ثباته وشجاعته يوم حنين في قصيدته. كان النبي ﷺ يحبّ أسامة بن زيد حبّا جما، توفّي أسامة سنة ٥٤هـ.

من ذكريات صباه في المدينة:

ولما هاجر النبي ﷺ بعد سبع وأربعين سنة إلى المدينة، كان يتذكر صباه ويقول: كانت بها بنت تسمّى أنيسة، وكانت تلعب معي، وجُعل قبر أبي في هذا الموضع، وكنت تعلمت السباحة في بركة عدي بن النجّار، وفوق هذا الحصين يأتي طائر يجلس فيهشه الأطفال، وفي هذا البيت كانت أمّي تجلس ههنا.

وفاة أمه ﷺ:

ولما رجعت آمنة بعد شهر من المدينة ماتت، وهي بالأبواء في طريقها إلى مكة.(١) ولعلّ الحزن الذي ساورها لرؤيتها قبر زوجها، قد أثّر فيها تأثيره، ولم يبقها كثيرا، وتحقّقت حكمة الله أن النبي ﷺ لم يحتج إلى منّة أبويه في تربيته.

قالت آمنة هذه الأشعار على وفاة زوجها:

عفا جانب البطحاء من ابن هاشم ... وجاور لحدا خارجًا في الغماغم
دعته المنايا دعوة فأجابها ... وما تركت في الناس مثل بن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره ... تعاوره أصحابه في التزاحم
فإن يك غالته المنايا وريبها ... فقد كان معطاء كثير التراحم(٢)

---

(١) لم تثبت هذه الأخبار برواية صحيحة، ولكنها مما يتساهل فيه عادة. (السيرة الصحيحة: ١/ ١٠٥). (صلاح)

(٢) الطبقات الكبرى (١/ ١٠٠).

الفصل الثالث

آل النبي ﷺ

ولد للنبي ﷺ ثلاثة أبناء، وأربع بنات نذكر أحوال كل منهم بإيجاز.[(١)]

(أ) أبناء النبي ﷺ

١- القاسم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

هو أول مولود في بيت الرسول ﷺ من بطن خديجة، وقد مات وهو يمشي على قدميه.[(٢)] باسمه يكنى النبي ﷺ أبا القاسم. وفي الحديث أن النبي ﷺ نهى عن الجمع بين اسمه وكنيته وأن يسمّي أحد نفسه أبا القاسم محمدًا[(٣)]، وقد خصّ البعض هذا النهي بعصر النبوّة.

٢- عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ:

هو الذي يلقّب بالطيّب والطاهر[(٤)] ولد بمكة بعد المبعث، وبها مات، وهو الذي

---

(١) لاخلاف أن جميع أولاده من خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، سوى إبراهيم، فإنه من مارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وكذلك كل أولاده توفي قبله إلا فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فإنها تأخرت بعده بستة أشهر، ومنها استمرّ نسله ﷺ. (سيرة المصطفى الصحيحة: ١/ ٩٥٥) (صلاح)

(٢) وعن الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت عند وفاته يا رسول الله! درّت لبينة القاسم، فلو كان الله أبقاه حتى يستكمل رضاعه، فقال رسول الله ﷺ: «إن تمام رضاعه في الجنة...» فهو ضعيف جدًا. (ضعيف ابن ماجة للألباني: ٢٩٧) (صلاح)

(٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: سمّوا باسمي، ولاتكتنوا بكنيتي. (البخاري ٣٥٣٩، ٦١٨٨، ومسلم ٢١٣٤). (صلاح)

(٤) في رأيي سمّاه النبي ﷺ بالطيّب، وسمّته خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بالطاهر.(المؤلف) [الطيب والطاهر لقبان له على الصحيح، والله أعلم كما قال ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ في «زاد المعاد» (١/ ١٠٣)]

نزلت فيه سورة الكوثر بعد وفاته. كان الكفّار يزعمون أن النبي ﷺ لم يبق له أحد بعد وفاة ابنه وما كان يعلمون أنه هو الذي ورد في شأنه في الزبور:

«إني أذكر الأجيال كلّها باسمك، فيثنون عليك أبد الآبدين»(٧٢/ ١٧).

وأنه هو الذي ورد في شأنه:

«يبقى ذكره للأبد، ويشيع اسمه ما دامت الشمس مشرقة، والنّاس يهنئون به، ويدعى له دائمًا، ويهنأ كلّ يوم» (٧٣/ ١٥).

ومن تأثير بشارة هذه الصحف، وإعلان القرآن أن أحدا لا يذكر أولئك الكافرين، الذين كانوا يتبجحون بأولادهم، بل ولا ينسب طفل من الأطفال نفسه إليهم. أما اسم النبي ﷺ فهو يجري على الألسنة في الأذان، والتكبير، والصلاة، والكلمة الطيبة، ويمتلك القلوب جميعا.

٣- إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

ولد بالمدينة المنوّرة.[١] وكان أبو رافع[٢] (زوج سلمى[٣] المرضعة، مولاة النبيﷺ) قد بشّر النبي بولادته، فوهب له عبدًا. وسمّاه باسم أبيه: إبراهيم. وأرضعته أم بردة بنت المنذر بن زيد الأنصاري زوجة براء بن الأوس الأنصاري، فأعطاها رسول الله ﷺ قطعة من نخل. وتوفّي إبراهيم وهو ابن ثمانية عشر شهرًا لتتم رضاعه مراضعُ في الجنة.[٤]

---

(١) سنة ثمان من الهجرة.

(٢) أبو رافع: هو القبطي مولى رسول الله ﷺ، راجع ترجمته في الإصابة (٤/ ٦٧ رقم ٣٩١ الكنى)

(٣) هي مولاة لأم الزبير [صفية بنت عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ويقال لها أيضًا مولاة النبي ﷺ، وخادم النبي ﷺ. قال الحافظ: قرأت بخط أبي يعقوب البختري في «المجموعة الأدبية» له: إن المرأة التي قالت لحمزة لما رجع من الصيد: لو رأيت ما فعل أبو جهل بابن أخيك! حتى غضب حمزة، ومضى إلى أبي جهل فضرب رأسه بالقوس، وانجر ذلك إلى إسلام حمزة. (الإصابة: ٤/ ٣٣٣ رقم ٥٧٤-النساء)]، وهي قابلة أولاد فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كلّهم، غسلت هي وأسماء بنت عميس فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وشهدت غزوة خيبر أيضا.

(٤) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «...إن إبراهيم ابني وإنه مات في الثدي وإن له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة.» (مسلم ٢٣١٦) (صلاح)

أخذ النبي ﷺ بيد عبد الرحمن بن عوف، فأتى به النخل، فإذا ابنه إبراهيم في حجر أمّه، وهو يكيد بنفسه فأخذه رسول الله ﷺ في حجره، وقال:

«يا إبراهيم لا نغني عنك من الله شيئا»

ثم ذرفت عيناه، ثم قال:

«يا إبراهيم لولا أنه أمر حقّ ووعد صدق، وأن آخرنا سيلحق أوّلنا لحزنّا عليك حزنا هو أشدّ من هذا، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون، تبكي العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الربّ»(١).

ووافق موته كسوف الشمس فقال قوم: إن الشمس انكسفت لموته، فخطبهم رسول الله ﷺ، قال:

«إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد من النّاس، ولكنهما آيتان من آيات الله فإذا رأيتموها فصلّوا».(٢)

قال أنس بن مالك: قد كان ملأ مهده ولو بقي لكان نبيًّا، ولكن لم يكن ليبقى لأن نبيّكم آخر الأنبياء ﷺ.(٣)

وقال ابن أبي أوفى: مات وهو صغير ولو قدّر أن يكون بعد محمد ﷺ نبيّ لعاش، ولكنّه لا نبي بعد محمد ﷺ.(٤)

والدة إبراهيم مارية القبطية، وهبها ملك مصر لخدمة النبي ﷺ، كما وهب هاجر ملك مصر المعاصر لإبراهيم وكان وثنيًا جبّارًا، والملك المعاصر للنبي ﷺ كان نصرانياً. وكان النصارى بمصر مشغولين بدراسة النصرانية يومئذ. وقد صدّقت هذه الواقعة ما كان تنبأ به داود عَلَيْهِ السَّلَامُ:

---

(١) ذكره العيني في «الأفكار» (١٣/ ٥١١)، عن عبد الرحمن بن عوف وإسناده حسن. وذكره البخاري (١٣٠٣) ومسلم (٢٣١٥) بنحوه عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (صلاح)

(٢) البخاري (١٠٤٦) ومسلم (٩٠١) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وغيرها بألفاظ مختلفة. (صلاح)

(٣) تأريخ دمشق (٣/ ١٣٤) لم يحدث به، الا السدّي إسماعيل بن عبد الرحمن. (صلاح)

(٤) البخاري (٦١٩٤)، وصحيح ابن ماجه للألباني (١٢٣٥) قال: صحيح. (صلاح)

«بنات الملوك من مكر ماتك، بل هنّ قائمات بيمينك[1] متزيّنات بذهب أوفير.» (الزبور: ٤٥/ ٩)

وأيضا تمّت هذه البشرى:

«ملوك ترشيش[2] والجزر يأتونك بالنذور، وسلاطين سبا وسيبا يهدون إليك الهدايا.» (الزبور: ٧٢/ ١٠)

تحقيق تأريخ ولادته ووفاته:

ذكر الواقدي وابن سعد أن ولادة إبراهيم، كانت سنة ثمان من الهجرة، ووفاته سنة عشر من الهجرة، لعشر خلت من ربيع الأوّل. وكذلك اتفق كلاهما على أن الشمس انكسفت يوم مات إبراهيم.

فتأريخ الولادة وشهرها وسنتها، وكذلك تأريخ الوفاة وشهرها كلّها غير صحيحة في هذه الروايات إلا ما رُوي أن وفاته كانت سنة عشر من الهجرة، وانكسفت يومئذ الشمس فهذا هو الصحيح.

وذكر في كتاب «المواهب اللدنّية» أن وفاته كانت سنة عشر من الهجرة، في الثامن والعشرين، أو التاسع والعشرين، ولكنه أخطأ في تحديد الشهر.

وبما أن النبي ﷺ جعل الكسوف آية من الآيات، فإن المؤرّخ يستطيع أن يصحّح به التأريخ، وقد حسبنا فثبت لنا أن الكسوف في سنة عشر من الهجرة كان يوم الاثنين، تسع وعشرين ليلة خلت من شوال الموافق ٢٧-٣٠ من شهر يناير سنة ٦٣٢م.

وقد اعترف (إندين كرونا لوجي وإندين أئ رار كننكهم وإندين كليندر رابر سيول) أيضًا بأن التأريخ نفسه كان منه كسوف الشمس، وكان التأريخ في الهند يومئذ ٢٨/ من

---

(١) ينبغي أن نتدبر في كلمة «بيمينك»: إنها ترجمة لكلمة «ملك اليمين»، وقد ذكر المؤرّخون كلّهم أن مارية القبطية كانت ملك يمين. إن التنبؤ المذكور قد أخبر فيه بأنها تكون ملكة، وتأتي إلى رسول الله ﷺ بوصفها ملك يمين.

(٢) «ترشيش»: مدينة قديمة من مدن حلب. والمراد بسبا: الشعوب القاطنة ببلاد اليمن، والمراد بسيبا: الشعوب القاطنة بمصر، فتدبّروا كيف أنهم اجتمعوا برسول الله ﷺ.

شوال. ويمكن أن يكون من حساب العرب ٢٩/ من شوّال.

وهذا الذي اختاره محمود باشا الفلكي في كتابه «نتائج الأفهام» (ص ١٠طبع في مصر سنة ١٣٠٥ هـ)

ولما تحقّق أن الوفاة كانت في تسع وعشرين من شوال سنة عشر من الهجرة، ينبغي لنا أن نتأمل أيضًا في رواية عائشة عند البخاريّ في صحيحه، وفي رواية جابر، عند الإمام أحمد في مسنده. ففي صحيح البخارى: كان عمر إبراهيم وقت وفاته سبعة عشر أو ثمانية عشر شهرًا.[1]

وفي المسند: ثمانية عشر كاملا.[2]

ونستطيع أن نحدّد زمن الولادة بهذه الروايات الصحيحة، فحين عددنا الأشهر الثمانية عشر السابقة من شوّال، وجدنا الشهر جمادى الأولى سنة تسع من الهجرة، وهذا هو الشهر الذي ولد فيه إبراهيم.

وقد تبيّن بهذا التحقيق ضعف جميع الروايات التي وردت في عمر إبراهيم وتاريخ ولادته ووفاته.

وروى مسلم عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن سورة الكوثر نزلت في حياة إبراهيم. ونظرًا إلى هذه الرواية نستطيع القول بأنّ سورة الكوثر[3] تكرّر نزولها في المدينة، ولعلّ ذلك وقت وفاة إبراهيم.

دروس وعبر في حديث وفاة إبراهيم:

- وانظروا إلى شأن النبوّة وقت وفاة إبراهيم حيث أخذه الرسول ﷺ في حجره، ولقّنه درس التوحيد بقوله: لا نغني عنك شيئا.

---

(١) أحمد (٢٦٣٠٥) عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) مسند أحمد (٢٦٣٠٥) عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وإسناده حسن. (صلاح).

(٣) فكّروا في كلمة «الكوثر» ثم انظروا إلى فترة ما بين وفاة عبد الله ووفاة إبراهيم، فإنه يدلّ على أن الإسلام في هذا الزمن نال كثيرا من الانتشار والرقي والازدهار، كما أنه ظهر بعد هذه الفترة في صورة أتمّ وأكمل. وسيحصل له الكمال إن شاء الله في عالم الآخرة أيضًا.

- وما أعجب ما بيّنه الرسول ﷺ من الأدلّة في الصبر على الموت، من أنه أمر صدق ووعد حقّ، وأن الآخر سيلحق بأوّله ثم بين ضعف الإنسان، وقوّة الإيمان بالله بإظهار حزنه ورضائه بربه.
- وتدبّروا! كيف تغلّب واجبه نحو إصلاح العقيدة في حزنه على الابن الفقيد، فأسرع إلى الخطبة، بينما الآخرون يحسبون أنفسهم في مثل هذه المصيبة مفجوعين وينوحون ويبكون.

جدول كسوف الشمس في عهد النبوّة:

وهنا نثبت جدولا يعلم به تأريخ كسوف الشمس لثلاث وعشرين سنة في زمن النبيﷺ، ويظهر للقراء تأريخ كسوف الشمس في عصر النبوّة، كما يعين هذا الجدولُ العلماء في فهم الأحاديث، التي وردت فيها هيئات مختلفة لصلاة الكسوف.

جدول(١) كسوف الشمس

لثلاث وعشرين سنة من العصر النبويّ

الرقم المسلسل	التأريخ	الشهر	السنة الميلادية	التأريخ	الشهر	السنة الإسلامية
١	٩	٤	٦٠٩	٢٨	٤	٤٠ من المولد النبوي
٢	٢٣	٧	٦١٣	٢٩	٩	٤٤
٣	٢١	٥	٦١٦	٢٨	٨	٤٧
٤	١٤	١١	٦١٦	٢٨	٢	٤٨
٥	٤	١١	٦١٧	٢٨	٢	٤٩
٦	٣١	٣	٦١٨	٢٨	٧	٤٩
٧	٢٤	١٠	٦١٨	٢٨	٢	٥٠
٨	٩	٣	٦٢٠	٢٨	٧	٥١
٩	٢	٩	٦٢٠	٢٨	١	٥٢
١٠	٢٧	١٢	٦٢٣	٢٨	٦	٢ من الهجرة
١١	١٥	١٢	٦٢٤	٢٨	٦	٣
١٢	٢٦	١٠	٦٢٦	٢٩	٥	٥
١٣	٢١	٤	٦٢٧	٢٨	١١	٥
١٤	١٥	١٠	٦٢٧	٢٨	٥	٦
١٥	٩	٤	٢٢٨	٢٨	١١	٦
١٦	٣	١٠	٦٢٨	٢٨	٥	٧
١٧	١٣	٨	٦٣٠	٢٨	٤	٩
١٨	٧	٢	٦٣١	٢٩	١٠	٩
١٩	٢٧	١	٦٣٢	٢٨(٢)	١٠	١٠ يوم وفاة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) أعدّ هذا الجدول أخي الكريم القاضي عبد الرحمن سلّمه الله تعالى، وهو الذي صحّح جداول السنين والشهور والأحداث العظيمة، التي توجد في آخر الكتاب، فجزاه الله في الدارين خيرًا. إن الأخ المذكور يرتّب في كل عام جدول أوقات الإفطار والسحور، ويوزّعه مجانا. وهذا الجدول الذي تذكر فيه أوقات بلاد الهند الشهيرة، يعدّ من أصحّ الجداول.

(٢) بعد ٢٨/ من شوال سنة عشر من الهجرة، لم يقع كسوف في حياة النبي ﷺ.

(ب) بنات النبي ﷺ

بنات النبي ﷺ أربع، كلّهن من بطن خديجة رضي الله عنها[(١)] وكلّهن ولدن بمكّة.

١- **زينب**: وهي أكبر أولاد النبي ﷺ إلا القاسم، فهو أكبر منها.

٢- **رقية**: وهي أصغر من زينب.

٣- **أم كلثوم**: وهي أصغر من رقيّة.

٤- **فاطمة**: وهي أصغر من أم كلثوم.[(٢)]

الأدلة على أنهن من صلب النبي ﷺ:

- والقرآن الكريم هو الذي ثبت منه أن للنبي ﷺ ثلاث بناتٍ أو أكثر. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

فقد قسمت هذه الآية الكريمة المؤمنات اللاتي عرفن في عصر النبيّ ﷺ إلى ثلاثة أقسام:

١- أزواج النبي ﷺ.

٢- بنات النبي ﷺ.

٣- نساء المؤمنين.

- ومن المسلّم به أن البنات جمع بنت، وصيغة الجمع في اللغة العربية تدلّ على

---

(١) الكافي (ص ٢٧٨) لأبي جعفر بن يعقوب الكليني الرازي، المتوفى في شعبان سنة ٣٢٢هـ. طبع نول كشور. [يريد المؤلف رحمه الله بهذا البيان الردّ على الفرقة التي تدعي أن فاطمة فقط من صلب النبي ﷺ، وأما غيرها من البنات فهن بنات خديجة رضي الله عنها من زوج آخر وذلك ليبقى الفضل كل الفضل لفاطمة رضي الله عنها. ولا يدركون أن مالفاطمة من الفضل يكفي لها من غير هذا الهراء. وكذلك تأريخ مواليد هؤلاء الكريمات التي تؤكد أنهن ولدن بعد زواج من خديجة رضي الله عنها صفعة مدوّية على وجوه هؤلاء المشبوهين ودليل صارخ على جهلهم وغبائهم كما سيأتي. (صلاح)]

(٢) وقد قيل في كل واحدة منهن: إنها أسنّ من أختها.... (زاد المعاد: ١/ ١٠٣) (صلاح)

اثنين أو أكثر.

- ثم لنعلم أن الله عز وجل قال:

﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥].

وردت هذه الآية فيمن كانوا يُدعون لغير آبائهم ممن كان يتبنّاهم ويربّيهم. ولكان بعيدًا عن الصدق والعدل أن يأمر الله عز وجل في سورة الأحزاب (ادعوهم لآبائهم) ثم يقول في الآية من نفس السورة للبنات اللاتي لسن في الحقيقة من صلب النبي ﷺ أنهن بناته، وقد استُدلّ على كون القرآن الكريم كلامًا إلهيًا لا يوجد فيه اختلاف.(١)

هذا ونطاق اللغة العربية متسع جدا. فلبنات الأزواج فيها لفظ مستقلّ، وقد استعمل القرآن نفسه لمثل هؤلاء البنات كلمة الربائب(٢). ولم يستعمل لهن كلمة البنات وبالجملة فإن قول الله عز وجل «بناتك» قد أكد وأيد تحقيق علماء النسب.

والآن نذكر أحوال بنات النبي ﷺ واحدة واحدة.

---

(١) كما قال سبحانه وتعالى: ﴿...وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]. (صلاح)

(٢) إن ربائب النبي ﷺ هنّ: درّة، وزينب، وأم كلثوم بنات أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وحبيبة بنت أم المؤمنين أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. ولم تكن لأي من أزواج النبي ﷺ بنت من زوجها الأول غير هاتين الزوجتين. واذكروا الآن أن النبي ﷺ تزوّج أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سنة أربع من الهجرة وتزوج أم حبيبة سنة ست من الهجرة.

وعلى هذا، فالبنات المذكورات لم تحصل لهن درجة الربيبة قبل سنة أربع من الهجرة.

أما السيدة زينب بنت النبي ﷺ، فإن ذكرها ورد في فداء أسرى بدر، التي وقعت سنة اثنتين من الهجرة بحيث إن زينب كانت أرسلت العقد (الذي أعطتها إياه أمها خديجة) في فداء زوجها، وكذلك ورد ذكر أم كلثوم ورقية من بنات النبي ﷺ في الأحداث التي وقعت قبل الهجرة. وتوفيت هؤلاء البنات الثلاث في حياة النبي ﷺ.

أما الربائب المذكورات فإنهن عشن بعد وفاة النبي ﷺ إلى مدّة، وأقمن ببيوتهن. وتفصيل ذلك مذكور في أحوالهن.

١ - زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

ولدت زينب بنت رسول الله ﷺ في سنة ثلاثين من مولد النبي ﷺ[(١)]، وكان نكاحها مع ابن خالتها: أبي العاص بن الربيع بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ بمكّة. وأمّه هالة بنت خويلد شقيقة لخديجة الكبرى، وكان هذا النكاح في حياة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

أسلمت زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع أمّها.

أما زوجُها أبو العاص فقد تأخّر عنها إسلامه، وكان ممن شهد بدرًا مع كفار قريش، وأسره عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري، فقدم في فدائه أخوه عمرو بن الربيع بمال، دفعته إليه زينب بنت رسول الله ﷺ من ذلك قلادة لها، كانت خديجة قد أدخلت بها على أبي العاص حين بنى عليها. وكان قد أبى أن يطلّق زينب إذ مشى إليه مشركو قريش في ذلك. فشكر له رسول الله ﷺ مصاهرته، وأثنى عليه بذلك خيرا.

وكان أبو العاص قد وعد رسول الله ﷺ حين أفرج عنه في بدر، بأنه سيخلي لزوجته زينب سبيلها إلى الهجرة، فهاجرت زينب إلى والدها الكريم ﷺ.

ولما خرجت من مكة إلى رسول الله ﷺ عمد لها هبار بن الأسود[(٢)] ورجل آخر، فدفعها أحدهما فيما ذكروا، فسقطت على صخرة، فأسقطت جنينها. قال النبي ﷺ في مدحها:

«هي أفضل بناتي أصيبت فيّ».[(٣)]

---

(١) زينب بنت سيد ولد آدم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القرشية الهاشمية. هي أكبر بناته، وأوّل من تزوّج منهنّ، ولدت قبل البعثة بمدة. قيل: إنها عشر سنين. (الإصابة: ٨/ ١٥١ رقم ١١٢٢٣)، فيه دليل على أنها ولدت بعد زواج النبي ﷺ من خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بنحو خمس سنين. (صلاح)

(٢) كان هبار بن الأسود قد أسلم بعد الفتح، وغفر له رسول الله ﷺ خطأه هذا.

(٣) الزرقاني (٣/ ١٩٥) رواية عن الطحاوي والحاكم. [عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قال النبي ﷺ في حق زينب ابنته لما أوذيت عند خروجها من مكة. جوّد إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧/ ١٣٦)، وذكره الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٠٧١) وصحح إسناده. (صلاح)]

كان زوجها أبو العاص محبًا لها، فقد قال في مدحها:

ذكـرت زينـب لمـا ورّكـت إرمـا فقلت سقيا لشخص يسكن الحرما
بنـت الأمـين جزاهـا الله صـالحة وكـل بعـل سـيثني بالـذي علـما

خرج أبو العاص سنة ست من الهجرة بتجارة إلى الشام، ومعه أموال من أموال قريش، وكانت قريش يومئذ الفريق المحارب للمسلمين، فلما انصرف قافلا لقيته[1] جماعة فيهم أبو بصير[2] وأبو جندل وغيرهما من المسلمين، الذين كانت أسرتهم قريش لإسلامهم، فانفلتوا منها، ولجأوا إلى جبل على حدود الشام، فأخذوا ما في تلك العير من الأموال، وأسروا ناسًا منهم وأفلتهم أبو العاص هربا.

ثم دخل على زينب في المدينة، فاستجار بها فأجارته، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الصبح صرخت زينب: أيّها الناس! إني قد أجرت أبا العاص.

سلّم رسول الله ﷺ من الصلاة، أقبل على الناس، فقال:

«هل سمعتم ما سمعت»؟ فقالوا: نعم، قال: **«أما والذي نفسي بيده ما علمت بشيء كان، حتى سمعت منه ما سمعتم، إنه يجير على المسلمين أدناهم».**

ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته فقال: **«أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلصن إليك، فإنك لا تحلّين له».**

فقالت: إنه جاء في طلب ماله، فخرج رسول الله ﷺ، وبعث في تلك السريّة فاجتمعوا إليه فقال لهم: **«إن هذا الرجل منا بحيث علمتم، وقد أصبتم له مالا وهو مما أفاءه الله عز وجل عليكم، وأنا أحبّ أن تحسنوا وتردّوا إليه ماله الذي له، وإن**

---

(١) في الاستيعاب (٤/ ٢٦٥ رقم ٣٠٩١): «لقيته سريّة لرسول الله ﷺ، أميرهم زيد بن حارثة.» (صلاح)

(٢) كان أبو بصير قرشيا أسلم. وكانت قريش قد طالبوا النبي ﷺ بأن يردّ أبا بصير إليهم فردّه إليهم. فانفلت منهم في بعض الطريق، ونزل عند أبي جندل. وحين أرسل النبي ﷺ إلى أبي جندل أن يردّ أموال أبي العاص، كان أبو بصير في مرض الموت، فأخذ رسالة النبي ﷺ وأطبق عينيه، وهو يقرأها ثم دفن بذلك الجبل. وكان أبو جندل من غزاة الشام في خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظروا أحواله في الجزء الأول من هذا الكتاب.

أبيتم فأنتم أحقّ به».

قالوا: يا رسول الله ﷺ! بل نردّه عليه. فردّوا عليه ماله، ما فقد منه شيئًا، فاحتمل إلى مكّة فأدّى إلى كل ذي مال من قريش ماله الذي كان أبضع معه.

ثم قال: يا معشر قريش! هل لأحد منكم مال لم يأخذه؟

قالوا: جزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيّا كريما.

قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمّدا عبده ورسوله، والله ما منعني من الإسلام إلا تخوف أن تظنّوا أني آكل أموالكم، فلما أدّاها الله عز وجل إليكم أسلمت.

ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ مسلمًا(١) وحسن إسلامه، وردّ رسول الله ﷺ ابنته عليه بالنكاح الأول(٢) بعد فراق دام ست سنوات.

توفّيت زينب في حياة رسول الله ﷺ سنة ثمان من الهجرة. وقد وردت عن أم سليط رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا(٣) كيفية غسلها في الصحيحين.(٤)

وتوفي أبو العاص في ذي الحجة سنة اثنتى عشرة وكان يعرف بجرو البطحاء.(٥)

وولدت زينب لأبي العاص عليًّا وأمامة.

- **وكان أبوالعاص قد جعل عليًّا** في قبيلة للرضاعة ثم استرجعه النبي ﷺ بعد رضاعته وربّاه في كنفه. وكان علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سبط الرسول ﷺ، هو الذي ردف النبي ﷺ يوم الفتح. وتوفّي وهو يقارب الاحتلام.

وفي صحيح البخاري عن أسامة بن زيد، قال: أرسلت ابنة النبي ﷺ، أن ابنًا لي قبض، فأتنا، فأرسل يقرئ السلام ويقول:

---

(١) أسلم أبوالعاص سنة ٦هـ.

(٢) الاستيعاب (٤/ ١٧٠٢-١٧٠٣). [٤/ ٢٦٤-٢٦٦ رقم ٣٠٩١ طبعة دار الكتب العلمية بيروت]

(٣) (أم سليط): رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، كانت من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله ﷺ (البخاري (٤٠٧١). (صلاح)

(٤) البخاري (١٢٥٤) ومسلم (٩٣٩) كلاهما عن أم عطية نسيبة بنت كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا. (صلاح)

(٥) راجع «الإصابة» (٧/ ١١٨-١٢٠ رقم ٦٨٤).

«**إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمّى، فلتصبر ولتحتسب**».

فأرسلت إليه تقسم عليه، ليأتينّها، فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال فرفع إلى رسول الله ﷺ الصبيّ ونفسه تتقعقع[١].

وأغلب الظن أن هذا الحديث، إنما هو في وفاة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سبط الرسول ﷺ.

- **أما أمامة**، فهي التي كان رسول الله ﷺ يحبّها، وكان ربما حملها على عنقه في الصلاة كما جاء في صحيح مسلم وسنن النسائي وأبي داود.

وأهديت لرسول الله ﷺ هدية، فيها قلادة من جزع، فقال:

«**لأدفعنّها إلى أحبّ أهلي إليّ**».[٢]

وتزوّجها عليّ بن أبي طالب بعد فاطمة، لوصيتها له بذلك. وكان عليّ قد أمر المغيرة ابن نوفل بن الحارث عمّ النبي ﷺ، أن يتزوّج أمامة زوجته بعده، فتزوجت المغيرة بإذن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فولدت أمامة للمغيرة ابنًا اسمه يحيى. وقد انقرض نسله.

---

(١) البخاري (٧٣٧٧) كتاب التوحيد، عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (يتقعقع: يكيد بنفسه وهو مقارب الموت).

(٢) وتكملته: «فقالت النساء: ذهبت بها ابنة أبي قحافة، فعلّقها في عنق أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ». (مسند أحمد رقم (٢٦٢٤٩، ٢٤٧٠٠) عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وإسناده ضعيف). (صلاح)

٢- رقية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا[١]

هي ثانية بنات النبي ﷺ ولدت ورسول الله ﷺ ابن ثلاث وثلاثين سنة.[٢] تزوّجها عثمان[٣] بمكّة، وكان شاع يومئذ بين النّاس بمكّة، أن أحسن زوجين رآهما

---

(١) رقية بنت سيد البشر ﷺ: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمية. راجع ترجمتها في «الإصابة» (٨/ ٨٣-٨٤ رقم ٤٢٨٠). (صلاح)

(٢) هذا دليل صارخ أنها ولدت بعد زواج النبي ﷺ من خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا. (صلاح)

(٣) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ. (انظروا الرقم ٥ من نسب النبي ﷺ)، جدّته البيضاء أم حكيم عمة رسول الله ﷺ، وهو أحد العشرة الذين بشرهم النبي ﷺ بالجنة بأسمائهم، وأحد الستة الذين أوصى عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بكونهم صالحين متأهلين للخلافة.

وقعت بيعة الرضوان (التي ورد ذكرها في القرآن) لأن رسول الله ﷺ قد كان وجّه عثمان إلى مكة في أمر، فلما أتاه الخبر الكاذب بأن عثمان قد قتل، جمع أصحابه فدعاهم إلى البيعة فبايعوه وبايع رسول الله ﷺ عن عثمان حينئذ بإحدى يديه على الأخرى. ولما رأى أحد الصحابة هذا المنظر الغريب قال: يد رسول الله ﷺ لعثمان خير من يد عثمان لنفسه.

كان عثمان سخيًا وجوّادا، وكان يسهم في الجهاد بالمال أكثر فأكثر فهو الذي اشترى نصف بئر رومة باثني عشر ألف درهم، ثم اشترى النصف الآخر بثمانية آلاف درهم وجعلها للمسلمين.

وهو الذي جهّز جيش العسرة بتسع مائة وخمسين بعيرا، وأتمّ الألف بسبعين فرسًا. وكان رئيس معسكر المسلمين في غزوة خيبر. وكان مأمورا بأن يبقي قبائل غطفان بعيدا عن اليهود، ولا يمكّنهم من أن ينضمّوا إليهم. استخلف عثمان يوم السبت في غرة محرم سنة ٢٤هـ واستشهد يوم الجمعة في ١٧/ من ذي الحجة سنة ٣٠هـ في دار الهجرة بالمدينة المنورة جائعًا عطشًا. وكان عمره حين استشهد ٧٨ سنة. ولما بلغ نبأ شهادته عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في المسجد النبوي قال: تبًّا لكم آخر الدهر. ومن قول علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: من تبرأ من دين عثمان فقد تبرأ من الإيمان.

إن القبائل المسلمة من مصر، هم الذين كانوا قتلوا عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكانوا أرغموا عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن يبلغ عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مطالبات الثوّار، فخطبهم علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقال:

والله ما أدري ما أقول لك ما أعرف شيئا تجهله، ولا أدلّك على أمر لا تعرفه، إنك لتعلم مانعلم، ماسبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلغك، هو وقد رأيت كما رأينا وسمعت كما
=

إنسان رقية وزوجها عثمان. فقالت السعدى بنت كرز العبشية الصحابية الأبيات التالية على هذا النكاح:

هـدى الله عـثمان الصـفيّ بقولـه   فأرشـده والله يهـدي إلى الحـق

سمعنا، وصحبت رسول الله كما صحبناه. وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب أولى بعمل الحق منك، وأنت أقرب إلى رسول الله ﷺ وشيجة رحم منهما، وقد نلت من صهره ما لم ينالا. (نهج البلاغة ص ١٣٥)

وعبد الله بن سلام الصحابي، الذي أخبره القرآن عالم علم الكتاب، كان قد قال للفئة الباغية: إن قتلتم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ضرب المسلمون بعضهم عنق بعض في الإسلام. فلم يعيروا لقوله أهمية، فوقعت في الإسلام حوادث فاجعة بجراء ذلك، فهتكت حرمة الخلافة والحرم النبويّ، والشهر الحرام، ولم تبق حرمة وكرامة لأي أمر كبير في نظر الثوار والبغاة. إنا لله وإنا إليه راجعون.

قتل عثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رومان الشقي من قبيلة مراد، ومن هذه القبيلة كان ابن ملجم الشقيّ، الذي قتل أمير المؤمنين عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كان عثمان يتلو القرآن حين استشهد، فسقطت قطرة أو قطرات من دمه على المصحف على قوله عز وجل ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝١٣٧﴾ [البقرة: ١٣٧]. والتأريخ شاهد على صدق هذا التنبؤ.

كان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلا موفّقا في إدارة الخلافة. إنّ كل من يتلو القرآن اليوم يدين له، لأنه جمع القرآن. وهو الذي توسّع في عصره نطاق الإسلام رقيا وازدهارًا وفتوحا.

ففي عهده فتحت خراسان، وما وراء النهر، وتركستان، والسند، وكابل من جهة الشرق، والسودان، والإسكندرية، والمغرب، وتونس، وطرابلس من جهة الغرب.

وهو أوّل من صنع الأسطول البحريّ، وأباد به أساطيل هرقل، وفتح الجزر الكبرى الواسعة، مثل قبرص وكريت ومالطا وما إلى ذلك.

قال كعب بن مالك شاعر الرسول ﷺ الأبيات التالية على شهادة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

يـا قاتـل الله قومـا كـان أمـرهم   قتـل الإمـام المزكـي الطيـب الـردن

مـا قتلـوه عـلى ذنـب ألمّ بـه   إلا الــذي نـطقوا زورًا ولم يكــن

يوجد نسل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الهند وغيرها من الأقطار الإسلامية بكثرة. إن الخواجه جلال الدين باني بتي، والقاضي ثناء الله باني بتي، وشمس العلماء مولوي رحمت الله المهاجر (مؤلف «إزالة الأوهام»)، وشيخ الهند مولانا محمود حسن كلّهم من نسله. (المؤلف: محمد سليمان)

فتـابع بـالرأي السـديد محمـدًا وكان ابن أروى لا يصدّ عن الحق
وأنكحـه المبعـوث إحـدى بناتـه فكان كبدر مازج الشمس في الأفق
فداؤك يا ابـن الهاشـميين مهجتـي فأنت أمين الله أرسـلت في الخلـق

والسيّدة رقيّة أوّل من هاجرت من النساء مع زوجها إلى الحبشة، وفتحت لكل مهاجر باب الهدى للأبد.

روى الحاكم في منقبتهما رواية وهي:

«إنهما لأوّل من هاجر بعد لوط وإبراهيم»(١).

أصابت رقية الحصبة سنة اثنتين من الهجرة فماتت. تخلّف عليها عثمان بأمر رسول الله ﷺ -وهي مريضة- حين خروجه ﷺ إلى بدر، ودفنت يوم جاء زيد بن حارثة بشيرا بما فتح الله عليهم ببدر، كانت بنت إحدى وعشرين سنة يوم ماتت.

ولدت ابنا فسمّاه عبد الله، عاش عبد الله سبط الرسول لعثمان سنتين بعد وفاة أمّه، ولما بلغ ست سنين نقر عينيه ديك، فتورّم وجهه، ومرض ومات.(٢)

---

(١) ضعفه الألباني. راجع «السلسلة الضعيفة» (٣١٨١)، وضعيف الجامع (١٨٧٨). (صلاح)
(٢) الاستيعاب (٤/ ١٨٤٠).

٣- أم كلثوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[(١)]

هي ثالثة بنات رسول الله ﷺ، تزوّجها عثمان سنة ثلاث من الهجرة [بعد موت أختها رقية عنده]، ولذلك لقب بذي النورين.

دعا النبي ﷺ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم زوّجه أم كلثوم، وقال:

«**هذا جبريل، يقول: أمرني الله بأن أزوج معك بنتًا لي ثانية**».[(٢)]

وكان عثمان إذ توفيت رقيّة، قد عرض عليه عمر بن الخطاب حفصة ابنته ليتزوّجها، فسكت عثمان عنه، لأنّه قد كان سمع رسول الله ﷺ يذكرها، فلما بلغ رسول الله ﷺ قال:

«**ألا أدلّ عثمان على من هو خير له منها، وأدلّها على من هو خير لها من عثمان**».

فتزوّج رسول الله ﷺ حفصة، وزوّج عثمان أم كلثوم، فتوفيت عنده ولم تلد منه. توفيت في سنة تسع من الهجرة، وصلّى عليها أبوها رسول الله ﷺ، ونزل في حفرتها عليّ والفضل وأسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

---

(١) أم كلثوم بنت سيد البشر ﷺ. تزوجها عتبة بن أبي لهب قبل البعثة، ولم يدخل عليها، ولما بعث النبي ﷺ أمره أبوه بفراقها. راجع ترجمتها في الإصابة (٨/ ٢٧٢ رقم١٤٦٢). (صلاح)

(٢) أخرجه الحاكم: نقلا عن إزالة الخفاء (ص ٢٢٣) [ضعّفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم ٤٨٢٤].

٤ - فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا(١)

هي أصغر بنات رسول الله ﷺ من بطن خديجة الكبرى. ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ.(٢)

وعن عبد الله قال: بينا النبي ﷺ ساجد وحوله ناس من قريش جاء عقبة بن أبي معيط بسلى جزور فقذفه على ظهر النبي ﷺ فلم يرفع رأسه فجاءت فاطمة فأخذته من ظهره ودعت على من صنع.(٣)

وتزوّجها علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بعد غزوة بدر، وقبل أحد، وقد شهدت فاطمة أحدًا، ولما شاع في المدينة أن النبي ﷺ قد استشهد أتت فاطمة إلى أحد، وكان النبي ﷺ قد خرج من

---

(١) فاطمة الزهراء بنت سيد البشر ﷺ: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمية، صلى الله على أبيها وآله وسلّم، ورضي عنها، وكانت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أشبه بالنبي ﷺ سمتًا وهديا ودلّا وحديثًا. راجع ترجمتها في الإصابة (٨/ ١٥٧-١٦٠ رقم ٨٢٦). (صلاح)

(٢) الاستيعاب (٤/ ١٨٩٣) [حصل خلاف في تعيين عمرها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عند وفاته سنة ١١هـ، بعد وفاة النبي ﷺ بستة أشهر على الصحيح. قالوا: توفيت وهي ابنة تسع وعشرين، وقيل: ابنة ثلاثين. وعلى الأقوال كلّها يكون مولدها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قبل النبوة. (ذخائر العقبى: ١٠١) (صلاح)]
وليعلم أن الشيخ محمدا الكلبي، قد ذكر في كتابه «الكافي» أن ولادة السيّدة فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كانت في سنة خمس من النبوّة، وكان عمرها حين ماتت ١٨ سنة، و٧٥ يوما. هذه الأيام كانت بعد وفاة الرسول ﷺ.
وذكر أن ولادة الإمام الحسن كانت في سنة ٢هـ.
وعلى هذا كان عمر السيّدة فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وقت ولادة الإمام الحسن عشر سنوات. وإذا فرضنا ولادة الإمام الحسن في سنة ٣هـ كما هو مذكور في رواية أخرى من هذا الكتاب كان عمرها إحدى عشرة سنة. ولهذا رجحت رواية الاستيعاب.
وقد ذكر المدائني أن ولادة السيّدة فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كانت قبل النبوّة بخمس سنوات، وأن عمرها وقت الوفاة كان ٢٩ سنة. وهذا هو الأقرب كما تقدّم. (راجع الإصابة: ٨/ ٢٦٣ رقم ١١٥٨٧)

(٣) البخاري (٣٨٥٤) مسلم رقم (١٧٩٤) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. (صلاح)

الغار، فغسلت فاطمة جرح رسول الله ﷺ، ولما رأت أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة من حصير، فأحرقتها فألصقتها فاستمسك الدم(١).

وعن عمران بن حصين أن النبي ﷺ عاد فاطمة، وهي مريضة، فقال لها: «**كيف تجدينك**»؟ قالت: إني لوجعة، وإنه ليزيدني أني ما لي طعام آكله.

قال: «**يا بنية أما ترضين أنّك سيدة نساء العالمين**».

وقالت: يا أبتِ أين مريم بنت عمران؟

قال: «**تلك سيّدة نساء عالمها، وأنت سيّدة نساء عالمك. أما والله لقد زوجتك سيّدا في الدنيا والآخرة**»(٢).

وكان رسول الله ﷺ إذا قدم من غزو أو سفر، بدأ بالمسجد فصلّى فيه ركعتين، ثم يأتي فاطمة، ثم يأتي أزواجه.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:

«**سيّدات نساء أهل الجنة بعد مريم بنت عمران: فاطمة، وخديجة، ثم آسية بنت مزاحم امرأة فرعون**»(٣).

وعن عائشة أم المؤمنين قالت: ما رأيت أحدًا كان أشبه كلاما وحديثًا برسول الله ﷺ من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها ورحّب بها، كما كانت تصنع هي برسول الله ﷺ(٤).

---

(١) البخاري (رقم ٥٧٢٢) صحيح مسلم (١٧٩٠) باب غزوة أحد.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٥٢) ورواه علي بن هاشم مرسلًا، ورواه ناصح أبو عبد الله عن جابر بن سمرة متصلا. وذكره البوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة» (٧/ ٢٣٤) عن عبد الله بن الحصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وسنده ضعيف وله شاهد. أما قوله ﷺ: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة، أو نساء المؤمنين، فضحكت لذلك». ورواه البخاري (٣٦٢٣) ومسلم (٢٤٥٠) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه الطبري وغيره ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وذكره الألباني في «السلسلة الصحيحة»(١٤٢٤). (صلاح)

(٤) أبو داود (٥٢١٧) وغيره من أهل السنن بنحوه. وسنده حسن. وأصله في الصحيح. (صلاح)

وعنها قالت: ما رأيت أحدًا كان أصدق لهجة من فاطمة إلا أن يكون الذي ولدها[١].

وعن جميع بن عمير قال: دخلت على عائشة فسألت أي النّاس أحبّ إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: فاطمة.

قلت: فمن الرجال؟ قالت: زوجها إن كان ما علمته صوامًا[٢] قوامًا[٣].

إن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت لأسماء بنت عميس: يا أسماء إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء، إنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها، فقالت أسماء: يا بنت رسول الله ﷺ ألا أريك شيئا رأيته بأرض الحبشة، فدعت بجرائد رطبة فجنتها، ثم طرحت عليها ثوبا.

فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله! تعرف به المرأة من الرجال. فإذا أنا متُّ فاغسليني أنت وعليّ، ولا تدخلي عليّ أحدًا، فلما توفيت غسلها عليّ وأسماء.[٤]

وكانت أوّل أهله لحوقا برسول الله ﷺ[٥] توفيت ليلة ثلاث من رمضان سنة إحدى عشرة من الهجرة، فغسلتها أسماء بنت عميس: زوجة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حسب وصيتها[٦]، وصلّى عليها العبّاس أو عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكانت أوّل لحوقًا برسول الله ﷺ من

(١) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/ ١٣١) وقال شعيب الأرنؤوط: فيه تدليس ابن إسحاق وقد عنعن. (صلاح)

(٢) الترمذي (٣٨٧٤) وقال الألباني في «نقد النصوص» (٣٤) إسناده ضعيف. كذلك قال البخاري في جميع بن عمير: في أحاديثه نظر. (صلاح)

(٣) إن قول عائشة «إن كان ما علمته»، الوارد في سنن الترمذي، يدلّ على أن هذه المحادثة كانت بعد وفاة عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظروا إلى أم المؤمنين، كيف تذكر للسائل فضائل السيّدة فاطمة وعليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وتظهر له أنهما أحبّ الناس إلى الرسول ﷺ. [يريد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن يثبت بهذا البيان أنه لم يكن بين عائشة وبينهما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أي مضض، كما يثار هذا من قبل بعض الفرق من أهل الأهواء.]

(٤) ذكره الجورقاني في «الأباطيل والمناكير» (٢/ ٨١) وهو مشهور حسن. وحسّنه الذهبي في «أحاديث مختارة» (٦١). (صلاح)

(٥) راجع «البخاري» (٣٧١٥) وغيره من المواضع. (صلاح)

(٦) الاستيعاب (٤/ ١٨٦٢). وذكر أن سلمى خادمة الرسول: مولاة صفية بنت عبد المطلب أيضا، =

أهل البيت.

واختلف في سنّها وقت وفاتها، فذكر الزبير بن بكار أن عبد الله بن الحسن بن الحسن دخل على هشام بن عبد الملك، وعنده الكلبي، فقال هشام لعبد الله بن الحسن: يا أبا محمّد! كم بلغت فاطمة بنت رسول الله ﷺ من السن؟

فقال: ثلاثين سنة.

فقال هشام للكلبي: كم بلغت في السنّ؟

فقال: خمسا وثلاثين سنة.

فقال هشام لعبد الله بن الحسن: يا أبا محمد! اسمع الكلبيّ يقول ما تسمع، وقد غبن بهذا الشأن فقال عبد الله بن الحسن: يا أمير المؤمنين! سلني عن أمّي، وسل الكلبيّ عن أمه.

وعن عائشة قالت: دعا النبيّ ﷺ فاطمة ابنته في شكواه التي قبض فيها، فسارّها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارّها فضحكت، قالت: فسألتها عن ذلك فقالت: سارّني النبي ﷺ فأخبرني أنه يقبض في وجعه الذي توفّي فيه، فبكيتُ، ثم سارّني فأخبرني أني أوّل أهل بيته أتبعه، فضحكت.(١)

وقالت فاطمة الأبيات التالية على وفاة الرسول ﷺ:

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها   وغاب مذ غبت عنّا الوحي والكتب
فليت قبلك كان الموت صادفنا   لما نعيت وحالت دونك الكتب(٢)

وقد امتازت فاطمة بين أخواتها، بأنّها استمرّ نسلها، وفيهم كانت الأئمة العظام الذين علت مكانتهم في الإسلام:

ولدت فاطمة الحسن، والحسين، وأمّ كلثوم، وزينب وقد أفردنا بذكر أحوال الحسن

=

كانت قد غسلت السيّدة فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) صحيح البخاري: باب مناقب فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. [رقم (٢٧٥١) وغيره من المواضع، ومسلم (٢٤٥٠، ٩٧-٩٩)].

(٢) من كتاب حسن الصحابة.

والحسين.[١]

أما أم كلثوم بنت فاطمة، فتزوّجها عمر بن الخطاب على مهر أربعين ألف درهم. ولدت لعمر بن الخطاب زيد بن عمرالأكبر ورقية، ولما توفّي عنها عمر، تزوّجها بعده عون بن جعفر الطيّار، توفيت أم كلثوم وابنها زيد في وقت واحد.

وقد كان زيد أصيب في حرب كانت بين بني عدي ليلًا، كان قد خرج ليصلح بينهم، فضربه رجل منهم في الظلمة فشجّه، وصرعه، فعاش أياما، ثم مات هو وأمّه في وقت واحد، وصلّى عليهما ابن عمر.

وأما زينب بنت فاطمة: فتزوّجها عبد الله بن جعفر، وكانت مع أخيها الحسين في كربلاء. ولما أسر الحسين تحمّلت الشدائد بصبر وصمود، واحتضنت أهل بيته، وردّت أعداءه بالمثل، واستشهد عدي بن عبد الله بن جعفر.

وقد زاد بعض النّاس أسماء **المحسن ورقية** في أولاد فاطمة سيّدة النساء، ولم يذكرها الأكثرون، والذين زادوا هذه الأسماء اعترفوا بأن المحسن ورقية مات كل واحد منهما صغيرا، فلم تعرف أحوالها في التأريخ.

وقد اختلف في قبر فاطمة أيضا.[٢] فذكر بعض النّاس أنها دفنت في بيتها، وضمّ هذا المكان إلى المسجد النبوي بعد ما تمت توسعته. هذا ما ذكره الشيخ الكليني في «أصول الكافي».

وقد ذهب أكثر المؤرخين أن قبرها في بقيع الغرقد. ويوجد في جنبها قبر الإمام الحسن والإمام زين العابدين والعبّاس عمّ الرسول ﷺ.

وذكر المسعودي في «مروج الذهب» أنه وجدت في البقيع سنة أربع وثلاث مائة من الهجرة، حجرة مكتوب فيها: «هذا قبر فاطمة بنت الرسول ﷺ».

---

(١) سيأتي أحوال الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) من أراد التوسع في هذا البحث فليراجع كتابي «سفر نامة حجاز» [أي: قصّة سفري إلى الحجاز].

الأحاديث الواردة في فضلها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

١- روى الإمام النسائي حديثا عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يظهر منه أن النبي ﷺ دخل مرّة على فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فوجدها تُري هند بنت هبيرة سلسلة من ذهب لها، وتقول هذه أهداها إليّ أبو الحسن، فلما رأى النبيّ ذلك رجع، ولم يقعد عندها، فأرسلت فاطمة بالسلسلة إلى السوق، فباعتها واشترت بثمنها غلامًا، فأعتقته، فحُدِّث بذلك فقال: «**الحمد لله الذي أنجى فاطمة من النّار**».[١]

٢- روت فاطمة بنت الحسين عن جدّتها: فاطمة الكبرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كان النبي ﷺ إذا دخل المسجد صلّى على محمّد، وقال:

«**ربّ اغفرلي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك**».

وإذا خرج صلّى على محمد، وقال: «**ربّ اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك**» رواه الترمذي.[٢] وقال ليس إسناده بمتصل، وفاطمة بنت الحسين لم تدرك فاطمة الكبرى.

٣- وعن ابن أعبد قال: قال لي عليّ: ألا أحدثّك عني وعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ وكانت من أجدّ أهله إليه.

قلت: بلى!

قال: إنها جرّت بالرحى حتى أثر في يدها، واستقت بالقربة أثر في نحرها، وكنست البيت حتى اغبرت ثيابها، فأتى النبي ﷺ خدم، فقلت: لوأتيتِ أباكِ فسألتهِ خادما، فأتت فوجدت عنده حداثا، فرجعت فأتاها من الغد فقال:

«**ما كان حاجتك**»؟ فسكتت.

---

(١) صحيح النسائي (٥١٥٥) وقال الألباني: صحيح، وكذا قال في «صحيح الترغيب» (٧٧١) أيضًا. (صلاح)

(٢) ذكره الألباني في «صحيح الترمذي» (٣١٤) عن فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وقال: (صحيح دون جملة المغفرة)، وقال شعيب الأرنؤوط في تخريج «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٤١): إسناده ليس بمتصل. والحديث في هذا المعنى رواه عدد من الصحابة، وهو صحيح. (صلاح)

فقلت: أنا أحدثّك يا رسول الله جرّت بالرحى حتى أثرت في يدها، وحملت بالقربة حتى أثرت في نحرها، فلما أن جاءك الخدم، أمرتُها أن تأتيك فتستخدمك خادما، يقيها حرّ ما هي فيه، قال:

«اتقي الله يا فاطمة، وأدّي فريضة ربّك، واعملي عمل أهلك، فإذا أخذت مضجعك، فسبّحي ثلاثا وثلاثين، واحمدي ثلاثا وثلاثين، وكبّري أربعا وثلاثين، فتلك مائة، فهي خير لك من خادم».[1]

قالت: رضيتُ عن الله، وعن رسوله، وقال عليّ: ولم يخدمها.[2]

هذا الحديث يدل على اقتصاد أسرة عليّ، وزهد فاطمة، ورضاها عن الله والرسول، وبراءة رسول الله ﷺ وبراءة أهله من الدنيا وزخارفها.

اللهم صلّ على محمّد، وعلى آل محمّد، كما تحبّ وترضى.

٤ - وهناك حديث آخر، رواه ابن عدي والبيهقي عن أنس مرفوعا، قال: قال رسول الله ﷺ:

«يا فاطمة من يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي: يا حيّ يا قيّوم برحمتك أستغيث، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كلّه».[3]

(١) كلمة الخادم في اللغة العربية تشمل الذكر والأنثى والمراد هنا: الخادمة.

(٢) أبو داود (٥٠٦٣) وسكت عنه، فهو صالح، رجاله ثقات، ولكنه مرسل. ذكره الألباني في «ضعيف أبي داود» (٥٠٦٣). (صلاح)

(٣) رواه النسائي في السنن الكبرى (١٠٤٠٥)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٤/ ٣٧٨) وفيه: عبد الله بن عبد الرحمن بن موهب، وهو ضعيف. (صلاح)

أبناء فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

الحسن بن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سبط الرسول ﷺ

ولدته أمّه فاطمة في منتصف شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة[١]، واسم قابلته: سودة بنت مسرح الكندية، وعقّ عنه رسول الله ﷺ يوم سابعه بكبشين، وحلّق رأسه، وأمر أن يتصدّق بزنة من شعره فضّة.

• وعن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان الحسن أشبه النّاس برسول الله ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه النّاس بالنبي ﷺ ما كان أسفل من ذلك.[٢]

• وتواترت الآثار الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال في الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

«إن ابني هذا سيد وعسى الله أن يبقيه حتى يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».[٣]

• وقد روى الإمام أحمد في «مسنده» دعاء القنوت عن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال:

علّمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهنّ في الوتر:

«اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولّني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شرّ ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنّه لا يذلّ من واليت، ولا يعزّ من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، وصلّى الله على النبي».[٤]

وفي رواية الحاكم: علّمني رسول الله ﷺ في وتري.

قال الترمذي: ولا نعرف عن النبي ﷺ في القنوت في الوتر شيئًا أحسن من هذا.

• وكان الحسن من المبادرين إلى نصرة عثمان، والذابين عنه.

---

(١) قال ابن عبد البر: «هذا أصحّ ما قيل فيه» (ذخائر العقبى: ٢٠٥). (صلاح)

(٢) سنن الترمذي: ٣٧٧٩، ومسند أحمد: ٧٧٤. (صلاح)

(٣) البخاري (٢٧٠٤) وغيره من أهل السنن بنحوه باختلاف يسير. (صلاح)

(٤) صحيح أخرجه أحمد (١٧١٨)، وأصحاب السنن كلّهم.

ولما قتل أبوه عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بايعه أكثر من أربعين ألفا، كلهم كانوا قد بايعوا أباه عليّا قبل موته على الموت. وكانوا أطوع للحسن وأحبّ فيه منهم في أبيه، فبقي نحوًا من أربعة أشهر[1] خليفة بالعراق وما وراءه من خراسان.

ثم سار إلى معاوية وسار معاوية إليه. فلما تراءى الجمعان، وذلك بموضع يقال له مسكن من أرض السواد بناحية الأنبار، علم أنه لن تغلب إحدى الفئتين حتى تذهب أكثر الأخرى، فكتب إلى معاوية، يخبره أنّه يصير الأمر إليه على أن يشترط عليه ألا يطلب أحدا من أهل المدينة والحجاز ولا أهل العراق بشيء مما كان في أيام أبيه، فأجابه معاوية وكاد يطير فرحا، إلا أنّه قال: أما عشرة أنفس فلا أؤمّنهم.

فراجعه الحسن فيهم فكتب إليه يقول: إني قد آليتُ أني متى ظفرت بقيس بن سعد أن أقطع لسانه ويده، فراجعه الحسن: إني لا أبايعك أبدا، وأنت تطلب قيسا أو غيره بتبعة قلّت أو كثرت. فبعث إليه معاوية حينئذ برقّ[2] أبيض وقال: اكتب ما شئت فيه وأنا ألتزمه.

فاصطلحا على ذلك، واشترط عليه الحسن أن يكون له الأمر من بعده، فالتزم ذلك كلّه معاوية، وسلّم الحسن الخلافة إلى معاوية[3]، وكان ذلك في المسجد الجامع بالكوفة في شهر جمادى الأولى سنة ٤١هـ.[4]

بعد ذلك أتاه شيخ كوفي يسمّى أبا عامر سفيان بن ليلى فقال: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين.

فقال: لا تقل يا أبا عامر! فإني لم أذلّ المؤمنين، ولكنّي كرهت أن أقتلهم في طلب الملك.

---

(١) قال ابن أبي الدنيا: «ولي الحسن بعد عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سبعة أشهر وأحد عشر يومًا.» (تأريخ الخلفاء:ص ٥٩). (صلاح)

(٢) الرقّ: الصحيفة البيضاء.

(٣) هكذا، كان كما قال النبي ﷺ: «إن ابني هذا سيد، يصلح الله على يديه بين فئتين عظيمتين.» (البخاري: ٢٧٠٤، والترمذي: ٣٧٧٣ واللفظ له، عن أبي بكرة نفيع بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ). (صلاح)

(٤) قال ابن أبي الدنيا في «تأريخ الخلفاء» (٦٠): كان صلح معاوية والحسن بن علي ودخول معاوية الكوفة في شهر ربيع الأوّل سنة إحدى وأربعين، وكذا في تأريخ دمشق. (١٣/ ٢٦٢). (صلاح)

• وعن عمير بن إسحاق، قال: كنا عند الحسن بن علي، فدخل المخدع[(١)]، ثم خرج، فقال: لقد سُقِيتُ السمّ مرارا، وما سقيته مثل هذه المرة[(٢)]، لقد لفظتُ طائفة من كبدي، فرأيتني أقلبها بعود.

فقال له الحسين: يا أخي! من سقاك؟

قال: وما تريد إليه! أتريد أن تقتله؟

قال: نعم.

قال: لئن كان الذي أظنّ فالله أشدّ نقمة، ولئن كان غيره، ما أحبّ أن تقتل بي بريئًا.

• حفظ الحسن بن علي عن رسول الله ﷺ أحاديث، ورواها عنه، منها:

- حديث الدعاء في القنوت.[(٣)]

ومنها:

- «**إنا آل محمد لا تحلّ لنا الصدقة**».[(٤)]

- وقد روى الإمام أحمد والترمذي والدارمي والنسائي عن الحسن مرفوعا:

«**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة**»[(٥)].

---

(١) المخدع: حجرة في البيت، وجمعه: مخادع. (المعجم الوسيط). (صلاح)

(٢) قال قتادة وأبوبكر بن حفص: «مات مسمومًا، سمّته امرأته [جعدة] بنت الأشعث بن قيس الكندي، وكان لها ضرائر.» («ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى» لأبي العباس أحمد بن محمد الطبري المكي: ص٢٤٣). (صلاح)

(٣) تقدم آنفًا، عن الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «علمني جدّي رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في قنوت الوتر: «اللهم اهدني فيمن هديت...». (رواه أبو داود (١٤٢٥)، والترمذي (٤٦٤)، وابن ماجة (١١٧٨)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة (٩٧٥) وغيره من صحاحه في السنن). (صلاح)

(٤) أحمد (٧٢٥)، وصحيح ابن خزيمة (٤١٠٣)، والطيالسي (١١٧٧)، والدارمي (١٥٩١). وقال الحافظ في الفتح (٣/ ٤١٦): إسناده قوي، وذكره الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٨٠). (صلاح)

(٥) صحيح الترمذي (٢٥١٨) وأحمد (١٧٤٣) واللفظ لهما، والنسائي (٥٧١١) مختصرًا. وقال الألباني: إسناده صحيح (صلاح).

• وروي أن الحسن بن علي لما حضرته الوفاة، قال للحسين أخيه: قد كنت طلبت إلى عائشة إذا متُّ أن تأذن لي فأدفن في بيتها، مع النبي ﷺ، فقالت: نعم.

وإني لا أدري لعلّها كان ذلك منها حياء، فإذا أنا متّ فاطلب ذلك إليها، فإن طابت نفسها، فادفنّي في بيتها. وما أظنّ القوم إلا سيمنعونك إذا أردتّ ذلك، فإن فعلوا، فلا تراجعهم في ذلك، وادفنّي في بقيع الغرقد، فإن فيمن فيه أسوة.

فلما مات الحسن، أتى الحسينُ عائشة أم المؤمنين، فطلب ذلك إليها، فقالت: نعم، حبًّا وكرامة.

فبلغ ذلك مروان، فقال مروان: كذب وكذبت، والله! لا يدفن هناك أبدا، منعوا عثمان من دفنه في المقبرة، ويريدون دفن الحسن في بيت عائشة.(١)

مات في ربيع الأوّل سنة تسع وخمسين من الهجرة، في السادسة والخمسين من عمره، بعد ما مضى من إمارة معاوية عشر سنين، ودفن في جنب والدته.(٢)

وورد في شأنه حديث أبي بكرة:

«وإنه ريحانتي من الدنيا».(٣)

وروي عن النبي ﷺ من وجوه، أنه قال في الحسن والحسين:

«إنهما سيّدا شباب أهل الجنة».(٤)

---

(١) يظهر من قول مروان، أن الاعتداءات التي تعرض لها عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من قبل الثوار والبغاة، كان فيها نوع نصيب من أهل البيت أيضا، وهذا بهتان عظيم. يبدو أن هؤلاء الظلمة اتخذوا اسم عثمان الكريم جنّةً للتستّر على أعمالهم. وإلا إنهم لم يكونوا من عثمان في شيء.[رضي الله عنهم أجمعين]

(٢) [أي في البقيع، حسب وصيته أن يدفن جنب أمه فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وصلى عليه سعيد بن العاص وكان يومئذ أميرا على المدينة، وقدّمه الحسين للصلاة عليه، وقال: هي السنة] الاستيعاب (١/ ٣٨٩)[ذخائر العقبى: ص٢٤٢، ٢٤٥]

(٣) الاستيعاب (١/ ٣٨٥). [البخاري (٢٧٠٤) وغيره من أهل السنن عن أبي بكرة نفيع بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. هذه خاصة في الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقد ورد مثل هذا في الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضا].

(٤) صحيح الترمذي للألباني (٣٧٦٨) وقال صحيح، والنسائي في الكبرى (٨٤٧٢)، وأحمد (١١٠١٢) وقال المحدث المباركفوري في تحفة الأحوذي (٩/ ٢٧٠): «هذا الحديث مروي عن =

وقال: «**اللهم إني أحبّهما فأحبهما وأحبّ من يحبهما**[١]».[٢]

- **ومن لطائف ما ذكر العلّامة ابن قيم الجوزية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **من مشورة الحسن بن علي** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا **في قضية من قضايا علي** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

أنه أتي برجل وجد في خربة، بيده سكين متلطّخ بدم، وبين يديه قتيل يتشحط في دمه.

فسأله، فقال: أنا قتلته.

قال: اذهبوا به فاقتلوه.

فلما ذهب به، أقبل رجل مسرعًا، فقال: يا قوم! لا تعجلوا، ردّوه إلى عليّ، فردّوه.

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين ما هذا صاحبه، أنا قتلته.

فقال عليّ للأوّل: ما حملك على أن قلت: أنا قاتله، ولم تقتله؟

قال: يا أمير المؤمنين! وما أستطيع أن أصنع؟ وقد وقف العسس[٣] على الرجل يتشحّط في دمه، وأنا واقف، وفي يدي سكين، وفيها أثر الدم، وقد أخذت في خربة، فخفت ألا يقبل مني، وأن يكون قسامة، فاعترفت بما لم أصنع، واحتسبت نفسي عند الله.

فقال عليّ: بئسما صنعت، فكيف كان حديثك؟

قال: إني رجل قصّاب خرجت إلى حانوتي في الغلس، فذبحت بقرة وسلختها، فبينما أنا أسلخها والسكين في يدي أخذني البول، فأتيت خربة كانت بقربي فدخلتها، فقضيت حاجتي، وعُدتُ أريد حانوتي، فإذا أنا بهذا المقتول، يتشحّط في دمه. فراعني أمره، فوقفت أنظر إليه، والسكين في يدي، فلم أشعر إلا بأصحابك قد وقفوا عليّ فأخذوني.

فقال الناس: هذا قتل هذا، ما له قاتل سواه، فأيقنت أنك لا تترك قولهم لقولي،

=

عدّة من الصحابة من طرق كثيرة». (صلاح)

(١) الترمذي (٣٧٦٩)، والنسائي في الكبرى (٨٥٢٤) وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٠٣)، ونحوه في البخاري (٣٧٤٧) عن أسامة بن زيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. (صلاح)

(٢) روى الإمام ابن عبد البر كلا الحديثين في كتابه «الاستيعاب».

(٣) العسس: جمع العاسّ، من يطوف بالليل، ويحرس الناس، ويكشف أهل الريبة. (المعجم الوسيط). (صلاح)

فاعترفت بما لم أجنه.

فقال علي للمُقرّ الثاني: فأنت كيف كانت قصتك؟

فقال: أغواني إبليس، فقتلت الرجل طمعًا في ماله، ثم سمعت حسّ العَسس، فخرجت من الخربة، واستقبلت هذا القصّاب على الحال، التي وصف، فاستترت منه ببعض الخربة حتى أتى العسس، فأخذوه وأتوك به.

فلما أمرتَ بقتله، علمتُ أني سأبوء دمه أيضًا، فاعترفت بالحق.

فقال للحسن: ما الحكم في هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين! إن كان قد قتل نفسًا فقد أحيا نفسًا، وقد قال الله تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة: ٣٢].

فخلّى عليّ عنهما، وأخرج دية القتيل من بيت المال.(١)

(١) «الطرق الحكميّة في السياسة الشرعيّة» لابن قيم الجوزية (ص٥٦ طبع مطبع الآداب بمصر.

أولاد الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

كان له اثنا عشر ابنا، وهم: زيد، والحسن المثنى، والحسين، وطلحة، وإسماعيل، وعبد الله، وحمزة، ويعقوب، وعبد الرحمن، وأبو بكر، والقاسم، وعمر.

وكانت له خمس بنات، وهن: فاطمة، وأم سلمة، وأم عبد الله، وأم الحسين رملة، وأم الحسن.

بدأ نسل الإمام الحسن من أربعة أبنائه: زيد، والحسن المثنى، والحسين الأثرم، وعمر.

فانقرضت أولاد الحسين وعمر، ولا توجد في العالم اليوم إلا أولاد زيد والحسن المثنّى.

واستشهد من أولاده: عمر، والقاسم، وعبد الله في كربلاء.

بيان من استمرّ نسبهم:

(أ): زيد بن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (المتوفى سنة ١٢٠هـ):

أمّه: فاطمة بنت أبي مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري. وكان أبو محمد الحسن بن زيد أميرًا على المدينة في خلافة المنصور.

والسيّد محمد كيسو دراز خليفة الخواجه نصير الدين جراغ الدهلوي من أولاد زيد ابن الحسن؛ يوجد ضريحه بغلبرغه بالهند.

(ب): حسن المثنّى بن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (المتوفى سنة ٩٧هـ):

أمّه: خولة بنت منظور بن ريّان بن عمرو بن جابر بن عقيل بن سمي بن مازن بن فزارة.

وهو الذي كان يقوم على صدقات عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. شهد كربلاء فجرح جرحًا شديدًا ولما انتهت الحرب، وجده النّاس مشرفا على الموت، فاستأذن أسماء بن خارجة الفزاري ابن سعد لمعالجته فعولج فبرأ.

تزوّج فاطمة بنت الإمام الحسين، فولدت له إبراهيم الغمر، والحسن المثلّث، وعبد الله المحض -وهؤلاء الثلاثة هم أوّل من كانوا فاطميّ الطرفين نسبا، ولا يوجد هذا الشرف في غيرهم- وكذلك ولدت له زوجته الروميّة ابنين آخرين، وهما: داود وجعفر.

١ - كان عبد الله المحض يلقّب بشيخ بني هاشم، وكان له خمسة بنين:

محمد ذوالنفس الزكيّة، وإبراهيم، وموسى الجون، وسليمان، وإدريس فمحمد ذوالنفس الزكية، هو الذي كان قد ادّعى الخلافة، وكان الإمام مالك قد أفتاه برفاقته.

وكان إبراهيم بن عبد الله المحض أيضا قد ادّعى الخلافة، فأمدّه الإمام أبو حنيفة بأربعة آلاف درهم. واشتهر من نسله الحسن ابنه، وعبد الله حفيده وله عقب.

وقد كثرت ذرّية موسى الجون بن عبدالله المحض أيضا، وإليه يرجع نسب الشيخ الجليل إمام الأولياء أبو صالح سيّدي الشيخ عبد القادر الجيلاني رَحِمَهُمُٱللَّهُ.[1]

٢- لقب إبراهيم بن الحسن المثنى بالغمر، لجوده وسخائه، ويكنى أبا إسماعيل، توفّي سنة خمس وأربعين ومائة من الهجرة، وهو ابن تسع وستين سنة.

---

(١) يخرج عام ولادته من كلمة «عاشق» (٤٧١)، وأعوام حياته من كلمة «كامل» (٩١)، وعام وفاته من كلمة «معشوق إلهي» (٥٦٢)، كان حنبليا. حكيت عنه روايات كثيرة متواترة تدلّ على كراماته. ينتهي إليه النسب القادري. ما وجدنا من مؤلفاته إلا قليلا.

ذكر عبد الوهاب الشعراني أن الشيخ عبد القادر الجيلاني قال: تراءى لي نور عظيم ملأ الأفق، ثم تدلّى فيه صورة تناديني يا عبد القادر! أنا ربّك وقد حللت لك الحرمات.

فقلت: اخسأ يا لعين! فإذا ذلك النور ظلام، وتلك الصورة دخان.

ثم خاطبني.... يا عبدالقادر! نجوت منّي بعلمك بأمر ربّك وفقهك في أحوال منازلاتك، ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق. فقلت: لله الفضل.

فقيل له: كيف علمت أنه شيطان؟

قال: بقوله حللت لك الحرمات. («لواقح الأنوار في طبقات الأخيار» لعبد الوهاب الشعراني: ص١٢٧). وذكر الشعراني نسبه فقال: الشيخ عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد ابن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن بن علي المرتضى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

بدأ نسله من إسماعيل الديباج، الذي يكنى أبا إبراهيم، ويلقّب بالشريف الخاص.
بدأ نسل ابنه الحسن من التنج وإبراهيم الطباطبا ابني الحسن، وهو يوجد بكثرة، وإليه ينتهي نسب سادات بني معيّة، وتوجد أولاد السيّد عماد الدين محمد بن حسين ابن قريش من بني معيّة بدلهي.

٣- يكنى الحسن المثلّث بن الحسن المثنى أبا علي. وتوفّي سنة تسع وأربعين ومائة من الهجرة، وله عقب.

٤- داود بن الحسن المثنى، أمّه روميّة. كان هو والإمام جعفر الصادق أخوين من الرضاعة، وهو الذي تولّى صدقات علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. بدأ نسله من سليمان بن داود، الذي والدته أم كلثوم بنت الإمام زين العابدين. استمرّ نسل سليمان من أبنائه الأربعة: موسى، وداود، وإسحاق، والحسن.

٥- يكنى جعفر بن الحسن المثنى أبا الحسن، توفّي سنة سبعين من الهجرة. وكان ابنه الحسن الذي بدأ نسله من عبد الله وجعفر الملقب بالغدار، ومحمد الشيلق، ويوجد هذا النسل في قزوين، وراوند، ومراغة.

الحسين بن عليّ سبط الرسول ﷺ[١]

هو الأخ الأصغر للحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولد بالمدينة المنوّرة في الخامس من شعبان سنة أربع من الهجرة.

قال الواقدي: حملت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بالحسين بعد مولد الحسن بخمسين ليلة. وروى جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر، قال: لم يكن بين الحسن والحسن إلا طهر واحد.[٢]

قال مصعب الزبيري: حجّ الحسين بن علي خمسا وعشرين حجّة ماشيا كما في الاستيعاب.

وفي «الكافي»: حجّ الحسن عشرين حجة.

وعندي أن كلتي الروايتين الواردتين في عدد حج السيدين صحيحة. وصورة الجمع بينهما لعلّهما حجّا عشرين حجّة معًا، ثم حجّ الحسين خمس حجّات بعد وفاة الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.[٣]

من فضائله:

وعن معاوية بن أبي مزرّد عن أبيه قال: سمعت أبا هريرة يقول: أبصرت عيناي هاتان، وسمعت أذناي رسول الله ﷺ وهو آخذ بكفّي الحسين، وقدماه على قدم رسول الله ﷺ،

---

(١) راجع ترجمته في «الإصابة» (٢/ ١٤-١٧ رقم ١٧١٩). (صلاح)

(٢) إن قوله «لم يكن بين الحسن والحسين إلا طهر واحد»، يدلّ على خطأ القول الشائع بأن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان قد لبث في بطن أمّه ستة أشهر، وذلك لأنه قد تعيّنت المدة من تأريخ الحمل، [وقد ذكر ابن الدراع هذا القول الشائع في كتاب «مواليد أهل البيت» فقال: «لم يكن بينهما إلا حمل البطن، وكان مدّة حمل الحسين ستة أشهر، وقال: لم يولد مولود قطّ لستة أشهر فعاش إلا الحسين وعيسى ابن مريم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ». (ذخائر العقبى: ص٢٠٦)]. (صلاح)

(٣) مع دقة نظر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في تأريخ المواليد والوفيات، لم ينتبه إلى أن المدة ما بين وفاة السيدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كانت سنة وعشرة أشهر تقريبًا، وهي كانت متسعة لحجة واحدة فقط. (صلاح)

وهو يقول: «ترق عين بقّة» قال: فرقى الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ، ثم قال له رسول الله ﷺ:

«افتح فاك -فقبّله، ثم قال- اللهم أحبّه فإني أُحبّه».(١)

من مروياته:

- وقد روى الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن رسول الله ﷺ:

«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»(٢).

- وعن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سألت خالي هند بن أبي هالة -وكان وصّافًا عن حلية النبي ﷺ، وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئًا أتعلّق به- فقال: كان رسول الله ﷺ فخمًا مفخّمًا، يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر.

قال الحسن: فكتمتها الحسين زمانا، ثم حدّثته فوجدته قد سبقني إليه.(٣)

- وروى الإمام أحمد في «مسنده»، وأبو داود في «سننه» عن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا:

«إن للسائل حقّا وإن جاء على فرس».(٤)

وكان الإمام الحسين شاعرًا قال الأبيات التالية في زوجته الرباب بنت امرئ القيس

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي (٩/ ١٧٩) وقال: فيه أبو مزرّد، ولم أجد من وثقه، وبقية رجاله ثقات، أخرجه أحمد في فضائل الصحابة مطوّلًا، والطبراني(٣/ ٥٠ رقم ٢٦٥٣)، والحاكم في معرفة الحديث(ص٤٧)، و«تأريخ دمشق» (١٣/ ١٩٤)، راجع «ضعيف الجامع» (٢٧٠٩)، و«السلسلة الضعيفة» (٣٤٨٦). (صلاح)

(٢) أحمد (١٧٣٧)، والترمذي (٢٣١٨)، والطبراني (٣/ ١٢٨ رقم ٢٨٨٦) عن الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. صحيح (صحيح الجامع: ٥٩١١). (صلاح)

(٣) شمائل الترمذي (ص ١٣-١٤). [مختصر الشمائل المحمدية (ص ١٨ رقم ٦) قال الألباني: ضعيف جدًا. (صلاح)

(٤) أحمد (١٧٣٠)، وأبو داود (١٦٦٥) عن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، اختلفوا في الحكم عليه تحسينًا وتضعيفًا. وذكره الألباني في «ضعيف الجامع»: ٤٧٤٦، والسلسلة الضعيفة: ١٣٧٨). (صلاح)

الكلبي[(١)] وبنته سكينة[(٢)]، التي وُلدت من بطن الرباب:

لعمرك إنني لأحب أرضا ... تحلّ بها سكينة والرباب[(٣)]
أحبهما وأبذل جلّ مالي ... وليس لعاتب عندي عتاب
فلست لهم وإن غابوا مضيعا ... حياتي أو يغيّبني التراب
كأن الليل موصول بليل ... إذا زارت سكينة والرباب

وكانت الرّباب التي قيلت في مدحها هذه الأبيات رمزًا للوفاء والوداد للحسين،

---

(١) روى صاحب الأغاني عن عوف بن خارجة المرّي: إني لعند عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خلافته، إذ أقبل رجل أفحج أجلح أصفر، يتخطّى رقاب الناس حتى قام بين يدى عمر، فحيّاه بتحية الخلافة.

فقال له عمر: فمن أنت؟

قال: أنا امرؤ نصراني، أنا امرؤ القيس بن عدي الكلبي؛ فلم يعرفه عمر.

فقال له رجل من القوم: بلى! هذا صاحب بكر بن وائل الذي أغار عليهم في الجاهلية يوم فلج.

قال: فما تريد؟

قال: أريد الإسلام.

فعرفه عليه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقبّله، ثم دعا له برمح، فعقد له على من أسلم بالشام من قضاعة، فأدبر الشيخ واللواء يهتز على رأسه، فو الله ما رأيت رجلا لم يصلّ لله جلّ وعزّ ركعة فقط، أُمِّر على جماعة من المسلمين قبله، ونهض علي بن أبي طالب من المجلس، ومعه ابناه حسن وحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حتى أدركه فأخذ بثيابه، فقال له: يا عمّ! أنا علي بن أبي طالب، ابن عمّ رسول الله ﷺ وصهره، وهذان ابناي من ابنته، وقد رغبنا في صهرك فأنكحنا.

فقال: قد أنكحك يا علي المحياة، وأنكحتك يا حسن سلمى، وأنكحتك يا حسين الرباب.

وهكذا تزوّج الإمام الحسين الرباب. (مختار الأغاني لمحمد بن منظور الإفريقي المصري: ٥/ ٢٤٧، ٢٤٨).

(٢) سُكينة على صيغة التصغير، اسمها أميمة أو أمينة. تزوّجت أزواجا، فتزوّجها عبد الله بن الحسن ابن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم تزوّجها مصعب بن الزبير، وأصدقها ألفًا. ومن الخطأ القول بأن سكينة ماتت في محبس الشام، وفي الصغر.

(٣) الأبيات الثلاثة الأولى مأخوذة من «الأغاني»، والبيت الرابع من «الروض الأنف» للسهيلي.

محبّة له، إذ لم تنكح أحدًا بعده، رغم تقدّم كثير من النّاس لخطبتها.

روى صاحب الأغاني بسند متصل الأبيات التالية، التي أنشدتها الرّباب بعد شهادته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إن الذي كان نورا يستضاء به ... بكر بلا قتيل غير مدفون
سبط النبي جزاك الله صالحة ... عنّا وجنبت خسران الموازين
قد كنت لي جبلا صعبا ألوذ به ... وكنت تصحبنا بالرحم والدّين
من لليتامى ومن للسائلين ومن ... يعني ويأوي إليه كلّ مسكين
والله لا أبتغي صهرا بصهركم ... حتى أغيب بين الرمل والطين

استشهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الجمعة لعشر خلت من المحرّم، (يوم عاشوراء) سنة إحدى وستين بموضع، يقال له كربلاء، من أرض العراق، بناحية الكوفة. ويعرف الموضع أيضا بالطفّ. إنا لله وإنا إليه راجعون.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ
ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾
يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ
وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾
[آل عمران: ١٦٩ - ١٧٢].

وقد كنت كتبتُ مقالًا حول واقعة كربلاء، وأردتُ أن أضمّه إلى هذا الكتاب، ولكن اقترح عليّ أصدقائي بنشره على حدة، ليصل إلى أيدي كثير من الناس بقليل من الثمن. وقد ذكرت فيه الأمور كلّها بعد نقدها وتحقيقها، كما ذُكرتْ فيه الرسائل بنصوصها، وحققت أسماء الشهداء وقبائلهم.

أولاد الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

زين العابدين علي بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ

اسمه عليّ، ولُقّب بزين العابدين، والسجّاد، وذي الثفنات لكثرة عبادته. كان ابن ثلاث وعشرين سنة حين وقعت كربلاء. ولد سنة ثمان وثلاثين من الهجرة، وتوفّي سنة خمس وتسعين من الهجرة. واسم أمّه يزدجرد، كانت قد أسرت في خلافة عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

واستمرّ نسله من أبنائه الستة: محمد الباقر، وعبد الله الباهر، وزيد الشهيد، وعمر الأشرف، وحسين الأصغر، وعلي الأصغر.

وكانت له بنتان: أم كلثوم وخديجة.

أما أم كلثوم فتزوجها داود بن حسن المثنّى، وولد له منها سليمان، وجرى نسله من أولاده داود وإسحاق، وحسن.

وأما خديجة: فتزوّجت مع محمد بن عمر بن عليّ المرتضى. فولدت له عبد الله، وعبيد الله، وعمر، وله عقب.

عبد الله الباهر بن زين العابدين:

هو شقيق للإمام الباقر. استمرّ نسله من محمد الأرقط. كان له ابن واحد اسمه إسماعيل، وكان لإسماعيل ابنان: الحسين ومحمد. يوجد هذا النسل في الريّ و قم وجرجان.

زيد الشهيد بن زين العابدين:

كانت أمّه أم ولد. ادّعى الخلافة في عصر هشام، فبايعه أناس كثيرون، ومن الكوفة وحدها خمسة آلاف سوى المدائن، وواسط، وموصل، والخراسان، والريّ وجرجان، فلما زحف إليهم يوسف الثقفي بجيشه، فرّوا عنه، فقال لهم الإمام الشهيد: رفضونا اليوم، ومنذ ذلك اليوم شاعت كلمة «الرافضي».

استشهد لخمس عشرة ليلة خلت من صفر المظفر سنة إحدى وعشرين ومائة من

الهجرة، بسهم أصابه في هذه الحرب.

كان له أربعة بنين وهم: يحيى الذي استشهد، وهو ابن ثماني عشرة سنة، وأما الثلاثة الباقون: الحسين ذو الدمعة، وعيسى موتم الأشبال[١]. ومحمد، فهم الذين لهم عقب.

أما الحسين ذو الدمعة، فتوفّي سنة خمس وثلاثين ومائة من الهجرة. ويوجد له نسل كثير في كيتل، وسنبهل من مدن الهند، وهؤلاء يسمّون بالترمذي.

وأما عيسى موتم الأشبال، فاستمر نسله من أبنائه الأربعة: أحمد، وزيد، ومحمد، والحسين العصارة، وينتهي نسب السادات الاثنتي عشرة ببلغرام في الهند إلى محمد بن عيسى. وإلى هذا الأصل يرجع حسان الهند مير غلام علي آزاد البلغرامي، المتوفّى سنة ١٢٠٠هـ.

عمر الأشرف بن زين العابدين:

هو شقيق زيد الشهيد، بدأ نسله من عليّ الأصغر. كان له ثلاثة بنين: القاسم وعمر الشجري، وأبو محمد الحسن. وله عقب كثير.

حسين الأصغر بن زين العابدين:

اسم أمّه الساعدة التي هي أمّ ولد. توفّي سنة سبع وخمسين ومائة من الهجرة، ودفن ببقيع الغرقد، استمر نسله من عبد الله، وعبيد الله الأعرج، وعلي، وأبي محمد الحسن وسليمان، وهو يوجد في الحجاز والعراق والشام والمغرب.

عليّ الأصغر بن زين العابدين:

استمرّ نسله من أفطس، واستمرّ نسل أفطس من عليّ الحوري، وعمر، والحسين، والحسن المكفوف، وعبد الله الشهيد.

الباقر محمد بن زين العابدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اسمه محمد، ويلقب بالباقر، ويكنى أبا جعفر. كان باقر العلوم، وافر الحلم، جليل القدر، وله في صحيح مسلم رواية عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الحجّ، يستخرج منها نحو مائتي

---

(١) كان قد أهلك الأسد بيده، فسمّي «موتم الأشبال».

مسألة. وله روايات كثيرة في الصحاح والسنن. ولد بالمدينة المنورة سنة سبع وخمسين من الهجرة، ودفن ببقيع الغرقد.

كان ابن ثلاث سنوات حين وقعت كربلاء. استمرّ نسله من الإمام جعفر الصادق وحده. والدته أم عبد الله بنت الإمام الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

جعفر الصادق بن محمد الباقر رَحِمَهُ اللَّهُ

اسمه جعفر، ويلقّب بالصادق، ويكنى أبا عبد الله. والدته أم فروة بنت القاسم الفقيه: حفيدة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ووالدة أم فروة: أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ولذلك كان الإمام جعفر الصادق يفتخر ويقول: ولدني أبو بكر مرّتين.

وكان الإمام جعفر الصادق غزير العلم، كثير النفع، وله مرويات وفتاوى في الدواوين، والأحاديث، والسنن.

ولد سنة ثلاث وثمانين من الهجرة، وتوفّي سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة، ودفن ببقيع الغرقد.

واستمرّ نسله من أبنائه الخمسة: موسى الكاظم، وإسماعيل، وعلي العريضي، ومحمد المأمون، وإسحاق.

١- **أما إسماعيل** فهو أكبر بني أبيه، وتعتقد الفرقة الإسماعيلية بإمامته بعد الإمام جعفر الصادق، وإليه ينتهي نسب آغا خان. استمرّ نسله من ابنيه: محمد وعلي.

٢- **استمر نسل علي العريضي** بن الإمام جعفر الصادق من أبنائه الأربعة: محمد، وأحمد الشّعراني، والحسن، وجعفر الأصغر. وله عقب كثير.

٣- **محمد المأمون**: إنه ادّعى الخلافة، فأسره مأمون الرشيد، ثم أفرج عنه. استمرّ نسله من علي الخارجي، والقاسم، والحسين. ويوجد أكثره في مصر.

٤- **إسحاق بن جعفر الصادق**: يلقّب بالمؤتمن، ويكنى أبا محمد، وهو شقيق موسى الكاظم.

وتعتقد فرقة من الشيعة بإمامته. واستمر نسله من أبنائه الثلاثة: محمد والحسن والحسين.

موسى الكاظم بن جعفر الصادق

اسمه موسى، ويلقّب بالكاظم ويكنى أبا إبراهيم. وأمّه حميدة التي كانت أمّ ولد. ولد سنة ثمان وعشرين ومائة بالأبواء، وتوفّي لست خلت من رجب المرجب سنة ثلاث وثمانين ومائة ببغداد.

ولد له ثلاثة وعشرون ابنا، وسبع وثلاثون بنتًا. وكان أبناؤه: عبد الرحمن، وعقيل، والقاسم، ويحيى، وداود، ولم يلدوا ولدًا. وكانت لسليمان والفضل وأحمد أولاد إناث، فحسب.

واختلف علماء النسب في أولاده: الحسين وإبراهيم الأكبر، وهارون وزيد والحسن.

واستمرّ نسل علي وإبراهيم الأصغر، والعبّاس، وإسماعيل، وإسحاق وحمزة وعبد الله وعبيد الله وجعفر.

علي الرضا بن موسى الكاظم

اسمه علي، ويلقّب بالرضا، ويكنى أبا الحسن. ولد سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة، وتوفّي في شهر صفر المظفر سنة ثلاث ومائتين من الهجرة، وهو ابن خمس وخمسين سنة. ويوجد ضريحه في المشهد. استمرّ نسله من محمد الجواد وحده.

محمد الجواد بن عليّ الرضا

اسمه محمد، ويلقّب بالجواد، ويكنى أبا جعفر. ولد في شهر رمضان سنة خمس وتسعين ومائة من الهجرة. وتوفّي في آخر ذي القعدة سنة عشرين ومائتين من الهجرة في سُرّ من رأى، وكان ابن خمس وعشرين سنة. استمرّ نسله من علي الهادي، وموسى المبرقع.

أما موسى المبرقع فاسمر نسله من ابنه أحمد. وهو يوجد في ضواحي لكناؤ، وخير آباد، وسفيدون، وباني بت، وسامانة من مدن الهند.

علي الهادي بن محمد الجواد

اسمه علي، ويلقّب بالعسكري، ويكنى أبا الحسن. توفّي بغار سُرّ مَن رأى، وقد بلغ من عمره إحدى وعشرين سنة وستة أشهر. ولد في النصف من ذي الحجة سنة اثنتي عشرة ومائتين من الهجرة. وتوفّي في ست وعشرين ليلة خلت من جمادى الأخرى، سنة أربع وخمسين ومائتين من الهجرة.

استمرّ نسله من ابنيه: أبي عبد الله جعفر الكذّاب، والحسن العسكري.

- وقد لقّب أبو عبد الله بالكذّاب، لأنه كان قد ادّعى بالإمامة بعد وفاة أخيه: الحسن العسكري، وتسميه أولاده جعفر التوّاب، ويسمّون أنفسهم الرضوي.

ويلقّب أبو عبد الله بأبي الكُرّين أيضا، والكُرّ ستون قفيزًا، ولقّب به لأنه كان أبا مائة وعشرين ولدًا. توفّي سنة إحدى وسبعين ومائتين من الهجرة.

وقد استمرّ نسله من أبنائه الستة فحسب، وهم: إسماعيل الحريف، ويحيى الصوفي، وهارون، وعلي المختار، وإدريس، والطاهر.

أما إسماعيل الحريف ويحيى الصوفي، فأولادهما يوجدون في مصر.

وقد اشتهر سادات (أمروهه بالهند) بكونهم من أولاد هارون بن جعفر.

وأما علي المختار، فمن أولاده سادات بهكّر. وإليه ينتهي نسب الخواجه قطب الدين بختيار كاكي، المتوفّى سنة خمس وثلاثين وست مائة من الهجرة .

استمرّ نسل إدريس بن جعفر من القاسم، وتسمّى أولاده القواسم.

الحسن العسكري بن علي الهادي

اسمه الحسن، ويلقّب بالعسكري، ويكنى أبا محمد، ولد في شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين ومائتين من الهجرة. وتوفّي في ثمان خلت من ربيع الأول سنة ستين ومائتين من الهجرة، بسرّ من رأى. واسم والدته حديث، وكانت أم ولد.

ولد له محمد المهدي، في النصف من شهر شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين من الهجرة، وتعتقد الفرقة الاثنا عشرية أنه غاب في غار سرّ من رأى، وهو ابن أربع سنوات،

وأنه حيّ، وتلقبه بـ«الإمام المنتظر» وإمام الزمان، ومهديّ العصر.(١)

اللهم صلّ على محمّدٍ وعلى آل محمّدٍ كما تحبّ وترضى.

* * *

---

(١) قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في محمد بن الحسن العسكري بعد ذكر نسبه الكامل إلى الحسين بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا:

«خاتمة الاثني عشر سيّدا ، الذين تدعي الإمامية عصمتهم -ولا عصمة إلا لنبي- ومحمد هذا هو الذي يزعمون أنه الخلف الحجة، وأنه صاحب الزمان، وأنه صاحب السرداب بسامراء، وأنه حي لا يموت، حتى يخرج ، فيملأ الأرض عدلا وقسطا، كما ملئت ظلما وجورا. فوددنا ذلك -والله-، وهم في انتظاره من أربعمائة وسبعين سنة، ومن أحالك على غائب لم ينصفك، فكيف بمن أحال على مستحيل؟! والإنصاف عزيز. فنعوذ بالله من الجهل والهوى.

فمولانا الإمام علي: من الخلفاء الراشدين، المشهود لهم بالجنة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ نحبه أشدّ الحب، ولا ندعي عصمته، ولا عصمة أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وابناه الحسن والحسين: فسبطا رسول الله ﷺ وسيدا شباب أهل الجنة، لو استخلفا لكانا أهلا لذلك. وزين العابدين: كبير القدر، من سادة العلماء العاملين، يصلح للإمامة، وله نظراء، وغيره أكثر فتوى منه، وأكثر رواية.

وكذلك ابنه أبو جعفر الباقر: سيد، إمام، فقيه، يصلح للخلافة.

وكذا ولده جعفر الصادق: كبير الشأن، من أئمة العلم، كان أولى بالأمر من أبي جعفر المنصور.

وكان ولده موسى: كبير القدر، جيد العلم، أولى بالخلافة من هارون، وله نظراء في الشرف والفضل.

وابنه علي بن موسى الرضا: كبير الشأن، له علم وبيان، ووقع في النفوس، صيره المأمون ولي عهده لجلالته، فتوفي سنة ثلاث ومائتين.

وابنه محمد الجواد: من سادة قومه، لم يبلغ رتبة آبائه في العلم والفقه.

وكذلك ولده الملقب بالهادي: شريف جليل.

وكذلك ابنه الحسن بن علي العسكري رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

فأما محمد بن الحسن هذا: فنقل أبو محمد بن حزم: أن الحسن مات عن غير عقب. قال: وثبت جمهور الرافضة على أن للحسن ابنا أخفاه.

=

=

وقيل: بل ولد له بعد موته، من أمة اسمها: نرجس، أو سوسن، والأظهر عندهم أنها صقيل، وادعت الحمل بعد سيدها، فأوقف ميراثه لذلك سبع سنين، ونازعها في ذلك أخوه جعفر بن علي، فتعصب لها جماعة، وله آخرون، ثم انفش ذلك الحمل، وبطل، فأخذ ميراث الحسن أخوه جعفر، وأخ له. وكان موت الحسن سنة ستين ومائتين... إلى أن قال: وزادت فتنة الرافضة بصقيل وبدعواها، إلى أن حبسها المعتضد بعد نيف وعشرين سنة من موت سيدها، وجعلت في قصره إلى أن ماتت في دولة المقتدر.

قلت: ويزعمون أن محمدا دخل سردابا في بيت أبيه، وأمه تنظر إليه، فلم يخرج إلى الساعة منه، وكان ابن تسع سنين. وقيل دون ذلك.

قال ابن خلكان: وقيل بل دخل، وله سبع عشرة سنة، في سنة خمس وسبعين ومائتين، وقيل: بل في سنة خمس وستين، وأنه حي. نعوذ بالله من زوال العقل.

قل فلو فرضنا وقوع ذلك في سالف الدهر، فمن الذي رآه؟ ومن الذي نعتمد عليه في إخباره بحياته؟ ومن الذي نص لنا على عصمته، وأنه يعلم كل شيء؟ هذا هوس بين. إن سلطناه على العقول ضلّت وتحيرت، بل جوّزت كل باطل. أعاذنا الله وإياكم من الاحتجاج بالمحال والكذب، أو رد الحق الصحيح كما هو ديدن الإمامية.

وممن قال: إن الحسن العسكري لم يعقب: محمد بن جرير الطبري، ويحيى بن صاعد، وناهيك بهما معرفة وثقة.» (سير أعلام النبلاء: ١٣/ ١١٩-١٢٢). (صلاح)

الباب الثاني

أمهات المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُنَّ

الباب الثاني

أُمّهات المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُنَّ

«اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذرّيّته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد و على أزواجه وذرّيّته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد».(١)

حكم تعدد الزوجات: شبهات وردود:

قبل أن نتناول أحوال أزواج النبي ﷺ، لا بدّ من إزالة الشبهات والظنون، التي يثيرها النصارى حول تعدّد الزوجات. والظاهر أن الكلام حول جواز التعدّد وعدم جوازه لا يمكن إلا من ناحيتين:

١- الناحية القانونية. ٢- الناحية الدينية.

١- أما من الناحية القانونيّة: فإن القانون يحكم في هذه القضية لأوربا غير حكمه فيها لآسيا. فالمحاكم العليا في الهند كلّها تعترف بصحة وجود أكثر من زوجة في القوانين الجنائية والمدنية، كما أنّها تعترف بحقوق زوجتين أو أكثر في القضايا المتعلّقة بالأملاك، وتصدر قرارها على أنهن وارثات شرعيات لأزواجهن.

إن المرأة التي هي زوجة ثانية، أو ثالثة، أو رابعة لزوجها، ومع ذلك تنكح زوجا آخر، فإن مثل هذه المرأة تعتبرها هذه المحاكم العالية آثمة في القضايا الخاصّة بالمادة (رقم٤٩٤) في القانون الجنائي في الهند. كما تعتبر من يتزوجها مجرما. وهذا القانون المتفق عليه المعترف به للمحاكم العالية الهندية، يختلف تماما عن قانون إنجلترا المسمّى بالي

---

(١) ألفاظ الصلاة هذه رواها البخاري [رقم ٣٣٦٩، ٦٣٦٠]، ومسلم [رقم ٤٠٧]، وأبو داود [٩٧٩]، والنسائي [١٢٩٣]، وابن ماجة [٧٤٧] عن أبي حميد الساعدي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ [الإحالة إلى السنن إلى صحاح الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ]

جامي (Polygamy).

فقانون المحاكم الهندية العادلة هذا، يميز آسيا من أوربّا. ومن هنا ثبت أنه لا يجوز أن يوجّه اعتراض إلى مسألة التعدد من الناحية القانونيّة أيضًا[١].

٢- ونفكر الآن في هذه المسألة من الناحية الدينية. فآسيا لم تزل مهد الديانات ومهبط الشرائع، والمسيح أيضا آسيويّ، فإنه ولد بأرض الشام.

تعدّد الزوجات في الديانات المشهورة في آسيا:

ونرى الديانات الشهيرة الشائعة بآسيا تؤيّد تعدّد الزوجات.

ففي الهند القديمة:

١- كانت للملك «دسرت» والد «رام جندر جي» ثلاث زوجات:

الملكة كوشليا: أمّ رام جندر جي

الملكة سمترا: أمّ لكشمن جي

الملكة كيكئي: أمّ برت جي

٢- وكذلك كرشن جي كانت له مئات الزوجات.[٢]

٣- وكانت للملك باندو الذي هو أب للبراهمة: زوجتان:

كنتي: أم يدهشتر، وبيم سين، وأرجن

---

(١) وينبغي أن نضمّ إلى ذلك: المادة رقم (٣٦٣) والمادة رقم (٣٦٦) والمادة رقم (٤٩٨). ولا يصحّ أن يقال في جوابنا: إن المحاكم الهندية قد اتّبعت في هذا الأمر العادات والتقاليد الهندية، لأن المشرعين لو اعتبروا التعدد مما يهدم الأخلاق لمنعوه كلّيا، حتى لو كانت العادات تؤيّده، كما فعلت الحكومة في القضاء على عادة إحراق النساء، مع أزواجهن المتوفين، مع أن بعض الناس كانوا يجعلون أساسها على الدين.

هذا هو موقف المحاكم تجاه التعدد، وإن كان الناس في هذه البلاد لا يزالون يستدلّون بالعادات الشائعة في مخالفته. ولكن بعد التدبّر في هذه الأدلة يظهر جليًّا أن دليلنا صحيح.

(٢) إن الراحل «لاله لاجبت راي» لم يعترف في كتابه «كرشن جرتر» إلا بثماني عشرة زوجة، وحسبنا هذا العدد، لتأييد موقفنا.

مادري: أم نكل، وسهديو

٤ - وكانت للملك شنتن زوجتان:

غنغا: أم بيكم.

ستيه وتي: أم جترانكد، ويجترايرج ابني شنتن. وهي أم بياس بن براشرر كيتر.

٥ - وكانت لويجترايرج زوجتان وأمة:

أمبكا: أم درتراشت بن وياس جي.

أمبالكا: أم باندو بن وياس جي.

الأمة: أم بدر بن وياس جي.

منهاج النبوّة وتعدّد الزوجات

وينبغي أن ننظر الآن إلى هذه المسألة بمنهاج النبوّة.

الأنبياء السابقون ومكانتهم عند النصارى:

- إن النصارى، يعترفون لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالمجد[(١)] والشرف.

- ويعترفون بأن الله اصطفى يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ واستخلصه.[(٢)]

- ويعتقدون أنه لم يقم نبيّ في بني إسرائيل مثل موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، الذي عرفه الربّ وجها لوجه.[(٣)]

- ونحن نجد في التوراة الجملة الآتية في شأن داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «قال له الربّ أنت ابني، وأنا أبوك اليوم».[(٤)]

- ويعتقد النصارى في سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أنه قال له الربّ: «هو ذا أعطيتك قلبا حكيما ومميزا حتى أنه لم يكن مثلك قبلك، ولا يقوم بعدك نظيرك».[(٥)]

- كما يعترفون بقول الله في شأن سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «هو يكون لي ابنا، وأنا له أبا».[(٦)]

وبعد ذكر النصارى هذه الأقوال في فضل الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، يتسنّى لنا أن نقول لكل ثقة واعتماد أن أسوة الأنبياء السابقين خير نظير وأقوى دليل على صحة منهاج النبوّة وثبوته وتأييده.

---

(١) رسالة يعقوب (٢/ ٢٣).

(٢) أخبار الأيام الأول (٢٢/ ١٠)، والخروج (٤/ ١١).

(٣) التثنية (٣٤/ ١٠).

(٤) زبور (٢/ ٧).

(٥) الملوك الأول (٣/ ١٢).

(٦) أخبار الأيام الأول (٢٢/ ١٠).

موقف الأنبياء السابقين من تعدّد الزوجات:

- انظروا الآن إلى الأنبياء السابقين، فقد كانت لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ثلاث زوجات:

(١) السيدة هاجر: أم إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ (التكوين ١٦/ ٤)

(٢) السيدة سارة: أم إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ (١٨/ ١١-١٥)

(٣) السيدة قنطورة: أم زمران، ويقشان، ومدن، ومديان، وأشباق، وشوح (التكوين ٢٥/ ١)

- وكانت ليعقوب إسرائيل أربع زوجات:

(١) **لياه**: أم راوبين، ولاوي، ويهوذا، ويساكر، وزبولون (التكوين ٢٩/ ٢٣).

(٢) **زلفه**: أمّ جاد وأشير (التكوين ٢٩/ ٢٣).

(٣) **راحيل**: أم يوسف وبنيامين (التكوين ٢٩/ ٢٨).

(٤) **بلهة**: أم دان، ونفتالي (التكوين ٢٩/ ٢٩).

- **وكانت لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أربع زوجات:**

(١) صفورة: أم جرشوم والعيزر (الخروج ٢/ ٣١).

(٢) حبيشية: ....

(٣) وزوجة أخرى، كان اسم أبيها قيني (القضاة ١/ ١٦).

(٤) وأخرى كان اسم أبيها حوباب (القضاة ٤/ ١٦).

جواز تعدّد زوجات لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

إذا خرجتَ لمحاربة أعدائك، ودفعهم الرب إلهك إلى يدك، وسبيتَ منهم سبيًا. ورأيتَ في السبي امرأة جميلة الصورة، والتصقتَ بها، واتخذتها لك زوجة. فحين تُدخِلها إلى بيتك تحلق رأسها، وتُقلِّم أظفارها، وتنزِع ثياب سبيها عنها، وتقعد في بيتك، وتبكي أباها وأُمّها شهرًا من الزمان، ثم بعد ذلك تدخل عليها، وتتزوج بها، فتكون لك زوجة. (التثنية: الإصحاح ٢١/ ١٠-١٣)

- **وكانت لداود تسع زوجات من الحرائر**، وعشر من الجواري، وأخرى من النساء اللاتي ورد ذكرهنّ في التوراة. وفيما يلي بيان التوراة في ذلك.

شجرة نساء داود عَلَيْهِ السَّلَامُ

اسم الزوجة	المصدر	أولادها
١- أخينوعم	صموئيل الثاني ٣/ ٢	ولدت أمنون البكر
٢- أبيجائيل	صموئيل الثاني ٣/ ٤	ولدت كلاب
٣- ميكال بنت ساول ملك إسرائيل	صموئيل الأول١٨/ ٢٧	كانت عاقرا
٤- معكة بنت تلماي ملك جشور	صموئيل الثاني الإصحاح الثالث	ولدت أبشالوم
٥- حجيت	صموئيل الثاني الإصحاح الثالث	ولدت أبي سلوم وأو ديناه
٦- أبيطال	صموئيل الثاني الإصحاح الثالث	ولدت شفطياه
٧- عجلة	صموئيل التالي الإصحاح الثالث	ولدت يتر عام. إن ابناء داود المذكورين أعلاه قد ولدوا بحبرون
٨- ببتشع بنت أليعام	صموئيل الثاني١١/ ٣-٢٦	ولدت سليمان
٩- أبيشج	صموئيل الثاني	......
١٠- النساء السراري العشر لداود عَلَيْهِ السَّلَامُ	صموئيل الثاني[1] ٢٠/ ٣٠	......

وأخذ داود أيضا سراري ونساء من أورشليم بعد مجيئه من حبرون. (صموئيل الثاني ٥/ ١٣)

- **وكانت لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ألف امرأة:** سبع مائة من الأحرار، وثلاث مائة من السراري. (الملوك الأول ١١/ ٣)

---

(١) وعاقبهن داود، فلم يدخل إليهن، بل كنّ محبوسات إلى يوم موتهن، في عيشة العزوبة. (صموئيل الثاني ٢٠/ ٣٠)

دلّت هذه الإحالات كلّها على أن بيوت الأنبياء الكرام السابقين، كانت تعمر بأكثر من زوجة، ولم يطعن فيهم أحد من النصارى، ولم يشنعوا عليهم لأجل التعدّد من الزوجات.

- **وهناك كثير من الأمثلة غير ما ذكرنا، ففي كتاب النبي حزقيال:**

«وكان إليّ كلام الربّ قائلا: يا ابن آدم! كانت امرأتان: ابنتا أمّ واحدة، واسم الكبيرة أهولة، وأهولية أختها، وكانتا لي وولدتا بنين وبنات». (حزقيال: إصحاح ٢٣/ ١-٤)

قد ذكر الربّ في هذا الكلام زواجه من أكثر من واحدة.

ويمكن أن يقول النصارى هذا كلام ورد على سبيل التمثيل، ولكنّه مع ذلك يدلّ على أنه لو كان التعدّد بين الزوجات أمرًا مستنكرًا مكروهًا عند الربّ لما نسبه إلى نفسه، ولو على سبيل التمثيل.

- **واقرءوا الإصحاح (رقم ٢٥) من «إنجيل متى»، فقد ذكر فيه المسيح عشر** عذارى، حين ذكر قدومه، تزوّج خمسًا منهن، ودخلن معه إلى العرس، وأغلق الباب على الخمس اللاتي تأخّرن.

والظاهر أنه لو لم يكن التعدّد بين الزوجات أمرًا محمودًا عند المسيح لما تمثّل به أبدًا.

وبهذا التمثيل كان يستدلّ شاعر إنجلترا الشهير «ملتن» على جواز التعدد بين الزوجات.

- وإذا لم يتفق أحد مع موقفنا بعد هذه الأدلة، فعليه أن يقرأ الدرس الرابع من الإصحاح الثالث عشر من الرسالة إلى العبرانيين ففيه: «ليكن الزواج مكرما عند كل واحد، والمضجع غير نجس، وأما العاهرون والزناة فسيدينهم الله.»

هذا الدرس يذكر صورتين فقط:

الأولى: الزواج.

والثانية: الزنا.

فالذي يقول الآن: إن التعدّد مضجع نجس، هل في مقدوره أن يعترف بأن جميع

الأنبياء الكرام الطاهرين، الذين يؤمن بنبوّتهم، كانت تصدق عليهم عبارة[1] العبرانيين المذكورة في الإصحاح (١٣/ ٤)؟

نحن نعلم، ونعتقد كذلك أنه ليس هناك من النصارى الصادقين من يقول بذلك. ولذا نطالب من النصارى والمؤمنين جميعا، أن يحجموا عن النيل من شأن محمد ﷺ، كما فعلوا فيما يتعلق بإبراهيم ويعقوب وموسى وداود عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

(١) ليكن الزواج مكرما عند جميع الناس وليكن الفراش بريئًا من الدنس، فإن الزناة والفاسقين سيدينهم الله. (بدر العتيبي)

الفصل الأوّل

محمد ﷺ وتعدّد الزوجات[1]

لم يكن تعدّد الزوجات تتبعًا للجمال، وإشباعًا للغريزة:

انظرو إلى النبيّ ﷺ أنه قضى خمسًا وعشرين سنة من حياته المباركة، الممتدة إلى ثلاث وستين سنة، دون زواج. فالذي قضى عهد يفوعته وشرخ شبابه تقيّا نقيّا ورعا طاهر الذيل، والذي قد استمال جمال رجولته حرائر من النسب العالي، فرغبن في الزواج به، ومع هذا لم يتغلّب على تجرّده شيء طيلة ربع قرن من الزمان، أفلا يستحقّ مثل هذا الرجل أن يثنى عليه خيرًا؟

والذي قضى من عمره من خمس وعشرين سنة إلى خمسين سنة يعايش زوجة أكبر منه بخمس عشرة سنة.[2] تزوّجت قبله زوجين، وولدت منهما أولادًا وصارت كبيرة السنّ، ومع هذا كلّه لم يرثّ حبل حبّه لها شيئًا، طوال ربع قرن من الزمان، بل ظلّ يذكرها دائمًا حتى بعد موتها.[3]

---

(١) راجع هذا المبحث في كتابي «المرأة بين هداية الإسلام وغواية الإعلام». (صلاح)

(٢) اختلفوا في عمر خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند زواجها مع النبي ﷺ ويأتي بيانه تعليقًا في بداية الفصل الخامس. (صلاح)

(٣) ولو أمعنا النظر في حكمة الله تعالى في هذا الزواج لوجدنا أن رجلًا سيخوض غمار حرب نفسية وجدّية شرسة ضد أعدائه، لا بد من أن تكون بجانبه زوجة، تشدّ أزره وتقوي عزيمته وتفسح الأمل بالمستقبل أمام ناظريه، لا زوجة تشيع في نفسه الخور والضعف.
ولم يتزوج رسول الله في حياة خديجة امرأة غيرها لأمرين اثنين:
الأوّل: تقديرًا منه صلوات الله وسلامه عليه لجهاد خديجة، ونفثها روح الصمود في نفس رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

=

هل يستطيع أحد أن يقول عنه بأنه تزوّج لما يتزوج له الآخرون من عبدة الجمال لإشباع الغريزة الجنسية[١] فقط؟

دعوة إلى التفكير في أهم عوامل تعدّد زوجاته:

إنّ في حياة النبي ﷺ فترة خمس سنوات (من سنة ٥٥ إلى ٥٩) تمّ فيها زواجه مع أزواجه الطاهرات المطهرات ولذا يجب على كل إنسان أن يفكر في أهم العوامل والأسباب التي كانت وراء كل عمل قام به النبي ﷺ بعد خمسة وخمسين عاما من عمره، ولا سيما حين نجد قوله ﷺ: **«ما لي في النساء من حاجة»**.[٢]

حتى يعلم أن تعدد زوجاته، كان يهدف إلى كثير من الفوائد الدينية، والمصالح السامية للدولة الإسلامية، والأهداف النبيلة للأمّة. وتحقيق هذه الفوائد والمصالح والأهداف في ذلك الزمن القديم، وفي تلك المنطقة المتخلفة في جزيرة العرب، لم يكن ممكنًا من غير تعدد الزوجات.[٣]

=

الثاني: لم تكن هناك أية حاجة للدعوة الإسلامية لأن يعدّد رسول الله ﷺ الزوجات، فالمرحلة التشريعية التي تقتضي تعليمها للناس، والتي كان قسطًا كبيرًا منها يطبقه رسول الله ﷺ في بيته، مبلغ لها وناقل هم الزوجات اللاتي يعشن مع رسول الله ﷺ في بيته، ويعلمن أحوالها، هذه المرحلة لم تبدأ بعد، والعداء بين رسول الله وخصومه هو محصور في قريش، لم يخرج عنها إلى غيرها من قبائل العرب بعد. (قراءة جديدة للسيرة النبوية للدكتور محمد روّاس قلعه جي: ٣٣-٣٧). (صلاح)

(١) زد إلى ذلك أن الأزواج المطهرات كلهن كنّ أرامل إلا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ. (صلاح)

(٢) أخرجه الدارمي في النكاح (ص ٥٣٨) عن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [ورواه البخاري (٥٠٢٩، ٥١٤١) ومسلم (١٤٢٥) وغيرهما من أصحاب السنن عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ].

(٣) تأمّلوا في نكاح **«نابليون بونا بارت الثاني»**، الذي تمّ في حضرة البابا نفسه، والذي اعترفت بصحته أوربا كلّها، ولم يكن ذلك إلا لإبقاء نسل «نابليون». وهذه الحاجة ليست من الأهمية بأيّ مكان، نظرًا لما لنكاح أنبياء الله ورسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من المصالح التشريعية العليا، والفوائد الدينيّة للبشرية جمعاء.

• **تأملوا مثلا في نكاح أمّ المؤمنين صفيّة** رَضِوَاللَّهُعَنهَا، **فإنّ** جميع الحروب التي وقعت قبله، كانت تتحرك فيها أصابع اليهود سرًا أو علنا، ولكن بعد أن تزوج النبيّ ﷺ بأم المؤمنين صفية، لم يشارك اليهود في حرب من الحروب ضد المسلمين، **فما أوجب هذا النكاح!**

• **وانظروا مثلا إلى نكاح أم المؤمنين أم حبيبة** رَضِوَاللَّهُعَنهَا، كان أبوها أبو سفيان من أشراف قريش، يعقد لواء الحرب في بيته، وحين ينصب هذا اللواء كان يتحتّم على كل فرد من أفراد القوم، أن ينضمّ تحت لوائه تبعًا لتوجيهات آبائه وعادات قومه. نحن نرى أبا سفيان هو الذي قاد الجيش حاملًا هذا اللواء في كل من غزوة أحد، وحمراء الأسد، وبدر الأخرى، والأحزاب.

أما بعد زواجه ﷺ بأم حبيبة رَضِوَاللَّهُعَنهَا، فلا تجدونه يقود الحرب ضدّ المسلمين، بل ويقوم تحت لواء الإسلام بعد زمن غير كثير.

فهل يستطيع أحد أن يقول: لم يكن هذا النكاح من الأهمية في شيء؟

• **وانظروا إلى نكاح أم المؤمنين جويريّة** رَضِوَاللَّهُعَنهَا، كان أبوها من قطّاع الطريق يضمر العداوة للمسلمين، وكانت قبيلة بني المصطلق القويّة الكثيرة البطون، رهن إشارته، تعمل بما يقول، وما من حرب قامت ضد المسلمين قبل هذا النكاح إلا وجد فيها دور هذه القبيلة.

أما بعد هذا الزواج المبارك فقد تلاشت هذه النزاعات، وتحضرت القبيلة، وتخلّت عن الإغارة والغزو، ولم تساهم بعد ذلك ضدّ المسلمين في أي حرب. **فما أوجب هذا النكاح يا ترى، قل لي بالإنصاف!**

• **وانظروا إلى نكاح أم المؤمنين ميمونة** رَضِوَاللَّهُعَنهَا، كانت لها أخت تحت سيّد نجد، فصار لهذا النكاح تأثير كبير في إحلال الأمن والسلام في نجد، ونشر الدين الإسلامي فيها، بينما كان أهل نجد قبل ذلك ممن استقدموا سبعين من الوعّاظ والدعاة، واغتالوهم غدرًا، وهم الذين قاموا بنقض الأمن، وإثارة الفتن مرارًا.

فكلّ من لا ينكر فوائد الأمن العام وإصلاح شئون البلد، يضطرّ إلى الاعتراف بكون هذا النكاح مباركًا فيه.

- **وكان نكاح كلّ من أمهات المؤمنين:** زينب بنت جحش، وعائشة، وحفصة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ- ينبني على تحقيق الأهداف الإسلامية، والمصالح الدينية. ــــ

- فهذه بنت جحش، قد تكسّرت بعد نكاحها أصنام التبنّي، وأصبحت شجرة التثليث هشيمًا تذروه الرياح. ولم يكن ليتحقق الإصلاح العظيم في صفوف للمشركين وأهل الكتاب إلا بذلك.

- وأما عائشة وحفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقد ظهرت بعد نكاحهما أعمال خارقة للعادة، فيما يتعلق بحفظ كتاب الله تعالى، ونشر الأحاديث النبويّة وتعليم النساء، وأنتج نكاح كلّ منهما توطيد خلافة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وجعلهما أجدى وأنفع.

وهذه كلها فوائد لم يكن النبي ﷺ لتفوته وسيلة مناسبة تساعده على تحقيقها والحصول عليها.

إن ما ذكرنا من الفوائد هو غيض من فيض، ونموذج للأغراض النبيلة والأهداف الدينية، التي كان يهدف إليها النبي ﷺ في كل زواج، وليس بمقدورنا أن نحصيها عددًا.

ولكن لما ظهر من هذا البحث الوجيز، أن النبي ﷺ، وليس بمقدورنا أن نحصيها عددًا. ولكن لما تم من هذا العمل بسنة الأنبياء السابقين، الحصول على مصالح الدين والدولة، فكل من يحمل في هامته عقلًا، ويتمتع فهمًا سليمًا، لا بد من الاعتراف بأن النبي ﷺ كان أجدر وأحقّ بأن يفعل ذلك، ولو لم يفعل لحرمت الأمة، والدين الإسلامي من مصالح كثيرة، وذلك يتعارض شأن الداعي الأعظم الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين جميعًا.(١)

---

(١) بعد وفاة خديجة الكبرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهجرة رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، بدأت مرحلة جديدة في حياة الدعوة، هذه المرحلة تطلبت أن يكون للرسول العديد من الزوجات، وبذلك يمكننا حصر الحكمة من تعدد رسول الله الزوجات -مع أنه عبد ثقيل على كل رجل لصعوبة التوفيق بينهن، وعلى رسول الله خاصة لما عرف عنه من الفقر وضيق ذات اليد- **يمكننا حصر الحكمة من ذلك في ثلاثة أمور:**

- **الأوّل:** طالما أن حياة رسول الله الخاصة والعامة كلها مثال يجب على كل مسلم أن يحتذيه، فهي سنة لا يجوز التفريط بها عملًا بقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، =

=

ولما كان أعلم الناس بحياة الرجل الخاصة هم زوجاته، تطلب هذا أن يكون لرسول الله من الزوجات ما يؤمن مصلحة نقل وتبليغ حياة رسول الله للناس، والإشراف على تنظيم الدعوة بين صفوف النساء.

- **الثاني**: إن المستقرئ لأوضاع زوجات رسول الله، يجد أن كل واحدة منهن تفرق عن باقي الزوجات، فمنهن الصغيرة التي لا تزال تعكف على ألعابها، والعجوز الكبيرة، ومنهن ابنة أعدى أعدائه، وأصدق أصدقائه، ومنهن من كانت هوايتها تربية الأيتام و... إنهن نماذج لأفراد الإنسانية، ومع ذلك فإن رسول الله قدّم لأصحابه وللمسلمين تشريعًا رائعًا يعلّمهم كيف يتم التعامل الناجح مع كل أنموذج من النماذج البشرية.
- **الثالث**: أنه ما أن أعلن رسول الله إقامة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، حتى ناصبته قبائل العرب العداء، ولم يعد أمر هذا العداء قاصرًا على قريش، كما كان الحال في مكة، بل أصبح عامًا أو شبه عام بين قبائل العرب، فرأى رسول الله من الحكمة، أن يجمّد بعض أطراف العداء، ولما ذلك في لغتهم إذ يسمّون أنفسهم بالأحماء -من الحماية-، فقد سعى رسول الله للزواج من قبائل شتى لتجميد أو تخفيف عدائها.

فزواج رسول الله ﷺ كان لمصلحة عليا تقتضيها مسيرة الدعوة وتوطيد أركان الدولة، وهكذا برهن رسول الله ﷺ أنه السياسيّ الشرعيّ المحنك كما هو النبيّ الموحى إليه.

ولكن لما كانت هذه المصلحة يمكن أن تستغلّ أسوأ استغلال نظرا إلى أن الأمور الجنسية تتبعها النفوس لاهثة، فقد جعل الله ذلك خاصًا برسول الله ﷺ، وحد عدد الزوجات لغيره بأربع يجوز أن ينقصن، ولا يجوز أن يزدن على ذلك إذا اجتمعن. («قراءة جديدة للسيرة النبوية»: ٣٣-٣٥)، وراجع كتابي «المرأة بين هداية الإسلام وغواية الإعلام» مبحث تعدّد الزوجات. (صلاح)

الفصل الثاني

فضائل أزواج النبي ﷺ

وبما أن فضائل أزواجه المطهرات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ شعبة من شعب فضائله ﷺ، وجب ذكر فضائلهن في السيرة النبوية الشريفة.

نذكر هنا ما ورد من فضائلهن في القرآن الكريم واحدًا تلو الآخر. أما ما ورد منها في الحديث الشريف، فسنذكرها في موضع آخر بإذن الله تعالى.

فالفضيلة الأولى:

أن الله تعالى وصفهن بأزواج النبي ﷺ.

معنى كلمة الزوج لغويا: واستعمال كلمة «زوج» في العربية، إنما يصحّ للأشياء المتشابهة المتشاكلة المتساوية، كما يقال: زوجا خفٍ. قال تعالى:

﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الصافات: ٢٢]. أي من كانوا على شاكلتهم.

وقال: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾﴾ [التكوير: ٧]. أي قسمت، فيجعل الصالح مع الصالح، والعاصي مع العاصي.

فلما وصفهن الله تعالى بأزواج النبي ﷺ، صار هذا الخطاب مظهرًا لاتصالهن به اتصالا دائما وتشاكلهنّ له تشاكلًا تاما.

كلمة الزوج تقتضي الانسجام والتوافق بين الزوجين:

وإذا أردت المزيد من شرح هذه النكتة، فتدبّر في القرآن كلّه، لا تجد موضعا وصف فيه رجل وامرأة بأنّهما زوجان، بعيدًا عن فقدان الاتحاد الظاهري والباطني، والوحدة الزوجية والإيمانية.

وبعد هذه النكتة لا يغيبن عن البال، أن القرآن الكريم لم يتقيّد بهذه القيود في استعمال كلمة «المرأة»، وإنما ورد استعمالها فيه في كل من الصور الأربع الآتية:

إذا كان كل واحد منهما كافرًا. ورد في أبي لهب وامرأته:

١- ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤﴾. [سورة المسد: ٤].

إذا كان الزوج مؤمنًا، والزوجة كافرة. قال تعالى:

٢- ﴿ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ ۝١٠﴾ [سورة التحريم:١٠].

إذا كانت الزوجة مؤمنة، والزوج كافرًا قال:

٣- ﴿ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ ۝١١﴾ [سورة التحريم:١١].

٤- إذا كان كل واحد منهما مؤمنًا. قال تعالى حكاية عن زكريا في شأن امرأته:

﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا ۝٥﴾ [سورة مريم: ٥].

وفي قصة إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ:

﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ... ۝٢٩﴾ [سورة الذاريات:٢٩].

• **ففي الصورة الأولى** لم تستعمل كلمة «زوج» لأنه خطاب كريم، ولا يستحق أبو لهب وامرأته هذا الخطاب.

• **أما في الصورتين: الثانية والثالثة**، فاستعملت فيها كلمة «المرأة»، ولم تستعمل «الزوج» لما فيها من مشاكلة ومساواة، والمرأة الكافرة لا تساوي ولا تشاكل رجلًا مؤمنًا، ولا الرجل الكافر يشاكل ويساوي امرأة مؤمنة.

• **أما في الصورة الرابعة**، فلأنها قد ورد فيها ذكر حمل زوجتي زكريا وإبراهيم عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ، وولادتها، وذكر هذا الأمر بكلمة «امرأة» أبلغ منه بالزوج، لأن كلمة «الزوج» تطلق على الرجال كما تطلق على المرأة. وقد ذكر الله امرأة زكريا في آية آخرى بكلمة «الزوج»، ليزيل شبهة من قصر فهمه، فقال:

﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ... ۝٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال في شأن امرأة إبراهيم على لسان الملائكة:

﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾ [هود: ٧٣].

وبالجملة فإن التزام القرآن بهذا الأمر في استعمال كلمة «الزوج»، وعدم التزامه به في استعمال كلمة «المرأة» يؤيّد دليلنا تأييدًا كاملًا.[١]

(١) **خلاصة هذا البحث بشيء من التوضيح:**

(المرأة): إذا كانت هناك علاقة جسدية بين الذكر والأنثى، ولا يوجد بينهما انسجام وتوافق فكري ومحبة تسمّى الأنثى هنا (امرأة).

(الزوجة): إذا كانت هناك علاقة جسدية ويتوافق ذلك بانسجام فكري وتوافق ومحبة.. تسمى الأنثى هنا (زوجة).

قال تعالى: (امرأة نوح)، (امرأة لوط). ولم يقل: «زوجة» بسبب الخلاف العقدي بينهما، فهم أنبياء مؤمنون وزوجاتهم غير مؤمنات .

وقال تعالى: (امرأة فرعون). لأن فرعون لم يؤمن ولكن امرأته آمنت .

بينما انظر إلى مواضع استخدام القرآن الكريم للفظ (زوجة).

قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ (البقرة: ٣٥)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ (الأحزاب: ٢٨)

وذلك ليدلل الله جلّ جلاله على التوافق الفكري والانسجام التام بينهما.

ولكن هناك موضوع آخر.

لماذا استخدم القرآن الكريم لفظ (امرأة) على لسان سيدنا زكريا على الرغم من أن هناك توافقًا فكريًا وانسجامًا بينهما؟

يقول الله تعالى: ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ (مريم: ٥)

والسبب في ذلك أنه من المحتمل أن يكون هناك خلل ما في علاقة زكريا مع زوجته بسبب موضوع الإنجاب، فيشكو همه إلى الله تعالى. ولكن بعد أن رزقه الله ولدا وهو سيدنا يحيى اختلف التعبير القرآني: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ (الأنبياء: ٩٠)

وفي موقف آخر فضح الله بيت أبي لهب فقال تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾ (المسد: ٤) ليدلل القرآن أنه لم يكن بينهما انسجام وتوافق!

(الصاحبة): يستخدم القرآن الكريم لفظ (صاحبة) عند انقطاع العلاقة الفكرية والجسدية بين الزوجين. لذلك فمعظم مشاهد يوم القيامة استخدم فيها القرآن الكريم لفظ «صاحبة».

=

وصف الله تعالى الأزواج المطهرات بأزواج النبي ﷺ في «سورة مريم» مرتين، وفي «سورة الأحزاب» أربع مرات. ومن هذا يظهر ما لهن من شرف وفضل ومكانة.

والفضيلة الثانية:

قال الله تعالى: ﴿لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ...﴾ [الأحزاب: ٣٢].

إن كلمة «النساء» يدخل فيها كل فرد من جنس الأنثى، ولا تخرج منها شخصية أيّ امرأة.

وزد إلى ذلك كلمة «أحد»، التي إذا استعملت للنفي، كان النفي أتمّ وأكمل، كما في قوله تعالى:

﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص: ٤].

فاستعمال كلمة «أحد» للنفي لا يترك مجالًا لأيّ استثناء، فثبت أن منزلة أزواج النبي ﷺ أسمى وأرفع من غيرهن من النساء.

الفضيلة الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ...﴾ [الأحزاب: ٥٠].

إن الرجل والمرأة يكون كل واحد منهما زوجا لآخر بعد النكاح، سواء تم هذا النكاح وفقا للشريعة الإسلامية، أو لشريعة أخرى، ممّا كانا يدينان بها وقت الزواج. ولكن لا يستطيع أحد أن يدّعي بأن لنكاحه مكانة عند الله عزّ وجلّ.

أما أزواج النبي ﷺ فقد أنزل الله تعالى فيهن قوله: ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ﴾، وأعلن

=

قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦﴾ (عبس: ٣٤ – ٣٦)
لأن العلاقة الجسدية والفكرية انقطعت بينهما بسبب الموت أولا، ثم أهوال يوم القيامة.

وتأكيداً لذلك قال الله تعالى صراحة: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞ﴾ (الأنعام: ١٠١)
لماذا لم يقل (زوجة) أو (امرأة)؟؟

وذلك لينفي أيّ علاقة جسدية أو فكرية مع الطرف نفيا قاطعا جملة وتفصيلا ...فسبحان الله عما يشركون. (منقول من الشبكة العنكبوتية). (صلاح)

أنّهن أزواج للنبيّ برضا الله تعالى. ومن والواضح أن هذا الرضا فضيلة عظيمة لهن في الحقيقة.

الفضيلة الرابعة:

ذكر الله تعالى حسن عشرة النبي ﷺ لأزواجه المطهرات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، فقال: ﴿تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ ۝١﴾ [التحريم: ١] أي: تهتم برضاهن.

من الواضح أن أفعاله ﷺ أعظم وأجلّ من أن يشوبها خطأ، فابتغاؤه ﷺ مرضات أزواجه، واهتمامه برضاهن دليل على فضيلتهن.

ولا ينبغي أن يشكّ أحد في هذا المفهوم بقوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ...۝١﴾ [التحريم: ١].

فإنه لا يتعارض مع قول الله عز وجل ﴿تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَ﴾ ولا يؤثر عليه شيئا، لأنّه حينئذ يقول «يا أيّها النبيُّ لم تبتغي مرضات أزواجك»، ولم يقل كذلك.(١)

فمعنى الآية: أنت تقوم بكل عمل لإرضائهن، ولكن لا بد أن يكون له حدّ وهذا الحدّ هو أن تقوم بما تريد لإرضائهن بشرط أن لا تحرّم حلالًا، كما حرّم على نفسه العسل لاستكراه إحدى أزواجه رائحته.

تبيّن من ذلك أن الله تعالى قد أذن للنبي ﷺ بمرضات أزواجه. والواقع أن هذا الإذن روح لتدبير المنزل، وقوام لحسن العشرة، كما أن الحدّ الذي أقامه الله له أهميته ووجوبه، حتى لا يحرّم أحد حلالًا لمجرّد ابتغاء مرضات أزواجه، وإذا لم يؤذن لأحد بتحريم حلال، فتحليل حرام أولى، بأن يكون غير مأذون به لأحد.

انحلّت هنا مسألة عظيمة، وظهر للناس حسن معاشرة النبي ﷺ لأزواجه، وبذلك فليعمل العاملون.

---

(١) قال ناصر الدين بن المنير في «الانتصاف» (٤/ ١٢٥): «...إنما عاتبه الله تعالى عليه رفقًا به، وتنويهًا بقدره، وإجلالًا لمنصبه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يراعي مرضاة أزواجه بما يشق عليه، جريًا على ما ألف من لطف الله تعالى به.» (روح المعاني: ٢٧/ ٢٤٠). (صلاح)

وبالجملة هذه الآية تشير إلى ما لأزواج النبي ﷺ من فضيلة.[١]

الفضيلة الخامسة:

قال الله تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١].

وإذا كان ما ورد في هذه الآية صفة الزوجين بوجه عام، فلا بدّ أن يكون النبي ﷺ وأزواجه مظهرًا تتمثل فيهم هذه الصفة بالضرورة، وعلم كذلك بقول علّام الغيوب أن أزواجه ﷺ كن مبعث سكون له، وكانت قلوبهن عامرة بحبّه ومودّته، كما كان قلبه عامرًا بالرأفة والرحمة لهن، ومن هنا ظهرت فضيلة أزواجه ﷺ.

الفضيلة السادسة:

وهي أن الله تعالى امتحن أزواج النبي ﷺ، فخيّرهن بين أمرين يخترن بينهما ما شئن. فقال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب: ٢٨ - ٢٩].

تذكر الآية أن لأزواج النبي ﷺ «الدنيا وزينتها» في جانب، وفي جانب آخر «الله ورسوله والدار الآخرة».

ففي الصورة الأولى: كان للنبي ﷺ أن يسرّحهن سراحا جميلًا.

---

(١) لقد أراد مؤلفنا من هذا البيان إثبات أن ابتغاء مرضات الأزواج تطييبًا لخاطرهن ليس بمستنكر ولا بعيب، إلى ما لا يؤدي هذا إلى تحريم حلالٍ أو تحليل حرام، لأن التشريع الإسلامي لا مدخل للأغراض الشخصية فيه.

وأما إرضاء الأزواج فقال الله تعالى فيه: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾ [الأحزاب: ٥١]. في هذه الآية دليل على إرضائهن. والله أعلم. (صلاح)

وفي الصورة الثانية: على الله أن يُعِدّ لهن أجرا عظيما.

هذا الأمر كان النبي ﷺ مأمورًا بتبليغه إلى أزواجه، وليس من شك أنه أبلغه إلى أزواجه، وعلينا الآن أن ننظر ماذا كانت النتيجة؟

هل اختارت أزواجه المطهرات الدنيا وزينتها؟

لو كان كذلك لسرّحهن كلّهن، أو من شاءت منهنّ سراحا جميلا، امتثالا لأمرالله، وأداء لفريضته، التي فرضها الله عليه، ولكن كتب التأريخ الخاصة بجميع الفرق الإسلامية، قد اتفقت على شهادة عدم تسريحه ﷺ أيا منهنّ. فثبت دخولهن في ما في الصورة الثانية من البشرى، والأجر العظيم. وتؤيده آية أخرى، وهي:

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ ۝٥٢﴾ [الأحزاب: ٥٢].

ففي الآية الأولى خُيّر النبي ﷺ أن يسرّحهن.

أما في الآية الثانية فقد سلب منه هذا الخيار، حتى لم يحلّ له أن يتبدّل بهنّ من أزواج.

وبهذا اتضح جليًّا أنه لما تحقّق نجاح أزواج النبي ﷺ في الامتحان بحيث إنهنّ يردن الله ورسوله والدار الآخرة، فاختارهن الله تعالى لنبيّه للأبد، ولم يبق له خيار أن يتبدّل بهن من أزواج، ولو أعجبه حسنهن.

وظهرت جليًّا من هاتين الآيتين عقائد أزواج النبي ﷺ وكيفيات قلوبهن، وقبولهن عند الله تعالى. ولتوضيح هذا الدليل يمكن أن تضمّ هذه الآية إلى الآية التالية:

﴿وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ۝٥٣﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وبما أن الآية الأولى تصرّح بأن الصلة بين النبي ﷺ وبين أزواجه أبدية، وليس له أن يتبدّل بهنّ من أزواج بعد ذلك، فهذه الآية تنصّ على أن المؤمنين حُرّم عليهم أن ينكحوا أزواجه ﷺ من بعده.

والآية الأخيرة تشتمل على أمر مهم يجب الانتباه له، وهو أن الله نهى المؤمنين عن إيذاء الرسول أوّلا، ثم ذكر حقوق أزواجه بوجه خاص.

ففيه دلالة واضحة على أن أشدّ أساليب إيذاء الرسول ﷺ وأنكاها هو النيل من شأن أزواجه والإساءة إليهن. وذلك لأن القرآن خص هذه الجزئية بالذكر تحت إيذاء الرسول ﷺ.

الفضيلة السابعة:

قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ...﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب: ٣٤].

أضيفت في هذه الآية كلمة «البيوت» إلى ضمير جمع المؤنث، وهو «كنّ»، وفي نفس السورة ورد قوله تعالى ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وأضيفت فيه كلمة «البيوت» إلى النبي ﷺ، وهذا دليل صريح على اتحاد الزوجين الطيبين، بحيث وصفت هذه البيوت ببيوت النبي ﷺ مرة، وببيوت أزواجه أخرى.

تأملوا في الآية السابقة، فقد أثنى الله فيها على بيوت أزواج النبي ﷺ، حيث جعلها مهبطا للوحي الإلهي، ومهدا للحكمة الربّانية. كل منا يعرف أن كرامة البيت متوقفة على كرامة صاحبه، والآن قدّروا ما لأزواج النبي ﷺ من كرامة وعزّة عند الله تعالى، إنها لفضيلة عظيمة.

الفضيلة الثامنة:

أنزل الله تعالى في شأن أزواج النبي ﷺ آية التطهير. فقال:

﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣ – ٣٤].

إن الخطاب في هذه الآية من أولها إلى آخرها لأزواج النبي ﷺ، ولذا يختص خطاب أهل البيت بهن، كما اختص بهن خطاب بيوتكن.

ويؤيّده سياق الآية المعجز لكلام الله، كما يؤيّده العرف العام، فإن أهل البيت يطلق في العرف العام على الزوجة.

ولمزيد من التأييد نرجع إلى القرآن الكريم، وننظر هل ورد فيه هذا اللفظ لزوجة نبيّ من الأنبياء أم لا؟

ففي قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإنما نستدل بقصته لأن بينه وبين النبي ﷺ مشابهة تامّة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ... ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: ٦٨].

قال تعالى:

﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود: ٧٢ – ٧٣].

في هذه الآية خوطبت سارة زوج النبيّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأهل البيت.[١]

ففي الآية دلالة على ما لأزواج النبي ﷺ من فضيلة عظيمة حيث وعدهن الله بالتطهير.

كلمة الآل والأهل كلمة واحدة:

وليعلم بأن كلمة «الآل» و«الأهل» كلمة واحدة، ودليله أن كلمة «الآل» تصغّر بالأهيل. والآية المذكورة وإن أريد فيها بأهل البيت أزواج النبي ﷺ خاصّة، ولكن كلمة «آل» أو «أهل» قد ورد استعمالها في الحديث بمعنى أوسع وأشمل.

(أ) ورد استعمال هذه الكلمة أيضًا للأزواج. ففي رواية أبي نعيم محمد: **«اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد»**.[٢]

وفي رواية أبي حميد الساعديّ:

«اللهم صلّ على محمد وعلى أزواجه».[٣]

فالرواية الثانية تفسير للأولى.

---

(١) ليعلم أن الرجل والمرأة كل منهما يكون صاحب البيت وأهله. وقد ورد في الآية «عليكم أهل البيت» لأن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضا داخل فيه.

(٢) البخاري (٤٧٥٧)، ومسلم (٤٠٦). (صلاح)

(٣) مسلم (٤٠٧) (صلاح).

(ب) ورد استعمالها لبني هاشم وبني المطلب جميعًا، الذين حرمت عليهم الصدقة. ففي الحديث: «**إنها لا تحلّ لمحمد ولا لآل محمد**».(١)

(ت) ورد استعمالها لذرّية الرسول ﷺ. روى البيهقي عن واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ... فدعا رسول الله ﷺ حسنًا وحسينًا فأجلس كل واحد منهما على فخذه، وأدنى فاطمة من حجره، وزوجها، ثم لفّ عليهم ثوبه -وأنا منتبذ- فقال: «**اللهم هؤلاء أهلي، اللهم أهلي أحقّ**».(٢)

وهكذا بعد تتبع الأحاديث والآثار يتبين أن بني هاشم وبني المطلب بمعنى أوسع، وآل عباس بمعنى خاص من أهل البيت، بموجب قول الرسول ﷺ، كما أن أزواج النبي ﷺ هنّ أيضا من أهل البيت، بموجب قول الله تعالى. وإنكار أيّ من هذه الأمور هو نوع من الجهل بالحديث الشريف، وعدم الإلمام بنصّ القرآن الكريم.

الفضيلة التاسعة:

قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ...﴾ [الأحزاب: ٦].

من الواضح أن الضمير في «أنفسهم»، و«أمهاتهم» يعود على المؤمنين، ولذلك لقّبت أزواج النبي ﷺ بأمهات المؤمنين، ولم يلقّبن بأمهات الأمة، أو غيره من الألقاب.(٣)

أما السرّ في استعمال كلمة «المؤمنين» في هذه الآية، فهو بيان علامات وسمات، يمتاز بها المؤمنون من غيرهم، فوردت لهم في الآية علامتان:

الأولى: المؤمنون من كان النبي ﷺ أولى بهم من أنفسهم.

الثانية: من يعترف للأزواج بالأمومة، وليست الأمومة التي ينتج عنها الجسم

---

(١) مسلم (١٠٧٢) عن عبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث. (صلاح)

(٢) السنن الكبرى للبيهقي (٢/ ١٥٢) [وزاد: «قال واثلة: قلت يا رسول الله! وأنا من أهلك، قال: وأنت من أهلي، قال واثلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنها لمن أرجى ما أرجو». قال شعيب الأرنؤوط في «تخريج مشكل الآثار» (٧٧٣): إسناده صحيح]

(٣) إن الأمة يدخل فيها الأشرار والأخيار على السواء، وقد وصفت أزواج النبي ﷺ بأمهات المؤمنين، لأن الأشرار لا يمكن أن يحظوا بشرف بنوّتهنّ.

العنصريّ. بل الأمومة، التي ينال شرفها بعد ولائه للنبي ﷺ، ورسوخه في الإيمان.

وبالجملة، فإن هذه الآية تتضمن بيانا للفضيلة الجليلة الكبرى لأزواج النبي ﷺ، حيث ذكر الله تعالى فيها شرف النبي ﷺ وعظمته، وأتبعه بذكر شرف أزواجه ﷺ وعظمتهن، ولم يقتصر على قوله: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، بل جعل من شروط الإيمان الكامل، أن أزواجه أمهاتهم.

قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

فضل الأم:

قد ورد في سنن[١] النسائي حديث في فضيلة الأم: أن جاهمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ﷺ أردت أن أغزو، وقد جئت أستشيرك، فقال:

«**هل لك من أمّ**»؟ قال: نعم. قال: «**فالزمها فإن الجنة تحت رجليها**».[٢]

والغرض من ذكر هذا الحديث، أنه إذا كان هذا أجر خدمة الأم الجزيل، التي حصل الإنسان على أمومتها بمولده فيمكن أن يرسخ في الذهن جيدًا عظم أجر خدمة الأم، التي حصل على أمومتها بإيمانه، وذلك مما يسوغه العقل.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [لقمان: ٢٥].

صحيح أن العارفين لمكانة الأمّ والخادمين لها نزر قليل[٣]، نكتفي في هذا الفصل بذكر هذه الفضائل التسع فقط، ويفصّل القول فيها فيما بعد، إن شاء الله تعالى.

---

(١) في الأصل «صحيح النسائي» والصحيح ما أثبتناه. (صلاح)

(٢) السنن للنسائي (٦/ ١١) باب الرخصة في التخلّف لمن له والدة. [ذكره الألباني في «صحيح النسائي» (٣١٠٤) وقال: حسن صحيح، عن معاوية بن جاهمة السلمى أن جاهمة جاء إلى النبي ﷺ].

(٣) راجع مكانة الأم، وكذلك فضائل «أمهات المؤمنين» ونبذًا عنهن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ في كتابي «المرأة بين هداية الإسلام وغواية الإعلام». (صلاح)

الفصل الثالث

حسن عشرة النبي ﷺ مع أزواجه المطهرات

جاء في الحديث قال النبي ﷺ:

«خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي».(١)

قد أوجب النبي ﷺ على كل زوج أن يكون دمث الخلق مع أهله. وكان من عادته ﷺ إذا دخل البيت بادر بالسلام، وإذا سلّم ليلًا خافت به حتى تسمعه زوجته إن كانت يقظة، ولا تستيقظ إن كانت نائمة.

وكان يعدل بين أزواجه في كلّ شيء، من المأكل والملبس والمأوى والنفقة واللقاء، ويزور بيت كل واحدة منهن بعد صلاة العصر، ويسأل عن حاجاتهن، ويجتمع بهنّ في بيت برهةً بعد صلاة المغرب. ويبيت معهن بالتناوب.

وكان يكرم صواحب أزواجه، ويُرضي أقاربهن بحسن سلوكه. وإذا أراد سفرًا أقرع بين أزواجه، فأيهّن خرج سهمها ذهب بها معه، ولكل منهن بيت خاص بها. هذه البيوت التي سمّاها الله تعالى حينا بـ«الحجرات»، وحينا بـ«بيوتكن»، وحينا بـ«بيوت النبيّ»، كانت متّصلة بعضها ببعض، وكانت صغيرة جدًا.

فحجرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، التي كانت نافذتها تطلّ على جناح المسجد النبويّ، الذي يسمّى روضة من رياض الجنة، كانت صغيرة حتى لم تسع عشرة رجال حين دخلوها للصلاة على جنازة النبي ﷺ.

---

(١) رواه ابن ماجة، كما في صحيح ابن ماجة للألباني (١٦٢١) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقال صحيح، ورواه غيره عن غيره من الصحابة مثل عائشة ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ (صحيح الجامع رقم ٣٣١٤). (صلاح)

وكذلك كان الأثاث الذي تشتمل عليه هذه الحجرات قليلًا.

ففي حجرة حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كان فراش النبي ﷺ مسحا تثنيه ثنيتين.

وفي حجرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كان فراشه من أدم حشوه ليف.

ولما تزوّج رسول الله ﷺ أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أعطاها بيت زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وجميع ما وجدته أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من الأثاث في هذا البيت، هو الرحى وعدّة آصع من الشعير.

وأخبر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن الماء في بيت خالته ميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كان يوضع في سقاية.

وذكر أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ كانت له كوب من خشب تشرب منها صنوف الأشربة.

ولما فتحت خيبر، جعل النبي ﷺ لكل زوجة من أزواجه ثمانين وسقا من تمر، وعشرين وسقا من شعير لعام. وأعطى كل واحدة منهن ناقة ذات لبن لتشرب منها، وكانت أزواجه أيضا يتصدّقن على الأرامل واليتامى بما زاد عن حاجتهن.

وإن رسول الله ﷺ مع حبّه لأزواجه لم يكن ليرضى أن تقول زوجة في ضرّتها كلمة تغض من شأنها الرفيع، ففي إحدى المرات عيّرت زينب بنت جحش صفيةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بأنها يهودية -ولا شك أن نسبها كان ينتهي إلى يهوذا بن يعقوب، ولكن لهجتها كانت مهينة مزدرية- فلم يذهب رسول الله ﷺ إلى بيتها أيامًا[(١)]، حتى تابت إلى الله، فتاب الله عليها.[(٢)]

وحين نرى أن هذا الأمر الصغير (أي قولها: يهودية) روي في الحديث، نستيقن به طهارة حياة أزواج النبي ﷺ وصفائها، إذ أنه لو قيلت أي كلمة مُرّة أخرى أيضًا لذكرت في الحديث بالضرورة. وما هذا إلا نتيجة التربية النبويّة السامية التي سمت بأزواجه عن الغرائز الطبيعيّة والجنسية، وربطتهن برباط المحبّة الإيمانية الصادقة.

وقد يعجز عن إدراك هذا السرّ أولئك الأشخاص الذين يفهمون أن حقيقة العلاقة

---

(١) ذكر في بعض الروايات أن النبي ﷺ هجرها شهورًا. (صلاح)

(٢) ذكره الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٧/ ٦٢١) عن صفية أم المؤمنين، وقال: فيه: شميّة أو سميّة فإن كانتا واحدة فالحديث صحيح». (صلاح)

الزوجية ما هي إلا إشباع للغريزة الجنسية. ولعل هذا هو السبب الذي لأجله أنكر النصارى استمرار العلاقة الزوجية بين الزوجين في الجنّة.

وظيفة أمهات المؤمنين:

تعليم نساء الأمّة، وعرض أمورهن على النبي ﷺ، وشرح جوابه لهن، وتبليغ أفعاله وأقواله وعباداته، التي كانت تصدر منه في الحجرات، إلى الناس بدقة وإتقان، وتوجيه أبناء الأمة في المشكلات العلمية.

مهور أمهات المؤمنين:

ما كانت مهور أزواج النبي ﷺ وبناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية وربع أوقية.(١)

---

(١) سنن الدارمي وصحيح البخاري وصحيح مسلم. [ورواه النسائي كما في «صحيح النسائي» (٣٣٤٧)، وابن ماجة، كما في «صحيح ابن ماجة» للألباني (١٥٣٤)، قال: صحيح، ولفظه: عن أبي سملة بن عبد الرحمن بن عوف: سألت عائشة كم كان صداق نساء النبي ﷺ؟ قالت: كان صداقه في أزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشًا، وهل تدري ما النشّ؟ هو نصف أوقية، وذلك خمس مائة درهم. وتخريج «مشكل الآثار» (٥٠٥٥، ٥٠٥٦)، وزاد فيه: «هكذا كان صداق رسول الله ﷺ لنساءه وبناتِه»، وحسنه شعيب الأرنؤوط وصححه في الرقم: ٥٠٤٢].

الفصل الرابع

تقارب نسب الأزواج المطهرات من نسب النبي ﷺ

بما أن أكثر أزواج النبي ﷺ قريبات منه نسبًا نثبت هنا جدولًا يتضح منه تقارب نسب كل زوجة من نسبه ﷺ.

جدول عمود النسب النبوي واتصال أنساب أمهات المؤمنين به

				٢٠- معد ابن عدنان				
				١٩-نزار				
				١٨-مضر				
				١٧-إلياس				عيلان
				١٦-مدركة				قيس
				١٥-خزيمة				خصفة
				١٤-كنانة				عكرمة
				١٣-نضر				المنصور
				١٢-مالك				هوازن
				١١-فهر				بكر
				١٠-غالب				معاوية
عدي				٩-لؤي			الأسد	صعصعة
زراح				٨-كعب		عامر	دودان	عامر
قرط	تيم			٧-مرّة		حسل	غنم	الهلال
عبد الله	سعد			٦-كلاب	يقظة	مالك	كثير	عبد الله

رباح	كعب			٥-قصي	مخزوم	نصر	مرّة	رويبة
عبد العزى	عمرو		عبد شمس	٤-عبد مناف	عمرو	عبد ود	صبيرة	هرم
نفيل	عامر	عبد العزى	أمية	٣-هاشم	عبد الله	عبد شمس	يعمر	بجير
الخطاب	أبو قحافة عثمان	أسد	حرب	٢-عبد المطلب	المغيرة	قيس	رئاب	حزن
عمر	أبوبكر عبد الله	خويلد	أبو سفيان	١-عبد الله	أبو أمية	زمعة	جحش	الحارث
حفصة	عائشة	خديجة الكبرى	أم حبيبة	محمد ﷺ	أم سلمة	سودة	زينب	ميمونة

الفصل الخامس

تفصيل أحوال أمهات المؤمنين: أزواج النبي ﷺ

أم المؤمنين خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصي القرشية الأسدية. كان أبوها خويلد من كبار تجّار العرب، وأشراف قريش. أمّها فاطمة بنت زائدة، ينتهي نسبها إلى النبي ﷺ من لؤي، انظروا الرقم التاسع من شجرة نسب النبي ﷺ.

زوّجها عمّها عمرو بن أسد من النبي ﷺ، وكان صداقها ست إبل، وكان عمرها حينئذٍ أربعين سنة[١]، وعمر النبي ﷺ خمسا وعشرين سنة.

كانت أولًا تحت عتيق بن عايد المخزومي[٢]، فلم تلد منه ولدا، فلما هلك عنها،

---

(١) روى الزرقاني أن عن المغلطاي أن خديجة كانت حينئذ بنت ٢٨ سنة. وهذه الرواية شاذّة. والله أعلم.
[اختلفوا في عمر خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين زواجها مع النبي ﷺ. نقل ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/ ٢٩٥): «كان عمرها خمسًا وثلاثين سنة، وقيل: خمسًا وعشرين». وقال أيضًا (٥/ ٢٩٣) «وعن حكيم بن حزام كان عمرها أربعين سنة، وعن ابن عباس، كان عمرها ثماني وعشرين سنة.
وقال الدكتور أكرم ضياء العمري «في السيرة الصحيحة» (١/ ١١١): «قد أنجبت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من رسول الله ﷺ ذكرين وأربع إناث، مما يرجح رواية ابن إسحاق (أي أنها في الثامنة والعشرين)، فالغالب أن المرأة تبلغ سن اليأس من الإنجاب قبل الخمسين». (راجع «ما شاع ولم يثبت في السيرة» للشيخ محمد بن عبد الله العوشن (ص١٨)، «التعليق على الرحيق المختوم» للشيخ محمود بن محمد الملاح (٥١). (صلاح)

(٢) اختلف المؤرخون هل تزوّجها عتيق أولا، أم أبو هالة؟ **فقال قتادة**: كانت خديجة تحت عتيق، ثم خلف عليها بعده أبو هالة. **وقال الجرجاني**: كانت قبل عند أبي هالة. وقد صحّح الإمام ابن عبد البر قول الجرجاني.
وقد اخترت قول قتادة، لأنّ صاحب الاستيعاب ذكر هندًا ربيبة رسول الله ﷺ. وهذا لا يصح =

تزوّجت من أبي هالة هند بن النباش التميميّ.

هذا أوّل نكاح لرسول الله ﷺ خطبت إليه خديجة، وعرضت نفسها عليه. وكان قد انقطع بعد هذا النكاح إلى التحنّث والتعبّد يجاور في غار حراء، ومعه قربة من ماء وجراب من سويق. ثم يرجع إلى خديجة، فتصنع له سويقا وزادا.

كانت خديجة تُدعى في الجاهلية «الطاهرة»، وهي أوّل من أسلمت، ولم يسبقها إلى الإسلام رجل ولا امرأة.

ولما ذكر لها رسول الله ﷺ الوحي، قال لها أيضًا نظرًا إلى مشكلات النبوة: «**لقد خشيتُ على نفسي**».

فقالت له: «كلا والله لا يخزيك الله أبدًا، إنّك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.[(١)]

ولكي يطمئن قلبها وينشرح صدرها انطلقت به إلى ابن عمّها ورقة بن نوفل، وكان امرأ تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني.

فقالت له خديجة: يا ابن عم! اسمع من ابن أخيك. فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى.

فقال له ورقة: «هذا الناموس الذي نزل الله على موسى».[(٢)]

والسيدة خديجة من الأربع اللاتي جعلهن رسول الله ﷺ من أحسن النساء في العالمين[(٣)].

=

إلا إذا كان زواج النبي ﷺ معها بعد أبي هالة. [صرّح الحافظ نقلًا عن ابن منده بأن أبا هالة زوج خديجة قبل النبي ﷺ. راجع «الإصابة» (٦/ ٢٩٣ رقم ٩٠٠٨) ترجمة هند بن أبي هالة التميمي].

(١) صحيح البخاري في باب بدء الوحي (١/ ٣) [رقم ٣] عن عائشة رضي الله عنها. ليتدبر القراء كيف أن الرسول ﷺ كان متصفا بالأخلاق الفاضلة حتى قبل بعثته، ثم لينظروا إلى فطنة خديجة رضي الله عنها وذكائها، كيف أنها كانت درست فضائل النبي ﷺ، وتحققت فيها.

(٢) أخرجه البخاري في بدء الوحي (١/ ٣) [رقم ٣] عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) الترمذي (٣٨٧٨)، وأحمد (١٢٤١٤) بلفظ: «**خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون**» صحّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٧٨، ٣١٤٣) عن أنس وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم. (صلاح)

وعن عائشة قالت: أثنى رسول الله ﷺ على خديجة، فقال:

«آمنت بي حين كفر بي الناس، وصدقتني حين كذّبني الناس، وأشركتني في مالها، حين حرمني الناس، ورزقني الله ولدها، وحرم ولد غيرها».(١)

وعن عائشة قالت: جاءت عجوز إلى النبي ﷺ فقال لها:

«كيف كنتم بعدنا»؟

فلما خرجت، قلت: يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال.

قال: إنها كانت تأتينا أيام خديجة».(٢)

وقد روى البخاري في صحيحه(٣) في باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال:

«أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! هذه خديجة قد أتت، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام(٤) من ربّها ومنّي، وبشّرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب».

أبناء خديجة الكبرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

إن هالة والطاهر وهندا كلّهم أولاد خديجة من أبي هالة الأسيدي التميمي، وهم من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

١- **هالة**(٥) بن أبي هالة الأسدي التميمي ابن خديجة الكبرى حليف بني عبدالدار

---

(١) البخاري (٣٨٢١)، ومسلم (٢٤٣٧)، وأحمد (٢٤٨٦٤) بنحوه.

(٢) الاستيعاب (٤/ ١٨١٠). (ملخصا) [ذكره الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٤٢٦) وقال: إسناد رجاله كلهم ثقات، رجال الشيخين، لكنه منقطع].

(٣) البخاري في باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها (٤/ ٢٣١)، [رقم ٧٤٩٧] ومسلم في فضائل الصحابة (٢/ ١٨٨٧ رقم ٢٤٣٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) سلام رب العالمين عليها شرف لم يحصل لأحد من النساء في العالم سواها.

(٥) وهم مؤلفنا رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا المقام فذكر في ترجمة هالة بن أبي هالة حديث: «اللهم هالة». الوراد في هالة بنت خويلد: أخت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، روته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كما في «البخاري» (٣٨٢١) ومسلم (٢٤٣٧) بطوله.

=

ابن قصي، له صحبة، وكان اسم ابن هالة هندًا، وهو يروي أيضًا عن أبيه.[(١)]

٢- **طاهر** بن أبي هالة: أمه خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ربيب النبي ﷺ وهو الذي بعثه رسول الله ﷺ عاملا على بعض اليمن، وبقي عاملا إلى وفاة النبي ﷺ، وكانت قبائل عك والأشعريون تحت إمرته، وهم الذين ارتدوا أوّل ما ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ باليمن، فأمر أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طاهرا بقتالهم فقاتلهم طاهر مع مسروق بن الأجدع، وانتصر عليهم فخمدت هذه الفتنة. وفي ذلك قال طاهر هذه الأبيات[(٢)]:

فـــو الله لـــولا الله لا ربّ غـــيره ... لما فُضّ بـالأجزاع جمع العثاعـث
فلـم تـر عينـي مثـل جمـع رأيتـه ... بخبث المخازي في جموع الأخابث
قتلنــاهم مــا بــين قنــة خــاصر ... إلى القيعـة البيضـاء ذات النبائـث
وفئنــا بــأموال الأخابــث عنــوة ... جهارا ولم نحفل بتلك الهثاهث[(٣)]

٣- **هند بن أبي هالة، وأمّه خديجة الكبرى**: هو ربيب رسول الله ﷺ، كان مع علي بن أبي طالب يوم الجمل، فقتل معه يومئذ. وكان فصيحا بليغا وصّافًا وصف رسول الله

= وذكر الحافظ في «الإصابة» (٦/ ٢٧٦ رقم ٨٩١٤) في ترجمة هالة بن أبي هالة (وهو ابن خديجة) فقال: أخرج جعفر المستغفري من طريق مؤمل بن إسماعيل عن حماد بن سلمة عن هشام... قال: قدم ابن لخديجة يقال له: هالة والنبي ﷺ قائل، فسمع في قائلته هالة، فانتبه، فقال: هالة! قال جعفر خالفه موسى بن إسماعيل، فقال عن حماد بهذا السند. قال هالة أخت خديجة قال جعفر هو الصواب. انتهى». ذكر حديث هالة بن خديجة الطبراني في الأوسط (٤/ ١٣١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٨٠) في إسناده جماعة لم أعرفهم. (صلاح)

(١) الاستيعاب (٤/ ١٤٥٥).

(٢) حسن الصحابة (١/ ١٩٨) طبع قسطنطنية، ومعجم البلدان [راجع «الإصابة» (٣/ ٤١٨ رقم ٤٢٥٣)].

(٣) الاستيعاب (٤/ ١٥٤٥) [قال الحافظ: «وأنشد له المرزباني في معجم الشعراء، عن شعره في قتال أهل الردّة، ثم ذكر البيتين: الأول والثاني، وقال: كان أول من ارتد من أزد تهامة عك، فصار إليهم الطاهر، فغلبهم وأمنت الطرق، وسمّوا الأخابث». (الإصابة: ٣/ ٤١٨ رقم ٤٢٥٣). (صلاح)

ﷺ، فأحسن وأتقن.[١]

٤- **هند بن هند بن أبي هالة:** مات بالبصرة في الطاعون فخرجوا به بين أربعة لشغل الناس بموتاهم فصاحت امرأة: واهند بن هنداه وابن ربيب رسول الله! فازدحم الناس على جنازته وتركوا موتاهم ولم يقم سوق البصرة يومئذ.[٢]

أقاربها:

- **لخديجة الكبرى أخت،** اسمها هالة بنت خويلد[٣]، وهي صحابية وقد ولدت أبا العاص بن الربيع، وهو زوج زينب رضي الله عنها، وأوّل صهرٍ لرسول الله ﷺ.

- **ولها أخت أخرى اسمها:** رقيّة التي ولدت أميمة بنت عبد وأميمة صحابية، روت عنها ابنتها حكيمة، ومحمد بن المنكدر.

- **والعوّام** -شقيق لخديجة- والزبير بن العوام (أحد العشرة المبشرين بالجنة)، وسائب بن العوّام، كلاهما ابن أخي خديجة رضي الله عنها.

أولاد النبي ﷺ من خديجة الكبرى رضي الله عنها:

الأولاد التي ولدتهم خديجة لرسول الله ﷺ، ذكرناهم تحت عنوان «آل النبي ﷺ».[٤]

توفيت خديجة رضي الله عنها في رمضان سنة عشر من النبوّة بمكة المكرّمة، وأقامت معه ﷺ أربعا وعشرين أو خمسا وعشرين سنة.

---

(١) راجع ترجمته في «الاستيعاب» (٤/ ١٠٥ رقم ٢٧٢٨)، و«الإصابة» (٦/ ٢٩٤ رقم ٩٠٠٨) أما وصفه للنبيّ ﷺ، فضعيف جدّا، كما قال الألباني في «مختصر الشمائل» (رقم٦). (صلاح)

(٢) راجع ترجمته في «الاستيعاب» (٤/ ١٠٦ رقم ٢٧٢٨)، و«الإصابة» (٦/ ٢٩٤ رقم ٩٠٠٩). (صلاح)

(٣) القرشية الأسدية. (الإصابة: ٨/ ٣٣٨ رقم ١١٨٣). ورد في فضلها ما روته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «استأذنت هالة بنت خويلد، أخت خديجة، على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك، فقال: «اللهم هالة». قالت: فغرت، فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين، هلكت في الدهر، قد أبدلك الله خيرا منها.» (البخاري: ٣٨٢١ تعليقًا، ومسلم ٢٤٣٧). (صلاح)

(٤) راجع الباب الثاني (آل النبي ﷺ) من هذا الجزء الثاني.

أم المؤمنين سودة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

هي: سودة[١] بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشية العامريّة.

وأمّها: الشموس بنت قيس بن زيد الأنصاريّة من بني عدي بن النجّار، وقيس أخ لسلمى زوج هاشم. يعني: أن خؤولة سودة خؤولة لعبد المطلب جدّ النبي ﷺ.

كانت قبل النبي ﷺ تحت السكران بن عمرو بن عبد ود، وأسلمت، ثم أسلم زوجها لترغيبها إيّاه في الإسلام. وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها وأمّها. توفي عنها السكران بالحبشة، فتزوّجها رسول الله ﷺ سنة عشر من النبوّة بعد وفاة خديجة، لينقذها من بؤس الترمّل، وشرّ شماتة أهلها، ولحماية عرضها.

وجعلت سودة يومها لعائشة بعد سنوات، وآثرت حبيبة الحبيب على نفسها، وامتازت بالإيثار في الحبّ.[٢]

أقاربها:

- عبد الرحمن، وعبد ابنا زمعة أخوان لسودة من الأب.
- وقرظة بن عبد بن عمرو: أخ لها من الأمّ.
- وأما مالك بن زمعة فهو شقيقها، أسلم قديما، وهاجر مع زوجته عمرة بنت السعديّ العامرية إلى الحبشة.

وقد نالت سودة مكانة أم المؤمنين لتقدّمها هي وأسرتها في الإسلام، وهجرتهم إلى الحبشة في سبيل الله تعالى.

---

(١) راجع ترجمتها في «الاستيعاب»(٤/ ٤٢١-٤٢٢)، و«الإصابة» (٨/ ١٩٦-١٩٧). (صلاح)

(٢) عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: ما رأيت امرأة أحب إلي أن أكون في مسلاخها من سودة بنت زمعة، من امرأة فيها حدة، قالت: فلما كبرت، جعلت يومها من رسول الله ﷺ لعائشة. قالت: يا رسول الله! قد جعلت يومي منك لعائشة، «فكان رسول الله ﷺ، يقسم لعائشة يومين، يومها ويوم سودة.» (مسلم رقم ١٤٦٣). (صلاح)

وقد عرفت سودة بدماثة الخلق[١]، وحسن العمل منذ البداية.[٢]

توفّيت في آخر خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.[٣] روِيت عنها خمس روايات في كتب الحديث: رواية في صحيح البخاري، وأربع روايات في السنن الأربعة.

(١) كانت سودة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تضحك النبي ﷺ بالشيء أحيانًا. نقله الحافظ عن ابن سعد، وقال مرسل، ورجاله رجال الصحيح. (الإصابة: ٨/ ١٩٦-١٩٧ رقم ١١٣٦٣). (صلاح)

(٢) قال الحافظ: «أخرج ابن سعد بسند صحيح، عن محمد بن سيرين أن عمر بعث إلى سودة بغرارة من دراهم، فقالت: ما هذه؟ قالوا: دراهم. قالت: في غرارة مثل التمر! ففرّقتها.» (الإصابة: ٨/ ١٩٧ رقم ١١٣٦٦). (صلاح)

(٣) يقال: ماتت سنة أربع وخمسين، رجّحه الواقدي. (المصدر المذكور). (صلاح)

أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

هي الصدّيقة بنت الصديق[١]، طيبة الزوج الطيب، حبيبة حبيب الله.

---

(١) هو: عبد الله بن أبي قحافة عثمان، يكنى أبا بكر، ويلقّب بالصديق، وصاحب الغار، وعَلَمه عتيق. وهو أول من أسلم من الرجال على المشهور.

١- وأسلم على يده رجال كثيرون، منهم عدّة من العشرة المبشرين بالجنة.

٢- وهو أول من بنى المسجد في مكة في الوقت الذي لم يكن الكفّار يسمحون للمسلمين بالدخول في البيت.

٣- هو الذي أعتق بماله من رقّ الكفار، سبعة رجال من أوائل المسلمين الذين كانوا يعذّبون في الله مثل بلال وعامر بن فهيرة.

٤- وهو الذي صحب الرسول ﷺ في غار ثور ليلة الهجرة.

٥- وهو الذي ورد ذكره في القرآن بصراحة. [﴿...ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا...﴾ (التوبة: ٤٠)]

٦- وهو الذي أنزله الرسول ﷺ يوم بدر في العريش معه.

٧- وهو الذي أعطاه الرسول ﷺ العلم الأعلى في غزوة تبوك، حين اجتمعت الأحزاب بكثرة.

٨- وهو الذي حجّ بالناس في أول سنة من وجوب الحجّ بأمر النبي ﷺ.

٩- وهو الذي أمره النبي ﷺ في حياته (في مرض الموت) بأن يصلّي بالناس.

١٠- وهو أول من استخلف بعد وفاة النبي ﷺ، ولقّب وحده بخليفة رسول الله، ولقّب الخلفاء الثلاثة غيره بأمراء المؤمنين.

١١- وهو الذي قاوم أسود العنسي، ومسيلمة الكذاب، وطلحة الأسدي حين ادّعوا بالنبوة وتاب طلحة، ثم أسلم.

١٢- وهو الذي تم في عصره فتح بلاد العراق، وجزء من بلاد الشام.

١٣- وهو الذي عاد بجهوده مانعو الزكاة إلى أداء الزكاة.

١٤- وهو الذي أمر بكتابة القرآن في صحيفة واحدة، وسمّاه بالمصحف.

١٥- وقد وردت في فضائله أحاديث صحيحة كثيرة، كما وردت أبيات الصحابة في مدحه، قال حسّان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مدحه:

=

أمّها: أم رومان زينب، التي ينتهي نسبها إلى النبي ﷺ من كنانة.

تزوّجها رسول الله ﷺ في شوال سنة عشر من النبوّة بمكّة، وبنى بها في شوال في

=

إذا تذكّرت شجوا من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البريّة أتقاها وأعدلها ... بعد النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده ... وأول الناس ممن صدّق الرسلا
والثاني اثنين في الغار المنيف وقد ... طاف العدوّ به إذ صعدوا الجبلا
وكان حبّ رسول الله قد علموا ... خير البريّة لم يعدل به رجلا

- **وقال خفاف بن ندبة السلميّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إن أبا بكر هو الغيث إذا ... لم يشمل الأرض سحاب بماء
تالله لا يدرك أيّامه ... ذو طرة حاف ولا ذو حذاء
من يسع كي يدرك أيّامه ... يجتهد الشدّ بأرض فضاء

- **وقال أبو محجن الثقفي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وسُمّيت صدّيقا وكل مهاجر ... سواك يُسمّى باسمه غير منكر
سبقت إلى الإسلام والله شاهد ... وكنت جليسا بالعريش المشهّر
وبالغار إذا سمّيت بالغار ... وكنت رفيقا للنبي المطهّر

- وورد في حديث التخيير قول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وكان أبو بكر أعلمنا به». [البخاري (٣٦٥٤، ٤٦٦)، ومسلم (٢٣٨٢) عن أبي سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وليس فيه ذكر عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.]

- **وقال عليّ عن بيعة الخلافة:** إن رسول الله ﷺ مرض ليالي وأياما ينادي بالصلاة فيقول: مروا أبا بكر يصلّي بالناس، فلما قبض رسول الله ﷺ نظرت فإذا الصلاة علم الإسلام، وقوام الدين، فرضيناه لدنيانا من رضي رسول الله ﷺ لديننا، فبايعنا أبا بكر. أقوال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مأخوذة من كتاب «الاستيعاب» لابن عبد البرّ (٣/ ٩٧،٩٤ رقم ١٦٥١) ترجمة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد يوجد أولاد أبي بكر في الهند من نسل محمد بن أبي بكر بكثرة، إليه ينتهي نسب الشيخ شهاب الدين السهروردي رَحِمَهُ اللَّهُ [صاحب الطريقة السهروردية]. ونسب مير محمد عثمان علي خان ينتهي إلى الشيخ شهاب الدين السهروردي.

السنة الأولى من الهجرة بالمدينة.

وهي التي تمتاز بين أزواج النبي ﷺ بأنها ولدت من دمٍ مسلم، وترعرعت في بيت مسلم، ورضعت بلبان الإسلام، وكان أوّل نكاحها مع النبي ﷺ.(١) وجاء في الحديث الشريف عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

«أريتُك في المنام ثلاث ليالٍ، جاءني بك الملك في سرقةٍ من حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك فإذا أنت هي، فأقول: إن يك هذا من عند الله يُمضه».(٢)

هذا الحديث يدلّ على أن نكاح عائشة الصديقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كان قد تقرّر في حظيرة القدس، وأن النبي ﷺ جعل هذا النكاح من عند الله.

امتحان الحبّ والوداد:

وقد امتحنت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا امتحانا صعبًا في حبّ الرسول ﷺ، حين أبطأت ناقتها في الوصول إلى المعسكر في غزوة أنمار، فقال المنافقون في حقها قولا مسيئًا للأدب، ومثل هذه الساعة تكون من أشدّ الساعات للجنس اللطيف، ولكن تجلّت فيها قوة إيمانها ونقاء فطرتها في أروع مظاهرها.

ولما سألها رسول الله ﷺ عن أمرها، قالت لأبويها: لئن قلت لكم إني بريئة، لا تصدّقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني بريئة منه، لتصدّقوني، فو الله لا أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف، حين قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١٨﴾(٣) [يوسف: ١٨].

---

(١) أي: إنها وحدها كانت بكرًا من أزواج النبي ﷺ المطهرات. (صلاح)

(٢) البخاري في النكاح (٦/ ١١٩)، [رقم ٥٠٧٨] وفي التعبير (٨/ ٧٥-٧٦)، [رقم ٧٠١١] ومسلم في فضائل الصحابة (٢/ ٨٨٩ رقم ٢٤٣٨) [عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا].

(٣) صحيح البخاري باب غزوة أنمار (٥/ ٥٩). [رقم ٤١٤١ في حديث طويل، ومسلم ٢٧٧٠ عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا].

وقالت: وأيم الله لأنا كنت أحقر في نفسي، وأصغر شأنا من أن ينزل الله فيّ قرآنا[(١)] ولكن قد كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في نومه شيئا، يكذب به الله عنّي، فبينما هم كذلك، إذ نزل على النبي ﷺ الوحي، وأنزل الله براءتها وجعلها طيّبة، وأخبر بأن لها مغفرة ورزقا كريما، وأن الإفك لم يغضّ من شأنها، بل زادها فضلا ورتبة حتى دوت لنقائها وطهارتها الأرض والسماء، وأنزل الله فيها من القرآن ما يتلى في المساجد والمحاريب، ويصلّى به حتى تقوم الساعة.[(٢)]

وكل من يتلو قول الله (الطيبات للطّيبين والطّيبون للطّيبات) ينظر إلى طهارة عائشة نظرته إلى طهارة النبي ﷺ. ووالله ليس ذاك إلا لما كان في عائشة من تواضع وإنكار بريئة مظلومة، وأن هذا الأمر قد بلغ أذاه إلى أبويها، وتألم له قلب النبي ﷺ، وقلوب المؤمنين جميعا.

ومع ذلك كله جعلت نفسها أصغر من أن ينزل الله فيها قرآنا ولكن الله يرفع الذين يتوبون إليه درجات.

---

(١) **قال ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ:** «تأمل هذا التشريف والإكرام الناشئ عن فرط تواضعها واستصغارها لنفسها... فهذه صديقة الأمة، وأم المؤمنين، وحبّ رسول الله ﷺ، وهي تعلم أنها برئية مظلومة، وأن قاذفيها ظالمون، مفترون عليها. قد بلغ أذاهم إلى أبويها، وإلى رسول الله ﷺ وقد كان استصغارها لنفسها، وتصغيرها شأنها. فما عنك بمن صام يوما أو يومين أو شهرا أو شهرين.... فظهر عليه شيء من الأحوال ... فيكون فيه من الكبرو الإزراء على من لعلّه عند الله عزّ وجلّ خير منه. ونسأل الله تعالى العافية في الدنيا والآخرة، وينبغي للعبد أن يستعيذ بالله أن يكون عند نفسه عظيما، وهو عند الله حقيرًا.» (جلاء الأفهام: ١٨١ - ١٨٢) (صلاح)

(٢) **من خصائصها:** أن الله سبحانه برّأها مما رماها به أهل الإفك وأنزل في عذرها وبراءتها وحيًا يتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة، وشهد لها بأنها من الطيبات، ووعدها المغفرة والرزق الكريم، وأخبر سبحانه أن ما قيل فيها من الإفك كان خيرًا لها، ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شرًا لها ولا عائبًا لها، ولا خافضًا من شأنها، بل رفعها الله بذلك، وأعلى قدرها، وأعظم شأنها، وصار لها ذكرًا بالطيب والبراءة بين أهل الأرض والسماء، فيا لها من منقبة، ما أجلّها». (جلاء الأفهام: ص ١٨٤). (صلاح)

فضلها:

قد وردت أحاديث صحيحة كثيرة في فضل عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا.

- فروى البخاري عن أبي موسى الأشعريّ قال: قال رسول الله ﷺ:

«كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».(١)

وقد رواه البخاري عن أنس بن مالك أيضا.(٢)

- ولم تنل عائشة هذا الفضل والشرف إلا لكمالاتها الروحيّة، التي ارتفعت بها درجاتها عند الله، واستنارت لأجلها بنور النبوّة. ومن هذه الكمالات ما ورد ذكره في حديث رواه البخاري عن أم سلمة أم المؤمنين رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، قال النبي ﷺ:

«والله ما نزل عليّ الوحي، وأنا في لحاف امرأة منكنّ غيرها»(٣).

- وهذا هو السبب الذي لأجله أمر النبي ﷺ فاطمة سيّدة نساء العالمين بأن تحبّ عائشة، ففي صحيح مسلم قال النبي ﷺ لفاطمة:

«أي بنيّة ألست تحبّين ما أحبّ»؟ فقالت: بلى! قال: **«فأحبّي هذه»**.(٤)

- ويدل على فضل عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا ما ورد في الصحيحين أن النبي ﷺ قال لها:

«إن جبريل يقرأ عليك السلام» قالت: قلت: وعليه السلام ورحمة الله(٥).

---

(١) البخاري في الأنبياء (٤/ ١٣١-١٣٢، ١٣٩)، [رقم ٣٤٣٣]، وفي المناقب (٤/ ٢٢٠) [رقم ٣٧٦٩] وفي الأطعمة (٦/ ٢٠٥)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢/ ١٧٧٦ رقم ٢٤٣١)، والترمذي في الأطعمة (٤/ ٢٧٥ رقم ١٨٣٤) [عن أبي موسى الأشعريّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ].

(٢) البخاري (رقم ٥٤١٩)، ومسلم (٢٤٤٦) عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ. (صلاح)

(٣) البخاري في مناقب الأنصار (٤/ ٢٢١)، [رقم ٣٧٧٥] والترمذي في المناقب (٥/ ٧٠٣ رقم ٣٨٧٩) والنسائي في «عشرة النساء» (ص ٤٣-٤٤ رقم ١١-١٣) [عن أم سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا].

(٤) البخاري في الهبة (٣/ ١٣٢)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢/ ١٨٩رقم ٢٤٤)، والنسائي في «عشرة النساء» (ص ٢٨-٤٢ رقم ٦-٨) [البخاري في الأدب المفرد، كما في صحيح الأدب للألباني رقم ٤٣٦].

(٥) البخاري في بدء الخلق (٤/ ٨٠)، [رقم ٣٢١٧] وفي المناقب (٤/ ٢٢٠)، وفي الأدب =

• ومن منن الله تعالى على الأمّة، أنه جعل عائشة سببًا ظاهرًا لنزول آية التيمم، ففي صحيح البخاري، عن عائشة: أنها استعارت من أسماء قلادة، فهلكت، فأرسل رسول الله ناسا من أصحابه في طلبها، فأدركتهم الصلاة، فصلّوا بغير وضوء، فلما أتوا النبي ﷺ شكوا ذلك إليه، فنزلت آية التيمم.

فقال أسيد بن حضير: جزاك الله خيرا، فو الله ما نزل بك أمر قطّ إلا جعل الله لك منه مخرجا، وجعل للمسلمين فيه بركة.(١)

مدى حبّ عائشة للنبي ﷺ:

وإليكم الآن مثالين تدلان على مدى حبّ عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ:

١- **ففي صحيح مسلم عن عائشة**: أن النبي ﷺ كان إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه، وطارت القرعة لعائشة وحفصة، وكان النبي ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدّث معها، فقالت حفصة لعائشة: ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك، فتنظرين وأنظر؟ فقالت: بلى، فركبت فجاء النبي ﷺ إلى جمل عائشة، وعليه حفصة فسلّم عليها ثم سار معها، حتى نزلوا فافتقدته عائشة فغارت.
فلما نزلوا جعلت رجليها بين الإذخر وتقول: يا ربّ! سلّط عليّ عقربا أو حيّة تلدغني، ولا أستطيع أن أقول له شيئا.(٢)

٢- **ومن أمثلة حبّ عائشة للنبي ﷺ**، ما قد ظهر حين نزول آية التخيير حيث أنزل الله عليه قوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ

=
(٧/ ١١٩)، وفي الاستئذان (٧/ ١٣١، ١٣٢)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢/ ١٨٩٥-١٨٩٦ رقم ٢٤٤٧).

(١) البخاري، رقم (٣٣٦، ٣٧٧٣، ٥١٦٤)، ومسلم (٣٦٧) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. (صلاح)

(٢) مسلم في فضائل الصحابة (٢/ ١٨٩٤-١٨٩٥ رقم ٢٤٤٥).

﴿لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب: ٢٨ - ٢٩].

بدأ بها، فخيّرها فقال: «إنّي ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمري أبويك».

فقالت: ففي أيّ هذا استأمر أبويّ؟ فإنّي أريد الله ورسوله والدار الآخرة.(١)

فاستنت بها بقية أزواجه، وقلن كما قالت. وهذه فضيلتها ولا شكّ.(٢)

علمها وفقهها:

• **قال عروة بن الزبير أحد الفقهاء السبعة:** ما رأيت أحدا أعلم بفقه ولا بطبّ، ولا بشعر ولا بالأنساب من عائشة.(٣)

كان كبار من الصحابة إذا أشكل عليهم الأمر من الدين، استفتوها، فيجدون علمه عندها.

• وكانت عائشة تربّي الفقراء والمساكين بجودها وسخائها، كما كانت تربّي أبناء الأمّة بلبان العلم والمعرفة.

قال عروة بن الزبير: رأيت عائشة الصديقة أنفقت سبعة آلاف درهم في سبيل الله في يوم واحد.

وبعث إليها عبد الله بن الزبير بمائة ألف درهم، فو الله ما غابت عليها الشمس حتى فرّقتها.

فقالت مولاة لها: لو اشتريت لنا من ذلك بدرهم لحما؟

---

(١) البخاري في التفسير (٦/ ٢٣)، [رقم ٤٧٨٥] ومسلم في الطلاق (٢/ ١١٠٣ رقم ١٤٧٥)، والترمذي في التفسير (٥/ ٣٥١ رقم ٣٢٠٤) [عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا].

(٢) ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا المقام مثالًا ثالثًا لحبّ عائشة للنبي ﷺ، من غير إسناد، ولا إحالة، على خلاف عادته. وزد إلى ذلك أن ما فيه من البيان لا يناسب مقام عائشة ، فضلًا عن مكانة النبي ﷺ. ولأجل هذا حذف المترجم هذا المثال. فجزاه الله خيرا. (صلاح)

(٣) الاستيعاب (٤/ ٤٣٧)، و«جلاء الأفهام» لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ. (وقد نقل مؤلف «رحمة للعالمين» هذا الكتاب إلى الأردية باسم «الصلاة والسلام»).

فقالت: ألا ذكّرتني؟ وكانت يومئذ صائمة فأمست وما عندها منه درهم، وأفطرت في ذلك اليوم بزيت وخبز، وقسمت المال كلّه حتى لم يبق عندها درهم تشتري منه لحما لإفطارها.(١)

فضائل خديجة وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

تكلّم العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ حول تفضيل خديجة على عائشة في كتابه «جلاء الأفهام» فقال: **فيه ثلاثة أقوال: ثالثها الوقف.**

وقال: **سألت شيخنا ابن تيمية فقال:** اختصّ كل واحدة منهما بخاصة:

- فخديجة كان تأثيرها في أوّل الإسلام، وكانت تسلّي رسول الله ﷺ وتثبّته وتسكّنه، وتبذل دونه مالها، فأدركت غرّة الإسلام، واحتملت الأذى في الله وفي رسوله، وكان نصرتها للرسول في أعظم أوقات الحاجة، فلها من النصرة والبذل ما ليس لغيرها.
- وعائشة تأثيرها في آخر الإسلام، فلها من التفقه في الدين وتبليغه إلى الأمة، وانتفاع بنيها بما أدّت إليهم من العلم، ما ليس لغيرها.(٢)

مرويات عائشة في كتب الحديث، ودواوين السنة:

وجميع الأحاديث التي روتها عائشة تبلغ ٢٢١٠ حديثًا، منها مائة وأربعة وسبعون حديثًا في الصحيحين، وأربعة وخمسون حديثًا في صحيح البخاري فقط، وسبعة وستون حديثا في صحيح مسلم فقط، ومنها ٢٠١٧ حديث في الكتب المعتبرة الأخرى في الحديث. وهذا عدا ما نقل عنها من الفتاوى الشرعيّة، وحلّ المشكلات العلمية وبيان الروايات العربية والوقائع التاريخية.(٣)

---

(١) مدارج النبوة للشيخ عبد الحق الدهلوي (٢/ ٥٠٦) بدون إسناد.

(٢) «جلاء الأفهام» في الصلاة والسلام على خير الأنام لابن القيم (١٧٧-١٧٨) طبعة الموعد بالرياض. (صلاح)

(٣) وقد عدّ الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري المتوفي سنة ٤٥٧هـ أحاديث غيرها من المكثرين في الرواية، فعدد روايات عمر الفاروق (٥٣٧)، وعلي المرتضى (٥٨٦)، وابن مسعود =

الجهاد في سبيل الله:

• **عن أنس بن مالك قال:** ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم، وإنهما لمشمّرتان أرى خدم سوقهما، تنقزان القرب -وقال غيره: تنقلان القرب- على متونهما، ثم تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان، فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم.[1]

• وكان لواء النبي ﷺ يوم بدر مرط عائشة، أي أنّ الراية التي خدم تحتها الملائكة الإسلام، والتي فتح الله بها للمسلمين لأوّل مرة، كانت قد اتخذت من مرط عائشة. وفيه دلالة على ما لعائشة من فضل.[2]

• قال حسان بن ثابت المؤيّد بروح القدس في شأن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

حصـان رزان مـا تـزن بريبـة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
عقيلة حي من لؤي بن غالب ... كرام المساعي مجدهم غير زائل
مهذّبة قد طهّر الله خيمها ... وطهرها من كل بغي وباطل
فإن كان ما قد قيل عنّي قلته ... فلا رفعت سوطي إليّ أناملي
وإن الذي قد قيل ليس بلائط ... بها الدهر بل قول امرئ متماحل
فكيف وودّي ما حييتُ ونصرتي ... لآل رسول الله زين المحافل
رأيتكِ وليغفر لكِ الله حرّة ... من المحصنات غير ذات الغوائل[3]

آراء عائشة أم المؤمنين في ضرائرها:

وتتجلّى معارف عائشة في غاية صدقها وعدلها، حين تبدي رأيها في ضرائرها.

(أ) **فتقول في مدح زينب بنت جحش أم المؤمنين** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

=

(٨٠٠) وبضعة أحاديث، وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عباس أكثر من (١٥٠) وابن عمر و أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. (كتاب الفصل في الملل والنحل: الجزء الرابع)

(١) البخاري (٢٨٨٠)، ومسلم (١٨١١). (صلاح)

(٢) السيرة الحلبية (٢/ ١٤٧).

(٣) الاستيعاب(٤/ ٤٣٧-٤٣٨)، والسيرة الحلبيّة ٠٢/ ١٤٧). (صلاح)

١- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت، قال رسول الله ﷺ:

«أسرعكن لحوقا بي أطولكن يدًا». قالت: فكانت أطولنا يدًا زينب، لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدّق.(١)

٢- ما رأيت امرأة قط خيرا في الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثا، وأوصل للرحم وأعظم صدقة.(٢)

(ب) وتقول في مدح صفيّة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ما رأيت صانعة طعام مثل صفيّة.(٣)

(ج) وتقول في مدح سودة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ما من الناس أحد أحبّ إليّ من أن أكون في مسلاخه من سودة بنت زمعة إلا أن بها حدّة.(٤)

(د) وتصف جمال جويريّة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كانت جويريّة عليها حلاوة وملاحة، لا يكاد يراها أحد إلا وقعت في نفسه.(٥)

أمومة الأمّة:

عن بشر بن عقربة قال: استشهد أبي يوم أحد، فكنت جالسا أبكي، فقال رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون عائشة أمّك، وأكون أنا أباك».(٦)

خصّ النبي ﷺ في هذه الرواية عائشة بالأمومة، دون من عداها من نسائه ﷺ.

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وحرب الجمل:

ومن العثرات البشرية، التي صدرت عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حضورها في حرب

(١) البخاري (١٤٢٠)، ومسلم (٢٤٥٢). (صلاح)

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٩/ ٨٧)، وقال: «لم يرو هذا الحديث عن يعقوب بن عطاء إلا زمعة، تفرد بها أبو قرة.» (صلاح)

(٣) حسّن شعيب الأرنؤوط، إسناده في «تخريج المسند» (٢٥١٥٥)، وضعفه الألباني في «ضعيف النسائي» (٣٩٦٧). (صلاح)

(٤) مسلم (١٤٦٣). (صلاح)

(٥) ذكره الألباني معناه في «صحيح أبي داود» (٣٩٣١)، وقال: حسن، ورواه غيره كذلك. (صلاح)

(٦) مجمع الزوائد للهيثمي (٨/ ١٦٤) وقال: «فيه من لا يعرف». (صلاح)

الجمل[1]، وقد سمّيت هذه الحرب بحرب الجمل، لأن هودج عائشة كان على جمل اسمه العسكر. وكان خصمها في هذه الحرب أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ولما انتهت الحرب قالت عائشة: إن مثل ما بيني وبين عليّ مثل ما بين المرأة وحموها، قال تعالى:

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ...۝٩﴾ [الحجرات: ٩].

وأرى أن هذه أوّل حرب تقاتلت فيها فئتان مؤمنتان. ونظرًا إلى هذه ينبغي لنا أن نقرأ هذه الآية إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ۝١٢﴾ [الحجرات: ١٢] فإنه يزيل كثيرا من الشبهات والريب والظنون.

ما ورد فيما كان بين عليّ وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

- ويؤيّد صدق عائشة وحبّها لعلي وفاطمة ما ورد في الترمذي عن جميع بن عمير، قال: دخلتُ مع عمّتي على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فسألتُ:

أيّ الناس كان أحبّ إلى رسول الله ﷺ؟

قالت: فاطمة.

قيل: من الرجال؟

---

(١) وقعت هذه الحادثة في ١٥/ من جمادى الأخرى سنة ٣٦هـ. استمرت الحرب من الصباح إلى ما بعد الظهيرة. كان الزبير قد خرج من الصف قبل نشوب الحرب. أما طلحة فجرح فمات، وكان قد جدّد بيعة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على يد أحد ضباط علي قبل موته.

قال ابن تيمية وابن حزم: لم يكن يريد كل من الفريقين البدأ بالقتال، ولكن قتلة عثمان أغاروا ليلا على معسكر أصحاب الجمل، فظنّ أصحاب الجمل أن ذلك بأمر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فدفعوا عن أنفسهم حتى خالطوا عسكر عليّ فدفع أهله عن أنفسهم، وكل طائفة تظنّ أن الأخرى بدأ بها القتال. وبرهان ذلك أن أم المؤمنين والزبير وطلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن كان معهم ما أبطلوا قطّ إمامة عليّ، ولا طعنوا فيها، ولا ذكروا فيه جرحة، تحطّ عن الإمامة، ولا أحدثوا إمامة أخرى، ولا جدّدوا بيعة لغيره. هذه الوجوه كلّها تدلّ على أن الحرب كانت حادثا مصادفا لم يدبر لها أحد من الفريقين. (الفصل في الملل والنحل: ٤/ ١٥٨)

قالت: زوجها، إن كان ما علمت صوّامًا قوّامًا.[١]

- وكذلك يؤيّده حديث عائشة الذي رواه مسلم في صحيحه[٢] وهو: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب:٣٣]. والمراد بأهل البيت هنا: الحسن والحسين وعليّ وفاطمة.

- وفي الأيام التي بدأت فيها حرب الجمل، كان عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد ألقى في مسجد الكوفة أمام رفقاء عليّ خطبة، وفيها:

إني لأعلم أنها زوجة نبيّكم في الدنيا والآخرة، ولكنّ الله ابتلاكم لتتّبعوه أو إياها.[٣]

من الخصائص التي كانت عائشة تفتخر بها:

- ومن الخصائص التي كانت عائشة تفتخر بذكرها، أنه توفي النبي ﷺ في بيتي، وفي نوبتي، وبين سحري ونحري، وجمع الله بين ريقي وريقه.

قالت: دخل عبد الرحمن بسواك فضعف النبي ﷺ عنه، فأخذته فمضغته، ثم سننته.[٤]

من أقوالها:

ومن أقوالها أنها قالت: اقرعوا باب الجنة يفتح. قالوا: كيف نقرع؟ قالت: باحتمال شدة الجوع والظمأ.

وسألها رجل مرة: متى أظن نفسي صالحة؟ قالت: حين ظننت نفسك سيئة.

متى أظنّ نفسي سيئة؟ قالت: حين ظننت نفسك صالحة.[٥]

---

(١) الترمذي في المناقب: باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ (٥/ ٧٠١ رقم ٣٨٧)، [ذكره الألباني في «ضعيف الترمذي» (٣٨٦٤) وقال: منكر].

(٢) مسلم في فضائل الصحابة: باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ (٢/ ١٨٨٣ رقم ٢٤٢٤).

(٣) البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ: باب فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٤/ ٢٢٠)، [رقم ٣٧٧٢، عن شقيق بن سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ].

(٤) البخاري (رقم ٣١٠٠) عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٥) أقوال لم تذكر مصادرها.

وكانت أم المؤمنين عائشة بنت ثماني عشرة سنة حين مات النبي ﷺ، والعلوم النبوية العالية التي تعلّمتها منه ﷺ خلال تسع سنوات، استمرّت بتبليغها إلى أبناء الأمة نحو نصف قرن من الزمان.

أقاربها:

- والدتها أم رومان[(١)] الكنانية التي توفّيت في شهر رمضان سنة ست من الهجرة. نزل النبي ﷺ في حفرتها، وقال:

«اللهمّ لم يخف عليك ما لقيت أم رومان فيك، وفي رسولك» وقال: **«من سرّه أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان[(٢)]»**.[(٣)]

إخوتها وأخواتها:

١- **عبد الرحمن بن أبي بكر شقيقها**، وكان من أشجع العرب، انتصر المسلمون في حرب اليمن لشجاعته.

وهو الذي قال لمعاوية: أهرقلية إذا مات كسرى قام كسرى مكانه، لا نفعل والله أبدًا؟ وذلك حين ذكر معاوية رضي الله عنه إمارة يزيد لجمع من الصحابة، وفيهم الحسين رضي الله عنه وعبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

وابنه محمد بن عبد الرحمن أيضا من الصحابة.

وعلى هذا فأربعة أجيال من أسرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه من الصحابة. ولم يحظ

---

(١) راجع ترجمتها في «الإصابة» (٨/ ٢٣٢ رقم ١٢٦٤).

(٢) عن القاسم بن محمد بن أبي بكر، ذكر ه الألباني في ضعيف الجامع ٥٦٢٨، وقال الألباني: ضعيف جدّا. (صلاح)

(٣) الاستيعاب (٤/ ١٩٣٦). وأخرج البخاري حديثا عن مسروق التابعي عن أم رومان. ويظهر منه أن وفاة أم رومان كانت بعد وفاة النبي ﷺ عند البخاري. [ردّ ذلك الخطيب في المراسيل... وقال غريب، لا نعرف أحدًا رواه غير حصين، ومسروق لم يدرك أم رومان. وذكر ابن حجر في الإصابة (٨/ ٢٣٣) بعض التأويلات في هذا الأمر].

بهذا الشرف أحد من الصحابة غيره.[١] وقد قالت عائشة الأبيات التالية على وفاته:

وكنـــا كنـــدماني جذيمـــة حقبـــة   من الدهر حتى قيل لـن يتصدّعا
فلـــما تفرّقنـــا كـــأني ومالكـــا   لطـول اجـتماع لم نبـت ليلـة معـا

٢- والطفيل بن سخبرة: أخوها للأم.

٣- وعبد الله بن فضالة الليثي أبوها من الرضاعة، يكنى أبا عائشة، وكان قاضيا بالبصرة، وعبد الله وفضالة كلاهما من الصحابة.

٤- **وأسماء ذات النطاقين**: أختها من الأب، أسلمت بعد سبعة عشر نفرًا، توفّيت في شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين من الهجرة، وهي بنت مائة سنة تقريبا.

٥- **وعبد الله بن أبي بكر**: أخوها للأب، جرح في غزوة حنين، فمرض ومات. وهو الذي كتب كتابه للنبي ﷺ إلى أهل نجران في حقوقهم[٢]. وله أخت من بطن أسماء بنت عميس، ولدت بعد وفاة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأشهر.

٦- **ومحمد بن أبي بكر**: أخوها للأب، وهو الذي كان ربيبًا لعلّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. استعمله علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على مصر في خلافته.

٧- **وكانت لها أمة اسمها بريرة**. قال عبد الملك بن مروان: كنت أجالس بريرة بالمدينة، قبل أن ألي هذا الأمر، فكانت تقول لي: يا عبد الملك: إني أرى فيك خصالا، وإنك لخليق أن تلي هذا الأمر، فإن ولّيت هذا الأمر فاحذر الدماء، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر إليها بملأ محجمة من دم، يريقه من

---

(١) قال أبو عمر ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقال: إنه لم يدرك النبي ﷺ أربعة، ولا أب وبنوه إلا أبو قحافة، وابنه أبو بكر، وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر، وابنه أبو عتيق محمد بن عبد الرحمن. والله أعلم. (الاستيعاب: ٢/ ٣٦٩ رقم ١٤٠٢). (صلاح)

(٢) كتاب الخراج لأبي يوسف المولود في ١١٣هـ المتوفي ٥/ من ربيع الأول ١٨٢هـ.

مسلم بغير حق[١]».[٢]

إيثارها خدمة الإسلام على المضض الشخصيّ:

كان معاوية بن حديج[٣] قد قتل محمد بن أبي بكر أخا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فكان بينها وبين معاوية بن حديج خلاف شديد، ولكنه كان اشتهر بفتوحه الإسلامية بإفريقيا.[٤]

عن عبد الرحمن بن شماسة المهري، قال: دخلنا على عائشة فسألتنا: كيف كان أميركم هذا وصاحبكم في غزاتكم، تعني معاوية بن حديج؟

فقالوا: ما نقمنا عليه شيئا، وأثنوا عليه خيرا.

قالوا: إن هلك بعير أخلف بعيرا، وإن هلك فرس أخلف فرسا، وإن أبق خادم أخلف خادما.

فقالت حينئذ: أستغفر الله، اللهم اغفر لي إن كنت لأبغضه من أجل أنه قتل أخي، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«اللهم من رفق بأمتي فارفق به، ومن شقّ عليهم فاشقق عليه[٥]».[٦]

٢- وكانت عائشة تطوف بالبيت، ومعها أم حكيم بنت خالد وأم حكيم بنت عبد الله فتذاكرتا حسان بن ثابت بالسبّ، فقالت عائشة: ابن الفريعة تسبّان؟ إنّي لأرجو أن

---

(١) عن بريرة وبريدة بن الحصيب الأسلمي. رواه الطبراني، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٠١) فيه عبد الخالق بن زيد بن واقد، وهو ضعيف. (صلاح)

(٢) الاستيعاب (٤/ ١٧٩٥).

(٣) قال ابن عبد البر: يقولون: «إنه الذي قتل محمد بن أبي بكر بأمر عمرو بن العاص له بذلك». (الاستيعاب: ٣/ ٤٦٩ رقم ٢٤٦١. راجع ترجمته في «الإصابة»: ٦/ ١١١ رقم ٨٠٥٧). (صلاح)

(٤) كان معاوية بن حديج عامل معاوية على مصر. قال ابن حجر: إنما أمّره معاوية بن أبي سفيان على الجيش الّذي جهّزه إلى مصر، وبها محمد بن أبي بكر الصديق، فلما قتلوه بايعوا لمعاوية، ثم ولي إمرة مصر ليزيد... ولي غزو المغرب مرارا، آخرها سنة خمسين، ومات سنة اثنتين وخمسين. (الإصابة: ٦/ ١١١). (صلاح)

(٥) مسلم في الإمارة (٢/ ١٤٥٨ رقم ١٨٢٨).

(٦) الاستيعاب (٣/ ١٤١٤).

يدخله الله الجنّة، بذبّه عن النبي ﷺ بلسانه. أليس القائل:

هجـوتَ محمّـدا فأجبـتُ عنـه ... وعنـــد الله في ذاك الجـــزاء

فـــإن أبي ووالــدتي وعــرضي ... لعــرض محمـد مــنكم وقـــاء

فقالتا: أليس ممن لعنه الله في الدنيا والآخرة بما قال فيك؟ فقالت: لم يقل شيئا.[1]

توفّيت في السابع عشر من رمضان سنة سبع وخمسين من الهجرة في سن ثلاث وستين ودفنت بالبقيع.

(١) اختلف الناس هل ساهم حسان في قصة الإفك أم لا؟ وبيت حسان الآتي خير دليل لديّ على براءته. يقول في مدح عائشة وبراءة نفسه:

فـإن كـان مـا قـد قيـل عنّـي قلتـه ... فـلا رفعـت سـوطي إليّ أنـاملي

وقال ابن عبد البر: «وقد روي أن حسّان بْن ثابت استأذن على عائشة بعد ما كفّ بصره، فأذنت له، فدخل عليها فأكرمته، فلما خرج من عندها، قيل لها: أهذا من القوم؟

قالت: أليس يقول:

فـــإن أبي ووالـــدتي وعـــرضي ... لعــرض مُحَمَّــد مــنكم وقـــاء

هذا البيت يغفر له كل ذنب.» (الاستيعاب: ٤/ ٤٣٨). (صلاح)

أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[١]

هي بنت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كانت قبل رسول الله ﷺ تحت خنيس بن حذافة ابن قيس بن عدي السهمي، وكان ممن تقدّموا في الإسلام. هاجر هجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة، وشهد بدرًا وأحدًا، وأصيب في غزوة أحد فتوفّي بالمدينة، وكان أخوه عبد الله بن حذافة السهمي أيضًا من الصحابة وكان معروفًا بالشجاعة والشعر.

ولما تأيمت حفصة ذكرها عمر لأبي بكر، وعرضها عليه، فلم يرجع إليه أبو بكر كلمة فغضب من ذلك عمر.

ثم عرضها على عثمان حين ماتت رقية بنت رسول الله ﷺ، فقال عثمان: ما أريد أن أتزوّج اليوم، فانطلق عمر إلى رسول الله ﷺ، فشكا إليه عثمان، وأخبره بعرضه حفصة عليه، فقال رسول الله ﷺ:

«يتزوّج حفصةَ من هو خير من عثمان، ويتزوّج عثمان من هي خير من حفصة»

ثم خطبها إلى عمر، فتزوّجها رسول الله ﷺ، فلقي أبو بكر عمر بن الخطاب، فقال له: لا تجد عليّ في نفسك، فإن رسول الله ﷺ كان ذكر حفصة، فلم أكن لأفشي سرّ رسول الله ﷺ، ولو تركها لتزوّجتُها.[٢]

ماتت حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين من الهجرة.[٣]

وفي رواية: «أن جبريل أثنى عليها، فقال: «إنها صوّامة قوّامة، وإنها زوجتك في

(١) وهي شقيقة عبدالله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. راجع ترجمتها في «الاستيعاب» (٤/ ٣٧٢-٣٧٣ رقم ٣٣٣٣)، «الإصابة» (٨/ ٥١ رقم ٢٩٤). (صلاح)

(٢) الإصابة (٤/ ٢٧٣)، وقال الحافظ «أصله في الصحيح»، وزاد: «وتزوج رسول الله ﷺ حفصة بعد عائشة». (صلاح)

(٣) توفيت حين بايع الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (الاستيعاب: ٤/ ٢٧٣). (صلاح)

الجنة.[(١)]»[(٢)]

ولدت حفصة قبل بعثة النبي ﷺ بخمس سنوات[(٣)]. ومجموع ما روي عنها ستون حديثا، منها: أربعة أحاديث في صحيح البخاري، وستة أحاديث في صحيح مسلم، وخمسون حديثا في كتب الحديث الأخرى.

يقول بعض الناس: إن المراد ببعض الأزواج في قول الله عزوجل ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ [التحريم: ٣] حفصة.

وأرى أن الله لما لم يذكر اسما بالتحديد، إكراما لأسرة حبيبه ﷺ، وإجلالا لها، فليس لنا أيضًا أن نتجرأ على تحديده.

وكذلك يتباحثون في بيان هذا الحديث الذي أسرّه النبي ﷺ إلى بعض أزواجه، وأعتقد أنه لا يجوز لنا أن نكشف هذا السرّ ونتدخل فيه.

أقاربها:

١- **أبوها عمر الفاروق**، الذي اشتهر ذكره في الإسلام، تولّى الخلافة بعد وفاة أبي بكر الصديق سنة ثلاث عشرة من الهجرة، ولم يخالفه فيها أحد، واستمرت خلافته عشر سنوات وستة أشهر. واستشهد في الرابع والعشرين من ذي الحجة، سنة ثلاث وعشرين من الهجرة. ولما فتش عن قاتله، وعلم أنه أبو لؤلؤ المجوسي قال: «الحمد لله الذي لم يجعل قتلي برجل يحاجّني بلا إله إلا الله.»

٢- **عبد الله بن عمر**: هو شقيق حفصة، توفّي بمكة سنة ثلاث وسبعين من الهجرة،

(١) عن أنس بن مالك، وقيس بن زيد، وعمار بن ياسر، رواه البزار (١٤٠١)، والطبراني (٢٣/ ١٨٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٥١)، وقال في «السلسة الصحيحة» يرتقي إلى درجة الحسن، وقد ورد هذا حين طلق النبي ﷺ حفصة تطليقة ثم راجعها بأمر جبريل، وقال: راجعها فإنها..... (صلاح)

(٢) الاستيعاب (٤/ ١٨١٢)، والطبقات لابن سعد (٨/ ٨٤).

(٣) مدارج النبوة.

روي عنه ٢٢١٠ حديث.(١)

٣- **والدتها: زينب بنت مظعون**: أسلمت قديمًا، وتوفيت بمكة قبل الهجرة. ينتهي نسبها إلى كعب من النبي ﷺ، وكذلك نسب جدّتها ينتهي إلى كعب.

٤- **خالها**: عثمان بن مظعون، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا، وهاجر هجرتين، وهو أوّل رجل مات بالمدينة من المهاجرين.(٢) ولما غُسّل وكفّن قبّل رسول الله ﷺ بين عينيه، ولما توفّي إبراهيم ابن النبي ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «**الحق بالسلف الصالح منّا**».(٣)

---

(١) نسل عمر الفاروق يوجد في الهند بكثرة. قطب الأقطاب الخواجه فريد شكر كنج [صوفيّ مشهور]، والمجدّد الشيخ أحمد السرهندي [مصلح معروف زمانه وكان ماتريديا]، والإمام الرباني شاه ولي الله المحدّث الدهلوي [مجدّد العلوم الدينيّة] كلّهم فاروقيون، وشاه أبو الخير عبد الله الدهلوي أيضا فاروقي، ونسب الخواجه ضياء معصوم (كابل) أيضا ينتهي إلى عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) وأوّل من دفن بالبقيع منهم. كان من فضلاء الصحابة، توفي سنة اثنتين، بعد اثنين وعشرين -قيل بعد ثلاثين- شهرًا من مقدم رسول الله ﷺ المدينة، بعد شهوده بدرًا. (الاستيعاب: ٣/ ١٩٥). (صلاح)

(٣) الاستيعاب (٣/ ١٠٥٣). [رواه الطبراني: ١/ ٢٨٦ رقم ٨٣٧، والضياء المقدسي في «المختارة» (٤/ ٢٥٧ رقم ١٤٥٧) عن الأسود بن سريع، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٠٥) رجاله ثقات.

ومثله ورد في وفاة رقية بنت النبي ﷺ عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. رواه الطبراني في الأوسط (٦/ ٤١ رقم ٥٧٣٦)، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٠٥): «فيه صالح المري» وهو ضعيف. والله أعلم. (صلاح)]

أم المؤمنين: أم المساكين زينب بنت خزيمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

كانت تدعى أم المساكين[١] في الجاهلية، تزوّجها أولا طفيل ثم تزوّجها عبيدة، وهما ابنا الحارث بن عبد المطلب: عم النبي ﷺ. ثم تزوّجها عبد الله بن جحش ابن عمة النبي ﷺ وأخو زينب بنت جحش أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. فلما استشهد عبد الله بن جحش في غزوة أحد، تزوّجها النبي ﷺ، سنة ثلاث، ولم تلبث عنده إلا يسيرًا، وعاشت بعد النكاح شهرين أو ثلاثة[٢]، وهي أخت ميمونة لأُمّها.[٣]

---

(١) راجع ترجمتها في الاستيعاب (٤/ ٤٠٩ رقم ٣٣٩٣)، والإصابة (٨/ ١٥٧ رقم ١١٢٣٦). (صلاح)

(٢) قال ابن حجر: «قال ابن الأثير: ذكر ذلك ابن مندة في ترجمتها، حديث: «أوّلكنّ لحاقًا بي أطولكنّ يدًا...الحديث».

وقد تقدّم في ترجمة زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهو بها أليق، لأن المراد بلحوقهنّ به موتهنّ بعده، وهذه ماتت في حياته، وهو تعقّب قوي.» (الإصابة: ٨/ ١٥٧ رقم ١١٢٣٦). (صلاح)

(٣) هذا قول النسّابة أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، قال ابن عبدالبر: «لم أر ذلك لغيره.» (الاستعياب: ٤/ ٤٠٩). (صلاح)

أم المؤمنين: أم سلمة (هند) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

هي هند بنت أبي أمية المعروف بزاد الركب ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وكانت قبله عند أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، ينتهي نسبهما إلى عبد الله بن عمرو بن المخزومي.

وهي ممن أسلموا قديما، وأسلم أبو سلمة بعد عشرة رجال. وكانت أمه برّة بنت عبد المطلب: عمّة رسول الله ﷺ. ورسول الله ﷺ وحمزة وأبو سلمة كلّهم إخوة من الرضاعة.

ما لقيت حين الهجرة إلى المدينة من صعوبات(١):

هاجرت مع زوجها إلى أرض الحبشة ثم عادا إلى مكة. ولما أراد أبو سلمة وأم سلمة الهجرة إلى المدينة مع ولدهما سلمة، انتزع أهل أبي سلمة من أبي سلمة ولده، وقالوا: اذهب أنت وحدك وليس لك من الابن شيء، فإنه منا. وكذلك انتزع منه أهل أم سلمة أم سلمة، وقالوا: ليس لك منها شيء.

وكان أبوسلمة رجلًا قويّ الإسلام راسخ العزم، فأبى إلا أن يهاجر إلى المدينة المنوّرة فأخذ سبيله إلى الله والرسول، وبقيت أم سلمة في مكّة، وكانت تخرج كل غداة وتجلس بالمكان الذي كانت فارقت به زوجها، وما زالت تبكي طوال السنّة.

عثمان بن طلحة ودوره النادر في إنجاح هجرتها:

ثم خرجت أمّ سلمة مهاجرة إلى المدينة، وخرج معها عثمان بن طلحة حامل مفاتيح الكعبة، وكان يومئذ كافرًا. فكان ينزل بناحية منها إذا نزلت، ويسير معها إذا سارت، ويرحل بعيرها وينتحى إذا ركبت، فلما نظر إلى نخل المدينة، قال لها: هذه الأرض التي تريدين، ثم سلّم عليها وانصرف.

---

(١) راجع تفاصيلها في «الإصابة» (٨/ ٤٠٥ رقم ١٢٠٦٥) ترجمة أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. (صلاح)

زواجها مع النبي ﷺ:

شهد أبو سلمة بدرًا، وجرح يوم أحد جرحا اندمل، ثم انتقض، فمات منه، وذلك لثلاث مضين لجمادى الآخرة سنة ثلاث من الهجرة، وكان يقول: اللهم اخلفني في أهلي بخير. وقد خلف وراءه أطفالا صغارًا.

ثم تزوّج رسول الله ﷺ أمّ سلمة لحبّه لأبي سلمة، الذي التزم بالصدق والاستقامة في سبيل الإسلام طوال حياته، ونصحه لأم سلمة التي تحمّلت الشدائد في سبيل الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة. وكان عمر وسلمة وزينب ودرّة ربائب رسول الله ﷺ، ترعرعوا تحت رعايته.

أقاربها:

١- **عمر بن أبي سلمة**: ولد في السنة الثانية من الهجرة، واستعمله عليّ رضي الله عنه على فارس والبحرين. وتوفّي سنة ثلاث وثمانين. روى عنه سعيد بن المسيب وأبو أمامة بن سهل بن حنيف، وعروة بن الزبير.

٢- **سلمة بن أبي سلمة**: زوّجه رسول الله ﷺ أمامة بنت حمزة بن عبد المطلب. توفّي في خلافة عبد الملك بن مروان، ولم يرو له حديث عن النبي ﷺ.

٣- **زينب بنت أبي سلمة**: تزوّجها عبد الله بن زمعة بن الأسود الأسدي، وكانت من أفقه نساء أهل زمانها، ولدتها أمّها بأرض الحبشة. ويروى أنها دخلت على النبي ﷺ، وهو يغتسل فنضح في وجهها. قيل: فلم يزل ماء الشباب في وجهها حتى كبرت وعجزت.

ولما كان يوم الحرّة، قتل ابنا زينب، فحملا ووضعا بين يديها مقتولين فقالت: إنّا لله وإنّا اليه راجعون! والله إن المصيبة عليّ فيهما لكبيرة، وهي عليّ في هذا أكبر منها في هذا، أما هذا فجلس في بيته فكفّ يده فدخل عليه، وقتل مظلوما وأنا أرجو له الجنة.

وأما هذا فبسط يده فقاتل حتّى قتل، فلا أدري على ما هو في ذلك، فالمصيبة به عليّ أعظم منها في هذا.

٤- **أم كلثوم بنت أم سلمة**: حديثها عند موسى بن عقبة عن أمّه: عن أم كلثوم بنت أبي سلمة، قالت: لما تزوّج النبي ﷺ أم سلمة، قال لها:
«**إني قد أهديت للنجاشي أواقي من مسك وحلّة وإني لأراه قد مات ولا أرى الهدية إلا لترد إليّ، فإذا ردت إليّ فهي لك**» فكان كما قال النبي ﷺ.[1]

٥- **درّة بنت أم سلمة**: في صحيح البخاري، أن أم حبيبة قالت: يا رسول الله: إنا تحدّثنا أنك ناكح درّة بنت أبي سلمة. فقال رسول الله ﷺ:
«**أعلى أم سلمة، لو أني لم أنكح أم سلمة لم تحلّ لي، إن أباها أخي من الرضاعة؟**»[2]

٦- **إن زهيرًا وعامرًا وعبد الله والمهاجر** كلّهم إخوة أم سلمة، وعبد الله ومعبد ابنا أخيها، وعبد الله بن زمعة ابن أختها.

٧- **عبدالله**: أمه عاتكة عمّة رسول الله ﷺ. كان شديد العداوة لرسول الله ﷺ، ثم إنّه خرج مهاجرًا إلى النبي ﷺ، فلقيه بالطريق، وهو يريد مكة عام الفتح، فأسلم وحسن إسلامه، وشهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة مسلمًا، وشهد حُنينًا والطائف ورمي يوم الطائف بسهم فقتله.

٨- **عامر**: وهو من المؤلفة قلوبهم.

٩- **المهاجر**: أخو أم سلمة لأبيها وأمّها، بعثه رسول الله ﷺ إلى الحارث بن عبد كلال الحميري ملك اليمن، واستعمله أيضا على صدقات كندة والصدف، ثم ولّاه أبو بكر اليمن، وهو الذي افتتح حصن النجير بحضرموت.

وفاتها:

توفّيت أم سلمة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة تسع وخمسين من الهجرة، وهي بنت أربع وثمانين.

---

(١) الاستيعاب (٤/ ١٩٥٣). [أخرجه أحمد (٢٧٢٧٦)، ضعفه الألباني في «إرواء الغليل» (١٦٢٠)، وشعيب الأرنؤوط في «تخريج مشكل الآثار للطحاوي» (٢٤٧). (صلاح)]

(٢) البخاري (رقم ٣٢٨٦) عن أم حبيبة، ورقم (٥١٢٣) عن زينب بنت أبي سلمة. (صلاح)

وقيل توفّيت سنة ستين من الهجرة.[١]

روي عنها في الصحيحين ثلاثة عشر حديثا، وفي صحيح البخاري: ثلاثة أحاديث فقط، وفي صحيح مسلم ثلاثة عشر حديثا فقط، وفي كتب الحديث الأخرى ثلاث مائة وتسعة وأربعون حديثا و المجموع الكلي ثلاث مائة وثمانية وسبعون حديثا. وقالت أم سلمة الأبيات التالية، على وفاة الوليد بن الوليد ابن عمّها:

يا عين فابكي للوليد[٢] ابن الوليد بن المغيرة
قد كان غيثا في السنين ورحمة فينا وميرة
ضخم الدسيعة ماجدًا يسمو إلى طلب الوتيرة
مثل الوليد بن الوليد إلى الوليد كفى العشيرة

(١) وقيل: إحدى وستين، وقال أبو نعيم: ماتت سنة اثنتين وستين، وهي من آخر أمهات المؤمنين موتًا. قال ابن حجر: «بل هي آخرهنّ موتًا.» (الإصابة: ٨/ ٤٠٧)
وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكانت أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا موصوفة بالجمال البارع، والعقل البالغ، والرأي الصّائب، وإشارتها على النّبيّ ﷺ (حين اختلاف الصحابة في صومه وإفطاره) يوم الحديبيّة (أن يفطر وهو على راحلته) تدلّ على وفور عقلها وصواب رأيها.» («الإصابة»: ٨/ ٤٠٦). (صلاح)

(٢) الوليد بن الوليد أخو خالد بن الوليد الأكبر، وتقدّمه في الإسلام هو الذي رغّب خالد بن الوليد في الإسلام. [أسر الوليد يوم بدرٍ كافرًا، لما فكّ من أسره بعد فدائه أسلم، فحبسوه بمكّة، ثمّ أفلت من إسارهم ولحق برسول الله ﷺ، ثم كتب الوليد إلى أخيه خالد، فوقع الإسلام في قلب خالد، وكان سبب هجرته. (راجع للتفصيل «الاستيعاب» : ٤/ ١١٩ رقم ٢٧٥٣ ترجمة الوليد ابن الوليد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ)
ولا ريب أن مثله حقّ لأم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن تبكيه. (صلاح)]

أم المؤمنين زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

هي زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة.

وأمّها: أميمة بنت عبد المطلب عمّة رسول الله ﷺ.

علوّ نسب زيد بن حارثة بن شراحيل الكعبي:

كانت قبل النبي ﷺ تحت زيد بن حارثة، الذي ينتهي نسبه إلى قضاعة، ونسب أمّه إلى معن بن طيّ. فكأنه كان نجيب الطرفين.

ولكنه كان احتمله قوم(١) في الجاهلية وهو يومئذ غلام يفعة قد أوصف(٢)، فوافوا به سوق الحباشة (القريب من مكة، وكان يعقد مرّة في كل عام)، فعرضوه للبيع، فاشتراه منهم حكيم بن حزام لعمته خديجة الكبرى. فلما تزوّجها رسول الله ﷺ، وهبته له، فقبضه رسول الله ﷺ، فخرج حارثة وكعب ابنا شراحيل بفدائه، وقدما مكة، فسألا عن النبي ﷺ فدخلا عليه، وقالا له: جئناك في ابننا عندك، فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه، فرضي به رسول الله ﷺ، ولكن زيد بن حارثة أبى أن يذهب مع أبيه(٣)، لكثرة أعطاف رسول الله ﷺ وإحسانه إليه. فلما رأى أبوه أنه حلّ منه محل الابن، ولا يعيش عيشة العبيد، انصرف عنه.

وكان زيد يدعى زيد بن محمد(٤) لحبّ رسول الله ﷺ له.

---

(١) قالوا: «زارت سعدى أم زيد بن حارثة قومها، وزيد معها، فأغارت خيل لبني القين بن جسر في الجاهلية على أبيات بني معن، فاحتملوا زيدًا، وهو يومئذ غلام يفعة، فأتوا به في سوق عكاظ، فعرضوه للبيع، فاشتراه منهم حكيم بن حزام لعمته خديجة بأربع مائة درهم....» (الإصابة: ٢/ ٤٩٥ رقم ٢٨٩٧). (صلاح)

(٢) أي: غلام شاب قد بلغ أوان الخدمة. (المعجم الوسيط). (صلاح)

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٤٠-٤١).

(٤) قال ابن عمر: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد، حتى نزلت: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ...﴾ [الأحزاب: ٥]. (البخاري: ٤٧٨٢، ومسلم: ٢٤٢٥ عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. (صلاح)

وهذه الأمور كلّها كانت قبل بعث النبي ﷺ.

إدخال الإصلاح في نظام العبودية:

ولما استنبئ النبي ﷺ قام بإصلاح كثير من الأمور، وحسّن أوضاع العبيد، فكان يقول: «أيها النّاس متى استعبدتموهم وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا».[1]

وقد أثبت فعلا أن الاستعباد الزائف، لا اعتبار له في الإسلام، وأن الرجل لا يكون عبدًا لرجل بمجرد أن أخذه قهرًا، وباعه لغيره بدراهم معدودة.

وأراد رسول الله ﷺ أن يضرب لذلك مثلًا أعلى، فاقترح بأن يزوّج زينب بنت جحش (ابنة عمته) زيد بن حارثة، وكان غرضه من هذا النكاح أن يقضي على ذلّ العبودية للأبد، وأن لا يحرم أحد من حقوقه الإنسانية المشروعة، لمجرد أنه بيع أو اشتري في زمن.

أمّا الذين كانوا يفتخرون بعلوّ نسبهم وسمّو مجدهم، فما كانوا ليتّفقوا مع المصلح الأعظم ﷺ في هذا الأمر، فقد أبت زينب أن تنكح زيد بن حارثة، وأبى ذلك أقرباؤها معها[2]. وقد استمر رسول الله ﷺ على ما أراد من إصلاح، وضرب مثالًا رائعا حتى أنزل الله تعالى قوله:

---

(١) ليس بحديث، بل يذكر من قول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال مخاطبًا عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حين شكا إليه رجل من أهل مصر بأن ابن عمرو بن العاص، جعل يضرب بالسوط، ويقول: أنا ابن الأكرمين؛ حين سابقته فسبقته، بلفظ: مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا، فقال عمرو: يا أمير المؤمنين لم أعلم، ولم يأتني. (فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٩٦)، نقلًا عن «وسطية أهل السنة بين الفرق» لمحمد باكريم ص١٠). (صلاح)

(٢) سنن الدار قطني. طبع المطبعة الفاروقية بدلهي (ص ٤١٦). [ذكره السيوطي في «لباب النقول» (٢٣٧) وإسناده صحيح، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٩٤)، وقال: روي بأسانيد، ورجال بعضها رجال الصحيح.

وقال ابن كثير: «قال مجاهد وقتادة، ومقاتل بن حيان: إنها نزلت في زينب بنت جحش الأسدية حين خطبها رسول الله ﷺ على مولاه زيد بن حارثة، فامتنعت ثم أجابت.» (تفسير ابن كثير: الأحزاب: ٣٦) (صلاح)].

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ...﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وبعد نزول هذه الآية تنازلت زينب وأقرباؤها عن ما كانوا عليه من فكرة قومية وذاتية، وأصبح هذا النكاح منة عظيمة على البشرية، كما استحقت زينب الثناء والإعجاب والتقدير.

نظام التبنّي وأثره السيئ في المجتمع:

وشاء الله أن يجعل من حياة زينب نفسها إصلاح أمرٍ آخر:

وهو أنه كانت قد جرت العادة في الأقطار المختلفة، إذا لم يكن لأحد ولد، أخذ ولد غيره ويسميه المتبنّى، وكان المتبنّى لا ينسب نفسه إلى أبيه، بل ينسب إلى من تبنّاه.

وهذه العادة إنما كانت خروجًا على المشيئة الإلهية، وردًّا عليها فكأن المتبنّي يقول بلسان حاله لربّه: ها أنا ظفرت بولد، وإن لم تعطني إياه، ومن آثاره السلبية السيّئة:

(أ) كان لهذه العادة تأثير سيء على حقوق الورثة الشرعيين، إذ أنهم كانوا يرثون المال بوثيقة شرعية، ويرث معهم هذا الوارث المصطنع أيضًا، فيغرس ذلك بذور العداوة والبغضاء داخل الأسرة، وتنشأ نزاعات لا نهاية لها.

(ب) وأيضا فإن المتبنّى الذي كان بمثابة فرع منفصل عن شجرة الأسرة، كان يتألّم من أنه ليست بينه وبين هذه الأسرة الجديدة علاقة الدم حقيقيةً، وإنما هو عادة من العادات الشكلية. وكان يحسد إخوته الحقيقين لو كانوا في حالة حسنة، بينما كان إخوته الحقيقيون يحسدونه لو كان هو في حالة طيبة.

(ج) وأيضا فإن الذي يتبنى ولدًا، كان يحبّ متبنّاه في صباه ويربّيه، وحين رآه بعد بلوغه أنه متعرّ عن خصائص، تتصف بها أسرته، وأنه غريب في طباعه على أقربائه، خمد قلبه.

(د) وأيضا فإن أباه الحقيقي، الذي احتمل الحرمان من ثمرة فؤاده وفلذة كبده، والذي لا يمكن أن تنقطع عنه مودّته الأبوية، إذا رأى ابنه في مصيبة في بيت غيره، جعله نتيجة عمله، ولام نفسه، وتأسّف على ما فعل.

وهذه الأمور كلها تدلّ على أن التبنّي كان ثمرة مُرّة في كل صورة من صوره، فهو

كالخضاب، سيزول لونه يومًا ما.

إبطال نظام التبنّي:

وقد شاء الله تعالى أن يصلح هذه العادة السيئة، ويقيم رسوله أقوى البراهين على بطلانها بذاته الشريفة، لأنه رحمة للعالمين، والمصلح الأعظم لأهل الأرض.

وكان الله قد أنزل قوله من قبل:

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقوله:

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ...﴾ [الأحزاب: ٤ - ٥].

قد صرّح الله تعالى قبلًا في هاتين الآيتين ببطلان هذه العادة الزائفة، التي لم تكن العرب فريستها فحسب، بل كان العالم كلّه يخضع لها. وبما أنّها كانت قديمة محكمة عميقة الجذور، احتيج إصلاحها إلى نموذج عظيم الهمة. فاختير النبي ﷺ كنموذج لزعزعة صخرة هذه الجاهلية، وردم هُوّة بطلانها، لأنه هو الذي كان أسوة حسنة: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

تطليق زيد زينب:

وقد تمّ ذلك بحيث لم ترض زينب أن تعايش زوجها زيدا، وهو الذي كان يعايش بحلمه وتقواه أم أيمن وعيشة مريحة، التي كانت أكبر منه، وكانت حبشية الأصل، ووصل الأمر إلى أن زيدًا شكى ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال له الرسول ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ...﴾ [الأحزاب: ٣٧]. وحثّه على أن يحتمل ذلك، فقال: «**اتق الله**»، ولكن العلاقة بين الزوجين علاقة غريبة، إذا ساءت لا يحسنها نصح ناصح، ولا وعظ واعظٍ فطلّق زيد زينب.

أثر هذا الطلاق على زينب وأسرتها:

أما ماذا كان تأثيره على زينب وأسرتها، فأمر لا نستطيع أن نتصوره. إن زينب وأهلها ما كانوا يحسبون زيدا أهلا لهذا النكاح، وإنما فعلوا ذلك امتثالا لأمر الله ورسوله، ولم يكن يخطر لهم ببال أن زينب مع طاعتها لله ولرسوله، ستواجه هوان الطلاق، وأن النّاس سيعيبونها بأنّها لا تطيع زوجها.

أثر هذا الطلاق على النبي ﷺ:

وماذا كان تأثير هذا الطلاق على النبي ﷺ؟ إن ذلك قد أضرّ أولًا بالمصلحة الدينية، التي لأجل توطيدها كان النبي ﷺ اهتم بهذا النكاح، وأرضى امرأة بارزة في أسرتها، بأن تنكح رجلًا كان عبدًا في زمن، وكان ينادى بالمولى.(١)

وأحزن ذلك ثانيا قلب النبي ﷺ، حيث امتثلت زينب وأهلها لأمره، فوقعوا في هذا الإشكال.

زواج النبي ﷺ مع زينب قضاء على عادة التبنّي للأبد:

وفي مثل هذا الوقت الحرج أنزل الله الوحي على النبي ﷺ وأخبره بأن زينب قد أصبحت أم المؤمنين، وهكذا جبر الله تعالى خاطرها المتكسر بالنبي ﷺ نفسه.(٢)

لقد أتى على زينب حين من الدهر، امتنعت عن نكاح زيد تبعا للعادات والتقاليد، ثم أتى على النبي ﷺ حين، تردّد هو في نكاح زينب، نظرًا إلى المجتمع وتقاليده، ولكن تم أمر الله، وقبلها النبي ﷺ كزوجة له. فتمزّقت أوصال التبنّي، الذي اغتر به العالم زمانا، وتحطمت أصنامه، لأن الإسلام كان قد حرّم على الأب أن ينكح زوجة ابنه. والآن لما جعل القرآن زوجة زيد زوجة للنبي ﷺ، لم يبق هناك مجال للتأويل في تأييد التبنّي.

---

(١) كانوا يسمّون العبد المعتق مولى لهم.

(٢) قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ٣٧﴾ [الأحزاب: ٣٧].

لماذا يعترض النصارى على هذه الواقعة؟:

وليس غريبا أن يكون الكفار في ذلك الزمن قد بكوا على ما رأوا من انحلال عادتهم القديمة، ووجهوا إلى النبي ﷺ أو القرآن كلمات من اللوم والوقيعة، ولكن الأغرب من ذلك أن النصارى في عصرنا هذا يبدون سخطهم على هذه الواقعة.

لنا أن نفكر ما الذي جعل النصارى يستاؤون من إبطال عادة التبني؟ هل جعل الكتاب المقدس التبنّي حقّا، أم أن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ اعترف بجوازه، وقال في تأييده ولو كلمة؟ وإذا لم يكن ذلك كلّه فلماذا هذا القلق والاستياء؟

البنوّة لا تثبت إلا بعلاقة الدم:

نعم! إنهم يستاؤون منه لأن نكاح النبي ﷺ هذا، لم يبطل التبنّي فحسب، بل قد أبطل عقيدة التثليث أيضا. وذلك أنه لما قرّر الإسلام أنّ اتخاذ أحد أحدًا ابنا له، كذب وباطل وافتراء، إذا لم تكن بينهما علاقة الدم.

كيف يكون الإنسان الفاني ابنًا للحيّ القيوم:

وبهتان صريح وكذب مكشوف، لأن الإنسان لا يشبه الله تعالى شيئا، إن هذا الإنسان الذي ركّب من جسم وروح، وله حوائج بشرية، وخلق يوما ولم يكن قبله، وسيفنى يوما، كيف يكون ابنا لله الحيّ القيوم الذي ذاته سرمدية لا بداية له ولا نهاية؟

فهذا الذي جعل دعاة النصارى يستاؤون من هذه الواقعة.

ولم يكن هدفنا هنا إلا ذكر سيرة زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فلذا ينبغي أن نركز حديثا على هذا الهدف. إن هذه الواقعة تدلّ على أن وجود زينب كان ذا بركة في نشر تعاليم الإسلام وإبطال العادات، والتقاليد الضالة. ولذلك كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول في شأنها: هي التي تساميني في المنزلة عند رسول الله ﷺ.[1]

---

(١) عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في حديث طويل: «وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ، ولم أر امرأة قط خيرا في الدين من زينب. وأتقى لله وأصدق حديثا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشدّ ابتذالا لنفسها في العمل الذي تصدّق به، وتقرّب به إلى الله تعالى، =

دعاية افتتان النبي ﷺ بها، وتكذيبها عقلًا وتجربة ومشاهدة:

كانت زينب بنت ست وثلاثين سنة[١] حين تزوّجها النبي ﷺ ولم يكن الحجاب قد نزل يومئذ، هذان أمران إذا علمهما أحد لم يتيقن بها قد أشيع ضد النبي ﷺ، أنه لما رأى زينب فجأة، افتتن بها، مع أن زينب بنت لعمته الحقيقية، ترعرعت بمرأى ومسمع منه، فكيف يمكن أن تخفى عليه صورتها، ولا سيما إذا لم ينزل الحجاب بعد؟.

ثم إنّ المرأة التي قطعت من حياتها ستا وثلاثين سنة، وهي من نساء البلاد الحارة كجزيرة العرب، التي سرعان ما يزول فيها شباب النساء، كيف نسلم في مثل هذه المرأة أن زيدا -وهو العبد المعتق- سئمها وضجر منها، أما النبي ﷺ -وهو سيّد الأنبياء، وإمام الأتقياء- فقد افتتن بها؟

إن العقل والتجربة والمشاهدة تكذّب هذه الدعاية.

وفاتها:

توفّيت زينب سنة عشرين من الهجرة[٢] وهي بنت خمسين سنة، وهي تكنى أم الحكم.[٣]

أقاربها:

لها ثلاثة إخوة: هم عبد الله (المجدع في الله)، وأبو أحمد عبد الله، وعبيد الله، وثلاث أخوات: هن زينب وحمنة، وأم حبيبة.

=

ما عدا سورة من حدّة كانت فيها، تسرع منها الفيئة...» (البخاري: ٢٦٦١، ومسلم ٢٤٤٢ واللفظ له). (صلاح)

(١) وذكر في كتاب «إنسان العيون» ٣٥ سنة، ولكن الصحيح هو ٣٦ سنة على الحساب الصحيح.

(٢) الاستيعاب (٤/ ١٨٥٢). [عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله ﷺ: «أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا». قالت: فكن يتطاولن أيتهنّ أطول يدًا. قالت: فكانت أطولنا يدًا زينب، لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق. (البخاري:١٤٢٠، ومسلم:٢٤٥٢) واللفظ له)]. (صلاح)

(٣) مدارج النبوة لشاه عبد الحق رَحِمَهُ اللَّهُ. ولا نعرف سبب هذه الكنية وربما هي توصيفية.

إخوة أم المؤمنين:

١- **عبد الله بن جحش:** أسلم قديما، وهو ممن هاجر الهجرتين، أمّره رسول الله ﷺ على اثني عشر رجلا من المهاجرين إلى بطن النخلة، ولقّبه بأمير المؤمنين، شهد بدرًا واستشهد يوم أحد، ودفن هو وحمزة في قبر واحد.

عن سعد بن أبي وقاص، أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد: ألا تأتي فندعو الله، فخلّوا في ناحية، فدعا سعد وقال: يا رب إذا لقيت العدوّ غدا فلقني رجلا شديدا بأسه شديدا حرده، أقاتله فيك، ويقاتلني ثم ارزقني عليه الظفر حتى أقتله وآخذ سلبه، فأمن عبد الله بن جحش ثم قال :اللهم ارزقني غدا رجلا شديدا بأسه شديدا حرده أقاتله فيك، ويقاتلني فيقتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني. فإذا لقيتُ قلت: يا عبد الله! فيم جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك. فتقول: صدقت. قال سعد: كانت دعوة عبد الله ابن جحش خيرا من دعوتي، لقد رأيته آخر النهار، وإن أذنه وأنفه معلّقان جميعا في خيط.(١)

وله أبيات تالية في وقعة بطن النخلة:

تعـدّون قـتلا في الحـرام عظيمـة ... وأعظم منه لو يـرى الرشـد راشـد
صـدودكم عـما يقـول محمّـد ... وكفـر بـه والله ربي شـاهد
وإخـراجكم مـن مسجد الله أهلـه ... لـئلا يـرى لله في البيـت سـاجد
فإنـا وإن عيرتمونـا بقتلـه ... وأرجـف بالإسـلام بـاغ وحاسـد
سقينا من ابـن الحضـرمي رماحنا ... بنخلـة لمـا أوقـد الحـرب واقـد(٢)

٢- أبو أحمد عبد الله بن جحش كان شاعرا، وهو من المهاجرين الأولين، هاجر الهجرتين إلى الحبشة، وإلى المدينة، و كان أعمى، لم تكن له أعين ظاهرة في وجهه. كانت الفارعة بنت أبي سفيان تحته. توفّي سنة اثنتين وعشرين من الهجرة بعد وفاة أختها أم المؤمنين: زينب رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.(٣)

---

(١) الاستيعاب (٣/ ١٥، رقم ١٥٠٢).

(٢) قوله «لما أوقد الحرب واقد» يدل على أن الحرب لم يتقدم فيها المسلمون، بل تقدم قريش أنفسهم.

(٣) الاستيعاب (٢/ ٣٦٣ رقم ١٣٨٨، ٤/ ١٥٦ رقم ٢٨٦٠) ، والإصابة (٧/ ٥ رقم ٩٥٠٥) =

وله أبيات تالية في الهجرة:

لما رأتني أم أحمد غاديا ... بذمة من أخشى بغيب وأرهب
تقول فإما كنت لا بد فاعلا ... فيمم بنا البلدان ولتنأ يثرب[(١)]
فقلت لها بل يثرب اليوم وجهنا ... وما يشأ الرحمن فالعبد يركب
إلى الله وجهي والرسول ومن يقم ... إلى الله يوما وجهه لا يخيّب
فكم قد تركنا من حميم مناصح ... وناصحة تبكي بدمع وتندب
ترى أن وترا نأينا عن بلادنا ... ونحن نرى أن الرغائب نطلب
دعوت بني غنم لحقن دمائهم ... وللحق لما لاح للناس ملحب
أجابوا بحمد الله لما دعاهمو ... إلى الحق دل والنجاح فأوعبوا
وكنا وأصحابا لنا فارقوا الهدى ... أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا
كفوجين أما منهما فموفق ... على الحق مهديّ وفوج معذّب
طغوا وتمنّوا كذبة وأزلّهم ... عن الحق إبليس فخابوا وخيّبوا
ورعنا إلى قول النبي محمد ... فطاب ولاة الحق منّا وطيّبوا
نمت بأرحام إلينا قريبة ... ولا قرب بالأرحام إذ لا نقرب
فأيّ ابن أخت بعدنا يأمننكم ... وأية صهر بعد صهري ترقب
ستعلم يوما أينا إذا تزايلوا ... وزيل أمر الناس للحق أصوب[(٢)]

٣- **عبيد الله بن جحش**: وهو الذي توجّه إلى الحبشة مع أخويه، [أبي أحمد وعبد الله بن جحش] كان يدمن الخمر، تنصّر بأرض الحبشة ومات بها نصرانيًا.[(٣)]

=

وقال: كان أحمد ضريرًا يطوف بمكة أعلاها وأسفلها بغير قائد. (صلاح)

(١) قد ورد النهي عن تسمية المدينة بيثرب. وهذه الأبيات قيلت قبل النهي.

(٢) نقلا عن «حسن الصحابة» طبع قسطنطنية سنة ١٣٢٤هـ.

(٣) الاستيعاب (٣/ ١٤ رقم ١٥٠٢)، وقال: بانت منه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان فتزوجها النبي ﷺ. كما سيأتي في ترجمتها آنفًا. (صلاح)

٤- **أم حبيب بنت جحش**: ويقال لها: أم حبيبة، أخت زينب أم المؤمنين، وحمنة، وكانت تحت عبد الرحمن بن عوف.(١)

٥- **حمنة بنت جحش**: وكانت عند مصعب بن عمير (مقرئ الأنصار)، فلما استشهد مصعب يوم أحد، تزوّجها طلحة بن عبيد الله، فولدت له ابنين محمّدا وعمران ابني طلحة بن عبيد الله.(٢)

---

(١) في هذا المقام كان هناك سقط في أصل المؤلف في الأردية، فترجمه المترجم حسب السقط من غير انتباه له، وتبعه المترجم الأخير كذلك. وأكملته بعد التصحيح، من الاستيعاب (٤/ ٤٨٢-٤٨٣ رقم ٣٥٦٩). (صلاح)

(٢) الاستيعاب (٤/ ٣٧٤-٣٧٥ رقم ٣٣٣٨). (صلاح)

أم المؤمنين جويريّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

هي: جويرية[١] بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة. وجذيمة هو المصطلق بن خزاعة.

سباها رسول الله ﷺ يوم المريسيع في سنة خمس من الهجرة، وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس[٢] بن شماس، فكاتبته على نفسها، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه على كتابتها، فقالت: إني مسلمة[٣]، ثم أخبرت أنها بنت الحارث بن أبي ضرار سيّد قومه.

فقال لها: «هل لك في خير من ذلك؟» قالت: وما هو يا رسول الله؟

قال: «أقضي كتابتك وأتزوّجك».

قالت: نعم! قال: **«قد فعلت»**.

وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ تزوّج جويرية بنت الحارث. فقال الناس: صهر رسول الله ﷺ، فأرسلوا ما في أيديهم من سبايا بني المصطلق.

قالت عائشة: «فما نعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها[٤]»

---

(١) في صحيح مسلم (رقم ٢١٤٠) كان اسمها برّة، فسماها النبي ﷺ جويرية، كره أن يقال: خرج من عند برّ. (صلاح)

(٢) ثابت بن قيس خطيب الأنصار، ويقال له: خطيب رسول الله ﷺ، كما يقال: الحسان شاعر النبي ﷺ. قال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تعيش حميدًا وتقتل شهيدًا». [الطبراني: ٢/ ٦٦ رقم ١٣١١، ضعفه الألباني في الضعيفة: ٦٣٩٨، وبعضهم اختلفوا في صحته وإرساله] قتل يوم اليمامة شهيدا في خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ولما انكشف الناس يوم اليمامة، قال وهو يتحنط-: ما هكذا كنّا نقاتل مع رسول الله ﷺ ثم قاتل حتى قتل. وكان عمره عشرين سنة، حين كاتب جويرية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. [الاستيعاب: ١/ ٢٧٦ رقم ٢٥٣، والإصابة: ١/ ٥١١ رقم ٩٠٦]

(٣) مدارج النبوّة للشيخ عبد الحق الدهلوي.

(٤) أبو داود عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. [رقم ٣٩٣١، ذكره الألباني في صحيح أبي داود، وقال: حسن. وأصله في الصحيحين. قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كانت جويرية عليها حلاوة وملاحة، لا يكاد يراها أحد إلا وقعت في نفسه].

وكانت قبله تحت مسافع بن صفوان المصطلقي.

توفيت في ربيع الأوّل سنة ست وخمسين[(١)] وهي بنت خمس وستين أو سبعين سنة.[(٢)]

من أحاديث جويريّة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

- **وعن جويرية** أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلّى الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى، وهي جالسة، قال:

«**ما زلتِ على الحال التي فارقتكِ عليها**» قالت: نعم! قال النبي ﷺ: «**لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**».[(٣)]

- **وعن جويريّة بنت الحارث** أن ﷺ دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة، قال:

«**أصمتِ أمس؟**» قالت: لا.

قال: «تريدين أن تصومي غدًا؟» قالت: لا، قال: «فأفطري».[(٤)]

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:

«**لا يصوم أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله أو بعده**».[(٥)]

مروياتها:

وكانت جويريّة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عابدة زاهدة. روت عن النبي ﷺ أحاديث، منها: حديثان في «صحيح البخاري»، وحديثان في «صحيح مسلم» وثلاثة أحاديث في كتب الحديث

---

(١) الاستيعاب (٤/ ١٨٠٥).

(٢) مدارج النبوّة للدهلوي [قيل: سنة خمسين من الهجرة، وقيل: بقيت إلى ربيع الأوّل ست وخمسين. قال الواقديّ. صلى عليها مروان، وقيل: عاشت خمسا و ستين سنة. (الإصابة: ٨/ ٨/ ٧٤ رقم ١١٠٠٨].

(٣) أخرجه الخمسة. [أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة، كما في صحيح الجامع (٢٦٢٤)] والبخاري (لا يوجد فيه)، ومسلم (٢٧٢٦،١٤٣٨) عن أم المؤمنين جويرية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا].

(٤) (أبو داود رقم ٢٤٢٢، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح أبي داود»: ٢٤٢٢). (صلاح)

(٥) أخرجه مسلم (١١٤٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الأخرى. مجموعها سبعة أحاديث.[١]

أقاربها:

- **وأخو جويرية:** عبد الله بن الحارث الذي كان قدم على النبي ﷺ في فداء أسارى بني المصطلق، وغيّب في بعض الطريق ذودًا كن معه، وجارية سوداء، فكلّم رسول الله ﷺ في فداء الأسارى، فقال له رسول الله ﷺ: «**فما جئت به؟**». قال: ما جئت بشيء.

قال: «فأين الذود والجارية السوداء التي غيّبت بموضع كذا». قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنّك رسول الله، والله ما كان معي أحد ولا سبقني أحد، فأسلم. فقال رسول الله ﷺ: «**لك الهجرة» حتى تبلغ «برك[٢] الغماد**».[٣]

- **ولها أخ غير عبد الله بن الحارث:** اسمه عمرو بن الحارث. روي عنه أنه قال: تالله ما ترك رسول الله ﷺ عند موته دينارًا أو درهما، ولا عبدًا ولا أمة ولا شيئًا، إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضا تركها صدقة.

واسم أختها: عمرة بنت الحارث، التي روت حديث «**الدنيا خضرة حلوة**».[٤]

---

(١) مدارج النبوّة للدهلوي.

(٢) برك الغماد: اسم موضع بينه وبين مكة خمسة منازل.

(٣) الاستيعاب (٣/ ٢٠ رقم ١٥١٣)، والإصابة (٤/ ٤٢ رقم ٤٦١٨).

(٤) الاستيعاب (٤/ ١٨٨٧).

أم المؤمنين أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[١]

هي أم حبيبة: رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

وأمّها: صفية بنت أبي العاص بن أمية.

أسلمت قديما، وكانت أولا عند عبيد الله بن جحش، وكان قد هاجر إلى أرض الحبشة مسلما، ثم تنصّر هنالك.[٢]

وقد بقيت أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مسلمة بأرض الحبشة، تركت أباها وإخوتها وعشيرتها ووطنها في سبيل الإسلام. وكان زوجها وسيلة لها في الغربة، ولكنه ارتدّ فلم يكن لها أحد.

ولما بلغ ذلك رسول الله ﷺ أرسل عمرو بن أميّة الضمري[٣] إلى النجاشي بأن يبلّغ أم حبيبة خطبة النبي ﷺ لها، فأرسل إليها النجاشيّ جارية له، كانت تقوم على ثيابه ودهنه، وكانت أم حبيبة قد رأت في المنام أن أحدا يناديها بأم المؤمنين، ولما سمعت خبر رسول الله ﷺ شكرت الله وأعطت الجارية سوارين من فضة كانتا عليها، وخواتيم من فضة كانت في أصابعها سرورًا بما بشّرت به.

فلما كان العشيّ أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن معه من المسلمين هناك يحضرون وخطب النجاشيّ، فقال:

الحمد لله الملك القدّوس السّلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، وأنه الذي بشّر به عيسى بن مريم ﷺ.

أما بعد! فإن رسول الله ﷺ كتب إليّ أن أزوّجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، فأجبت ما دعا إليه رسول الله ﷺ وقد أصدقتها أربع مائة دينار. ثم سكب الدنانير بين يدي

---

(١) راجع ترجمتها في «الاستيعاب» (٤/ ٤٠١-٤٠٣ رقم ٣٣٧٨) و«الإصابة» (٧/ ٨٤). (صلاح)

(٢) ومات نصرانيًا كما تقدّم آنفا في ترجمة زينب بنت جحش آنفًا. (صلاح)

(٣) أسلم عمرو بن أمية حين انصرف المشركون من أحد، بعثه النبيّ ﷺ إلى النجاشي في زواج أم حبيبة، وكان شجاعًا من رجال العرب جرأة ونجدة، وعاش إلى خلافة معاوية، فمات بالمدينة. وقال أبو نعيم: مات قبل الستين. (الإصابة: ٤/ ٤٩٦ رقم ٥٧٨١). (صلاح)

القوم.

فتكلّم خالد بن سعيد[١]، فقال:

الحمد لله أحمده وأستعينه، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه، ولو كره المشركون.

أما بعد! فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ، وزوّجته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فبارك الله لرسوله عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها، ثم أرادوا أن يقوموا، فقال: اجلسوا فإن سنّة الأنبياء إذا تزوّجوا أن يؤكل طعام على التزويج، فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا.[٢]

وفاتها:

توفّيت أم المؤمنين أم حبيبة سنة أربع وأربعين من الهجرة بالمدينة. ولما حضرتها الوفاة، قالت لعائشة وأم سلمة: إن الضرائر لتكون بينهن مشادّة، فإن قلت شيئا فاعفوا عني. فقالتا: عفونا عنك. فقالت: رضيتما عنّي فرضي الله عنكما.

مروياتها:

وكانت أم حبيبة طيبة النفس حميدة الصفات، وكانت جوادة شجاعة. وعدد ما روي عنها من الأحاديث حديثان في «الصحيحين» وحديث في «صحيح مسلم»، واثنان وستون حديثًا في كتب الحديث الأخرى.

---

(١) خالد بن سعيد بن أبي العاص: ابن خال أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. تزوجها النبي ﷺ وهي في أرض الحبشة، وهذا هو الأكثر والأصحّ. وقيل: عقد عليها النجاشي، وقيل: عثمان بن عفّان. وقيل: خالد بن سعيد. (الاستيعاب: ٤/ ٤٠٢). (صلاح)

(٢) روى ابن سعد: وكان ذلك سنة سبع، وقيل: كان سنة ست. والأول أشهر. ولما بلغ أبا سفيان أن النبي ﷺ نكح ابنته، قال: «هو الفحل لا يقدع أنفه.» (أي لايكف ولا يمنع). («الاستيعاب»: ٤/ ٤٠٢، و«الإصابة»: ٨/ ١٤١).

وحبيبة ربيبة النبي ﷺ ابنتها، ولدت بمكة وهاجرت مع أبيها إلى أرض الحبشة.

ويدلّ على فضل أم حبيبة ما رواه ابن إسحاق إمام أهل السيرة وهو: أن أبا سفيان لما قدم المدينة دخل على ابنته أم حبيبة فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال: يا بنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟.

قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ.

قال: والله لقد أصابك يا بنية بعدي شرّ.[١]

الله أكبر! هذا نموذج الإيمان الكامل، الذي لأجله شرّفها الله تعالى بأن تكون من أمهات المؤمنين.

هذا هو حبّها للنبي ﷺ،الذي من دونه لايكون الإنسان كامل الإيمان، حيث قال النبي ﷺ:

«**لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين.**»[٢]

أقاربها:

أبو سفيان صخر بن حرب أبوها، وكان من أعداء الإسلام وأشراف قريش في الجاهلية، وكان رئيس جيش الكفّار يوم أحد.

وكانت إليه راية الرؤساء المعروفة بالعقاب، أسلم قبل فتح مكة بيوم أو يومين، وشهد مع رسول الله ﷺ حنينا والطائف، وثبت يوم اليرموك، وتقدّم بالمسلمين إلى النصارى بجرأة وشجاعة. توفي سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة وعمره ثلاث وتسعون سنة، وكانت ولادته قبل عام الفيل بعشر سنين.

- **ويزيد بن أبي سفيان:** شقيقها الذي يعرف بيزيد الخير، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، استعمله أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيمن استعمله على فتح الشام. توفّي سنة تسع عشرة

---

(١) رواه ابن إسحاق بدون إسناد كما في سيرة ابن هشام (٢/ ٢٦٥)، وابن جرير (٢/ ٣٢٥-٣٢٦)، قال الألباني في تخريج «فقه السيرة» للغزالي (ص ٣٧٣) ضعيف. (صلاح)

(٢) البخاري (١٥)،ومسلم (٤٤) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (صلاح)

من الهجرة بدمشق، وكان آنذاك أميرًا على الشام.

- **وكان معاوية بن أبي سفيان** أخاها من أم أخرى، وهو الذي تولّى الإمارة التابعة للخلافة بأرض الشام عشرين سنة، وحكمها نحو تسع عشرة سنة. وكان أنشأ حكومة بني أمية. توفّي في اثنتين وعشرين مضت من رجب سنة ستين من الهجرة، وهو حينئذ ابن اثنتين وثمانين سنة.

- **وحبيبة بنت أم حبيبة** ربيبة النبي ﷺ، رجعت من الحبشة مع أمّها، ولم نجد لحياتها حادثا يذكر.[1]

(١) حبيبة بنت أم المؤمنين. واسم أبيها عبيد الله بن جحش، كما تقدّم. (صلاح)

أم المؤمنين صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[(١)]

هي صفية بنت حيي بن أخطب بن شعبة بن ثعلبة من بني إسرائيل من سبط لاوي ابن يعقوب ثم من ذرية هارون بن عمران أخي موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

وأمها: برة بنت سموأل.

كانت أولا عند سلام بن مشكم، ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق، فقتل يوم خيبر.

وكانت صفية من سبايا خيبر، ولما جمع رسول الله ﷺ بسبي خيبر، جاءه دحية[(٢)] فقال: أعطني جارية من السبي، فقال: «اذهب فخذ جارية» فأخذ صفية بنت حيي، فقيل: يا رسول الله إنها سيّدة قريظة والنضير، ما تصلح إلا لك فأعتقها رسول الله ﷺ فتزوّجها.[(٣)]

ويروى أن رسول الله ﷺ دخل على صفية، وهي تبكي فقال لها: «ما يبكيك؟» قالت: بلغني أن عائشة وحفصة تنالان مني، وتقولان: نحن خير من صفية، نحن بنات عمّ رسول الله ﷺ وأزواجه.

قال: «ألا قلت لهنّ! كيف تكونان خيرا مني وأبي هارون، وعمّي موسى، وزوجي محمد ﷺ»[(٤)] صلى الله على سيدنا محمد النبي، وعلى هارون، وعلى موسى وعلى جميع

---

(١) راجع ترجمتها في «الاستيعاب» (٤/ ٤٢٦ رقم ٣٤٣٩)، «الإصابة» (٨/ ٢١٠ رقم ١١٤٠٧). (صلاح)

(٢) دحية بن خليفة بن فروة من بني كلب، وهو من كبار الصحابة. التزم بالركاب النبوي في المشاهد كلّها سوى بدر. هو الذي بعثه رسول الله ﷺ إلى قيصر رسولا سنة ٦هـ. توفّي في إمارة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [راجع ترجمته في «الإصابة» (٢/ ٢٦١- ٢٦٢) كان دحية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلا جميلا، وعن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ: «...ورأيت جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإذا أقرب ما رأيت به شبها دحية.» («مسلم» رقم ١٦٧) (صلاح)].

(٣) قال المسلمون: «إحدى أمهات المؤمنين، أو ما ملكت يمينه؟ قالوا: إن حجبها فهي إحدى أمهات المؤمنين، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه. فلما ارتحل وطأ لها خلفه، ومدّ الحجاب.» (البخاري رقم ٤٢١٣ وغيره من المواضع). (صلاح)

(٤) أخرجه الترمذي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [رقم ٣٨٩٢، إسناده ضعيف، ضعّفه الألباني في «ضعيف الترمذي». وهو عن صفية أم المؤمنين].

الأنبياء والمرسلين.

وروي أن جارية لها أتت عمر بن الخطاب، فقالت :إن صفية تحبّ السبت، وتصل اليهود، فبعث إليها عمر، فسألها.

فقالت: أمّا السبت، فإني لم أحبّه منذ أبدلني الله به يوم الجمعة، وأما اليهود فإنّ لي فيهم رحما وأنا أصلها. ثم قالت للجارية: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: الشيطان. قالت: اذهبي فأنت حرّة.

وفاتها:

وتوفّيت صفية في شهر رمضان سنه خمسين من الهجرة.(١)

مروياتها:

وعدد ما روي عنها من الأحاديث عشرة أحاديث. حديث في «الصحيحين» وتسعة أحاديث(٢) في كتب الحديث الأخرى.(٣)

أقاربها:

وكان رفاعة بن سموأل خالها من الصحابة، وله رواية في «كتاب الموطأ» للإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ.(٤)

---

(١) الاستيعاب (٤/ ١٨٧٢).

(٢) مداج النبوّة لعبد الحق الدهلوي.

(٣) قال الحافظ ابن حجر: «روت صفية عن النبي ﷺ، وروى عنها ابن أخيها ومولاها كنانة ومولاها الآخر يزيد بن معتب، وزين العابدين علي بن الحسين، وإسحاق بن عبد الله بن الحارث ابن مسلم بن صفوان.» («الإصابة»: ٨/ ٢١٢). (صلاح)

(٤) الإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحي يلقّب بإمام دار الهجرة. ولد سنة ٩٥ هـ وتوفّي سنة ١٧٩ هـ وهو ابن أربع وثمانين سنة. ذكر الشاه ولي الله في شرح الموطأ: إذا أسند حديث إلى مالك بلغ الذروة العليا من الصحة. والشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تلميذه ومحمد بن الحسن وابن وهب وابن القاسم ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي وعبد الرزاق وهارون الرشيد، ومأمون الرشيد كلّهم من تلاميذه. يبلغ مشاهير تلاميذه ألفا وصاروا بعده أساتذة وشيوخا.

أم المؤمنين ميمونة[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

هي ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر.

كانت قبل النبي ﷺ تحت أبي رهم بن عبد العزى، وكانت قبل أبي رهم بن عبد العزّى عند حويطب بن عبد العزى، كانت قد تأيمّت من أبي رهم حين خرج النبي ﷺ معتمرا سنة سبع، فذكرها العبّاس لرسول الله ﷺ فتزوّجها النبي ﷺ.[2]

وأخوات ميمونة لأبيها وأمّها أربع:

١- **أم الفضل لبابة الكبرى**: وهي والدة عبد الله بن عباس مفسّر القرآن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢- **لبابة الصغرى**: وهي والدة خالد سيف الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.[3]

٣- **عصماء**: وهي كانت تحت أبيّ بن خلف الجمحي.[4]

٤- **عزّة**: وهي كانت تحت زياد بن عبد الله بن مالك الهلالي.

---

(١) انظروا نسب النبي ﷺ (رقم ١٨). قيل: كان اسمها: برّة، سماها النبي ﷺ ميمونة، تزوجها في «سرف» وماتت بها، ودفنت سنة إحدى وخمسين على الصحيح. (تقريب التهذيب: ص١٣٧٣، رقم ٨٧٨٦)

واسم أمها: هند بنت عوف الكنانية، وقيل: الحميرية. (الاستيعاب: ٤/ ٤٦٣). (صلاح)

(٢) تزوجها بعد صفية،وهي آخر من تزوج من أزواجه، ماتت سنة إحدى وخمسين، وهي آخر من ماتت من أزواج النبي ﷺ. (صلاح)

(٣) خالد بن الوليد: من أشهر المشاهير، وكان صاحب القبّة والأعنّة في قريش. والمراد بالقبّة الخيمة التي يجلس فيها ويعلن الحرب. والمراد بالأعنّة رسالة الخيل. وقد جعله النبي ﷺ دائما أمير الخيل وضابطهم.

(٤) ذكر الحافظ: يقال لها: لبابة الصغرى، وقال: هي أم خالد بن الوليد. (الإصابة: ٨/ ٢٤٠ رقم ١١٤٨١). (صلاح)

وأخواتها لأمّها أربع:

٥- سلمى بنت عميس: وكانت تحت حمزة بن عبد المطلب، فولدت له أمة الله، ثم خلف عليها بعده شدّاد بن أسامة بن الهاد، فولدت له عبد الله وعبد الرحمن.

٦- أسماء بنت عميس: وكانت تحت جعفر بن أبي طالب، فولدت له عبد الله وعونا ومحمدا، ثم خلف عليها أبو بكر الصديق، فولدت له محمدا، ثم خلف عليها عليّ بن أبي طالب، فولدت له يحيى.(١)

٧- سلامة بنت عميس: كانت تحت عبد الله بن كعب بن منبه الخثعمي.

٨- أم المؤمنين زينب بنت خزيمة: كانت عند الطفيل بن الحارث ثم خلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث، ثم خلف عليها عبد الله بن جحش وكان آخر نكاحها مع رسول الله ﷺ.(٢)

مروياتها:

ومجموع ما روي عنها من الأحاديث ستة وسبعون حديثًا. منها سبعة أحاديث في «الصحيحين» وحديث واحد في «صحيح البخاري»، وحديث واحد في «صحيح مسلم»، وسبعة وستون حديثًا في كتب الحديث الأخرى.

---

(١) الاستيعاب (٤/ ٣٤٨ رقم٣٢٦٤)، وقال: لاخلاف في ذلك. وفي مدارج النبوّة: هو عون بن علي، ولكن الصحيح هو يحيى. [كما في الاستيعاب].

(٢) **أخوات ميمونة أم المؤمنين كلّهن من هند بنت عوف بن الحارث بن حماطة بن جرش بن حمير. قالوا: هي العجوز التي قيل فيها أكرم الناس أصهارًا، وقد قيل: إن زينب بنت خزيمة الهلالية أختهنّ لأم.** (الاستيعاب: ٤/ ٤١٢ رقم ٣٥١٥)

ولا ريب، **أنها أكرم الناس أصهارًا وما لها من أصهار**. قد تزوج النبي ﷺ ثنتين من بناتها: زينب بنت خزيمة أم المساكين، وميمونة بنت الحارث، وكذلك من أصهارها: الخليفتان الراشدان: أبو بكر وعليّ، والعباس عم النبي ﷺ، وخالد بن الوليد، وجعفر بن أبي طالب وغيرهم رضي الله عنهم. وحقّ أنها أكرم الناس أصهارًا. ويا لها من فضل! (صلاح)

ملحق جدول

عن أحوال أمّهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ التاريخية

الرقم المسلسل	أسماء الأزواج	عام النكاح	سن أم المؤمنين وقت النكاح	العمر	المقبرة	مدة الإقامة عند النبي	عمر النبي ﷺ وقت النكاح	عام الوفاة
١	خديجة الكبرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا	سنة ٢٥ من مولد النبي	٤٠ سنة	٦٥ سنة	مكة المكرمة	نحو ٢٥	٢٥ عاما	سنة ١٠ من النبوة
٢	سودة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا	سنة ١٠ من البعثة	٥٠ سنة	٧٢ سنة	المدينة المنورة	١٤ عاما	٥٠ عاما	سنة ١٩هـ
٣	عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا	سنة ١١ من البعثة	٦ سنين	٦٣ سنة	المدينة المنورة	٩ أعوام	٥٤ عاما	سنة ٥٧ هـ في ١٧ رمضان
٤	حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا	شعبان سنة ٣ هـ	٢٢ سنة	٥٩ سنة	المدينة المنورة	٨ أعوام	٢٢ عاما	سنة ٤١ هـ من جمادى الأولى
٥	زينب بنت خزيمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا	سنة ٣ هـ	٣٠ عاما	٣٠ سنة تقريبا	المدينة المنورة	٣ أشهر	٥٥ عاما	سنة ٣ هـ
٦	أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا	سنة ٤ هـ	٢٩ سنة	٨٠ سنة	المدينة المنورة	٧ سنوات	٥٦ عاما	سنة ٦٠ هـ
٧	زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا	سنة ٥ هـ	٣٦ عاما	٥١ سنة	المدينة المنورة	٦ سنوات	٥٧ عاما	سنة ٢٠ هـ
٨	جويرية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا	شعبان سنة ٥ هـ	٢٠ سنة	٧١ سنة	المدينة المنورة	٦ سنوات	٥٧ عاما	سنة ٥٦ هـ من ربيع الأول
٩	أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا	سنة ٦ هـ	٣٦ سنة	٧٢ سنة	المدينة المنورة	٦ سنوات	٥٨ عاما	سنة ٤٤ هـ
١٠	صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا	جمادى الآخرة سنة ٧ هـ	١٧ سنة	٥٠ سنة	المدينة المنورة	٣/ ٣ / ٤	٥٩ عاما	سنة ٥٠ هـ
١١	ميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا	ذي القعدة سنة ٧ هـ	٣٦ سنة	٨٠ سنة	سرف بالقرب من مكة	١/ ٣/ ٤	٥٩ عاما	سنة ٥١ هـ

الباب الثالث

الغزوات والسرايا

الباب الثالث

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾ [الروم: ٤ – ٦].

الغزوات والسرايا

بدأت سلسلة الحروب ضد الرسول ﷺ وأصحابه من قبل أعدائهم حين كان قد هاجر من مكة إلى المدينة المنوّرة. وعاش النبي ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة، يدعو الناس إلى الإسلام، ويعظ عبدة الأصنام والأوثان وحملة الأديان الزائفة الأخرى بتوحيد الله الواحد الأحد.

تشكيل لجان لمقاوة دعوة التوحيد:

ودعوة التوحيد هي التي ثارت لأجلها ثائرتهم، فأبدوا عداءهم الشديد للمسلمين، واتخذوا التدابير المختلفة ليعرقلوا سير الدعوة والإرشاد.

فنظّموا من بينهم جماعة المستهزئين، وكانت مهمتهم أن يستهزءوا بكل ما يأتيه الرسول ﷺ من أعمال دينية، ويهمزوه ويلمزوه، وأن يجلسوا بسبل الناس حين قدموا الموسم، فيستفزوهم ضد المسلمين، حتى لا يكلّم أحد منهم رجلا من المسلمين، ولا يلاقي النبي ﷺ. وكانت لهذه الجماعة فروع ولجان، كل لجنة تبذل جهودها في أداء مهمتها.

من مهمات هذه اللجان التضييق على المسلمين، وهجرتهم إلى الحبشة:

- **فكانت مهمة لجنة منها**، أن تحدث الضجيج وتنشر الفوضى بين الناس، إذا ما قام فيهم الرسول ﷺ واعظًا داعيًا إلى الإسلام.
- **وكانت مهمة لجنة منها** أن تطرح على النبي ﷺ الأقذار والأكدار إذا مرّ بها، وترميه بالحجارة، وتضيق عليه الخناق إذا صلّى، وتحفر في طريقه الحفرة، وتطرح له

الأشواك، وتقذف على بابه القاذورات في ظلمة الليل.

- **وكانت طائفة منهم** إذا سمعوا برجل قد أسلم أنّبوه وعذّبوه، وإذا تمكّنوا من أحد ممن أسلم قتلوه، ورموا به في المغارات والكهوف.

فلما رأى المسلمون ما يصيبهم من البلاء خرجوا إلى أرض الحبشة.

بقاؤ النبي في مكة أملًا باهتدائهم:

ولم يكن النبي ﷺ بعدُ يائسا من أن يهتدي هؤلاء القساة من متحجري القلوب، فبقي في أهل مكة.

ولكن الذي أن حدث أعداء الإسلام اجتمعوا وتعاقدوا أن لا يبيع أحد منهم المسلمين وأنصارهم شيئا مما يؤكل. وقد تحمّل النبي ﷺ هذه الشدة ثلاث سنوات متّصلة، ثم بدأت رحلاته إلى القبائل في ضواحي مكة، يدعوهم إلى الله، ولكنهم كانوا حلفاء قريش، فلم يستجيبوا لقول الرسول ﷺ.

وكان أهل مكة يفرحون لما يلاقيه الرسول ﷺ من خذلان وفشل في أمره، ولكنّهم تميّزوا من الغيظ حين علموا بأن تعاليمه السمحة بدأت تسحر قلوب أهل يثرب، وأيقنوا أن فيها حيويّة عجيبة، وأثرًا كبيرًا، فأرادوا أن يطفئوا نور حياته ﷺ.

أرادوا القضاء على النبي ﷺ:

وبديهي أنه لم يكن ليتصوّر أن ينجو النبي ﷺ ويسلم من غوائلهم، وهو في بلد لا ينقاد لحكومة، ولا يخضع لقانون، وليس له فيه أحد يحمي نفسه، ويصون ماله، وأهلُه مضرب المثل في الضراوة والهمجيّة منذ قرون.

ثم زد على ذلك أنهم يختارون من كل قبيلة فتى شابّا جليدا، ويعطى كلّ منهم سيفا صارما ولكن النبي ﷺ خرج من بينهم.

هذا حادث ينبغي أن يفكّر فيه كل منكر وجاحد، ليتسنّى له الاعتراف بالقدرة الإلهية، ويشكر الله كلّ مسلم على ما رأى من الصيانة الربّانية، التي لا يكرم الله بها إلا عباده الصالحين.

رصد النبي ﷺ تحرّكاتهم ضدّ الإسلام والمسلمين:

ولما رأى الأعداء أن النبي ﷺ نجا برأسه إلى المدينة، رأوا ذلك من ذلّهم وخيبتهم، فتأجّجت نار حقدهم، وآلوا على أنفسهم أنهم يمحونه هو وأصحابه من الوجود.

كان النبي ﷺ عارفا بطبيعتهم الوحشية الضارية، فرأى من الحيطة أن يقوم برصد تحركاتهم، والإجهاض على جهودهم الاستراتيجية واستعدادهم الحربي، وعمل لذلك أعمالا.

إجراءات النبي ﷺ للدفاع عن الإسلام لم تكن حربًا:

ولكن مع الأسف أن كل محاولة قام بها المسلمون دفاعا عن أنفسهم، أطلق الناس عليها اسم الحرب، بدون أن يعرفوا أسباب الوقائع وأهداف المسلمين وأعمالهم. وقد أدى ذلك إلى أن المسلمين السذّج هم الآخرون ظنّوا أن جميع التدابير التي اتّخذها المسلمون إنما كانت للحرب.

غزوات وسرايا، ولم تكن مرادفة للحروب:

وليعلم أن أقدم المؤرّخين المسلمين أطلقوا على هذه التدابير والتحرّكات اسم الغزوات والسرايا. ولمن سوء الفهم أن يحسبها أحد في هذا العصر مرادفة للحرب، مع أن معناها في اللغة: القصد والسير.(١)

ويبدو أن المؤرّخين المتقدّمين قسّموا جميع تحركات المسلمين إلى قسمين.

(أ) التحرّكات التي قام بها النبي ﷺ بنفسه، وأطلقوا عليها اسم الغزوة، ويبلغ عدد الغزوات تسع عشرة غزوة، كما روى الإمام البخاري من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(٢)

---

(١) الغزوة: غزاه غزوًا: أراد، وطلبه، وقصده. وغزا العدّو: سار إلى قتالهم. وغزويّ كذا: قصديّ، ومغزى الكلام: مقصده. والمغازي: مناقب الغزاة. (القاموس المحيط: «غزو»)
السّرية: السّرى كالهدى: سير عامة الليل. والسرية: من خمسة أنفس إلى ثلاث مئة، أو أربع مئة. (القاموس المحيط: «سرو»). (صلاح)

(٢) صحيح البخاري في «المغازي» (٥/ ٢، ١٢٦، ١٤٥) وصحيح مسلم في «الجهاد والسير» (٣/ ١٤٤٧ رقم ١٢٥٤).

(ب) التحرّكات التي قام بها المسلمون أو أحد منهم، وأطلقوا عليها اسم السرية من الغزوات.

فيما يلي جدول لجميع الغزوات والسرايا. وقد راعينا في ذكر هذه الغزوات والسرايا الترتيب الزمني، وللرقم المسلسل في الجدول أهمية للقارئ، فإنا نحيل إلى هذا الرقم عند التعليق على كل غزوة من الغزوات.

جدول الغزوات والسرايا التي وقعت من سنة اثنتين من الهجرة إلى سنة تسع من الهجرة (خلال ثماني سنوات)

الرقم المسلسل	اسم الغزوة أو السرية وتاريخ وقوعها	عدد الجيش الإسلامي مع اسم قائده	عدد جيش العدو مع اسم قائده	خسارة المسلمين الجريح الشهيد أو الأسير		خسارة العدو الجريح القتيل أو الأسير		النتيجة	الملاحظة
١	سرية سيف البحر رمضان سنة ١هـ	٣٠ راكبا حمزة بن عبد المطلب	٣٠٠ أبو جهل					انصرف المسلمون بدون قتال	بعثت هذه السرية لدراسة أحوال مكة وجد الأعداء أن المسلمين متنبهون فانصرفوا عنهم.
٢	سرية الرابغ في شوال سنة ١ هـ	٦٠ عبيدة بن الحارث [1]	٢٠٠ عكرمة أو أبوسفيان					انصرف المسلمون بدون قتال	بعثت هذه السرية لتفقد أحوال أهل مكة فرأت جمعا عظيما من قريش بأسفل ثنية المرة.
٣	سرية ضرار في ذي القعدة سنة ١ هـ	٨٠ سعد بن أبي وقاص [2]						خرج حتى بلغ الجحفة ثم رجع ولم يلق كيدا	
٤	غزوة ودان وهي غزوة الأبواء في صفر سنة ٢ هـ	٧٠ النبي ﷺ						عاهد عمرو بن مخشي الضمري على أن لا يعين قريشا ولا المسلمين	
٥	غزوة بواط في ربيع الأول سنة	٢٠٠ النبي ﷺ	١٠٠ أمية بن					بلغ إلى بواط من ناحية	رضوى اسم جبل بالقرب من ينبع.

(١) يوجد ذكره في شهداء كربلاء.

(٢) هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة الذين جعلهم عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أهلا للخلافة، فاتح فارس ومؤسس الكوفة، وخال النبي ﷺ، وأول من رمى في سبيل الله، وسابع الستة الذين أسلموا، توفي سنة ٥٤ هـ.

الرقم المسلسل	اسم الغزوة أو السرية وتاريخ وقوعها	عدد الجيش الإسلامي مع اسم قائده	عدد جيش العدو مع اسم قائده	خسارة المسلمين الجريح الشهيد أو الأسير		خسارة العدو الجريح القتيل أو الأسير		النتيجة	الملاحظة
	٢ هـ		خلف					رضوى ثم رجع إلى المدينة لقي في الطريق قريشا وأمية	
٦	عزوة سفوان أو غزوة بدر الأولى في ربيع الأول سنة ٢هـ	٧٠ النبي ﷺ	كرز بن جابر الفهري					خرج في طلب العدو حتى بلغ سفوان فلم يدركه	كان كرز بن جابر قد أغار على مواشي لأهل المدينة.
٧	غزوة ذي العشيرة في جمادي الأخرى سنة ٢ هـ	١٥٠ النبي ﷺ						وادع بني مدلج وحلفائهم من بني ضمرة	ذو العشيرة موضع بين مكة والمدينة من بطن ينبع.
٨	سرية النخلة في رجب سنة ٢هـ	١٢ عبد الله بن جحش	قافلة تحت قيادة بني أمية			٢	١	أطلق الأسيران وودى القتيل	أرسلوا لاستطلاع قريش ووقع الصدام.
٩	غزوة بدر الكبرى في رمضان ٢هـ	٣١٣ النبي ﷺ	١٠٠٠ أبو جهل	١٤	٢٢	٧٠	٧٠	انتصر المسلمون على العدو	بين بدر ومكة سبعة منازل وبين بدر والمدينة ثلاثة منازل. لما علم بخروج قريش إلى المدينة ارتحل دفاعا عن المسلمين.
١٠	سرية عمير بن العدي الخطمي في رمضان سنة ٢هـ	١ عمير [١]	١ عصماء بنت مروان الخطمية				قتلت عصماء		قتل عمير أخته التي كانت تحض قومها على الحرب ضد المسلمين.

(١) هو أول من أسلم من بني خطمة، كان إمام قومه، وكانت عيناه ضعيفتين، والده عدي بن خرشة شاعر شهير.

الرقم المسلسل	اسم الغزوة أو السرية وتاريخ وقوعها	عدد الجيش الإسلامي مع اسم قائده	عدد جيش العدو مع اسم قائده	خسارة المسلمين الجريح الشهيد أو الأسير		خسارة العدو الجريح القتيل أو الأسير		النتيجة	الملاحظة
١١	سرية سالم بن عمير الأنصاري في شوال سنة ٢ هـ	١ سالم[(١)]	١ أبو عفك اليهودي				قتل اليهودي		كان أبو عفك اليهودي يستفز اليهود على المسلمين فقتله سالم.
١٢	غزوة بني قينقاع في شوال سنة ٢ هـ	النبي ﷺ	قبيلة بني قينقاع					تم إجلاؤهم	أتوا بالشر في المدينة حين كان المسلمون في بدر فأجلوا لذلك.
١٣	غزوة السويق في ذي الحجة سنة ٢ هـ	٢٠٠ النبي ﷺ	٢٠٠ أبو سفيان الأموي		٢			خرج النبي في طلبه فلم يدركه	بعث أبو سفيان رجالا من قريش إلى المدينة فأتوأ ناحية منها فحرقوا في أصوار من نخل ووجدوا بها رجلين فقتلوهما.
١٤	غزوة قرقرة الكدر أو غزوة بني سليم في محرم الحرام سنة ٢ هـ	٢٠٠ النبي ﷺ	قبيلة بني غطفان وبني سليم			١		خرج العدو يغزو المدينة فانصرف حين رأى جمعًا من المسلمين	أسر عبد اسمه يسار فأطلق سراحه
١٥	سرية قرقرة الكدر في سنة ٢ هـ	غالب بن عبد الله الليثي	قبيلة بني غطفان وبني سليم		٣			قتل الأعداء وفر الباقون	بعثت هذه السرية إكمالا إذ اجتمع الأعداء مرة ثانية.
١٦	سرية محمد بن مسلمة في ربيع الأول سنة ٣ هـ	٥ محمد بن مسلمة الأنصاري الخزرجي[(٢)]	١ كعب بن الأشرف اليهودي	١			١		كان كعب بن الأشرف يحرض القبائل من اليهود ضد المسلمين ودعا قريشا إلى الحرب فوقعت غزوة أحد.

(١) شهد بدرا وأحدا والخندق، وكان يبكي خوفا من الله. توفّي في إمارة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) هو من فضلاء الصحابة، استعمله رسول الله ﷺ مرة على المدينة في غيبته، كان بمعزل عن الناس أيام الفتنة. توفي سنة ٤١ هـ بالمدينة وهو ابن سبع وسبعين سنة، كان له عشرة بنين وستّ بنات.

الرقم المسلسل	اسم الغزوة أو السرية وتاريخ وقوعها	عدد الجيش الإسلامي مع اسم قائده	عدد جيش العدو مع اسم قائده	خسارة المسلمين		خسارة العدو		النتيجة	الملاحظة
				الجريح	الشهيد أو الأسير	الجريح	القتيل أو الأسير		
١٧	غزوة ذي أمر أو غزوة غطفان أو غزوة أنمار في ربيع الأول سنة ٣ هـ	٤٥٠ النبي ﷺ	بنو ثعلبة وبنو محارب					اجتمعت بنو ثعلبة وبنو محارب للإغارة على المدينة فانصرفوا حين رأوا جمعا من المسلمين.	خرج النبي ﷺ في أصحابه حتى بلغ نجدا. وهنا أسلم دعثور الذي كان هم بقتل رسول الله ﷺ
١٨	سريه قردة في جمادى الآخرة سنة ٣ هـ	١٠٠ زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	أبو سفيان الأموي			١		خرج زيد بن حارثة في بعث فتلقى قرشا في طريقهم إلى العراق	أسر فراة بن سفيان دليل القافلة التجارية فأسلم.
١٩	غزوة أحد في شوال سنة ٣ هـ	٦٥٠ راجل	٢٨٠٠ راجل ٢٠٠ راكب ٣٠٠٠ أبو سفيان الأموي	٤٠ جريحا	٧٠ شهيدا		٣٧ قتيلا	لحقت خسارة فادحة بالمسلمين ولكن فشل الكفار نتيجة لرعب أصابهم.	بين أحد وبين المدينة ثلاثة أميال. كان الأعداء زحفوا من مكة إلى أحد.
٢٠	غزوة حمراء الأسد في ٧ من شوال المكرم سنة ٣ هـ	٥٤٠ النبي ﷺ	٢٩٧٠ أبو سفيان				٢ أبو عزة و معاوية بن المغيرة	خرج النبي ﷺ مرعبا للعدو	لما كان الغد من يوم أحد خرج المسلمون إلى معسكر العدو لئلا يغير عليهم ثانية ظانا بهم ضعفاء، أسر رجلان وقتل أبو عزة الشاعر لأنه كان وعد في بدر بأنه لا يظاهر أبدا على المسلمين ثم نقض عهده وحث المشركين على المسلمين.

الرقم المسلسل	اسم الغزوة أو السرية وتاريخ وقوعها	عدد الجيش الإسلامي مع اسم قائده	عدد جيش العدو مع اسم قائده	خسارة المسلمين		خسارة العدو		النتيجة	الملاحظة
				الجريح أو الأسير	الشهيد	الجريح	القتيل أو الأسير		
٢١	سرية قطن أو سرية أبي سلمة المخزومي في غرة محرم الحرام سنة ٤ هـ	١٥٠ أبو سلمة المخزومي	طلحة وسلمة					لم يتمكنوا من الإغارة على المدينة بمظاهرة قام بها المسلمون	هو رئيس قطاع الطريق أراد الإغارة على المدينة ولكن المسلمين تظاهروا فوصلوا إلى قطن وهو مسكنه فتفرق جمعه.
٢٢	سرية عبد الله بن أنيس في ٥ من محرم الحرام سنة ٤ هـ	١ عبد الله بن أنيس الجهني الأنصاري	١ سفيان الهذلي				١	سمع عبد الله بأن سفيان استنفر قوما ضد المسلمين بعرنة فوصل إليها وقتل بها سفيان	
٢٣	سرية الرجيع في صفر المظفر سنة ٤ هـ	١٠ عاصم بن ثابت أو مرثد بن أبي مرثد الغنوي	١٠٠ قبيلة عضل والقارة		١٠			استشهد عشرة من القراء	كانت سلامة امرأة طلحة قد جعلت مائة ناقة لمن يقتل عاصما فقدم رهط من قبيلتها على رسول الله ﷺ واستصحبوا عشرة من القراء فقتلوا منهم ثمانية وباعوا منهم اثنين بمكة فصلبهما أهل مكة وبقي جثمانهما على الخشبة أربعين يوما. وفي كتب السيرة أنهم كانوا ستة وفي البخاري أنهم كانوا عشرة.

الرقم المسلسل	اسم الغزوة أو السرية وتاريخ وقوعها	عدد الجيش الإسلامي مع اسم قائده	عدد جيش العدو مع اسم قائده	خسارة المسلمين الجريح الشهيد أو الأسير		خسارة العدو الجريح القتيل أو الأسير		النتيجة	الملاحظة
٢٤	سرية بئر معونة أو سرية طرز في صفر سنة ٤ هـ	٧٠ منذر بن عمرو	جماعة كبيرة عامر بن مالك	١	٦٩			استشهد تسعة وستون من الدعاة	قدم عامر بن مالك على رسول الله ﷺ وقال يا محمد لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك فبعث رسول الله ﷺ سبعين رجلا من أصحابه فلما نزلوا ببئر معونة غشيتهم قبائل من بني سليم من رعل وذكوان وقتلوهم إلا عمرو بن أمية الضمري فإنه كان في سرح القوم.
٢٥	سرية عمرو بن أمية الضمري في ربيع الأول سنة ٤ هـ	١ عمرو بن أمية الضمري	٢ من قبيلة بني كلاب				٢	بما أن عمرو بن أمية الضمرى كان قتل رجلين من قبيلتين كان معهما عقد من رسول الله ﷺ ودى بهما رسول الله ﷺ.	وجد عمرو بن أمية الضمري الذي كان يرجع إلى المدينة من بين السبعين قارئا رجلين في ظل فأمهلهما حتى إذا ناما قتلهما بظن أنهما من جماعة القاتلين.
٢٦	غزوة بني النضير في ربيع الأول سنة ٤ هـ	النبي ﷺ	قبيلة بني النضير					تم إجلاؤهم بأنهم هموا بقتل الرسول ﷺ	كانت بنو النضير في المدينة أرادوا الغدر بالمسلمين أجلوا إلى أرض خيبر وقد وقعت غزوة خيبر جزاء شرهم.
٢٧	غزوة بدر الأخرى في ذى	١٥٠٠ راجل	٢٠٠٠ راجل					لم تحدث مواجهة	خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل بناحية

رقم التسلسل	اسم الغزوة أو السرية وتاريخ وقوعها	عدد الجيش الإسلامي مع اسم قائده	عدد جيش العدو مع اسم قائده	خسارة المسلمين الجريح الشهيد أو الأسير		خسارة العدو الجريح القتيل أو الأسير		النتيجة	الملاحظة
	القعدة سنة ٤ هـ	١٠ راكب ١٥١٠ النبي ﷺ	٥٠ راكب ٢٠٥٠ أبو سفيان الأموي						الظهران أو عسفان ولما علم النبي ﷺ بقدومه خرج إليه فرجع أبو سفيان فرجع النبي ﷺ أيضا.
٢٨	غزوة دومة الجندل في ربيع الأول سنة ٥ هـ	١٠٠٠ النبي ﷺ	أهل دومة					رجع رسول الله ﷺ قبل أن يصل إليها ولم يلق كيدا	كان النبي ﷺ سمع باجتماع حاشد بدومة الجندل للإغارة على المدينة فخرج إليها فعلم بكذبه فرجع ووادع عيينة بن حصن في الطريق.
٢٩	غزوة بني المصطلق أو المريسيع في ٢ شعبان سنة ٥ هـ	النبي ﷺ	الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق			١٩٠	١٠	انهزم العدو وأطلق الأسرى كلهم	بلغ النبي ﷺ أن المصطلق يجمعون له وقائدهم الحارث بن أبي ضرار فبعث إليهم بريدة الأسلمي يأتيه منها بخبر فعلم بصحته فخرج إليهم فقاتله بنو المصطلق فقط وفر الباقون.
٣٠	غزوة الأحزاب أو الخندق في شوال المكرم أو في ذي القعدة سنة ٥ هـ	٣٠٠٠ النبي ﷺ	١٠٠٠٠ أبو سفيان الأموي وغيره		٦		١٠	انقلب العدو خائبا خاسئا	إن نفرا من اليهود دعوا قريشا والقبائل الأخرى للحرب ضد المسلمين فضرب المسلمون الخندق على المدينة دفاعا عن أنفسهم. فحاصرهم الأعداء شهرا ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم.

م مسلسل	اسم الغزوة أو السرية وتاريخ وقوعها	عدد الجيش الإسلامي مع اسم قائده	عدد جيش العدو مع اسم قائده	خسارة المسلمين		خسارة العدو		النتيجة	الملاحظة
				الجريح	الشهيد أو الأسير	الجريح	القتيل أو الأسير		
٣١	سرية عبد الله ابن عتيك في ذي القعدة سنة ٥ هـ	٥ عبد الله بن عتيك الأنصاري الخزرجي[1]	١ سلام بن أبي الحقيق يهودي خيبر				١	قتل العدو	هو الذي تولى تحريض القبائل على المسلمين في غزوة الأحزاب. وكان يدعو إلى جمع القبائل فقتله عبد الله في مضجعه ليلا.
٣٢	غزوة بني قريظة في ذي الحجة سنة ٥ هـ	النبي ﷺ	بنو قريظة		٤	٢٠٠	٤٠٠	من الأعداء من قتل ومنهم من أسر	كان لبني قريظة عقد مع المسلمين فلما أرادوا الغدر أسروا فحكم رسول الله ﷺ في بني قريظة ليحكم بما أنزل الله فحكم بقتل أربع مائة رجل حسب التوراة التي كانوا يؤمنون بها وهذا العدد مروي عن جابر في الترمذي والنسائي وابن حبان.
٣٣	سرية القرطاء في محرم الحرام سنة ٦ هـ	٣٠ محمد بن مسلمة الأنصاري	٣٠ ثمامة بن أثال			١		أسر ثمامة فأطلقه رسول الله ﷺ	رأى محمد بن مسلمة أن ثمامة يذهب إلى المدينة فحال دونه فأسره فجاء به إلى رسول الله ﷺ فأطلقه رسول الله ﷺ فأسلم لحسن خلق النبي ﷺ وكان ثمامة سيد نجد.

(١) شهد أحدا، واستشهد في غزوة اليمامة، كانت ساقه قد انكسرت في السريّة المذكورة، فمسح الرسول ﷺ يده عليها فبرأت.

الرقم المسلسل	اسم الغزوة أو السرية وتاريخ وقوعها	عدد الجيش الإسلامي مع اسم قائده	عدد جيش العدو مع اسم قائده	خسارة المسلمين الجريح الشهيد أو الأسير		خسارة العدو الجريح القتيل أو الأسير		النتيجة	الملاحظة
٣٤	غزوة بني لحيان في ربيع الأول سنة ٦ هـ	٢٠٠ النبي ﷺ	بنو لحيان من بطون هذيل					تفرق العدو حين علم بقدوم النبي ﷺ إليه	كانت هذه الغزوة لتأديب أهل الرجيع الذين كانوا قتلوا عشرة من الدعاة الأبرياء (انظر رقم ٢٢).
٣٥	غزوة ذي قرد أو الغابة في ربيع الآخر سنة ٦ هـ	٥٠٠ النبي ﷺ مع سلمة بن الأكوع الأسلمي	خيل من غطفان تحت قيادة عيينة الفزاري	امرأة واحدة	٣		١	أغاروا على لقاح لرسول الله ﷺ فخرج المسلمون في طلبهم فلحقوا بهم	عدت هذه العصابة من النهاب على لقاح لرسول الله ﷺ وقتلوا رجلا واحتملوا المرأة على اللقاح فخرج رجال من أصحابه في طلبهم ثم لحقهم النبي ﷺ.
٣٦	سرية عكاشة ابن محصن أو سرية غمر مرزوق في ربيع الآخر سنة ٦ هـ	٤٠ عكاشة بن محصن الأسدي [1]	بنو أسد					تفرق الأعداء ولم تكن المواجهة، أسرت مائتا إبل لهم	كان بنو أسد قد أجمعوا الإغارة على المدينة فبعثت إليهم هذه السرية.
٣٧	سرية ذي القصة في ربيع الآخر سنة ٦ هـ	١٠ محمد بن مسلمة	١٠٠ بنو ثعلبة	١ الجريح	٩			استشهد تسعة من الدعاة وأصيب محمد ابن مسلمة بجرح	كان عشرة من القراء ذهبوا يبلغونهم وبينما هم نائمون إذ عمد إليهم بنو ثعلبة فقتلوهم. ذو القصة اسم موضع.
٣٨	سرية بنى ثعلبة في ربيع الآخر	٤٠ أبو عبيدة بن	بنو ثعلبة			١		انصرف العدو وغنم المسلمون	بعثت هذه السرية لتصيب ثورة الذين

(١) هو من فضلاء الصحابة، قتله المرتدون في خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو ابن اثنتين وأربعين سنة، شهد المشاهد كلها من أحد وبدر وغيرهما، وكان النبي ﷺ قد بشّره بدخول الجنة بلاحساب، كما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قول النبي ﷺ: «سبقك بها عكاشة». (البخاري: ٦٥٤٢، ومسلم: ٢١٦). (صلاح)

الرقم المسلسل	اسم الغزوة أو السرية وتاريخ وقوعها	عدد الجيش الإسلامي مع اسم قائده	عدد جيش العدو مع اسم قائده	خسارة المسلمين الجريح الشهيد أو الأسير		خسارة العدو الجريح القتيل أو الأسير		النتيجة	الملاحظة
	سنة ٦ هـ	الجراح						ما كان لهم من المتاع	استشهدوا في ذي القصة.
٣٩	سرية الجموم في ربيع الآخر سنة ٦ هـ	زيد بن حارثة	بنو سليم			الأسرى ١٠		أسر رجال فأطلقهم النبي ﷺ وفيهم كان زوج المرأة المخبرة	كانت امرأة يقال لها حليمة قد دلت زيد بن حارثة على محلة من محال بني سليم وقد ذكرنا عدد الأسرى على وجه التقدير.
٤٠	سرية الطرف أو الطرق في جمادى الأخرى سنة ٦ هـ	١٥ زيد بن حارثة	بنو ثعلبة					هرب الأعداء وأصاب المسلمون عشرين بعيرا	بعثت هذه السرية لمعاقبة المجرمين بذي القصة. انظر الرقم (٣٧).
٤١	سرية وادي القرى في رجب سنة ٦ هـ	١٢ زيد بن حارثة	سكان وادي القرى	١ الجريح	٩			قتل من المسلمين تسعة رجال وجرح واحد	كان زيد بن حارثة ذهب إليهم للجولة فحملوا عليه وعلى أصحابه.
٤٢	سرية دومة الجندل في شعبان سنة ٦ هـ	عبد الرحمن بن عوف الزهري [1]	قبيلة بني كلب الأصبغ بن عمرو الكلبي					تحقق نجاح ملموس في مجال الدعوة	أسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانيا وأسلم معه ناس كثير من قومه.
٤٣	سرية فدك في شعبان سنة ٦ هـ	٢٠٠ علي بن أبي طالب	بنو سعد بن بكر					هربت بنو سعد وأصاب المسلمون مائة بعير وألفي شاة	بلغ النبي ﷺ أن لهم جمعا يريدون أن يمدوا يهود خيبر فقام علي بن أبي طالب بالمظاهرة.

(١) هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة الذين جعلهم الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أهلا للخلافة، وكان تاجرًا كبيرًا، وغنيًا زاهدًا، وأمينا في الأرض، وأمينا في السماء. وكان يخدم أمهات المؤمنين بالأموال. جرح في غزوة أحد إحدى عشرة جرحة. وقد صلّى النبي ﷺ صلاة وراءه في سفر. توفي سنة ٣١ هـ وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.

رقم التسلسل	اسم الغزوة أو السرية وتاريخ وقوعها	عدد الجيش الإسلامي مع اسم قائده	عدد جيش العدو مع اسم قائده	خسارة المسلمين الجريح	الشهيد أو الأسير	خسارة العدو الجريح	القتيل أو الأسير	النتيجة	الملاحظة
٤٤	سرية أم قرفة في رمضان سنة ٦ هـ	أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ	بنو فزارة تحت قيادة أم قرفة			٢		انهزم العدو	كانت بنو فزارة قد أغاروا على قافلة زيد بن حارثة التجارية بإيعاز من أم قرفة، وأسرت أم قرفة مع ابنتها وهرب الباقون.
٤٥	سرية عبد الله ابن رواحة في شوال سنة ٦ هـ	٣٠ عبد الله ابن رواحة	٣٠ أسير بن رزام اليهودي	١			٣٠	وقع الاشتباك لسوء فهم الفريقين فقتل اليهود جميعًا	كان عبد الله بن رواحة في ثلاثين من أصحابه إلى أسير ليدعوه إلى رسول ﷺ فخرج أسير إلى رسول الله ﷺ في ثلاثين رجلا من اليهود فتحامل المسلمون واليهود ليلا لسوء فهم.
٤٦	سرية العرنيين في شوال سنة ٦ هـ	٢٠ كرز بن جابر الفهري (١)	رجال من عكل وعرينة		١		٨	قتلوا الراعي واستاقوا الإبل فأسروا ومثل بهم	استوخموا المدينة فشربوا من ألبان الإبل وأبوالها فصحوا ثم قتلوا يسارا راعي النبي ﷺ واستاقوا الذود.
٤٧	سرية عمرو بن أمية الضمري في شوال سنة ٦ هـ	١ عمرو بن أمية							كان عمرو بن أمية قد جاء إلى المدينة ليقتل رسول الله ﷺ فأسلم لما قد رأى من حسن خلقه ﷺ. ثم رجع إلى مكة ودعا الناس بها إلى الإسلام يقول بعض أعداء الإسلام إن

(١) ينتهي نسبه إلى النبي ﷺ من فهر (انظر الرقم ١١ من النسب النبوي) كان رئيس الكفار حين وقعت غزوة سفوان (٦)، ثم أسلم، وكان من خيار الصحابة، واستشهد يوم الفتح.

الرقم	اسم الغزوة أو السرية وتاريخ وقوعها	عدد الجيش الإسلامي مع اسم قائده	عدد جيش العدو مع اسم قائده	خسارة المسلمين: الجريح أو الأسير	خسارة المسلمين: الشهيد	خسارة العدو: الجريح	خسارة العدو: القتيل أو الأسير	النتيجة	الملاحظة
									رسول الله ﷺ كان أمره بأن يقتل أبا سفيان ولكن لا توجد أي رواية بهذا المعنى في الكتب الإسلامية.
٤٨	غزوة الحديبية في ذي القعدة سنة ٦ هـ	١٤٠٠ النبي ﷺ	أهل مكة سهيل بن عمرو القرشي					تم الصلح بين المسلمين وبين قريش لعشر سنوات ورجع النبي ﷺ	كان النبي ﷺ خرج معتمرا فصده قريش عن البيت في الحديبية التي بينها وبين مكة أربعة عشر ميلا فتم فيها الصلح.
٤٩	غزوة خيبر في محرم الحرام سنة ٧ هـ	١٤٠٠ رجل ٢٠ امرأة ممرضة ١٤٢٠ النبي ﷺ	١٠٠٠٠ يهود خيبر كنانة بن أبي الحقيق	٥٠ جريحا	١٨		٩٣	فتح الله للمسلمين فتحا مبينا	سبق لليهود أن قاتلوا المسلمين في أحد والأحزاب وكانوا يريدون بعدها غزو المدينة فخرج النبي ﷺ إلى خيبر فأفسد عليهم نواياهم العدوانية.
٥٠	غزوة وادي القرى في محرم الحرام سنة ٧ هـ	١٣٨٢ النبي ﷺ	اليهود من سكان وادي القرى		١		١١		
٥١	غزوة ذات الرقاع في محرم الحرام سنة ٧ هـ	٤٠٠ النبي ﷺ	بنو غطفان وبنو محارب وبنو ثعلبة وبنو أنمار.					تفرق العدو	كانت بنو غطفان قد جمعوا جموعا من بني محارب وبني ثعلبة وبني أنمار للإغارة على المسلمين. فلما قام المسلمون بحشودهم تفرقوا جميعا.
٥٢	سرية عيص في صفر سنة ٧ هـ	٧٢ أبو جندل	قافلة قريش			٩		أخذ أموال العدو ثم ردها إليه بأمر	كان أبو جندل قد أسلم بمكة فأسرته قريش

الرقم التسلسلي	اسم الغزوة أو السرية وتاريخ وقوعها	عدد الجيش الإسلامي مع اسم قائده	عدد جيش العدو مع اسم قائده	خسارة المسلمين الجريح الشهيد أو الأسير		خسارة العدو الجريح القتيل أو الأسير		النتيجة	الملاحظة
		وأبو بصير[1]						النبي ﷺ	فلبث فيهم حبيسا يدعو الناس إلى الإسلام فأسلم على يديه عدد كبير منهم ثم فر هو وأصحابه ونزلوا في جبل في الطريق بين مكة والشام وقطعوا الطريق على ركب قريش الذي كان فريقا محاربا. فرد النبي ﷺ أموال قريش واستقدم أبا جندل إلى المدينة.
٥٣	سرية الكديد في صفر سنة ٧ هـ	٦٠ غالب بن عبد الله الليثي	بنو الملوح		١			وقع اشتباك	كانت بنو الملوح قد قتلوا أصحاب بشير بن سويد فبعثت إليهم هذه السرية للتوبيخ.
٥٤	سرية فدك في صفر سنة ٧ هـ	غالب بن عبد الله الليثي	أهل فدك						قتل ناس من العدو
٥٥	سرية حسمى في جمادى الأخرة سنة ٧ هـ	٥٠٠ زيد بن حارثة	١٠٢ الهنيد بن عوض الجزري			١٠٠	٢	انتصر المسلمون وقتل الهنيد مع ابنه وأطلق الباقون بعد توبتهم	كان دحية الكلبي يرجع إلى النبي ﷺ من عند قيصر بالهدايا والكسوة فلقيه الهنيد في ناس فقطعوا عليه الطريق فبعث زيد بن حارثة إلى قطاع الطريق.

(١) ينتهي نسبه إلى النبي ﷺ من لؤيّ بن غالب (انظر الرقم: ٩) من النسب النبويّ، توفي وهو في غزاة الشام في خلافة الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخوه عبد الله بن سهيل من أهل بدر من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

الرقم المسلسل	اسم الغزوة أو السرية وتاريخ وقوعها	عدد الجيش الإسلامي مع اسم قائده	عدد جيش العدو مع اسم قائده	خسارة المسلمين الجريح الشهيد أو الأسير		خسارة العدو الجريح القتيل أو الأسير		النتيجة	الملاحظة
٥٦	سرية تربة في شعبان سنة ٧ هـ	عمر بن الخطاب	أهل تربة					تفرق العدو	بين تربة ومكة منزلان. كان أهل تربة قد اصطلحوا مع بني غطفان فقام المسلمون بالمظاهرة في محالهم.
٥٧	سرية بني كلاب في شعبان سنة ٧ هـ	أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	بنو كلاب					انتصر المسلمون وسبي من الأعداء جماعة وقتل آخرون	كانوا أجمعوا الهجوم على المسلمين مع بني محارب وبني أنمار.
٥٨	سرية الميفعة في رمضان سنة ٧ هـ	غالب بن عبد الله الليثي	أهل الميفعة					وقع اشتباك	كانوا حلفاء أهل خيبر.
٥٩	سرية خربة في رمضان سنة ٧ هـ	أسامة بن زيد (١)	أهل خربة						بينما أسامة وأصحابه يمشون في الطريق إذ هبط إليهم رجل من الجبل فقتله أسامة بعد أن قال لا إله إلا الله.
٦٠	سرية بن مرة في شوال ٧ هـ	٣٠ بشير بن سعد	بنو مرة بالقرب من فدك					وقع اشتباك	كانوا حلفاء أهل خيبر.
٦١	سرية بشير بن سعد الأنصاري في شوال سنة ٧هـ	٣٠ بشير بن سعد بن	بنو فزارة وعذرة	٣٠		٢		أصيب المسلمون كلهم بجروح وأسر من العدو	كانت بنو فزارة وبنو عذرة قد ساعدوا اليهود في خيبر فبعث إليهم

(١) أسامه كان حبًّا لرسول الله، والدته أم أيمن التي يناديها النبي ﷺ بأمي بعد أمي. ووالده زيد ابن حارثة الذي كان ينادى بين الناس بزيد بن محمد (وذلك قبل التبنّي) لشفقة النبي ﷺ عليه. توفّي سنة ٥٤ هـ، وكان عمره ثماني عشرة أو عشرين سنة وقت وفاة النبي ﷺ.

الرقم المسلسل	اسم الغزوة أو السرية وتاريخ وقوعها	عدد الجيش الإسلامي مع اسم قائده	عدد جيش العدو مع اسم قائده	خسارة المسلمين الجريح الشهيد أو الأسير		خسارة العدو الجريح القتيل أو الأسير		النتيجة	الملاحظة
		ثعلبة الأنصاري[1]						رجلان	هذه السرية للترويع وكان الغرض منها حشد القوة فقط.
٦٢	سرية ابن أبي العوجاء في ذي الحجة سنة ٧ هـ	٥٠ ابن أبي العوجاء	بنو سليم	١	٤٩			أصيب ابن أبي العوجاء بجرح واستشهد الباقون	قام المسلمون بحشد قواهم في محالهم لأنهم كانوا يجمعون للإغارة على المدينة.
٦٣	سرية ذات أطلاح في ربيع الأول سنة ٨ هـ	١٥ كعب بن عمير الأنصاري الغفاري[2]	أهالي ذات أطلاح بنو قضاعة		١٤			استشهد المسلمون جميعا وبرأ واحد منهم	كانوا يجمعون في عدد كبير للإغارة على المسلمين فبعث إليهم كتيبة لتخويفهم فاستشهد المسلمون جميعا لكثرة عدد العدو.
٦٤	سرية ذات عرق في ربيع الأول سنة ٨ هـ	٢٥ شجاع بن وهب الأسدي[3]	بنو هوزان أهالي ذات عرق					لم يكن اللقاء أصاب المسلمون لعدوهم إبلا	كانت بنو هوازن قد مدوا يد المعونة إلى أعداء المسلمين مرارا وكانوا قد اجتمعوا الآن في عدد كبير على بعد خمسة منازل من المدينة فاحتشد المسلمون لتخويفهم.

(١) هو العقبي البدري، ويقال: هو أول من بايع أبا بكر الصديق يوم السقيفة من الأنصار، استشهد بعين التمر، وكان مع خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يعدّ من أهل المدينة.

(٢) كان من كبار الصحابة [كان قد بعثه النبي ﷺ مرّة بعد مرّة على السرايا].

(٣) هاجر الهجرتين وشهد المشاهد كلها. بعثه النبي ﷺ رسولا إلى الحارث الغساني وجبلة الغساني. استشهد في غزوة اليمامة.

رقم مسلسل	اسم الغزوة أو السرية وتاريخ وقوعها	عدد الجيش الإسلامي مع اسم قائده	عدد جيش العدو مع اسم قائده	خسارة المسلمين		خسارة العدو		النتيجة	الملاحظة
				الجريح	الشهيد أو الأسير	الجريح	القتيل أو الأسير		
٦٥	سرية مؤته في جمادى الأولى سنة ٨ هـ	٣٠٠٠ زيد بن حارثة	مائة ألف ١٠٠٠٠٠ شرحبيل الغساني		١٢		لم نعرف عدد المفقودين	انتصر المسلمون	كان شرحبيل قد قتل الحارث بن عمير الأزدي رسول رسول الله ﷺ فوقعت لذلك الحرب. ومع أن الجيش الإسلامي أصيب بخسائر إلا أن ثلاثة آلاف هزموا مائة ألف.
٦٦	سرية ذات السلاسل في جمادى الآخرة سنة ٨ هـ	٥٠٠ عمرو بن العاص القرشي السهمي[١]	بنو قضاعة ساكنو ذات السلاسل					هرب الأعداء بمظاهرة المسلمين	كان جمع من قضاعة قد تجمعوا للإغارة على المدينة. والسبب في جعل عمرو بن العاص أميرا أنه كان من سكان وادي هذا القوم وكان خبيرا بهذه المنطقة.
٦٧	سرية سيف البحر في رجب سنة ٨ هـ	٣٠٠ أبو عبيدة بن الجراح	قريش					أقام المسلمون على الساحل أياما ثم انصرفوا.	كان الغرض من هذه السرية تشتيت هم قريش.
٦٨	سرية محارب في شعبان سنة ٨ هـ	١٥ أبو قتادة الأنصارى[٢]	بنو غطفان ساكنو خضرة الواقعة في نجد					هرب العدو خائفا وأصاب المسلمون أنعاما	بنو غطفان الذين هجموا مرارا على المسلمين كانوا يتجمعون الآن بخضرة فبعثت إليهم سرية مكونة من خمسة عشر رجلا للاستطلاع.

(١) أسلم في صفر سنة ٨ هـ، استعمله النبي ﷺ على عمان، واستعمله عمر على فلسطين، ثم فتح مصر. حكيت عنه أحداث عن واقعة التحكيم وحرب صفين.

(٢) يلقب بفارس الرسول، شهد المشاهد كلها زمن النبي ﷺ، وزمن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. توفي سنة ٢٠ هـ بالكوفة وصلى عليه عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسبع تكبيرات.

رقم مسلسل	اسم الغزوة أو السرية وتاريخ وقوعها	عدد الجيش الإسلامي مع اسم قائده	عدد جيش العدو مع اسم قائده	خسارة المسلمين الجريح	الشهيد أو الأسير	خسارة العدو الجريح	القتيل أو الأسير	النتيجة	الملاحظة
٦٩	غزوة فتح مكة في رمضان سنة ٨ هـ	١٠٠٠٠ النبي ﷺ	قريش مكة		٢		١٢	انتصر المسلمون	اختلف العلماء هل دخل النبي ﷺ مكة فاتحا أم مصالحا والحقيقة أنه ﷺ كان أمر الجيوش بأن تدخلها ولا تستخدم الأسلحة ما لم تتعرض لها جماعة مسلحة فدخلت الجيوش مكة بطرق متفرقة ولم تتعرض لها إلا كتيبة من الجنود فدخل النبي ﷺ مكة وجعل الناس كلهم طلقاء لاتثريب عليهم.
٧٠	سرية خالد في رمضان سنة ٨ هـ	خالد بن الوليد	الصنم العزى						كانت العزى صنم بني كنانة فحطمها خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
٧١	سرية عمرو بن العاص في رمضان سنة ٨ هـ	عمرو بن العاص	الصنم سواع						كانت سواع صنم بني هذيل فحطمها عمرو ابن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
٧٢	سرية سعد الأشهلي في رمضان سنة ٨ هـ	سعد بن زيد الأشهلي الأنصاري[١]	الصنم مناة						كانت مناة صنم قبيلتي الأوس والخزرج فهدمها سعد الأشهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
٧٣	سرية خالد بن الوليد في شوال سنة ٨ هـ	٣٥٠ خالد بن الوليد	بنو جذيمة				٩٥	قتل خمسة وتسعون رجلا من بني جذيمة ممن كانوا أسلموا	كان خالد بن الوليد بعث داعيا وكانت بنو جذيمة قد أسلموا من قبل فشك خالد في

(١) هو: عقبيّ بدريّ، شهد المشاهد كلّها مع النبي ﷺ.

مسلسل	اسم الغزوة أو السرية وتاريخ وقوعها	عدد الجيش الإسلامي مع اسم قائده	عدد جيش العدو مع اسم قائده	خسارة المسلمين الجريح الشهيد أو الأسير		خسارة العدو الجريح القتيل أو الأسير		النتيجة	الملاحظة
								فكره رسول الله ﷺ قتلهم وودى بهم الدية	إسلامهم وقتل منهم رجالا.
٧٤	غزوة حنين أو أوطاس أو هوازن في شوال سنة ٨ هـ	١٢٠٠٠ النبي ﷺ	بنو هوازن وبنو ثقيف وبنو معز وبنو أحسم		٦	٦٠٠٠	٧١	انتصر المسلمون	أطلق النبي ﷺ جميع الأسرى بدون عوض وأعطاهم الكسوة كذلك.
٧٥	غزوة الطائف في شوال سنة ٨ هـ	١٢٠٠٠ النبي ﷺ	بنو ثقيف	جمع كثير	١٣	جمع كثير		رجع النبي ﷺ بعد محاصرة دامت شهرا	لما رفع النبي ﷺ عنهم الحصار قدموا عليه وأسلموا.
٧٦	سرية عيينة بن حصن في محرم سنة ٩ هـ	١٥٠ راكبا عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري [(١)]	قبيلة بني تميم			٦٢		تم القضاء على الثورة	قامت هذه القبيلة بإغراء القبائل التابعة لها ومنعتها عن أداء الجزية ولما خرج إليهم عيينة هربوا فأسر منهم ١١ رجلا و ٢١ امرأة و٣٠ ولدا فأطلقهم النبي ﷺ جميعا حين قدم عليه سيدهم.
٧٧	سرية قطبة بن عامر في صفر ٩هـ	٢٠ قطبة بن عامر	قبيلة خثعم	أكثر من نصف		[illegible]		تفرقوا وانتشروا	كانوا يدبرون مؤامرة ضد المسلمين فجاء قطبة ببعضهم أسيرا فأطلقهم رسول الله ﷺ.
٧٨	سرية الضحاك ابن سفيان	الضحاك رضي الله عنه	قبيلة بني كلاب						بعث المسلمون إلى بني كلاب داعين فاعترض

(١) هو سيد بني فزارة، كان من الأعراب الجفاة وكان مطاعا في قومه، شهد الفتح مسلمًا، كان مجتهدا ولوعا بالجدّ، قال للنبي ﷺ: زوجتي جميلة لو شئت تزوجتها، فأبى النبي ﷺ متبسما. [الاستيعاب: ٣/ ٣١٦-٣١٧ رقم ٢٠٧٨].

الرقم التسلسلي	اسم الغزوة أو السرية وتاريخ وقوعها	عدد الجيش الإسلامي مع اسم قائده	عدد جيش العدو مع اسم قائده	خسارة المسلمين الجريح	الشهيد أو الأسير	خسارة العدو الجريح	القتيل أو الأسير	النتيجة	الملاحظة
	الكلابي في ربيع الأول سنة ٩ هـ								لهم الكفار فوقع اشتباك ولم نجد عدد أهل السرية في أي كتاب ربما كانوا قليلين.
٧٩	سرية عبد الله ابن حذافة في ربيع الأول سنة ٩ هـ	٣٠٠ عبد الله بن حذافة [1] القرشي السهمي	القراصنة من الحثميين					هربوا	كانوا قد اجتمعوا في ساحل جدة يريدون الإغارة على مكة فتفرقوا حين رأوا هذه السرية.
٨٠	سرية بني طيء سنة ٩ هـ	١٥٠ علي المرتضى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ	بنو طيء			أسرت سفانة بنت حاتم وغيرها من الناس			أطلق النبي ﷺ جميع الأسرى وودع سفانة بإكرام.
٨١	غزوة تبوك في رجب سنة ٩ هـ	٣٠٠٠٠ الرسول ﷺ	هرقل قيصر الروم					قام النبي ﷺ بالتجمع مع أصحابه وأرهب الأعداء ثم رجع إلى المدينة	كان بلغ النبي ﷺ أن هرقل يريد الإغارة على المدينة ليغسل العار الذي لحقه في وقعة مؤتة فخرج النبي ﷺ إلى الثغور فأصاب الذعر الأعداء فقعدوا عن الحرب.
٨٢	سرية دومة الجندل	٤٢٠ خالد بن الوليد	أكيدر أمير دومة الجندل					أسر أكيدر أمير دومة الجندل وقتل أخوه	أطلق رسول الله ﷺ أكيدر وعقد الحلف مع حكومات نصرانية أخرى.

---

(١) هو: رسول رسول الله ﷺ إلى كسرى، وكان من المهاجرين الأولين الذين هاجروا إلى الحبشة، وكان فيه دعابة معروفة. وقع في أيدي النصارى أسيرا بعد خلافة عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وحاول هرقل أن ينصّره فعصمه الله. توفّي بمصر ودفن في مقبرتها.

نظرة تحليليّة في هذه الغزوات والسرايا

لينظر القراء بأعين مبصرة وقلوب متفتحة أن هذا الجدول:

أولا: فيه سريّة سيف البحر رقم(١)، ورابغ رقم(٢)، وسريّة ضرار رقم(٣)، ونخلة رقم(٨)، مع أن هذه الكتائب إنما كانت دوريّات تفتيشية، بعثت إلى الطرق التي تتّجه من مكّة إلى المدينة، كي لا تهاجم قريش العدوّ اللدود، المسلمين على حين غرّة منهم.

ثانيا: قد أثبت فيه في غزوة ودان رقم(٤)، وغزوة بواط رقم(٥)، وغزوة ذي العشيرة رقم(٧)، مع أن هذه البعثات، إنما كانت رحلة، وكان غرضها القيام بالدعوة والإرشاد، وبعقد المعاهدات مع القبائل، كي لا يصطلحوا مع قريش ضدّ المسلمين.

- وفي هذا الجدول سريّة دومة الجندل رقم (٤٢)، وهي رحلة لعبد الرحمن بن عوف إلى قرية النصارى، ليقوم فيهم بالدعوة والإرشاد، وكان عبد الرحمن بن عوف قد نزل بدومة الجندل بصفة خاصة، ووعظ أهلها ثلاثة أيام، فأسلم رئيسها.
- وفي هذا الجدول سريّة القرطاء رقم(٣٣)، وجلّ ما وقع فيها أن محمد بن مسلمة رأى رجالا، فظنّ أنهم من الأعداء، فأخذ ثمامة بن أثال سيّدهم، ثم أطلق رسول الله ﷺ سراحه بعد التفحص والتأكد من أمره، فأسلم إعجابًا بحسن خلق رسول الله ﷺ.
- وفي هذا الجدول وقائع تشبه في مصطلح القانون بالبنود مثلًا البند رقم(٣٠٢) الذي يتعلّق بالقتل أو رقم(٣٩٥) الذي يتعلق بالنهب والسرقة أو رقم(٣٩٦) الذي يتعلق بالقتل مع النهب من القانون الجنائي في الهند.

(أ) وفي هذا الجدول أحداث ارتكبت ضدّ المسلمين:

- مثلًا استاق كرز بن جابر الأنعام من المدينة، فلما بلغ ذلك المسلمين تبعوه ولحق بهم رسول الله ﷺ وقد سمّيت هذه الغزوة في الجدول بغزوة سفوان رقم(٦). وينبغي أن نتدبّر هل كانت هذه الواقعة في الحقيقة غزوة، غزاها رسول الله ﷺ ضدّ الكفّار ليسلموا؟

• وكذلك كان عمرو بن أميّة قد جاء إلى المدينة، ليقتل رسول الله ﷺ إذا ما وجد فرصة لذلك، فلما قدم على رسول الله ﷺ، ورأى وجهه الكريم، وسمع كلامه، أسلم ثم انصرف. وقد سمّيت هذه الواقعة في الجدول بسريّة عمرو بن أميّة رقم (٤٧).

• وكذلك جاء ناس من عكل وعرينة إلى النبي ﷺ فاستوخموا المدينة، فأمرهم رسول الله ﷺ بذود وراع، وأمرهم أن يخرجوا فيها، فيشربوا من ألبانها وأبوالها، فلما صحّوا وسمنوا، قتلوا الراعي، واستاقوا الذود، فتبعهم المسلمون، فلحقوا بهم وفُعِلَ بهم كما فعلوا. وقد سمّيت هذه الواقعة في الجدول بسريّة كرز بن جابر رقم (٤٦).

• وكذلك هجم بنو غطفان بالغابة على الراعي، واستاقوا زوجته، ولقاح رسول الله ﷺ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ تبعهم، وقد سمّي ذلك في الجدول بغزوة ذي قرد أو غزوة الغابة رقم (٣٥).

• وكذلك كان الهنيد بن عوض الجزري وجماعته من قطّاع الطريق، قد قطعوا الطريق على دحية الكلبي رسول رسول الله ﷺ وهو راجع من هرقل قيصر الروم، وانتهبوا الهدايا التي كان أرسلها هرقل إلى رسول الله ﷺ، فبعث رسول الله ﷺ زيدا ليعاقبهم، وقد سمّي ذلك في الجدول بسرية الحسمي رقم (٥٥).

• وكذلك كانت بنو فزارة قد قطعوا الطريق على قافلة زيد بن حارثة التجارية، فبعث إليهم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأسرهم. وقد سمّي ذلك في الجدول بسرية أم قرفة رقم (٤٤).

• وكذلك بعث النبي ﷺ بعثة لإرهاب جماعة من قطّاع الطريق، وقد سمّي ذلك في الجدول بسرية قطن رقم (٢١).

(ب) وفي هذا الجدول وقائع قام بها المسلمون أيضًا ضدّ الكفّار:

• فقتل -مثلًا- عمير بن عدي امرأة من قبيلته، اسمها عصماء، وهي التي لعلّها كانت زوجةً له في زمن، أو أختًا له من قبيلة، وهذه هي السريّة رقم(١٠).

• وقتل محمد بن مسلمة مثلا كعب بن الأشرف اليهودي، الذي كان أخاه من الرضاعة، وهذه هي السريّة رقم (١٦).

• وقتل عبد الله بن أنيس -مثلًا- سفيان بن خالد الهذلي، وهذه هي السريّة رقم (٢٢).

• وقتل عبد الله بن عتيك مثلًا، سلام بن أبي الحقيق اليهودي، وهذه هي السريّة رقم (٣١).

وهذه كلها أحداث ووقائع لا يطلق عليها اسم الحرب أبدًا في أي حالٍ من الأحوال، مع الاعتراف بأنّها وقعت إما لأجل القصاص من المقتولين أو نتيجة لحماسة القاتلين الدينيّة فقط.

• **وفي هذا الجدول واقعة الرجيع أيضا**، وهي أن أناسا من الكفّار استصحبوا معهم عشرة رجال من القرّاء، فقتلوا منهم ثمانية، وباعوا منهم اثنين، وقد سمّي ذلك في الجدول بغزوة الرجيع رقم (٢٣).

• **وبعد هذه الواقعة توجه إليهم رسول الله ﷺ** في مائتي راكب ليخوّفهم. وقد سمّي ذلك في الجدول بغزوة لحيان رقم (٣٤).

• **ومثل ذلك وقع بذي القصة**، حيث خرج عشرة من القراء للدعوة والإرشاد، فلما ناموا ليلا، هجم عليهم بنو ثعلبة، فقتلوا منهم تسعة، وأصيب واحد منهم إصابة شديدة. وقد سمّي ذلك في الجدول بسريّة ذي القصّة رقم(٣٧).

• وكذلك بعث رئيسان لتخويف بني ثعلبة، وقد سمّي ذلك في الجدول بسريّة بني ثعلبة رقم (٣٨) وسريّة الطرف أو الطرق رقم(٤٠).

• وكذلك بعث النبي ﷺ قبل نجد سبعين رجلا من القرّاء، تحت رعاية عمّ والي نجد، ولما كانوا في الطريق عرض لهم حيان من بني سليم: رعل وذكوان فقتلوهم، وأفلت منهم واحد فنجا. وقد سمّي ذلك في الجدول بسريّة بئر معونة رقم (٢٤).

(ج) هناك أحداث نشأت عن سوء فهم:

• فمثلًا: كان أسير بن رزام اليهودي يأتي إلى المدينة مع عبد الله بن رواحة في ثلاثين من رجاله. وكان قد طلبه النبي ﷺ، ليجعله رئيس قبيلته. وكان مع عبد الله بن رواحة أيضا ثلاثون رجلا، على كل راحلة يهودي ومسلم معًا.

فلما قدّم أسير يده إلى سيف عبد الله سرًا، نزل عبد الله من راحلته فضرب أسيرًا، وضرب أسير عبد الله أيضا، ولما رأى ذلك أصحابها، تقاتلوا، فقتل المسلمون ثلاثين

يهوديًا. وقد سمّي ذلك في الجدول بسريّة عبد الله بن رواحة رقم (٤٥).

ولا يحملن أحد هذه الواقعة على أن المسلمين كانوا هم القاتلين، وأن اليهود كانوا هم المقتولين.

فقد وقع ذلك كثيرا بين المسلمين أنفسهم:

- **فمثلا:** بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتل ويأسر، وقد سمّي ذلك في الجدول بسرية خالد رقم (٧٣).
- **ومثل ذلك:** وقع لأسامة بن زيد، حين رأى رجلا مسلمًا في بلد كافر، فظنّ أنه كافر مع إظهاره بالإسلام، ولم تزل شبهته بكفره فقتله وقد سمّي ذلك في الجدول بسرية الخربة رقم (٥٩).
- **ومثل ذلك:** وقع لعمرو بن أمية الضمري، الذي رأى رجلين بالقرب من بئر معونة، فظنّ أنهما ممن قتلوا القراء، فقتلهما، فودى بهما رسول الله ﷺ. وقد سمّي ذلك في الجدول بسريّة بئر معونة رقم(٢٥).
- **وأعجب من ذلك:** ما وقع في سرية خالد رقم (٧٠)، وسريّة عمرو بن العاص رقم(٧١)، وسريّة سعد الأشهلي رقم(٧٢)، ومؤداها أن هذه القبائل كانوا قد أسلموا، فهدموا الأصنام وفق رضاهم، ولكن سمّي ذلك في الجدول بالسرايا.

ليس كل ما ذكر تحت عنوان «الغزوات والسرايا» كان حربًا:

إن الباحث يستطيع أن يعلم من التفصيل المذكور، أننا لم نذكر تحت عنوان «الغزوات والسرايا» الحروب فحسب، بل ذكرنا فيه جميع الرحلات، والتحرّكات التي قام بها النبي ﷺ أو قام بها المسلمون أيضا.

ولو عددنا الحروب الكبرى في هذا الجدول لوجدناها قليلة جدا. إن بدرًا رقم (٩) وأحدًا رقم (١٩)، وغزوة الأحزاب رقم (٣٠)، وخيبر رقم (٤٩)، وغزوة حنين رقم (٧٤)، لا شك أنها حروب، ولكن قد حاولنا أن نزيدها عددًا في الجدول. فغزوة حمراء الأسد رقم (٢٠) مثلا، ذكرناها منفصلة عن غزوة أحد رقم (١٩) مع أن أحدًا اسم

للحرب، وقعت في اليوم الأول، وغزوة حمراء الأسد اسم للمطاردة، قام بها المسلمون في اليوم الثاني. فكيف يمكن أن تعدّ منفصلة؟..

عناوين مناسبة للغزوات لفهم القصد:

وههنا أريد أن أثبت جميع الغزوات والسرايا تحت عناوين مناسبة، ليفهم القراء قصدي جيّدا.

الأوّل: الرحلات للدعوة والتبليغ، ولعقد العهود وهى: غزوة ودان رقم (٤)، وغزوة بواط رقم (٥)، وغزوة ذي العشيرة رقم (٧)، وسريّة دومة الجندل رقم (٤٢)، وغزوة الحديبية رقم (٨).

الثاني: استقصاء أحوال الأعداء المهاجمين، وهو غزوة سيف البحر رقم (١)، والرابغ رقم (٢)، وضرار رقم (٣)، والنخلة رقم (٨)، وسريّة القردة رقم (١٨)، وسرية أبي قتادة رقم (٦٨).

الثالث: جولات إلى حدود المهاجمين، وكان الغرض منها تخويفهم، ومنعهم من المهاجمة ثانية.

وهي غزوة قرقرة الكدر رقم(١٤)، وسريّة قرقرة الكدر رقم (١٥)، وغزوة ذي أمر رقم (١٧)، وغزوة بدر الأخرى رقم (٢٧)، وغزوة دومة الجندل رقم (٢٨)، وسريّة قريظة رقم (٣٣)، وغزوة بني لحيان رقم (٣٤)، وسريّة عمر ومرزوق رقم (٣٦)، وسريّة بني ثعلبة رقم (٣٨)، وسريّة جموم رقم (٣٩)، وسريّة الطرف رقم (٤٠)، وسريّة وادي القرى رقم (٤١)، وسرية فدك رقم (٤٣)، وغزوة وادي القرى رقم (٥٠)، وغزوة ذات الرقاع رقم (٥١) وسريّة العيص رقم (٥٢)، وسريّة كديد أو سريّة غالب رقم (٥٣)، وسرية غالب رقم (٥٤)، وسرية تربة رقم (٥٦)، وسريّة بني كلاب رقم (٥٧)، وسريّة الميفعة رقم (٥٨)، وسريّة بني مرة رقم (٦٠)، وسريّة بشير رقم (٦١)، وسرية ابن أبي العوجاء رقم (٦٢)، وسريّة كعب بن عمير رقم (٦٣)، وسريّة شجاع بن وهب رقم (٦٤)، وسريّة عمرو بن العاص رقم (٦٦)، وسريّة أبي عبيدة رقم (٦٧)،

وسريّة أبي قتادة رقم (٦٨)، وسريّة عيينة رقم (٧٦)، وسريّة قطبة رقم (٧٧)، وغزوة تبوك رقم (١ ٨)، وسريّة دومة الجندل رقم (٨٢).

الرابع: البعثات التي كانت تهدف إلى معاقبة قطّاع الطريق، وهي:

سريّة الحسمي رقم(٥٥)، وسريّة أم قرفة رقم(٤٤)، وسريّة العرنيين رقم (٤٦).

الخامس: مطاردة قطّاع الطريق، وهي:

غزوة سفوان رقم (٦)، وسريّة قطن رقم (٢١)، وغزوة ذي قرد أو غزوة الغابة رقم (٣٥)، وسريّة عبد الله بن حذافة رقم (٧٩).

السادس: غدر القبائل المعاهدة، وحملاتهم ومصيرهم، وهي:

غزوة بني قينقاع رقم (١٢)، وسريّة الرجيع رقم (٢٣)، وسريّة بئر معونة رقم (٢٤)، وغزوة بني النضير رقم (٢٩)، وسريّة بني المصطلق رقم (٢٩)، وغزوة بني قريظة رقم (٣٢)، وسريّة ذي القصة رقم (٣٧)، وسريّة بني طيء رقم (٨٠).

السابع: الاشتباه وسوء الفهم، في مثل:

سريّة عمرو بن أميّة رقم (٢٥)، وسريّة عبد الله بن رواحة رقم (٤٥)، وسفر عمرو ابن أميّة رقم (٤٧)، وسريّة الخربة رقم (٥٩)، وسريّة خالد رقم (٧٣)، وسريّة ضحاك ابن سفيان رقم (٧٨).

الثامن: هدم الأصنام وهي:

سريّة خالد رقم (٧٠)، وسريّة عمرو بن العاص رقم (٧١)، وسريّة سعد الأشهلي رقم (٧٢).

التاسع: الحروب، وهي:

بدر الكبرى رقم (٩)، وغزوة أحد رقم (١٩)، وغزوة الأحزاب رقم (٣٠)، وغزوة خيبر رقم (٤٩)، وسريّة مؤتة رقم (٦٥)، وفتح مكّة رقم (٦٩)، وغزوة حنين رقم (٧٤).

العاشر: مطاردة الأعداء وهي:

غزوة السويق رقم(١٣)، وغزوة حمراء الأسد رقم(٢٠)، وغزوة الطائف رقم (٧٥).

الحادي عشر: الأحداث الشخصية، وهي:

سريّة عمير رقم(١٠)، وسريّة سالم بن عمير الأنصاري رقم(١١)، وسريّة محمد بن مسلمة رقم (١٦)، وسريّة ابن أنيس رقم (٢٢)، وسريّة ابن عتيك رقم (٣١).

ونرجو أننا قد اختصرنا الجدول الطويل الذي يشتمل على الغزوات والسرايا، وهو ظاهر بعد التدبّر في التصريحات المذكورة آنفا. وكل ذلك لنحيط القراء علمًا بهذه المسألة بجميع جوانبها، ليكونوا على بصيرة وهدى من الأمر.

ذكر الغزوات والسرايا حسب القبائل والطوائف

الآن نقسم الغزوات والسرايا حسب القبائل والطوائف، التي وقعت معها، وقد تركنا الأحداث الشخصية، وعددها خمسة أحداث فقط.

١- **قريش مكّة:** سيف البحر رقم (١)، والرابغ رقم (٢)، وضرار رقم (٣)، وبواط رقم (٥)، وسفوان رقم (٦)، وذو العشيرة رقم (٧)، وغزوة السويق رقم (١٣)، وذي قردة رقم (١٨)، وأحد رقم (١٩)، وحمراء الأسد رقم (٢٠)، وبدر الآخرة رقم (٢٧)، والأحزاب رقم (٣٠)، وسريّة العيص رقم (٥٢)، وسريّة عمرو بن أميّة رقم (٤٧)، والحديبية رقم (٤٨)، وسيف البحر رقم (٦٧)، وفتح مكة رقم (٦٩).

٢- **بنو غطفان وأنمار:** قرقرة الكدر رقم (١٤-١٥)، وغزوة ذي أمر رقم (١٧)، ودومة الجندل رقم (٢٨)، وغزوة بني المصطلق رقم (٢٩)، وغزوة الغابة رقم (٣٥)، وغزوة وادي القرى رقم (٤١)، وسريّة كرز بن جابر رقم (٤٦)، وغزوة ذات الرقاع رقم (٥١)، وسريّة تربة رقم (٥٦)، وسريّة الميفعة رقم (٥٨)، وسريّة الخربة رقم (٥٩)، وسريّة أبي قتادة رقم (٦٨)، وسريّة عبد الله بن حذافة رقم (٧٧).

٣- **بنو سليم:** غزوة بئر معونة رقم (٢٤)، وغزوة جموم رقم (٣٩)، وسريّة ابن أبي العوجاء رقم (٦٣)، وغزوة بني ملّوح وبني سليم رقم (٥٣).

٤- **بنو ثعلبة:** غزوة ذي القصة رقم (٣٧)، وغزوة بني ثعلبة رقم (٣٨)، وغزوة طرف رقم (٤٠)، وسريّة الحسمي رقم (٥٥).

٥- **بنو فزارة وعذرة:** سريّة أبي بكر الصديق رقم (٤٤)، وسريّة فدك رقم (٥٤)، وسريّة بشير بن سعد رقم (٦١)، وغزوة ذات أطلاح رقم (٦٣).

٦- **بنو كلاب وبنو مرّة:** غزوة بني قريظة رقم (٣٣)، وغزوة بني كلاب رقم (٥٧) وغزوة بني مرة رقم (٦٠) وسريّة الضحاك رقم (٧٨).

٧- **عضل والقارة:** غزوة الرجيع رقم (٢٣).

٨- **بنو أسد وبنو قضاعة:** سريّة قطن رقم (٢١)، وسريّة عمر مرزوق رقم (٣٦)، وغزوة ذات السلاسل رقم (٦٦).

٩- **بنو ذكوان:** غزوة بئر معونة رقم (٢٤)، وقد أثبتناها ضمن بني سليم، وهي واحدة اشترك فيها حيّان.

١٠- **بنو لحيان:** غزوة بني لحيان رقم (٣٤).

١١- **بنو سعد بن بكر:** سريّة فدك رقم (٤٣).

١٢- **بنو هوازن:** غزوة ذات عرق رقم (٦٤).

١٣- **بنو تميم:** سريّة عيينة رقم (٧٦).

١٤- **بنو ثقيف:** غزوة حنين رقم (٧٤)، وغزوة الطائف رقم (٧٥).

١٥- **اليهود:** غزوة بني قينقاع رقم (١٢)، وغزوة بني النضير رقم (٢٦)، وغزوة بني قريظة رقم (٣٢)، وسريّة ابن رواحة رقم (٤٥)، وغزوة خيبر رقم (٤٩)، وغزوة وادي القرى رقم (٥٥).

١٦- **النصارى:** غزوة مؤتة رقم (٦٥)، وغزوة بني طيء رقم (٧٩)، وغزوة تبوك رقم (٨٠)، ودومة الجندل رقم (٨٢،٤٢،٢٨).

الأسباب الداعية لحرب القبائل:

نظرًا إلى أسماء القبائل المتعدّدة، يمكن أن يتفكر أحد في الأسباب التي دعت إلى حرب هذه القبائل كلّها.

اجتماع هذه القبائل كلّها في جدّ واحد:

ولذا نذكر أولا العلاقات التي توجد بين هذه القبائل، ليعلم أن عددها لا يبلغ في الحقيقة ذلك المبلغ الذي نراه في بادي الرأي. بل كانت منخرطة في سلك نسب آبائها، ومتحدة في الأمور كلّها من الحياة والبقاء، والحرب والسلم، حتى كانت تعتبر واحدة واحدة مع كثرتها.

فكان لإلياس بن مضر ثلاثة بنين:

الأول: قيس عيلان: وهو الذي كانت بنو غطفان وبنو ثعلبة وبنو محارب، وبنو أشجع، وبنو ذبيان وبنو فزارة كلّهم من أولاد ابنه: **سعد بن قيس عيلان.**

الثاني: طابخة: ومن أولاده **بنو تميم.**

الثالث: مدركة: وهو الذي كانت بنو أسد، وبنو هون، وبنو القارة، وبنو عضل، وبنو كنانة (الذين دخلت فيهم الأحابيش وبنو خزيمة، يعني بني المصطلق وقريش) من أولاد ابنه: **خزيمة.**

جميع الحروب وقعت بين إخوته من أجداده:

ويستطيع الباحث أن يعلم من هذه الشجرة النسبية:

أنّ جميع هذه القبائل كانت أولاد رجل واحد وهو إلياس بن مضر، الذي هو الجدّ الأعلى لقريش.

وأن جميع الحروب التي خاضها رسول الله ﷺ إنما كانت نتيجة غضب إخوته من أجداده.

أما اليهود فكانوا مع قريش حسب معاهدتهم معهم، كما كانت تركيا مع ألمانيا في سنة ١٩١٤ الميلادية.(١)

دليل قاطع على أن النبي ﷺ لم يقم بإشعال الحرب بين العرب كلّهم:

ولما ظهر أن الغزوات والسرايا أي الحروب التي خاضها رسول الله ﷺ ما وقعت إلا ضد رجال نسل واحد، أي بني إلياس بن مضر. وهو النسل الذي ينتمي إليه الرسول ﷺ أيضا، حينئذ لا يمكن لأي معترض أن يقول: إن النبي ﷺ كان قد أشعل نيران الحرب بين العرب كلّهم، أو أنه خاض الحروب لإكراه الناس على اعتناق الإسلام، لأنه لو كان الأمر كذلك لوقعت حرب -عدوانية كانت أو دفاعية- ضد قبيلة أخرى أيضًا

---

(١) أي: في «الحرب العالمية الأولى»، التي بدأت في ١٤/ من شهر أغطس سنة ١٩١٤م، وانتهت بعد خسارة فادحة في الأرواح والأملاك في ٣/ في شهر مارس سنة ١٩١٧م. (صلاح)

من مئات القبائل العربية، غير هذه القبيلة.

وهذا دليل واضح قاطع، وحقيقة ثابتة لا يحتاج معها إلى أدلة أخرى، أقامها العلماء، ولا يزالون يقيمونها حتى اليوم لتبرير الغزوات النبوية، وهذه الأدلة بمكانها تستحقّ القبول والتقدير.

فلسفة التأريخ تستدعي معرفة الفريقين:

ومع ذلك فإن فلسفة التاريخ تستدعي منّا بعد بالضرورة، أن نبين: كيف كانت تشترك هذه القبائل في الحرب؟ وكيف ومتى صارت فريقا معاديًا محاربًا للمسلمين؟

وبعد كشف هذه الحقيقة يصل دليلنا إلى درجة برهان.

سبق أن ذكرنا أن بداية الغزوات والسرايا كانت بعد الهجرة بقليل. فكانت وقعة بدر أول غزوة أو حرب وقعت في السنة الثانية من الهجرة. ويجب أن نتفحص هنا القبائل التى انضمّت إلى جيش قريش المهاجم:

١- **كانت قريش تريد الإغارة على المدينة**، ولكن حالت دونها بنو كنانة، الذين كانت بينهم وبين قريش عداوة شديدة كابرًا عن كابر. فكانت قريش تواجه مشكلتين في سبيل الهجوم على المدينة.

الأولى: لن تسمح بنو كنانة لجيش قريش بالمرور من أرضها.

الثانية: وإن وجد الجيش طريقًا للمرور، فكانت قريش تخشى أن تقوم بنو كنانة بقطع دابر الجيش المهاجم من الوراء، وتهجم على مكة، وتستولي عليها، حيث لا يوجد في مكة من يحمل السلاح.

كانت هذه المخاوف من أشدّ ما اضطرّ قريشا إلى التخلّي عن مطامع القتال.

٢- **وسراقة بن مالك المدلجي الكناني**، الذي كان رئيس هذه الأرض الفاصلة بين قريش والمسلمين، قد بلغه أيضا أن قريشا تراجعت لأجله عن قتال المسلمين، فقدم بنفسه إلى مكة، وتحالف مع قريش تاركًا لما كان بينه وبينهم من العداوة القديمة. وتقرر أن يسمح سراقة لقريش بالمرور في أرضه، إذا قدمت جيوشها للهجوم على المدينة، وألّا يُلحق بمكّة ضررا، ويساعدها ضد المسلمين.

هذه هي المعاهدة الشيطانية التي جعلت من هذا الرجل سببا قويا لهجوم قريش على المسلمين.

٣- **وكانت الأحابيش وبنو المصطلق** أيضا قد اشتركوا مع سراقة في هذه المعاهدة، فكانت وقعة بدر أوّل حرب اشتركت فيها الأحابيش وبنو المصطلق فعلا، مع أعداء المسلمين قريش.

وليعلم أن الأحابيش[1] هم بنو كنانة، وتدخل فيهم القبائل الآتية:

بنو نضر: أي أولاد نضر بن كنانة.

بنو مالك: أي أولاد مالك بن كنانة.

المطيبون:[2] أي أولاد الحارث بن مالك.

وبنو المصطلق يشتملون على القبائل الآتية:

بنو حرث: من حرث بن لؤي.

بنو عوف: من عوف بن لؤي.

بنو كعب: من كعب بن لؤي.

بنو عدي: من عدي بن كعب.

بنو الهصيص: من الهصيص بن كعب.

بنو جمح: من جمح بن كعب.

بنو مرّة: من مرة بن كعب.

بنو سهم: من سهم بن كعب.

بنو تيم: من تيم بن مرة.

بنو كلاب: من كلاب بن مرة.

بنو زهرة: من زهرة بن كلاب.

بنو قصيّ: من قصي بن كلاب.

---

(١) الأحابيش: من الحبشي، وهو جبل بالقرب من مكة، وقد عقدوا به معاهدة فسمّوا الأحابيش.

(٢) تطيبوا مرة وقت المعاهدة، فسمّوا المطيبين.

ولما خسرت قريش معركة بدر، أسف سراقة: يا ليته أمدّ قريشا ضد المسلمين إمدادًا كاملا! فاستدرك ما فاته حيث شارك في معركة أحد مشاركة فعلية.

٤- **انظروا إلى وقعة أحد،** كان عدد جيوش قريش فيها ثلاثة آلاف، من بينها كان ألف فقط من قريش وكان الألفان الآخران من قبائل الرسول ﷺ هذه، وهم: أولاد إلياس بن مضر.[١]

إن الإمام علي بن برهان الدين[٢] الحلبي، قد صرّح بمشاركة بني المصطلق وبني هون بن خزيمة في وقعة أحد، كما أن الواقدي صرّح بمشاركة بني ثقيف[٣] فيها، فسبق هذه القبائل إلى الوقوف في معركة أحد، مما سيقنع كل باحث بأن معاملة المسلمين مع هذه القبائل معاملة الفريق المحارب، لم تكن إلا اتباعًا للقوانين الحربية المسلّمة في العالم.

٥- **أكبر حملة الأعداء العسكرية على المسلمين بعد معركة أحد:** هي معركة الخندق التي سمّاها القرآن بغزوة الأحزاب. وليس أدلّ على اجتماع الأحزاب وضعف المسلمين واضطرابهم من قوله تعالى في القرآن الكريم:

﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١﴾ [الأحزاب: ١٠ – ١١].

القبائل المشاركة في غزوة الخندق وقادتها:

وهنا ينبغي لنا أن ندقّق القبائل، التي تكوّن منها هذا الجيش المجيّش الجرّار.

(أ) **قريش وأتباعهم:** تحت قيادة أبي سفيان الأمويّ.

(ب) **بنو سليم:** تحت قيادة سفيان بن عبد شمس (أبي الأعور الأسلمي)

(ج) **بنو أسد:** تحت قيادة طليحة بن خويلد الأسدي.

---

(١) فهر بن مالك الملقب بقريش هو الجدّ الحادي عشر وإلياس بن نضر هو الجدّ السابع عشر للنبي ﷺ، كما تقدّم في جدول النسب النبوي الشريف. (صلاح)

(٢) إنسان العيون (٢/ ٢١٧).

(٣) الواقدي [في المغازي: ١/ ٢٠١ تحقيق مار سدن جونس-عالم الكتب] (ص ٢٤٧).

(د) بنو الأشجع: تحت قيادة أبي مسعود بن أخيلة.

(هـ) بنو مرّة: تحت قيادة الحارث بن عوف المري.

(و) بنو غطفان وأتباعهم:

أي بنو العيس، وبنو ذبيان، وبنو العشراء، وبنو سعد، وبنو الحسراء، وبنو شبيع، وبنو جحاش، وبنو فزارة: **تحت قيادة عيينة بن حصن.**

(ز) يهود خيبر وضواحي فدك، وأم القرى وتيماء:

وهم ٧٠٠ رجل تحت قيادة حيي بن أخطب.

(ح) قبيلة هوازن تحت قيادة عامر بن الطفيل.

كانت هذه القبائل المذكورة، من قوام هذا الجيش.

(ط) وقد أمدّ يهود بني قريظة (المقيمون في المدينة) الأعداء بأسلحة كثيرة من المساحي والكرارين والمكاتل.[١]

ولما تحقّق كون هذه القبائل الفريق المحارب، ظهر للباحث السبب المعقول أنه: لماذا ظاهر المسلمون قبيلة كذا أو قبيلة كذا؟ ولماذا أسروا رجال قبيلة كذا؟

كما أنه ستعرف أسباب حدوث وقعة خيبر، وفتح مكّة، ومعركة حنين والطائف، لأن هذه هي القبائل التي سبق لها قتال المسلمين في أحد والخندق.

خلاصة القول:

وبالجملة ليست هناك أيّ قبيلة أو طائفة بادر المسلمون إلى مهاجمتها، وإنما قاموا بالردّ عليها، والدفاع عن أنفسهم حين تكرّرت حملاتها.

وبعد هذه التفصيلات والتحقيقات أرى أن ينتهي اعتراض المعترض، ولكن إذا بقي في قلبه شكّ بعد، فإني أقول له: أن يعتبر أرقام الجدول، التي يبلغ عددها اثنين وثمانين رقما، كلها من الحروب، ويعتبر كل حرب عدوانية، ويعتبر كذلك أن المسلمين هم الذين بدأوا بالحروب كلّها، ومع ذلك كلّه يجب علينا أن ننظر في نتائج هذه الحروب. فالجدول

---

(١) إنسان العيون (١/ ٢١).

الآتي الذي أثبتناه، قد أظهر أن خسارة المسلمين وخسارة الفريق المحارب كانت كما يلي:

خسارة المسلمين والفريق المحارب

اسم الفريق	الأسرى	الجرحى	القتلى	المجموع	الملاحظة
المسلمون	١	١٢٧	٢٥٩	٣٨٧	عدد جرحى الفريقين ليس بصحيح.
المخالفون	٦٥٦٤	.	٧٥٩	٧٣٢٣	
المجموع الكلي	٦٥٦٥	١٢٧	١٠١ ٨	٧٧١٠	عدد الأسرى والقتلى صحيح تماما.

هل هذا العدد من الأسرى يكفي لإكراه الناس على ترك دينهم:

عدد قتلى كل من الفريقين ١٠١٨ قتيل، وإذا قسمناه على ٨٢ غزوة وسريّة خرج معدّل خساره أرواح حرب واحدة $\frac{٨}{٤١}$ ١١.

هل يمكن لعاقل أن يقول عن هذه الحروب أنها كانت ذات تأثير بالغ في إكراه الناس على ترك الأديان العميقة الجذور، واعتناق الدين الجديد، ولا سيما في بلاد همجيّة ضارية مثل جزيرة العرب؟!

وعدد أسرى الأعداء يبدو كبيرا، أي ٦٥٦٤ أسير، ولكن هذا العدد أيضا ضئيل بالنسبة لمساحة جزيرة العرب.

وبما أن العدد الكبير البالغ (٦٠٠٠) أسير من جملة هذا العدد المذكور، يتعلق بغزوة واحدة، غزوة حنين، فمعدّل الأسرى في باقي الحروب، يكون سبعا. وليس هذا العدد من القوّة بحيث يكره البلاد كلّها على تغيير دينها.

مصير هؤلاء الأسرى في الإسلام:

وقد تحقّق لنا عن ٦٥٦٤ أسير، أن رسول الله ﷺ كان قد أطلق منهم ٦٣٤٧ أسيرا شفقة بهم ورحمة، بدون شرط، إلا الأسيرين اللّذين قتلا جزاء بما كسبا من الجريمة، وقد

بقي ٢١٥ أسيرا، لم أعرف مصيرهم. والأمل كبير في أن يكمل هذه الدراسة عالم باحث ثاقب الفكر والنظر بعدي. وأنا متأكّد ومؤمن بأن الرجل الكريم، الذي أحسن إلى ٦٣٤٧ رجل، لا بدّ أن يكون ٢١٥ أسيرا من الباقين كذلك قد تمتعوا بلطفه وكرمه.

والغالب أن يكون هؤلاء قد أسلموا، وبقوا في المسلمين، فلم يعدّوا من المعتقين.

تضحية هذه الأرواح عادت إلى العالم بفائدة لا تتصور:

العدد المذكور أعلاه يدلّ على أنه قد ضحّى بثماني عشرة نسمة وألف نسمة لتحويل العرب الهمج إلى العرب المتحضّرين، والعرب الملحدين الوثنيين إلى العرب المسلمين الموحّدين، وللقضاء على أحداث القتل والنهب ولتعزيز الأمن العام في بلاد هي أكبر من فرنسا بضعفين، ولإحلال الأخوة والروحانية محل العداوة والبغضاء المتوارثة، وإثبات العدل والمساواة مكان الاستبداد.

خسائر الأرواح والأملاك في الحروب المدمرة في العالم المتحضر:

وبالعكس من ذلك: انظروا إلى العدد الهائل الذي ذهب ضحية في كل من فرنسا وأمريكا في سبيل إنشاء الديمقراطية.

- وانظروا إلى الدماء التي سفكتها إنكلترا لكسب البرلمان.

وانظروا إلى الخسائر الفادحة التي نتجت عن الحرب العالمية الأولى، التي استمرت من ١٤/ من شهر أغسطس سنة ١٩١٤م إلى ٣/ من شهر مارس سنة ١٩١٧م على معظم أجزاء العالم المتمدّن.

وقد ذكرت إنكلترا إنها كانت تهدف بهذه الحرب إلى تأمين حرية الحكومات الصغيرة وكيانها، ولهذا الهدف العادي هلكت آلاف النفوس، وفنيت الأموال الطائلة، وغرقت مئات الطائرات في البحر، وتدهورت التجارة العالمية، وفسدت مرافق الحياة ومظاهر الترف، ومع ذلك كلّه فإن الشعب الإنجليزي مستعدّ بعد للتضحيات تحقيقا للغرض المنشود.[1]

---

(١) تقدير الخسائر الفادحة في «الحرب العالمية الأولى»: إن «صحيفة همدم»، الصادرة في ١٧/ من ابريل =

• وانظروا إلى مدى نجاح الرسول ﷺ فقد ضحّى بثمانية عشر نسمة وألف نسمة، فحسب في تحقيق المصالح الروحية والخلقية والمادّية والقومية، التي لم تحققها أمة ولا دولة حتى اليوم.

- دعونا من حروب رجال الدنيا، واذكر «الحروب المقدّسة»، فهذه حروب «مها بهارت»[1] لا يقل عدد المقتولين فيها عن عشرة ملايين نسمة.

- وكذلك أهلكت الهيئات الدينية المقدسة في أوربا، أرواحًا يربو عددها على مئات الآلاف.

- وقد ذكر المستر «جان ديون بورت» في كتابه «أبا لوجي آف محمد إيند قرآن» (Apology of Muhammad and Quran) عدد النفوس، التي أعدمتها محاكم التفتيش اثنا عشر مليون نفس، يعني: قتل النصارى بأيدي النصارى.[2]

ودولة أسبانيا وحدها، أهلكت ثلاث مائة ألف وأربعين ألفا من النصارى واثنان وثلاثون ألفا منهم أحرقوا[3] وهم أحياء.

=

سنة ١٩١٩م، نشرت عدد قتلى الحرب العالمية المستمرة من سنة ١٩١٤م إلى ١٩١٨ حسب ما يلي:

روسيا مليون وسبع مائة ألف نسمة، وألمانيا مليون وست مائة ألف نسمة، فرنسا مليون وثلاث مائة وسبعون ألف نسمة، وإيطاليا أربع مائة ألف وستون ألف نسمة، والنمسا ثمان مائة ألف نسمة، بريطانيا سبع مائة ألف نسمة، وتركيا مائتا ألف وخمسون ألف نسمة، وبلجيكا مائتا ألف وألفا نسمة، وبلغارية مائة ألف نسمة، ورومانيا مائة ألف نسمة، وسرويا مانتي نيكر مائة ألف نسمة، وأمريكا خمسون ألف نسمة.

المجموع الكلي: (سبعة ملايين وثلاث مائة ألف وثمانية وثلاثون ألف نسمة).

وكاتب المقال شاك في أنه هل دخل عدد قتلى مستعمرات الهند وفرنسا في تعداد إنكلترا وفرنسا أم لا؟ ولكن يعترف بأن عدد الجرحى والأسرى والمفقودين ليس داخلا في الأعداد المذكورة.

(١) حرب هندوسية دينيّة.

(٢) إعجاز التنزيل (ص ٤٦١).

(٣) إعجاز التنزيل (ص ٤٧٤).

فصـــل

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ ١٣٥﴾ [النساء: ١٣٥].

إبّان الحرب العالمية التي بدأت سنة ١٩١٤م في أوربا، رأيت الصحف الإنجليزية تنشر تحت عنوان «رول آف آنرز» أسماء الأبطال الذين ضحّوا بأنفسهم في سبيل الدولة والملك.

وبعد قراءة هذا النوع من الأخبار بدأ يجول في خاطري شعور بكل قوّته بأن أزين في هذا الكتاب بالأسماء المباركة لأولئك الأبطال الطيبين الطاهرين، الذين تفانوا في سبيل الصدق والحقّ متلطخين بدمائهم، وقد قال الله تعالى مخاطبًا النبي ﷺ في القرآن الكريم في شأنهم:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١٧٠ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٧١﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١].

والذين قال الله سبحانه وتعالى فيهم:

﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ ٢٣﴾ [الأحزاب: ٢٣].

لم أجد في أيّ كتاب قائمة مرتّبة لهذه الأسماء، فلذا رجعت إلى الكتب التي ألفت حول أحوال الصحابة وسيرهم، وزيّنت كتابي هذا بتلك الجواهر المنتقاة واللآلي المختارة، تقبل الله عملي هذا!

(قائمة بئر معونة ومؤتة لم تستكمل بعدُ، وسأكملها إن شاء الله إن كانت من الحياة بقية، وإلا فليكملها أحد غيري.)

شهداء بدر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

١- **مهجع بن صالح**: كان من قوم عك وكان مولى للفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أول من استشهد في الإسلام، قال النبي ﷺ يومئذ مهجع سيّد الشهداء(١).

٢- **عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصيّ**: هو القرشي المطلبي، يكنى أبا الحارث أو أبا معاوية. استشهد في ثلاث وستين من عمره. وهو أوّل من أمّر على السريّة في الإسلام.

٣- **عمير بن أبي وقاص (مالك) بن أهيب بن عبد مناف**: (هو الأخ الأصغر لسعد بن أبي وقّاص القرشي الزهري: أحد العشرة المبشرين بالجنة.) كان ابن ست عشرة سنة فأراد النبي ﷺ أن يرجعه لصغر سنّه، فبكى فأذن له النبي ﷺ فشهد بدرًا، واستشهد فيها.

٤- **عاقل بن بكير بن عبد ياليل**: هو الليثي، واسم أخيه خالد، مذكور في شهداء الرجيع.

٥- **عمير بن عبد عمرو بن نضلة**: يلقّب بذي الشمالين، ويكنى أبا محمد وهو حليف بني زهرة.

٦- **عوف أو عوذ بن عفراء**: هو الأنصاري النجاري. أمّه عفراء وأبوه الحارث.

٧- **معوذ بن عفراء**: هو شقيق عوذ بن عفراء (رقم ٦).

٨- **الحارث أو حارثة بن سراقة بن الحارث**: أمّه عمة لأنس بن مالك: أصاب سهم حلقه.

٩- **يزيد بن الحارث أو الحارث بن قيس بن مالك**: هو الأنصاري النجاري، كان أخا ذي الشمالين (رقم ٥) في المؤاخاة.

---

(١) الزرقاني [شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٠٢/ ٣٢٥) تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي – دارالكتب العلمية] من مساواة الإسلام أن العبد يتمتع بخطاب «سيّد الشهداء» على لسان هادي الإسلام. هل يوجد له نظير في أمة من الأمم أو دين من الأديان؟!

١٠- **رافع بن المعلى بن لوذان:** هو الأنصاري.

١١- **عمير بن الحمام بن الجموح بن زيد بن حرام:** هو الأنصاري السلميّ، آخى النبي ﷺ بينه وبين عبيدة (رقم ٢)، واستشهدا في معركة واحدة، ودخلا الجنّة. كان يرجز في ميدان الحرب:

ركضًا إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على العباد وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبرّ والرشاد

١٢- **عمار بن زياد بن السكين بن رافع:** هو الأنصاري الأشهلي.[١]

١٣- **سعد بن خيثمة الأنصاري الدوسي أبو عبد الله:** يكنى أبا عبد الله، ويلقّب بسعد الخير. كان نقيب رسول الله ﷺ. قال له أبوه: لا تذهب، أنا ذاهب إلى الحرب.
فأجابه: لا تمنعني من الدخول في الجنة. استشهد أبوه خيثمة في غزوة أحد. وعلى هذا كان سعد شهيد ابن شهيد وصحابي ابن صحابي.

١٤- **مبشّر بن عبد المنذر بن زنبر[٢] بن زيد:** هو الأنصاري الأوسي.[٣]

---

(١) أخوه: عمارة بن زياد من شهداء أحد (الرقم ٦١) كما ذكره في الاستيعاب: (٣/ ٢٣٣ رقم ١٨٩١). (صلاح)

(٢) في الأصل، والترجمتين «الزبير»، والصحيح ما أثبتناه، وهو بزاي ونون وموحّده على وزن «جعفر». (الإصابة: ٥/ ٥٦٦ رقم ٧٧٣٢). (صلاح)

(٣) في الزرقاني: استشهد يوم بدر من المسلمين أربعة عشر رجلا. [١/ ٤٤٤]. الأسماء الواردة في هذه القائمة اتفق عليها الزرقاني والاستيعاب. وذكر البعض أن عدد شهداء بدر كان اثنتين وعشرين شهيدًا.
وقد وجدت عدّة أسماء أخرى عدا هؤلاء، وهم: سعد بن خولى، وصفوان بن بيضاء الفهري، وعبد الله بن سعيد بن العاص الأموي. وعلى هذا يبلغ عدد الأسماء الواردة في القائمة ١٧ اسما.
[ذكر الحافظ شهود سعد بن خولى بدرًا (الإصابة: ٣/ ٤٥-٤٦ رقم ٣١٥٤)، وشهادة صفوان ابن بيضاء (أمه) (وهو ابن وهب ويقال: وهيب) ببدر. (الإصابة: ٣/ ٣٥٨ رقم ٤١١٠). وأما عبد الله بن سعيد بن العاص فقال فيه: استشهد بمؤتة. وقيل باليمامة. (الإصابة: ٤/ ٩٩ رقم ٤٧٣٨) والله أعلم. (صلاح)]

شهداء غزوة السويق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

١- معبد بن عمرو الأنصاري.[(١)]

٢- حليف لمعبد المذكور أعلاه.

شهداء أحد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

(أ) المهاجرون

١- **حمزة بن عبد المطلب الهاشمي**: عم النبي ﷺ يلقّب بأسد الله ورسوله، وبسيّد الشهداء.

٢- **عبد الله بن جحش الأسدي القرشي**: يلقّب بالمجدّع في سبيل الله، وكان أخا النبي ﷺ لعمته.

٣- **شماس بن عثمان بن شريد القرشي المخزومي**: هو البدري، هاجر هجرتين. كان عمره وقت شهادته أربعا وعشرين سنة.

٤- **مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصيّ القرشي العبدري**: هاجر هجرتين، وهو من المهاجرين الأولين. أسلمت قبيلتان بدعوته. كان بيده لواء النبي ﷺ في غزوتين: بدر وأحد. ثم بعد شهادته أخذ اللواء عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وهو من كبار الصحابة. ويلقّب بالمقرئ. كان ابن أربعين سنة، حين استشهد.

(ب) الأنصار

٥- **أنس بن النضر النجاري**: هو عمّ أنس بن مالك. جُرح ثمانين جرحًا، ما بين ضربة بسيف، ورمية بسهم، وطعنة بالرمح. وهو من الذين أنزل الله فيهم ﴿رِجَالٌ

(١) ذكرهما الحافظ في «الإصابة» (٦/ ١٣٢ رقم ٨١١٧)، وقال: «ذكر الواقديّ أن أبا سفيان بن حرب كان قد حلف ألا يمسّ رأسه ماء حتى يأخذ بثأره من أصحاب النبي ﷺ، فخرج في مائتي راكب، فلقي رجلًا من الأنصار يقال له: معبد بن عمرو، ومعه أجير له [وقال ابن إسحاق: حليف له]، فقتلهما، فرأى أن يمينه قد انحلت، فرجع». (صلاح)

صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ ﴿٢٣﴾ [الأحزاب: ٢٣]. ولما هزم الجيش الإسلامي قال: اللّهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين، وأبرأ إليك مما جاء به المشركون. فتقدّم بسيفه فلقي سعد بن معاذ فقال: يا سعد! إني أجد ريح الجنة دون أحد فمضى فقتل.

٦- **أنيس بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث:** هو البدريّ.

٧- **أبو هبيرة بن الحارث بن علقمة النجاري:** أبو هبيرة هو اسمه. وأخوه أبو أسيرة. وقد ذكر الواقدي وحده اسم أبي أسيرة في شهداء أحد. يرى العلماء أنه خطأ.

٨- **أوس بن أرقم بن زيد بن قيس الخزرجي:** هو من كبار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٩- **إياس بن أوس بن عتيك الأشهلي:** استشهد أخوه أنس في غزوة الخندق.

١٠- **أوس بن ثابت المزني:** هو أخو حسّان شاعر الرسول ﷺ.

١١- **رفاعة بن وقش بن زُغبة بن زَعوراء بن عبد الأشهل:** كان شيخًا كبيرًا وقت شهادته.

١٢- **ثابت بن وقش:** هو شقيق رفاعة.

١٣- **عمرو بن ثابت بن وقش:** هو ابن أخت حذيفة بن اليمان الصحابيّ الجليل.

١٤- **سلمة بن ثابت بن وقش الأشهلي الأنصاري.**

١٥- **ثابت بن عمرو بن زيد النجاريّ:** هو البدريّ.

١٦- **ثابت بن دحداح:** من بني عجلان، وهو الذي قال: إن كان محمد قتل فإن الله حيّ لا يموت. وتقدم بجماعة قليلة إلى الكفار، وهو آخر شهيد في هذه الغزوة.

١٧- **ثعلبة بن سعد بن مالك الساعدي:** هو عمّ أبي حميد الساعدي الصحابي الشهير.

١٨- **ثقب (أو ثقيب) بن فروة بن بدن الساعدي:** كان عالمًا كبيرًا بأنساب الأنصار.

١٩- **الحارث بن الأوس بن معاذ الأشهلي:** هو البدريّ، وابن أخي سعد بن معاذ، كان ابن ثماني وعشرين سنة حين استشهد.

٢٠- **عمرو بن معاذ الأشهلي:** هو البدريّ، وأخو سعد بن معاذ. كان ابن اثنتين وثلاثين سنة.

٢١- **الحارث بن أنس بن رافع الأشهلي**: هو البدريّ.

٢٢- **الحارث بن عبد الله بن سعد بن عمرو الخزرجيّ.**

٢٣- **الحارث بن ثابت بن سفيان بن عدي الخزرجيّ.**

٢٤- **حارثة بن عمرو**: من بني ساعدة.

٢٥- **حبيب بن زيد بن تميم البياضي.**

٢٦- **حنظلة بن أبي عامر الأوسي**: من قدرة الله لقبه «غسيل الملائكة»(١)، ولقب أبيه الفاسق(٢). كان ابنه عبد الله صحابيًا استشهد يوم الحرّة سنة ٦٣ هـ.

٢٧- **خارجة بن زيد بن أبي زهير الخزرجي**: هو العقبيّ البدريّ، تعرف أسرته ببني أعزّ، وكانت أخته عند أبي بكر الصديق رَضِوَاللَّهُعَنْهُ. وقد وردت روايات عن تكلم ابنه زيد ابن خارجة بعد الموت.(٣) جرح أكثر من عشر جراحات. آخى النبي ﷺ بينه وبين أبي بكر الصديق رَضِوَاللَّهُعَنْهُ.

٢٨- **سعد بن ربيع الخزرجي**: هو العقبي والبدريّ، ونقيب رسول الله ﷺ، وكان ابن عمّ خارجة (رقم ٢٧)، دفنا في قبر واحد. وبقية أحواله مذكورة في الجزء الأول.

٢٩- **حباب بن قيظي بن عمرو بن سهل الأشهلي.**

٣٠- **صيفي بن قيظي بن عمرو بن سهل الأشهلي**: هو شقيق حباب بن قيظي (رقم ٢٩)، وابن أخت أبي الشيخ بن التيهان (رقم ٤٨).

---

(١) قال النبي ﷺ بعد ما استشهد حنظلة رَضِوَاللَّهُعَنْهُ «إن صاحبكم تغسّله الملائكة»، فسألوا صاحبته، فقالت: إنه خرج لما سمع الهائعة -وهو جنب-، فقال رسول الله ﷺ: «لذلك غسّلته الملائكة». (المستدرك للحاكم: ٣/ ٢٠٤ رقم ٤٩٨٧، وقال: صحيح على شرط مسلم، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة»: ٣٢٦). (صلاح)

(٢) راجع سبب تسمية أبي عامر بالفاسق في «الاستيعاب» (١/ ٤٣٣ رقم ٥٦٧). (صلاح)

(٣) قال الحافظ: «ذكر البخاري وغيره أنه الذي تكلّم بعد الموت.» (الإصابة: ٢/ ٤٩٨-٤٩٩ رقم ٢٩٠١، وقال ابن كثير في البداية والنهاية: ٦/ ٢٥٧، مشهور مروي من وجوه كثيرة صحيحة. راجع التفصيل في «الاستيعاب»: ٢/ ١١٨-١١٩ رقم ٨٤٩). (صلاح)

٣١- **خيثمة بن الحارث بن مالك الأوسي**: اسم ابنه سعد، مذكور في شهداء بدر (رقم ١٣).

٣٢- **ذكوان بن عبد قيس بن خلدة الزرقي الخزرجيّ**: هو العقبيّ والبدريّ كان من المهاجرين وأيضًا من الأنصار، بحيث هو وأسعد بن زرارة أوّل من حملا الإسلام إلى المدينة.

٣٣- **رافع بن مالك بن عجلان الزرقي الخزرجيّ**: يكنى أبا مالك، وكان نقيب رسول الله ﷺ، حضر بيعة العقبة الأولى (وهم ستة) والثانية (وهم اثنا عشر) وأحد السبعين كذلك، الذين قتلوا يوم أحد في سبيل الله.(١)

٣٤- **رافع مولى غزية بن عمرو.**

٣٥- **رفاعة بن عمرو بن زيد الخزرجي**: هو العقبيّ والبدريّ. يكنى أبا الوليد.

٣٦- **سعد** (أو سعيد) **بن سويد بن قيس بن عامر بن عمار بن أبجر**: هو الخدريّ.

٣٧- **سهل بن عدي بن زيد بن عامر الأشهلي.**

٣٨- **سهل بن قيس بن أبي كعب بن قين**: هو البدريّ والأسلمي.

٣٩- **سبيع بن حاطب بن قيس بن هيشة**: هو الأوسي.

٤٠- **سويبق بن حاطب بن الحارث بن حاطب الأنصاري.**

٤١- **صخرة بن عمرو (بشر)**: كان حليف بني الحليف من الخزرج.

٤٢- **عبد الله بن جبير بن النعمان**: هو العقبيّ والبدريّ. وكان في هذه الغزوة سيّد الرماة.

٤٣- **عبد الله بن عمرو بن وهب بن ثعلبة**: هو الساعديّ.

٤٤- **عبد الله المجذر بن زياد البلوي**: هو البدريّ وحليف الأنصار.

٤٥- **عبدة بن [الحسحاس، ويقال: ابن] الخشخاش بن عمرو بن زمزمة الأنصاري،** وهو ابن عم المجذّر (٤٤).

٤٦- **نعمان بن عبد عمرو بن مسعود**: هو البدريّ دفن هو وعبدة بن الخشخاش وعبد الله المجذّر في قبر واحد.

---

(١) وقع سهو في الأصل في هذا المقام، فأخطأوا في ترجمته السابقون، وتبعهم في خطئهم اللاحق كذلك. والصحيح ما أثبتناه من «الاستيعاب» (٢/ ٦٤ رقم ٧٣٩). (صلاح)

٤٧- **عامر بن أمية بن زيد بن الخشخاش النجاريّ**: هو البدريّ، وابنه هشام من الصحابة.

٤٨- **عبيد (عتيك) بن التيهان بن مالك**: يكنى أبا الشيخ وهو عقبيّ وبدريّ.

٤٩- **يسار**: هو مولى لعبيد بن التيهان بن مالك.

٥٠- **عبيد بن المعلى بن لودان بن حارثة**: اسم أخيه رافع، وهو مذكور في شهداء بدر. انظر الرقم (١٢).

٥١- **عباس بن عبادة الخزرجي**: هو من المهاجرين والأنصار. شهد العقبتين. آخى النبي ﷺ بينه وبين عثمان بن مظعون.

٥٢- **عامر بن مخلد بن الحارث النجاريّ**: هو بدريّ، وليس له عقب.

٥٣- **عمرو بن إياس**: أحد بني عوف.

٥٤- **عمرو بن مطروف (أو مطرف) بن علقمة بن عمرو بن ثقف الأنصاري**: هو أبو حمام.

٥٥- **عتبة بن الربيع بن رافع**: هو الخدريّ الخزرجيّ.

٥٦- **عباد بن سهل بن مخرمة**: هو الأشهلي الأوسي.

٥٧- **عبد الله بن عمرو بن حرام السلمي الخزرجيّ**(١): هو البدريّ، ونقيب رسول الله ﷺ يكنى أبا جابر، وهو والد جابر الصحابي الشهير. وفي الحديث: أن الملائكة ظللوا جنازته بأجنحتهم، وأن الله كلمه بعد شهادته.(٢)

٥٨- **عمرو بن جموح بن زيد بن حرام**(٣): كان سيّد الأنصار، وكان في رجله عرج فقال:

---

(١) «الاستيعاب»: (٣/ ٨٤ رقم ١٦٣٣).

(٢) عن جابر بن عبد الله، قال: لما قتل أبي جعلت أبكي...، وقال النبي ﷺ: «لا تبكيه -أو: ما تبكيه-، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع.» (البخاري: ٤٠٨٠ معلقا، ومسلم: ٢٤٧١). (صلاح)

(٣) إن كتب السيرة كلّها تذكر صحابية، **أصيب زوجها وأخوها وابنها يوم أحد**، ومع ذلك سألت عن النبي ﷺ وأمره، ولما سمعت بوجوده، قالت: كل مصيبة بعدك جلل. إني لم أجد اسم هذه المرأة مع علوّ شأنها في كتاب من الكتب.

ثم نظرت إلى نسب أقرباء شهداء أحد، وكذلك بحثت في الصحابيات عن امرأة استشهد أقرباؤها =

أدخل بعرجتي الجنة. ولما خرج من بيته إلى الحرب قال: اللهم ارزقني الشهادة ولا تردّني إلى أهلي خائبا. وكان سخيا جوّادًا. قيل في شأنه هذا الشعر:

إذا جاءه السؤال أذهب ماله وقال خذوه إنه عائد غدًا

دفن هو وعبد الله بن عمرو بن حرام في قبر واحد. وكانت أخت عبد الله بن عمرو ابن حرام: هند، تحت عمرو بن جموح بن زيد.(١)

٥٩- **خلاد بن عمرو بن جموح:** هو بدري وابن لعمرو بن جموح.(٢)

مثل هؤلاء الثلاثة. قضيت عدة شهور باحثا عن اسم هذه المرأة، ففزت به -ولله الحمد-.

وهذه هي هند بنت عمرو بن حرام، فخلاد البدريّ: ابنها، وعبد الله البدريّ نقيب الرسول: أخوها، وعمرو بن الجموح سيّد الأنصار: زوجها، وهؤلاء كلهم استشهدوا في أحد.

كانت هذه السيدة قد حملت نعشهم على الجمل إلى المدينة، ثم رجعت بهم إلى أحد لتضمهم إلى مجموعة الشهداء.

لا ريب أن مثل هذه المرأة الفاضلة التي تمتاز بقوّة الإيمان لا تكون إلا من مثل هذه الأسرة الكريمة العالية التي امتاز كل فرد من أفرادها بإيمانه وعمله غاية الامتياز. [راجع ترجمتها في الاستيعاب: ٤٤/ ٤٧٥ رقم ٣٥٤٩]

وورد في رواية أيضًا: أصيب زوجها وأخوها وأبوها. وهذه المرأة لم أستطع تعيين اسمها.

إن أسماء بنت يزيد بن السكن سيّدة كريمة كانت قدمت على رسول الله ﷺ فقالت: أنا رسولة من ورائي من النساء. والدها: يزيد بن السكن، وأخوها: عامر بن يزيد من شهداء أحد، وما استطعت أن أجد اسم زوجها في أي كتاب، ولو كنت وجدته في رواية، حسب هذه القائمة لكانت تصدق تلك الرواية على أسماء بنت يزيد، هي سيّدة ذات شأن كبير، استشهدت يوم اليرموك، وهي تقاتل الكفار. [الاستيعاب: ٤/ ٣٥٠ رقم ٣٢٦٧، والإصابة: ٨/ ٢١-٢٢ رقم ١٠٨١٦) وفيه: يقال لها خطيبة النساء، شهدت اليرموك، وقتلت يومئذ تسعة من الروم بعمود فسطاطها، وعاشت بعد ذلك دهرًا.

هذا ردّ على سهو المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله «استشهدت يوم اليرموك وهي تقاتل الكفار» ولم ينتبه له المترجم الأول، ولا الثاني. والله أعلم. (صلاح)]

(١) الاستيعاب: (٣/ ٢٥٣ رقم ١٩٢٥).

(٢) الاستيعاب: (٢/ ٣٥ رقم ٦٧٦).

٦٠- **أبو أيمن:** هو مولى لعمرو بن جموح.

٦١- **عمارة بن زياد بن سكن بن رافع**[1]: هو الأشهلي، وجد به أربعة عشر جرحًا، فوسده النبي ﷺ قدمه، فما زال يتوسدها حتى مات، وخدّه على قدم رسول الله ﷺ.

٦٢- **يزيد بن سكن:** يكنى أبا أسماء وهو عمّ عمارة (رقم ٦١)، وقد استشهد ابنه عامر ابن يزيد يوم استشهد هو.

٦٣- **عمرو بن قيس بن زيد بن سواد بن مالك:** هو من بني النجار.

٦٤- **قيس بن عمرو بن قيس:** هو ابن لعمرو (رقم ٦٣).

٦٥- **قيس بن مخلد بن ثعلبة بن صخر:** هو المازني البدريّ.

٦٦- **مالك بن سنان:** هو والد أبي سعيد الخدريّ.

٦٧- **نوفل بن ثعلبة:** هو السالمي الخزرجيّ البدريّ.

٦٨- **يزيد بن حاطب بن عمرو:** هو الأشهلي.

٦٩- **وهب بن قابوس المزني.**

٧٠- **الحارث بن عقبة بن قابوس:** بينه وبين وهب (رقم ٦٩) عمومة. كانا قد حملا الغنم من جبل مزينة إلى المدينة للبيع، فعدما فيها الناس، ولما علما أنهم في أحد، يقاتلون الكفّار، قدما على النبي ﷺ وأسلما على يده، ثم قاتلا قتالا شديدا، حتى قتلا بأحد.[2]

٧١- **حسيل (المعروف باليمان) اليمان بن جابر العبسي القطعي:** هو والد حذيفة الصحابي الشهير. قتله المسلمون عن سوء فهم.[3]

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٣/ ٢٣٣ رقم ١٨٩١) أما عمار بن زياد فذكره في شهداء بدر [الرقم ١٢]، رواية عن ابن الكلبي ولعلّه هو أخوه. [الاستيعاب: ٣/ ٢٢٦ رقم ١٨٨٠].

(٢) الاستيعاب: (٤/ ١٢٢ رقم ٢٧٦٣).

(٣) حسيل المعروف باليمان: «شهد هو، وابناه: حذيفة وصفوان مع رسول الله ﷺ أحدًا، فأصاب حسيلًا المسلمون في المعركة، فقتلوه يظنّونه من المشركين، ولا يدرون، وحذيفة يصيح: أبي أبي، ولم يُسمع، فتصدق ابنه حذيفة بديته على من أصابه.» (الاستيعاب: ١/ ٤٠٧ رقم ٥٢٨). (صلاح)

الملاحظة:

قد تركنا عدة أسماء: مثل مالك بن أياس والحارث بن عدي بن خرشة، وإياس بن عدي، لما لم يروها ابن إسحاق إمام أهل السير، أما ما ذكرنا من الأسماء فهي متفق عليها عند علماء السيرة وصحيحة تمامًا.

شهداء يوم الرجيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

١- **مرثد بن كناز بن حصين الغنوي:** ينتهي نسبه إلى سعد بن قيس بن عيلان. هو وأبوه كلاهما صحابيّ بدريّ. إن المسلمين الذين أسرتهم قريش بمكة لإسلامهم، كان مرثد يأتي إليهم من المدينة فيتسور جدار المحبس، فيحمل أحدهم إلى المدينة، وهكذا أنقذ كثيرًا من المسلمين من أيدي قريش.

٢- **خبيب بن عدي الأنصاريّ:** قد ذكرنا أحواله في الجزء الأول من هذا الكتاب.

٣- **عاصم بن ثابت بن أبي أفلح قيس الأنصاري:** هو البدريّ الأوسي يكنى أبا سليمان.

٤- **زيد بن الدّثِنة الأنصاري البياضي:** هو البدريّ الأحدي، صلبه الكفار، ولما أجمعوا صلبه قال: دعوني أصليّ ركعتين. ومنذ ذلك اليوم سنّ النبي ﷺ هاتين الركعتين لكلّ مقتول يُقتل بعده.

٥- **زيد بن مزين الأنماري البياضي.**

٦- **عبد الله بن طارق بن عمرو بن مالك البلوي.**

٧- **معتب بن عبيد بن أبي إياس البلوي:** هو وعبد الله بن طارق (رقم٧ و٦) أخوان للأم.

٨- **خالد بن بكير بن عبد ياليل.**[(١)]

---

(١) ذكر علماء السيرة عدد أصحاب الرجيع ستة، وفي أبيات حسان بن ثابت أيضا نجد ستة أسماء. وذكر البخاري عشرة، وجدنا منهم ثمانية. [أشار الحافظ إلى أن موسى بن عقبة سمّى السبعة المذكورين ولكن قال: متعب بن عوض.
قال الحافظ: «لعل الثلاثة الآخرين كانوا أتباعًا لهم، فلم يحصل الاعتناء بتسميتهم.» (فتح الباري: ٧/ ٣٨٠)]. (صلاح)

شهداء بئر معونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

١- **منذر بن عمرو بن خنيس الأنصاري الساعدي**: هو العقبيّ البدريّ، نقيب رسول الله ﷺ يلقّب بالمعنق للموت، وسيّد الشهداء. آخى النبي ﷺ بينه وبين طليب بن عمير.

٢- **حكم بن كيسان مولى هشام المخزومي**: أُتي به أسيرا في سريّة نخلة، ثم أسلم وظفر بالشهادة في سبيل الله.

٣- **حرام بن ملحان(مالك) بن خالد الأنصاري**: هو البدريّ الأحديّ، أخته: أم سليم والدة أنس بن مالك، وصحابية شهيرة. وأخته الأخرى أم ملحان أيضا صحابية، ولما طعن أخذ دمه، فنضحه على وجهه، ورأسه وقال: فزت وربِّ الكعبة.

٤- **سليم بن ملحان (مالك) بن خالد الأنصاري**: هو شقيق حرام بن ملحان رقم(٣).

٥- **الحارث بن صمة الأنصاري النجاريّ**: بينما هو في طريقه إلى بدر إذ طعن. وهو من الذين ثبتوا يوم أحد. كان الكفّار قد رشقوه بالسهام حتى قتلوه.

٦- **ثابت بن خالد النجاري**: شهد بدرًا وأحدًا.

٧- **عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان من قوم الأزد، وكان أسود الظاهر، أبيض الباطن، قديم الإسلام، اشتراه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأعتقه، صحب النبي ﷺ في سفر الهجرة. استشهد وهو ابن أربعين سنة. يقول قاتله عامر بن الطفيل: لما طعنته بالرمح سطع لي من جسمه نور، وبذلك أسلم عامر بن الطفيل.[١] لم يوجد جثمانه في مقتله.[٢]

---

(١) هو: عامر بن الطفيل بن الحارث الأزدي، ذكره وثيمة في الرّدة، عن ابن إسحاق، وذكر أنه كان وافد قومه، والقائم فيهم في زمن الردّة يحرضهم على الإسلام، وذكر له قصة طويلة، وقصيدة حسنة، وله مرثية في النبي ﷺ. وذكره الترمذيّ في الصحابة. (الإصابة: ٣/ ٤٧٣، والاستيعاب: ٢/ ٣٤١ رقم ١٣٣٩). (صلاح)

(٢) قال الزهري: «زعم عروة بن الزبير أن عامر بن فهيرة قتل يومئذ، فلم يوجد جسده حين دفنوا، فيرون أن الملائكة دفنته.» (الاستيعاب: ٢/ ٣٤٤-٣٤٥ رقم ١٣٤٦). (صلاح)

٨- **عروة بن أسماء بن الصلت**: كان من بني سليم، وكان قاتله أيضا من هذه القبيلة، ولما أراد قاتله إجارته، أبى أن يترك المسلمين.

٩- **عائذ بن ماعص بن قيس بن خلدة**: هو الأنصاري الزرقي البدريّ.(١)

١٠- **معاذ بن عائص بن قيس بن خلدة**: شقيق عائذ بن ماعص رقم (٩) وكان بدريّا وأحديّا.

١١- **مسعود بن سعد بن قيس بن خلدة**: ابن عم معاذ بن عائص رقم (١٠).

١٢- **سفيان بن ثابت الأنصاري**: من بني نبيت.

١٣- **مالك بن ثابت الأنصاري**: شقيق سفيان بن ثابت الأنصاري رقم (١٢).

١٤- **سفيان بن حاطب بن أمية**: هو الأنصاري الظفري شهد أحدا.

١٥- **سهيل بن عامر بن ثقف**: الأنصاري.

١٦- **سعد بن عمرو بن ثقف**: هو ابن عمّ سهيل بن عامر رقم (١٥).

١٧- **طفيل بن سعد بن عمرو بن ثقف**: شهد أحدًا وهو ابن سعد بن عمرو رقم (١٦).

١٨- **سهل بن عمرو بن ثقف**: شقيق سعد بن عمرو رقم (١٦).

١٩- **قطبة بن عبد عمرو بن مسعود بن كعب بن عبد الأشهل**: هو الأنصاري الخزرجيّ.

٢٠- **منذر بن محمد بن عقبة**: هو الأنصاري الأوسي البدريّ الأحدي.

٢١- **نافع بن بديل بن ورقاء**: من بني سهم.

٢٢- **أنس بن معاوية**: من بني عمرو بن مالك.

٢٣- **أبيّ بن ثابت بن المنذر**: يكنى أبا الفتح.

٢٤- **أنس بن معاذ بن أنس بن قيس الأنصاري.**

٢٥- **أبيّ بن معاذ بن أنس**: هو الأنصاري النجاري البدريّ، [وهو أخو أنس بن معاذ (رقم ٢٣)] وقد عدّه الواقدي هو وأخاه في شهداء هذه السريّة.(٢)

---

(١) قال ابن عبد البر: «قتل عائذ يوم اليمامة شهيدا في قول بعضهم.»
وقيل: إنه قتل يوم بئر معونة شهيدًا. (الاستيعاب: ٢/ ٣٤٨ رقم ١٣٥٧). (صلاح)

(٢) الاستيعاب (١/ ١٦٥).

٢٦- **مسعود بن خلدة بن عامر بن زريق**[١]: هو البدريّ الأحدي. وقد عدّه البعض في شهداء خيبر.

شهيد المريسيع رضي الله عنه

١- **هشام بن صُبابة بن حزن الليثي**: أخو مقيس بن صبابة الليثي، قتل بيد رجل من المسلمين خطأ.[٢]

شهداء غزوة الخندق رضي الله عنهم

١- **أنس بن أوس بن عتيك بن عمرو**: هو الأنصاري الأشهلي، شهد أحدًا، واستشهد بسهم أصابه. وكان أخوه إياس قد استشهد في غزوة أحد.

٢- **عبد الله بن سهل بن زيد**: هو الأنصاري الحارثي البدريّ.

٣- **ثعلبة بن عنمة بن عدي**: هو السلميّ الخزرجيّ العقبيّ الأحديّ.

٤- **طفيل بن مالك بن النعمان**: هو الأنصاري السلمي البدريّ، جرح يوم أحد ثلاث عشرة جرحة، فبرأ فاستشهد يوم الخندق.

٥- **كعب بن زيد بن قيس بن مالك**: هو الأنصاري البدريّ، وهو الذي نجا وحده من بين السبعين قارئا في بئر معونة.[٣]

---

(١) ذكر أنس بن مالك رضي الله عنه عدد شهداء بئر معونة سبعين شهيدًا، ولم أجد في صحيح البخاري إلا ٢٦ اسما. [يشير المؤلف رحمه الله إلى ما رواه إسحاق بن أبي طلحة: «عن أنس أن النبيّ ﷺ بعث خاله أخا أم سليم في سبعين راكبًا.» (البخاري مع الفتح: ٧/ ٣٨٥-٣٨٦ رقم ٤٠٩١). (صلاح)]

(٢) قال أبو سعيد السكري: هو هشام بن حزن، وأمه صبابة بنت مقيس. قتل هشام الليثي في غزوة ذي قرد مسلمًا، وذلك في سنة ست من الهجرة، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت، وهو يرى أنه من العدوّ فقتله خطأ. («الاستيعاب»: ٤/ ١٠٠ رقم ٢٧١١، و«الإصابة»: ٦/ ٤٢٢ رقم ٨٩٨٥). (صلاح)

(٣) الاستيعاب (٣/ ٣٧٦ رقم ٢٢١٨).

٦- **سعد بن معاذ بن النعمان:** هو الأشهليّ الخزرجيّ سيّد الأوس، أصابه سهم يوم الخندق، فبقي شهرًا جريحًا، عالج النبي ﷺ جراحه بيده مرتين. وفي شأنه قيل: «اهتز له عرش الرحمن[١]».

شهداء غزوة بني قريظة رضي الله عنهم

١- **خلّاد بن سويد بن ثعلبة:** هو الأنصاريّ الخزرجيّ، شهد المشاهد كلّها من العقبة، وبدر، وأحد، والخندق.

٢- **سنان بن محصن[٢]:** قد أخذنا هذا الاسم من سيرة ابن دحلان.

وفي «الاستيعاب»[٣] أنه سنان بن وهب بن محصن، وهذا هو الصحيح على الأغلب، وقد ذكر الواقدي وفاته في سنة ٣٢ هـ، ربما هو غير صحيح.

شهداء غزوة الغابة رضي الله عنهم

١- **ذر بن أبي ذر:** كان النبي ﷺ قد تنبأ باستشهاده.

٢- **محرز بن نضلة:** كان من بني أسد، شهد المشاهد كلها من بدر وأحد والخندق.

٣- **وقاص بن محرز:** من بني مدلج.

---

(١) البخاري (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٦) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. (صلاح)

(٢) وجدنا من شهداء بني قريظة اسم رجلين، وأحوال ثلاثة رجال غير كاملة. وقد ذكر الواقدي أسماء، وهم: أبو حيس، والنعمان، ومحيصة، وحويصة، وأبو بردة. ولكن الزرقاني أنكر صحّة هذه الأسماء.

(٣) الاستيعاب (٢/ ٢١٨ رقم ١٠٧٧) وفيه: «سنان بن أبي سنان الأسدي، واسم أبي سنان: وهب بن محصن، شهد بدرًا هو وأخوه وأبوه وعمّه عكاشة بن محصن، وشهدوا سائر المشاهد مع رسول الله ﷺ...». (صلاح)

شهداء ذي القصّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

١- **سلكان بن سلامة بن وقش بن رغبة:** هو الأنصاري الأشهلي يكنى أبا نائلة.

٢- **الحارث بن أوس بن معلى بن لوذان:** استشهد عمّه رافع في غزوة بدر، وعمّه الآخر عبيد في غزوة أحد.

٣و٤- **رجلان من قبيلة مزينة.**

٥- **رجل من بني غطفان.**

شهيد سريّة وادي القرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

١- **ورد بن مرداس.**

شهيد العرنيّين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

١- **يسار النوبي:** كان مولى لرسول الله ﷺ.[١]

شهيد غزوة وادي القرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

١- **مدعم:** كان عبدًا حبشيًا أعتقه رسول الله ﷺ.[٢]

شهداء خيبر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

١- **أوس بن حبيب:** الأنصاري، استشهد بحصن ناعم.

٢- **أوس بن فاكة (أو فاتاك):** أنصاريّ أوسيّ.

٣- **أوس بن عائذ.**

---

(١) راجع «فتح الباري» (١/ ٣٣٩). (صلاح)

(٢) كان مولدًا من حسمى، أهداه رفاعة بن زيد الجذاميّ لرسول الله ﷺ. (الإصابة: ٦/ ٤٩ رقم ٧٨٧٣). (صلاح)

٤- **أسلم**: كان عبدا حبشيا لرجل من يهود خيبر، أسلم في خيبر، واستشهد فيها، فحمل نعشه في خيمة، ولما ذهب النبي ﷺ ينظره رجع في ساعته، وقال: إن معه الآن زوجته من الحور العين.[(١)]

٥- **ثابت بن واثلة.**

٦- **الحارث بن حاطب**: هو الأنصاري الأوسي، شهد أحدًا والخندق والحديبية، كان النبي ﷺ كلفّه بأمر، فأصابه سهم من قلعة، فانكسر عظم رأسه، فمات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٧- **رفاعة بن مسروح**: هو من بني أسد، وكان حليف بني عبد شمس.

٨- **ربيعة بن أكثم بن سخبرة**: هو الأسدي المهاجر، يكنى أبا يزيد، شهد بدرًا وأحدًا والخندق والحديبية، وكان قصير القامة عظيم الهمة. استشهد وهو في أربعة وثلاثين من عمره.

٩- **سليم بن ثابت بن وقش بن زغبة**: شهد أحدًا والخندق والحديبية، طعنه مرحب اليهودي، فمات، وقد استشهد أبوه وأخواه في غزوة أحد.

١٠- **عامر بن الأكوع (سنان)**: بطل شهير، وعمّ سلمة بن عمرو بن الأكوع الصحابي.

١١- **عبد الله بن أبي أمية بن وهب**: كان حليف بني أسد بن عبد العزّى وابن أختهم، ولم يذكر اسمه إلا الواقدي.

١٢- **عبد الله بن هبيب بن أهيب**: هو الأسدي الليثي.

١٣- **عدي بن مرة بن سراقه بن خباب**: هو البلوي، استشهد بسهم أصابه في صدره.

١٤- **عروة بن مرّة بن سراقة**: هو الأنصاري.

١٥- **عمارة بن عقبة**: من بني غفار بن مليل، استشهد بسهم أصابه.

١٦- **أبو سفيان بن الحارث بن قيس**: هو الأنصاري.

١٧- **عمير بن ثابت**: هو الأنصاري الأوسيّ، يكنى أبا الضياح، شهد بدرًا وأحدًا والخندق والحديبية.

١٨- **مسعود بن سعد بن عامر بن عدي**: هو الأنصاري الأوسي البدريّ.

---

(١) «الاستيعاب» (١/ ١٧٨ رقم ٣٥)، و«الإصابة» (١/ ٢١٦ رقم ١٣٢). (صلاح)

١٩- **محمود بن مسلمة:** هو الأنصاري الحارثي، شهد أحدًا والخندق، وبينما هو تحت جدار القلعة، إذ سقطت عليه طبقة الرحى، فمرض ثلاثة أيام، ومات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(١)

شهيد سريّة الخربة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

١- مرداس بن نهيك: كان من بني ضمرة.

شهيد سريّة ابن أبي العوجاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

١- الأخرم بن أبي العوجاء.

شهيد أطلاح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

١- **كعب بن عمير:** هو الغفاري الأنصاري، كان من كبار الصحابة، وكثيرا ما كان النبي ﷺ يؤمّره على السرايا.

قال الدولابيّ وغيره: كان كعب بن عمير وحده قد نجا من بين العشرة. وقال ابن إسحاق: استشهد العشرة كلّهم. ولم نجد اسم أحد منهم غيره.(٢)

---

(١) ذكر علماء السيرة عدد شهداء خيبر خمسة عشر رجلا، وقد بحثت عنهم فوجدت ثلاثة وعشرين اسما، تسعة عشر منهم مذكورون في القائمة.
أما الأربعة الباقون فذكر الواقدي منهم، اسم أنيف بن واثلة فقط [اختلف في ضبط أبيه، فقيل: بالمثلّثة، وقيل بالتحتانية]، وذكر الطبري اسم أنيف بن حبيب فقط [وهو من بني عمرو بن عوف]. وأما بشير بن براء بن معرور، فمات بعد خيبر لما أكل من الشاة المسمومة، التي كانت أرسلتها زينب اليهودية للنبي ﷺ. وأما بشير بن عبد المنذر ففيه روايتان:
(١) استشهد في بدر. (٢) استشهد يوم خيبر. والأصح عندي الأوّل. [راجع «الاستيعاب»: ١/ ٢٠٤ رقم ٩٨،٩٧، و«الإصابة»: ١/ ٢٨٨ رقم ٣٠٢، ٣٠٤]

(٢) بعثه رسول الله ﷺ إلى ذات أطلاح من البلقاء، فأصيب أصحابه جميعًا، وسلم هو جريحًا، فقتلتهم قضاعة. قال الدولابي وغيره: وذلك في السنة الثامنة من الهجرة. («الاستيعاب»: ٣/ ٣٨٠ رقم ٢٢٢٩، و«الإصابة»: ٥/ ٤٥٤ رقم ٧٤٤٢). (صلاح)

شهداء مؤتة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

(جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة بأرض الشام)

كان رسول الله ﷺ قد بعث الحارث بن عمير الأزدي بكتابه إلى الشام إلى ملك الروم، فعرض له شرحبيل بن عمرو الغسّاني، فأوثقه رباطا، ثم أمر بقتله، فضربت عنقه صبرا.

فلما اتصل برسول الله ﷺ خبره بعث البعث، الذي بعثه إلى مؤته، وأمّر عليهم زيد ابن حارثة وقال: إن قتل زيد، فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل فعبد الله بن رواحة[(١)]، فإن قتل فليرتض المسلمون بينهم رجلا فيجعلوه عليهم.[(٢)]

وفي رواية للواقدي، أن نعمان اليهودي قال: إن كان محمد صادقا قتلوا جميعا، ثم توجّه نعمان إلى زيد بن حارثة وقال له: أوص فإنك لن ترجع إن كان محمد صادقًا.

فقال زيد: أشهد أنه رسول صادق.

وخرج النبي ﷺ مشيّعا، وقال للجيش:

اغزوا باسم الله، في سبيل الله، من كفر بالله، لا تغدروا، ولا تغلّوا، ولا تقتلوا وليدًا، ولا امرأة، ولا كبيرا فانيا، ولا منعزلا بصومعة، ولا تقربوا نخلا، ولا شجرة، ولا تهدموا بناء.

فيما يلي الأسماء المباركة وفي الزرقاني (٢/ ٢٧٣) أنهم كانوا اثني عشر رجلا:

١ - **زيد بن حارثة بن شراحيل[(٣)] الكلبي:** ينتهي نسبه من جهة أبيه إلى قضاعة، ومن

---

(١) البخاري (٤٢٦١) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفيه: (قال عبد الله: كنت فيهم في تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب، فوجدناه في القتلى، ووجدنا ما في جسده بضعًا وتسعين، من طعنة ورمية.) (صلاح)

(٢) عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: «... ثم أخذ الراية خالد بن الوليد، ففتح الله عليه. (رواه أحمد (١٧٥٠)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٥/ ٢٨٥). (صلاح)

(٣) كان ابن إسحاق يقول شرحبيل، ولم يتابع على قوله شرحبيل، إنما هو شراحيل. (الاستيعاب: ٢/ ١١٥ رقم ٨٤٨). (صلاح)

جهة أمه: سعدى بنت ثعلبة إلى بني طيء. كان احتمله قوم في الجاهلية فوافوا في سوق عكاظ، فاشتراه منهم حكيم بن حزام لعمته: خديجة الكبرى، فوهبته خديجة لرسول الله ﷺ، فربّاه رسول الله ﷺ بلطف وشفقة، ولمّا قدم أبوه وعمّه على رسول الله ﷺ يطلبانه، أبى أن يفارق رسول الله ﷺ.(١)

شهد بدرًا وأمّر على الجيش في سبع سرايا. ذهب الزهري إلى أنه أوّل من أسلم من النّاس. وهو الذي ورد اسمه في القرآن الكريم دون جميع المسلمين، قال الله تعالى في مدحه:

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا...﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب: ٣٧].

كان له ابن من بطن أم أيمن، اسمه أسامة، الذي يلقّب بحبّ رسول الله ﷺ.

وكان النبي ﷺ آخى بين زيد بن حارثة، وبين حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولقّب زيد بن حارثة بأخينا ومولانا في قضية حضانة بنت حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي **«الاستيعاب»**: أن زيد بن حارثة اكترى من رجل بغلا من الطائف، فمال به الكري(٢) إلي خربة كانت فيها قتلى كثيرة. فلما أراد أن يقتله قال له: دعني أصلي ركعتين. قال: صلّ، فقد صلّى قبلك هؤلاء، فلم تنفعهم صلاتهم شيئا قال: فلما صلّيت، أتاني ليقتلني قال فقلت: يا أرحم الراحمين، وكذلك فعل ثلاث مرات فسمع صوتًا لا تقتله، فنزل ملك وقتل الكريّ الذي كان يريد قتله.(٣)

٢- **جعفر (الطيّار) بن أبي طالب بن عبد المطلب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذكرنا أحواله مفصلا في الباب الأوّل من هذا الكتاب، وذكرنا خطبته التي كان ألقاها أمام النجاشي في الجزء الأوّل.

---

(١) تقدّمت نبذة عنه في ترجمة أم المؤمنين زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. (صلاح)

(٢) الكريّ: الذي يكري دابته. (صلاح)

(٣) راجع «الاستيعاب»: (٢/ ١١٨ رقم ٨٤٨). (صلاح)

٣- **عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الخزرجيّ**[١]: هو أحد النقباء الاثني عشر لرسول الله ﷺ. شهد بيعة العقبة وبدرًا وأحدًا والخندق والحديبية وعمرة القضاء والمشاهد كلّها قبل مؤتة، وكان من صفوة شعراء رسول الله ﷺ المحسنين الذين كانوا يردون الأذى عنه، وكان ولوعا بالجهد والعمل.

عن أبي الدرداء قال: لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره في اليوم الحارّ الشديد حتى إن الرجل ليضع من شدّة الحر يده على رأسه، وما في القوم صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة.[٢]

ولما تودّع عبد الله بن رواحة في حين خروجه إلى مؤتة، دعا له المسلمون ولمن معه أن يردّهم الله سالمين، فقال ابن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أطعنة بيدي حرّان مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقال إذا مرّوا على جدثي ... أرشد الله من غاز وقد رشدا

وكان تسلّم قيادة الجيش بعد زيد وجعفر رضي الله عنهما، وحينئذ أنشد الأبيات التالية في ميدان الحرب، ثم كرّ على الكافرين واستشهد. وكان النبي ﷺ قد شاهد هؤلاء الأمراء الثلاثة جالسين على أرائك الجنّة.

يا نفس إن لا تقتلي تموتي ... هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنّيتِ فقد أعطيتِ ... إن تفعلي فعلهما هديت

٤- **جابر بن أبي صعصعة بن زيد المازني الأنصاري.**

٥- **أبو كلاب بن أبي صعصعة بن زيد المازني الأنصاري:** هو شقيق جابر بن أبي صعصعة رقم (٤)، وكان له أخ غيره اسمه قيس الذي أمّره النبي ﷺ على جيش الساقة في غزوة بدر، وكان له أخ آخر غيره اسمه: الحارث، وقد استشهد أخوان له في غزوه اليمامة.

---

(١) راجع ترجمته في «الاستيعاب»: (٣/ ٣٣-٣٦ رقم ١٥٤٨). (صلاح)

(٢) مسلم (١١٢٢) عن أبي الدرداء. (صلاح)

٦- **سراقه بن عمرو بن عطية الأنصاري النجاري**: كان مع رسول الله ﷺ في كل من بدر وأحد والخندق والحديبية وخيبر وعمرة القضاء.

٧- **عبادة بن قيس بن عبسة الأنصاري النجاري**: شهد بدرًا مع أخيه الأصغر سبيع بن قيس.

٨- **وهب بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري**: شهد أُحدًا والخندق والحديبية وخيبر.

٩- **مسعود بن سويد بن حارثة القرشي العدوي**: أحد السبعين رجلا من بني عدي ممن هاجروا إلى المدينة.

١٠- **مسعود بن الأسود بن حارثة القرشي العدوي**: هو ابن عمّ مسعود بن سويد، شهد بيعة الرضوان.

١١- **عبادة بن قيس بن زيد بن أمية الأنصاري الخزرجي**: شهد بدرًا وأُحدًا والخندق وخيبر والحديبية.

١٢- **سويد بن عمرو**: آخى النبي ﷺ بينه وبين وهب بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري رقم (٨).

١٣- **هويجة بن بجير بن عامر الضبي**.(١)

شهداء فتح مكّة رضي الله عنهم

١- **حبيش الأشعر**(٢) **[ابن خالد بن سعد] بن منقذ بن ربيعة الخزاعي**: من قوم خزاعة.

٢- **كرز بن جابر بن حسيل الفهري القرشي**: هو الذي قاد أوّل حملة بعد الهجرة ضد

---

(١) هذه القائمة صحيحة كاملة إن شاء الله. ذكر ابن دحلان ثلاثة عشر اسما. ويبلغ هذا العدد أربعة عشر إذا ضمّ إليهم الحارث رسول رسول الله ﷺ.

(٢) قال الحافظ: يقال: ابن الأشعر، والأشعر لقب، ويكنى أبا صخر، وهو أخو أم معبد الخزاعي. (الإصابة: ٢/ ٢٤ رقم ١٦١٢). (صلاح)

المسلمين مع قريش، ثم أسلم، وأمّره النبي ﷺ على الجيش في العرنيّين.[(١)] وكان حبيش أول من استشهد يوم الفتح، فقام كرز، فجعل جثته بين قدميه، وهو يحارب، فقاتل فقتل.[(٢)]

شهداء حنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

١- **أيمن بن عبيد الحبشي:** هو أخو أسامة بن زيد لأمه: أم أيمن وكان ممن ثبتوا يوم حنين.

٢- **حويرث بن عبد الله بن حلف:** هو الغفاري الأنصاري، يلقّب بآبي اللحم، كان لا يأكل اللحم المذبوح على النصب منذ البداية.

٣- **مرّة بن سراقة.**

٤- **سراقة بن حباب:** هو الأنصاري.

٥- **سراقة بن الحارث بن عديّ:** هو من بني عجلان.

٦- **يزيد بن زمعة بن الأسود بن عبد المطلب**[(٣)]: هو ابن أخت أم المؤمنين: أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كان من رؤساء قريش، وكانت قريش لا يرون بدًا من أن يستشيروه في الأمور الشعبيّة المهمة.

شهداء غزوة الطائف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

١- **الحارث بن سهل بن أبي صعصة:** هو الأنصاري النجاريّ من بني مازن، استشهد له ثلاثة أعمام: اثنان في غزوة مؤتة، وواحد في غزوة اليمامة.

---

(١) راجع «فتح الباري» (١/ ٣٣٩). (صلاح)

(٢) «كان كرز بن جابر، وحبيش في خيل خالد بن الوليد يوم فتح مكة، فشذا عنه [أي أخطئا الطريق]، وسلكا طريقًا غير طريقه جميعًا، فقتل قبل كرز، وجعله كرز بين رجليه، ثمّ قاتل حتى قتل. («الاستيعاب»: ٣/ ٣٧٠ رقم ٢٢١١ ترجمة كرز). (صلاح)

(٣) هذه القائمة كاملة إن شاء الله.

٢- **حباب بن جبير.**

٣- **عرفطة بن حباب بن جبير**: بينه وبين حباب بن جبير رقم(٢) أبوّة وبنوّة، وهو حليف بني أمية.

٤- **صبيحة بن عبد الله بن الحارث**: هو الليثي.

٥- **رقيم بن ثابت**: هو الأنصاري الأوسي.

٦- **ثابت بن جذع**: هو الأنصاري العقبي البدريّ.

٧- **سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية**: هو القرشي الأموي.

٨- **عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة**: هو القرشي المخزومي، وأخو أمّ المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها للأب.

٩- **عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب**: هو القرشي الهاشمي، وابن عمّ رسول الله ﷺ.

١٠- **السائب بن الحارث بن قيس بن عديّ**: هو القرشي السهمي. قال البعض: إنه طعن يوم الطائف، واستشهد يوم الفحل سنة ١٣ هـ.

١١- **عبد الله بن عامر بن ربيعة**: هو العدويّ.

١٢- **عبد بن قوال بن قيس بن وقش بن ثعلبة**: هو العدويّ، شهد أحدًا والمشاهد كلّها بعدها.

١٣- **منذر بن عبد بن قوال**[(١)]: هو ابن عبد بن قوال رقم (١٢).

شهداء المشاهد المختلفة من غير تحديدها

نذكر في هذه القائمة أسماء الشهداء، الذين اتفق علماء السيرة، على أنهم استشهدوا في العصر النبويّ الزاهر، ولكنّهم اختلفوا في تعيين مشاهدهم، التي استشهدوا فيها:

١- قرّة بن عتبة (عقبة) الأنصاري الأشهلي.

٢- **مالك بن خلف بن عمرو الخزاعي**: كان هو وأخوه على طليعة أحد بأمر من النبي ﷺ.

---

(١) هذه القائمة كاملة إن شاء الله.

٣- **مخيريق**: كان عالمًا يهوديًّا من بني النضير، أسلم يوم أحد، وانطلق من ساعته إلى الوغى، وكان قد أوصى بماله لرسول الله ﷺ.

٤- **ثابت بن النعمان بن أمية أبو حنّة**: بدريّ.

٥- **سهل بن الرومي بن وقش بن زغبة**: ذكر الواقدي اسمه ضمن شهداء أحد.

٦- **يزيد بن سعيد الكندي**: والد السائب.

٧- **بشر بن براء بن معرور الأنصاري**: هو الخيبري، أكل من لحم مسموم، فمات.

٨- **طفيل بن النعمان بن خنساء الأنصاريّ**.

٩- **مسعود بن خلدة**: هو الأنصاري، الزرقي.

١٠- **عبد الله (حكم) بن سعيد بن العاص بن أمية**: هو القرشي البدريّ.

١١- **مسعود بن الأسود بن حارثة**: هو القرشي العدوي.

١٢- **هبار بن سفيان بن عبد الأسد**: هو المخزومي.

الباب الرابع

الباب الرابع

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٢٥﴾ [الأنعام: ٢٥].

كان الكفّار إذا تليت عليهم قصص الأمم الغابرة، وأخبار الأنبياء السابقين طعنوا في القرآن الكريم، وقالوا ما هو بشيء، ولا يقصّ علينا محمد إلا أساطير الأولين.

إن الأساطير في اللغة: الخرافة التي تتضمن قليلًا من الحقيقة، وكثيرًا من الطرافة والفكاهة. وكان كفار جزيرة العرب بعيدين عن العلوم والمعارف، ولم يكونوا يعرفون الخط والكتابة، ويجهلون أمور العالم وأحواله، جهالة يرثى لها، ولكن إن تعجب فعجب من أمر أهل الكتاب الذين نظروا إلى هذه الكلمة الصادرة من هؤلاء الرعاع من عبدة الأصنام بعين الإعجاب، وردّدوها في كتبهم مرارًا، وبأساليب مختلفة.

سبب ذكر هذا الباب في السيرة النبويّة الشريفة:

حتى كتب بعض القساوسة أن محمدًا ﷺ تلقى جميع هذه القصص من راهب نصراني، ثم صاغها للناس بلغته.

سوف نقارن في هذا الباب بين بيان الإنجيل الحالي، وبيان القرآن الكريم في قصة واحدة بعينها. وسيعلم القراء بهذه الدراسة المقارنة مدى سموّ تعاليم القرآن إزاء الكتب السماويّة الأخرى. وإلى أي مدى يكون خطأ من يظنّ أن هذا الرجل الذي يتلو مثل هذا الكتاب الطاهر كان يستوحيه من قصص الكتب السابقة، ثم يتلوها بأسلوبه الخاص على مسامع الناس.

وبما أن اعتراض النصارى هذا موجّه إلى شخصية الرسول ﷺ، وجب علينا أن نلحق هذا الباب بالسيرة النبويّة المشرّفة.

آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

ورد في التكوين (الإصحاح رقم ٢ - ٣) ذكر ولادة آدم، وإقامته في جنات عدن، وأكله من شجرة معرفة الخير والشر، وخروجه من الجنة.

كما ورد في الدرس السابع عشر من الإصحاح الثالث من التكوين «ملعونة الأرض بسببك». هذا، ولم يذكر في أي موضع من الكتاب المقدّس، أن آدم قد غفرت له خطيئته هذه.

أما فضائل آدم التي ذكرها القرآن، وسكت عنها الكتاب المقدس، فهي كما يلي:

١- كان آدم قد نسي عهد الله حين أكل من الشجرة:

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾ [طه: ١١٥].

٢- ما نقض آدم عهد الله متعمدًا:

﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ۝١١٥﴾ [طه: ١١٥].

٣- تاب الله على آدم، وغفر له خطيئته هذه، وهداه فيما بعد إلى الصراط المستقيم، واجتباه ربّه:

﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝١٢٢﴾ [طه: ١٢٢].

٤- قد نزل كلام الله على آدم:

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧].

وهذه كلّها من فضائل آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لو جرّد عنها أبو البشريّة لما بقي فيه من شيء من الفضيلة والكرامة.

والأمر الذي سكت عنه القرآن، وذكره الكتاب المقدّس عن آدم في هذه الفقرة:

«خلق الله آدم وجعله على شبهه». (التكوين ٥/ ١).

وورد نفس الأمر في التكوين (التكوين ١/ ٢٦) بهذه الألفاظ:

«وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا»

ليت شعري! كيف يمكن لأحد من أهل الكتاب بعد هذا البيان، أن ينكر التجسيم لله، وينزّهه عن التحديد، ويقنع الناس بأن ذاته تفوق البشر؟

طبعًا! لقد أثبت القرآن الكريم بترك هذا البيان، أن ما علّمه الناس من تقديس الله تعالى وتنزيهه: هو أعلى وأسمى مما علّمهم غيرُه.

قابيل وهابيل ابنا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

ورد في الكتاب المقدّس:

١- أن قابيل قام على هابيل: أخيه، وقتله. (التكوين ٤/ ٨).

٢- جعل الرب لقابيل علامة، لكي لا يقتله كل من وجده. (التكوين ٤/ ١٥).

٣- قال الربّ كل من قتل قابيل، فسبعة أضعاف ينتقم منه. (التكوين ٤/ ١٥).

لا يخفى ما في هذا النظام الذي وُضع للقاتل، من ضرر وخطر كبيرين على السلام العالمي.

وقد ذكر القرآن الكريم هذه القصة، فقال فيها:

١- كان قابيل من أصحاب النار، ومن الخاسرين لقتله أخاه:

﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [المائدة: ٢٩].

﴿فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٣٠﴾ [المائدة: ٣٠].

٢- ثم بين ما للحياة الإنسانية من قيمة، وما في قتل الإنسان من عذاب أليم، وإثم شديد فقال:

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۝٣٢﴾ [المائدة: ٣٢].

وهنا يستطيع القارئ أن يدرك بكل سهولة ما بين الكتاب المقدّس وبين القرآن الكريم، من فرق، وما للقرآن من تفوق على غيره.

نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ:

في الكتاب المقدّس يبدأ ذكر نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ من الإصحاح السادس من التكوين. وفي الإصحاحين: السابع والثامن جاء ذكر الطوفان، وفي الإصحاح التاسع جاء ذكر نوح

بعد الطوفان، وفي الإصحاح العاشر جاء ذكر أولاد نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

- **وكل من يستطيع أن يقرأ الكتاب المقدّس، ويفهمه، فليقرأه ولينظر أنه:**

١- ما وردت فيه أي فقرة تشير إلى وعظ نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه.

٢- وما أخبر في أي موضع منه، ما ذا كان ذنب الذين أغرقوا في الطوفان.

٣- وما أخبر فيه لماذا اختار الله إهلاكهم كآخر علاج.

٤- وما أخبر فيه إلى من بُعث نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٥- ومن الذين أغرقوا.

- **أما القرآن الكريم، فإنه يشير إلى هذه الأمور جميعًا:**

١- فقد أخبر القرآن أن نوحا عَلَيْهِ السَّلَامُ بُعِث إلى قومه:

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [نوح: ١].

٢- وأخبر أن نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وعظ قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، فقال:

﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴿١٤﴾﴾ [العنكبوت: ١٤].

٣- وأخبر أن نوحا عَلَيْهِ السَّلَامُ دعا قومه، فأعلن لهم وأسرّ لهم إسرارًا.

٤- وأخبر أن قومه كانوا قد انغمسوا في معصية الشرك.

٥- وأخبر أنّهم كانوا قد انغمسوا في الشرك إلى حد أنهم نصحوا أولادهم وأحفادهم وأصدقاءهم بالتمسك به:

﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣].

٦- وأخبر أنه لم يكن يرجى من أجيالهم اللاحقة أيّ صلاح:

﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح: ٢٧].

٧- وأخبر أنه لم يغرق منهم إلا من تمادى في الشرك والغيّ والطغيان والضلال:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾ [ص: ١٢-١٤].

٨- إن الأمور التي ذكرها القرآن عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسكت عنها الكتاب

المقدس كثيرة جدًا، ومنها قصة ابنه العاصي التي وُضح فيها أن الرجل يجب عليه إيثار أمر الله على حبّ أولاده، وأن علوّ النسب وعراقة المجد، لا يغني عنه شيئًا إن لم يكن صالحًا:

﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ﴾ [هود: ٤٦].

وكيف أن الأب الصالح يفارق العصاة من أولاده:

﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ﴾ [هود: ٤٧].

٩- وأخبر القرآن بأن نوحًا كان معه رجال، آمنوا به، فأنجاهم الله من العذاب:

﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٤٠﴾ [هود: ٤٠].

﴿يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ ... ۝٤٨﴾ [هود: ٤٨].

١٠- وأخبر القرآن بأنه لا تنقطع ذرّية نوح أبدًا:

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۝٧٧﴾ [الصافات: ٧٧].

وهذه كلها أمور لم ينطق بها الكتاب المقدّس.

نعم! هناك أمر ذكره الكتاب المقدس زائدًا على القرآن، وهو:

«شرب (نوح) من الخمر، فسكر وتعرّى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه» (التكوين ٩/ ٢١-٢٢).

ولا ريب أن القرآن سكت عنه، وما أحسن سكوته!

إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

ذُكرت قصة إبراهيم عليه السّلام في سفر التكوين من الإصحاح الثاني عشر إلى الإصحاح الخامس والعشرين. ومع ذلك فقد سكت الكتاب المقدّس عن ما نطق به القرآن من فضائل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

١- فقد ورد في القرآن بيان مفصّل عن تفكّر إبراهيم في ملكوت السماوات والأرض، واستدلاله بذلك على أن النجوم والقمر والشمس لا تصلح لأن تكون إلهًا. ولنا في ذلك درس وعبرة فالسعداء هم الذين يصلون إلى مدارج المعرفة الإلهية بالتدبّر

في هذه الصحيفة الكونية.

٢- وورد فيه ذكر تحطيم إبراهيم الآلهة والأصنام، كما أن الآية الكريمة: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنبياء: ٥٨] أخبرت بأن إبراهيم ترعرع، وشبّ على عدائه للشرك وحبّه للتوحيد.

٣- وورد فيه ذكر مناظرة إبراهيم قومه في التوحيد، وعدم اكتراثه بمخالفتهم له في تمسكه بالعقيدة السليمة:

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنعام: ٨٠].

٤- وورد في ذكر وعظ إبراهيم أباه آزر:

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: ٤٢].

٥- وورد فيه ذكر وقوف آزر من إبراهيم الموقف العنيد، وهجره له:

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾ [مريم: ٤٦].

٦- وورد فيه ذكر مناظرته الملك وكان الملك رأس المبطلين وكان منكرًا لله، مستبدًا برأيه، فلما سمع أدلة إبراهيم الناصعة الدامغة احتار واندهش:

﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

٧- وورد فيه ذكر وجه الاستدلال الذي قدّمه إبراهيم نموذجًا يمتثل له ومثالًا يحتذى به لمن يتدبّر في مسألة إحياء الموتى:

﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة: ٢٦٠].

٨- وورد فيه ذكر مؤامرة قومه عليه، وإحراقهم له، وإنقاذ الله إياه من النار:

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩].

(أ) وإذا كان هناك أمر ذكره الكتاب المقدّس، ولم يذكره القرآن فهو:

«قال (إبرام) لسارة امرأته، قولي إنك أختي» (التكوين ١٢/ ١٢).

(ب) وقد ورد في الكتاب المقدّس: أن إبراهيم كان طرد ابنه إسماعيل وزوجته هاجر من بيته، لقول امرأته سارة. (التكوين ٢١/ ١٠-١٤).

وهذا البيان يعني الطعن في عدل إبراهيم ورحمته بأهل بيته.

وبالعكس من ذلك: حين بين القرآن الكريم هذه القصة، أخبر بأن إبراهيم ما كان

طرد ابنه وزوجته من بيته، وإنما كان قد أنشأ مركزًا لنشر رسالة التوحيد، وبثّ ذرّيته في البلاد النائية تعاليمَ الدين الإسلامي.

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ ٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وهذه غاية نبيلة وهدف سام، يرفع من شأن إبراهيم، ويسمو به إلى قمة المسئولية.

وبعد هذا كلّه، هل يستطيع أحد القول بأن مضامين القرآن مستمدة من الكتاب المقدّس؟

وبالجملة فإن الكتاب المقدّس ساكت عن جميع ما صرّح به القرآن من الأمور، حتى إنه لم يذكر أية خدمة دينية، قام بها إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

لوط عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ:

١- ورد ذكر لوط عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ومصير قومه في كتاب التكوين (الإصحاح ١٩).

إن الكتاب المقدّس لم يذكر شيئا عن الجهود المكثفة التي بذلها لوط عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في سبيل الدعوة والإرشاد.

أما القرآن الكريم فقد ذكر البراهين القاطعة التي استدل بها لوط في وعظه لقومه:

﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠﴾ [الأعراف: ٨٠].

٢- ذكر الكتاب المقدّس سبب صيرورة امرأة لوط عمودا من ملح، أنها كانت نظرت من ورائه (١٩/ ٢٦).

ولكن القرآن أخبر بأنها كانت تخون زوجها:

﴿كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا ١٠﴾ [التحريم: ١٠].

٣- **والمضمون الذي انفرد بذكره الكتاب المقدّس هو، قصة ابنتي لوط. انظروا الإصحاح رقم (١٩).**

أما القرآن الكريم فقد ترفع عن ذكر مثل هذه القصص.

ونحن نستطيع إثبات بطلان هذه القصّة القذرة بالكتاب المقدّس نفسه، انظروا

التكوين (١٩/ ٣١-٣٢) فالدليل الذي أقامته البكر على جواز الفاحشة، هو قولها:

«ليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض».

وهذا الدّليل باطل تمامًا، لما قد ورد في الإصحاح التاسع عشر (٢٠-٢٣) ذكر وجود مدينة صوغر وبقائها، فكيف تقول هذه الجارية ليس على الأرض رجل؟.

وبذلك نستطيع أن نستيقن أن هذه القصة بجوهرها باطلة، لا أساس لها من الصحة.

إسحاق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

ورد ذكر إسحاق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الإصحاح (٢٦) من التكوين. والأمر الذي يوجد فيه زائدًا على القرآن الكريم، هو:

«أقام إسحاق في جرار، وسأله أهل المكان عن امرأته، فقال هي أختي» آية (٦).

ويستطيع القراء أن يفهموا هل يغض عدم ذكر هذا البيان في القرآن من شأن إسحاق شيئا؟

يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

يظهر من الإصحاح (٢٥) من التكوين، أن يعقوب وعيسو كانا توأمين، وكان عيسو أسبق ولادة من يعقوب.

والآن تدبّروا في الأمور التالية:

أولًا: ورد في الدرس من التاسع والعشرين إلى الرابع والثلاثين: «طبخ يعقوب طبيخا فأتى عيسو من الحقل، وهو قد أعيا، فقال عيسو ليعقوب: أطعمني من هذا الأحمر، لأني قد أعييت، فقال يعقوب: بعني اليوم بكوريتك، فقال عيسو: ها أنا ماض إلى الموت فلماذا لي بكورية. فقال يعقوب: احلف لي اليوم فحلف له فباع بكوريته ليعقوب فأعطى يعقوب عيسو خبزا وطبيخ عدس، فأكل وشرب وقام ومضى فاحتقر عيسو البكورية».

وليتدبّر القراء قليلًا! هل في القصة المذكورة شيء من مدح وثناء على يعقوب الذي

لم يعط شقيقه الخبز والعدس، حتى أخذ منه ذلك الحقّ الذي أعطاه الله إياه؟

والحمد لله على أن هذه القصّة لا توجد في القرآن.

ثانيًا: اقرءوا الإصحاح (٢٧) من التكوين الذي ذكر فيه:

«دعا إسحاق عيسو ابنه الأكبر، وقال له: يا ابني اخرج إلى البرية وتصيد لي صيدا حتى تباركك نفسي، وأخذت رفقة (أم يعقوب) ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة، التي كانت عندها في البيت، وألبست يعقوب ابنها الأصغر، وألبست يديه وملاسة عنقه جلود جديي المعزى وأعطت الأطعمة والخبز التي صنعت في يد يعقوب ابنها، فدخل إلى أبيه وقال: يا أبي فقال: ها أنا ذا من أنت يا ابني؟ فقال يعقوب لأبيه: أنا عيسو بكرك قد فعلت كما كلمتني. قم اجلس وكل من صيدي، لكي تباركني نفسك».

فانخدع إسحاق به وبارك يعقوب بدل عيسو.

والحمد لله على أن هذه القصّة أيضا لا توجد في القرآن الكريم.

ثالثًا: وفي الإصحاح (٣٤) من التكوين وردت قصّة دينة ابنة يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ. وفي نفس الإصحاح أن بني يعقوب حمور الحويّ رئيس الأرض يعطونهم بناتهم زوجات ويعطيهم بناته، فحدّث أن ابني يعقوب شمعون ولاوي أخوي دينة أخذ كل واحد سيفه وأتيا على المدينة بأمن، وقتلا كل ذكر وقتلا حمور وشكيم ابنه بحد السيف، وأخذا دينة من بيت شكيم وخرجا ثم أتى بنو يعقوب على القتلى، ونهبوا المدينة لأنهم بخسوا أختهم وغنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما في المدينة وما في الحقل أخذوه وسبوا ونهبوا كل ثروة وكل أطفالهم ونسائهم وكل ما في البيوت.

والحمد لله على أن القرآن لا يوجد فيه حرف يتعلّق بهذه القصّة.

رابعًا: وفي الإصحاح (٣٥/ ٢٢) قصّة رأوبين بكر يعقوب وقصة سرية أبيه.

والحمد لله على أن هذه القصّة أيضا لا توجد في القرآن.

خامسًا: وفي الإصحاح (٣٨) من التكوين قصّة يهوذا ثالث بني يعقوب وقصّة ثامار كنّته. ولتبرئة يهوذا من التهمة، يقول الكتاب المقدس:

«لأنه لم يعلم أنها كنّته» (آية ١٦).

وبعد هذا العذر أيضا، نجد يهوذا ملتبسا بجريمة نحو امرأة، وهذه الجريمة أشدّ وأبشع بالنسبة إلى رجل يعدّ من أبناء النبي وأحفاده، ويعتبر أبا بني إسرائيل -بعد قليل من الأنبياء-.

والحمد لله على أن القرآن لا يلصق مثل هذه التهم برجل من رجال هذه الأسرة الكريمة، بل يمدحها، فيقول:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأعراف: ١٣٧].

وبغضّ النظر عن هذه الأمور كلّها، فإن ما ذكره القرآن مما ليس في الكتاب المقدّس يدلّ على عظمة يعقوب، وعلى أنّه كان جديرا بأن يلقّب إسرائيل (عبد الله).

١- أخبر القرآن الكريم بأن الله كان قد بشّر إبراهيم مقدمًا بابن وحفيد صالحين:

﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ [هود: ٧١].

٢- وأخبر كذلك بأن الله وهب ليعقوب وأبيه من رحمته، وجعل لهما ثناء جميلًا وذكرًا حسنًا في الدنيا:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم: ٤٩ -- ٥٠].

هل يمكن لأحد بعد دراسة هذه النصوص القرآنية أن يتفوّه أنّها مستمدة من الكتاب المقدّس؟

يوسف عَلَيهِ ٱلسَّلَامُ:

ورد ذكر أحوال يوسف في الإصحاح (٣٧)، ثم من الإصحاح (٣٩) إلى الإصحاح (٥٠). وهذه الإصحاحات الاثنتا عشرة وإن كانت مليئة بمحاسن يوسف، حافلة بمكارمه، ولكن قد ألصقت به جملة أيضا وهي: **وأتى يوسف بنميمتهم الرديئة إلى أبيهم.** (التكوين ٣٧/ ٢).

هذه الجملة تدل على أن يوسف كان مشاءً بنميم (نعوذ بالله من ذلك)، وأن إخوته كانوا شريرين.

وقد ذكر القرآن أيضا قصّة يوسف، ولكنّه يختلف عن بيان الكتاب المقدّس في كثير من الأمور من البلاغة وغيرها.

١ - ففي القرآن أن يعقوب كان عبّر رؤيا يوسف حين سمعها بأنه:

﴿يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ...٦﴾[يوسف: ٦].

٢- ورد في الكتاب المقدّس ذكر الرؤيا، ولكن لم يرد فيه ذكر هذا التعبير، وإن كانت توجد فيه بعض المضامين، التي يثبت منها أنه تعبير يعقوب للرؤيا قد تحقق كما عبّر هو.

٣- وفي القرآن الكريم: لما أجمع إخوة يوسف أمرهم، وأرادوا إلقائه في غيابة الجبّ، أخبره الله أن يخفض شأنه ويهدأ باله، بقوله:

﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥﴾ [يوسف: ١٥].

ولا نجد ذكر هذا في الكتاب المقدّس.

٤- وفي القرآن أن قميص يوسف، كان قد قُدّ من دبر بيد امرأة العزيز، وكان رجل من أسرتها قد حكم بأنه إن كان قميصه قُدّ من قبل فصدقت ويوسف مجرم، وإلا فالمرأة هي المجرمة.

ومن هذه الحجة الدامغة وضحت براءة يوسف: وإخلاصه قد تحقّق للعزيز فطلب من يوسف الإعراض والعفو، وقرّر خطأ امرأته، وقال لها «استغفري لذنبك»:

﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ٢٩﴾ [يوسف: ٢٩].

والذي يثبت من الكتاب المقدّس أن براءة يوسف لم تكن تحقّقت لعزيز مصر.

٥- ويظهر من القرآن، أن كثيرًا من نسوة مصر كنّ قد حاولن إرضاء يوسف بأمر امرأة العزيز، وراودنه عن نفسه، ففشلن في محاولتهن. وقد سكت الكتاب المقدّس عن ذلك أيضا.

٦- وأخبر القرآن بأنّه لما سأل أصحاب السجن يوسف عن تأويل رؤياهم، بدأ يوسف بالدعوة إلى الله، وقام بأداء هذه الفريضة:

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٣٩ — ٤٠].

وذلك يدلّ على ما كان عليه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ من العزيمة في تقديم رسالة التوحيد، فلم يقصر في القيام بمهمة الدعوة والإرشاد حتى في السجن بل استمر فيه، ولم يضيّع فرصة تهيأت له لهداية الخلق. إن ذلك لمثال رائع للمشتغلين بأمور الدعوة.

وقد سكت الكتاب المقدّس عن بيان هذا الأمر تمامًا.

٧- وفي الكتاب المقدّس، لما استقدم الملك يوسف يستعبره رؤياه، انطلق يوسف إليه من ساعته فورًا.

وفي القرآن الكريم أنّه أبى أن يخرج من السجن، وكلّف الملك بتحقيق أمر تهمته:

﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ... ﴿٥٠﴾﴾ [يوسف: ٥٠].

وهذا من أحسن ما يستدل به على عصمة يوسف، وتقواه وصموده، وتعهده لعزّ النفس.

٨- وفي القرآن الكريم أن نسوة مصر هنّ الأخر شهدن ببراءة يوسف وعصمته:

﴿قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ ﴿٥١﴾﴾ [يوسف: ٥١].

وأن امرأة العزيز، هي الأخرى، شهدت على نفسها بصدق يوسف وطهارته:

قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ... ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف: ٥١ — ٥٣].

وقد سكت الكتاب المقدس عن بيان هذه الأوصاف والمحاسن وغيرها من المضامين، التي تحويها هذه السورة المباركة، مما تستخرج منها عشرات المسائل والنكات. وينبغي أن يراجع في ذلك إلى كتابي «الجمال والكمال[1]» في تفسير سورة

(١) وهو في اللغة الأردية، في غاية من البحث والتحقيق، والروعة والجمال. (صلاح)

يوسف.

وبدراسة البداية من هذا الكتاب، سيعلم القارئ أن هذه السورة بأكملها مما تنبأ الله فيها بأحوال النبي ﷺ المباركة.

بعد إيراد هذه الحقائق هل يصحّ القول بأن النبي ﷺ سمع مضامين الكتاب المقدّس، ثم صاغها من عنده؟

موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

لا يفيض الكتاب المقدّس في ذكر أحد من الأنبياء مثل إفاضته في ذكر موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية، كل هذه تضمنت ذكر أحواله.

كما أن القرآن الكريم أيضا لا يقصّ قصص أحد منهم، بقدر ما يقصّ قصص موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. ومع ذلك فإن مجموع ما ذكره لا يبلغ حجمه سفرا من الأسفار سابقة الذكر.

ونقتبس الآن أكثر مواضع القرآن، مرتبة على مواضيعها:

١- ففي كتاب الخروج (٤/ ١٤): «حمى غضب الربّ على موسى».

وذلك حين أبى موسى أن يقبل الرسالة من الله.

وقد أخبر القرآن في هذه المناسبة بأن الله خاطب موسى برفق ولين، وقال:

﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠﴾ [النمل: ١٠].

٢- وفي الخروج (٦/ ٢٠): «وأخذ عمرام يكابد عمته زوجة له، فولدت له هارون وموسى».

ولا ندري ماذا يعني الكتاب المقدّس من هذا البيان، فإن القرآن يشيد بذكر أم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فيقول:

أ- ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ... ۝٧﴾ [القصص: ٧].

وليعلم أن النساء اللاتي أوحى الله إليهن قليلات جدًا في العالم، ويظهر من القرآن أن

هؤلاء النساء: هنّ أم موسى وعيسى، وتظهر نفس المنزلة لأم إسماعيل من الكتاب المقدّس، وقد جاء إليها الملك مرّتين في حياة إسماعيل، وبلّغها رسالة الله، وبشّرها بما سيحدث في المستقبل.

انظروا التكوين (الإصحاح ١٦/ ٧-١١)، والإصحاح (٢١/ ١٧).

ب- ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [القصص: ١٠].

وهذا يدلّ على وجود الرابطة بين قلب أم موسى الطاهر وبين الربّ جلّ وعلا.

٣- وفي الخروج (٧/ ١): «فقال الربّ لموسى: انظر أنا جعلتك إلهًا لفرعون».

ليتأمل القراء في كلمة «إله» أهكذا يتمّ تعليم التوحيد؟

إذا كان أحد يستطيع أن يكون مشابهًا لله، فكيف تبقى إذن وحدانيته في الذات والصفات؟ قال تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقال:

﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤].

٤- (أ) في الخروج (٧/ ١١-١٢): «كذلك طرح كل واحد من عرّافي مصر عصاه فصارت العصي ثعابين».

(ب) وفي الخروج (٨/ ٧): «وفعل كذلك العرّافون وأصعدوا الضفادع على أرض مصر».

(ج) وفي الخروج (٨/ ١٢-١٣): «ضرب موسى عصاه على تراب الأرض. فكل تراب الأرض صار بعوضًا في جميع أرض مصر».

وفي آية (١٤): «وفعل كذلك العرّافون بسحرهم ليخرجوا البعوض فلم يستطيعوا».

وفي آية (١٥): «فقال العرّافون لفرعون هذا أصبع الله».

هذا ما ذكره الكتاب المقدّس عن السحرة، ولم يذكر مصيرهم.

أمّا القرآن فيقول عنهم:

﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ٧٠ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ٧١ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ٧٣﴾ [طه: ٧٠ – ٧٣].

كما أن هذا النص القرآني تدلّ على أن معجزات موسى لم تكن من نوع السحر، وكذلك يعلم منها كيف أن الهداية الإلهية شرحت صدور السحرة للإسلام، ويعلم منها أيضا أنه لاينبغي للرجل التردد والتلكأ في إظهار الإسلام، خوفًا من مصيبة أو خضوعا لضغوط، وأنه إذا أكره على ترك الإسلام، وعذّب وأهين، فعليه أن يخاطر بنفسه، ولا يفارق الإسلام، ولا يؤثر الدنيا الراحلة الزائلة على الآخرة الباقية الخالدة.

هذه كلّها دروس رائعة، لا يتناولها الكتاب المقدّس بالذكر.

٥- واقرءوا الإصحاح (٢٤) من الخروج من الآية (٩ إلى الآية ١١):

«ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعته من العقيق الأزرق الشفّاف وكذات السماء في النقاوة ولكنه لم يمدّ يده إلى أشراف بني إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا».

أيها القراء! إنهم رأوا قدم الإله وكذلك رأوا لونه الذي يشبه العقيق الأزرق وبذلك ظنّوا أن جسمه كله يشبه في اللون العقيق الأزرق.

ولعلّ الهنادك درسوا هذا البيان، وقالوا: «إن إلههم كرشن جي لونه أزرق.»

إن الإله الذي قد شوهد صفاء جسمه ولونه، هو إله مجسم!

هذه هي المرحلة التي يرتكب العباد فيها الشرك الجلي. إن القرآن ينزّه الله سبحانه وتعالى، ويجعله أجلّ من أن يكون مجسمًا، فيقول:

﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٣].

ليتدبّر القراء هل يمكن أن تكون تعاليم القرآن مستمدة من تعاليم الكتاب المقدّس؟

٦- اقرءوا الإصحاح (٣٢) من سفر الخروج من آية (٤) إلى آية (٦) فيه:

«وصنع (هارون من أقراط الذهب) عجلًا مسبوكًا. فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل

التي أصعدتك من أرض مصر فلمّا نظر هارون بنى مذبحًا أمامه».

هل من تهمة أشدّ وأنكى من أن نقول في نبيّ اختاره الله لنفسه، وجعله إمامًا للبريّة، وموسى أخوه، بأنه صنع عجلًا بيده وقرّب له القرابين، وجعله إلهًا لبني إسرائيل؟

إن المرتكب لمثل هذه الأعمال لا يستحقّ عند المسلمين أن يسمّى مسلمًا ولو بالاسم، فضلًا عن أن يكون نبيًّا وإمامًا لبني إسرائيل.

والحمد لله على أن الله قد صحّح بكتابه الطاهر هذا الخطأ، وأخبر أنه من فعل السامريّ:

﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ۝٨٧ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ۝٨٨﴾ [طه: ٨٧ – ٨٨].

وكذلك أخبر القرآن بأن موسى سأل هارون: لماذا لم يمنع الضُلّال عن ضلالهم وزيغهم:

﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ۝٩٢﴾ [طه: ٩٢].

ثم ذكر أيضا ما أجاب به هارون موسى فقال:

﴿إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ۝٩٤﴾ [طه: ٩٤].

والحمد لله على أن القرآن الكريم طهّر شأن هذا الرجل الكريم، وإلا فإن أهل الكتاب كانوا يصفون إمامهم هذا، بأنه صانع للأصنام داع إلى الوثنية.

وهل يقول عاقل بعد هذا كلّه أن القرآن يكرّر مضامين الكتاب المقدّس في قصصه؟.(١)

داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

١ – اقرءوا كتاب صموئيل الثاني، واقرءوا فيه الإصحاح الحادي عشر، الذي ورد فيه ذكر شبع امرأة أوريا الحتّى، وذكر داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وفي آخره:

«وضمّها (داود) إلى بيته وصارت له امرأة. فقبح (هذا الفعل) في عيني الرب».

والحمد لله على أن القرآن لا توجد فيه قصّة مثلها عن داود، بل القرآن يثني عليه

---

(١) بل نقول: إن القرآن الكريم يصحّح المعلومات الواردة في الكتاب المقدّس التي حرّفت أو بدّلت. (صلاح)

ويقول:

﴿يَدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦].

يقول بعض الناس إن قول الله:

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾ [ص: ٢١].

يتضمن قصّة أورياه هذه. ولا يصدر مثل هذا القول إلا ممن استولت على مشاعره القصّة الواردة في الكتاب المقدّس. فإن القرآن لا يوجد فيه حتى الإشارة إلى هذه القصّة.

ومن الطريف أن القصّة التي ذكرها القرآن عن قدوم هؤلاء الخصم، وتسوّرهم المحراب، لا يوجد لها ذكر في الكتاب المقدّس، وذلك يدلّ على أنّهما قصتان تختلف إحداهما عن الأخرى تمامًا.

إن القصّة التي ذكرها القرآن، يثبت منها أن يكون ولاة الأمر ورجال الحكم أكثر اهتمامًا بإقامة العدل وتعميم القسط منه بأداء النوافل، وأن يختاروا لمسكنهم موضعا يتسنىّ للمستغيث الوصول إليه، ولا يواجه الفقراء من الرعايا العراقيل والعقبات في الاستغاثة بهم.(١)

٢- واقرءوا سفر صموئيل الثاني (الإصحاح ١٣/ ١٤-٢٩)، الذي فيه قصّة أمنون ابن داود وأخته ثامار، وكذلك قصّة أبشالوم بن داود، الذي كان شقيقًا لثامار، وهي أنه دعا أمنون إلى المأدبة، وأمر خدمه فقتلوه.

٣- وكذلك في صموئيل (١٦/ ٢٠-٢٢) قصّة أبشالوم بن داود مع رابّته.

والحمد لله على أنه لا توجد في القرآن مثل هذه القصص، التي كرهنا أن نذكرها هنا بالتفصيل.

---

(١) بعد كتابة المقال المذكور بأشهر، اتفق لي أن قرأت كتاب «الفصل» لابن حزم (٤/ ٤٨): وقد أبطل هذا الإمام ظنّ الذين يصفون هؤلاء الخصم ملائكة، ويقولون: إن المراد بالنعاج النساء، وبقوله (إنما فتناه) صدور إثم عن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ:

- ورد في الإصحاح (٣/ ٥) من كتاب الملوك الأول:

«تراءى الربّ لسليمان في حلم ليلا، وقال الله اسأل ماذا أعطيك».

- وفي الآية (٩): «قال سليمان فأعط عبدك قلبا فهيما لأحكم على شعبك وأميز بين الخير والشرّ».

وفي الآية (١٢): «قال الربّ هوذا أعطيتك قلبا حكيما ومميزا حتى إنه لم يكن مثلك قبلك ولا يقوم بعدك نظيرك».

- وكذلك ورد في الإصحاح (٦/ ١١) من كتاب الملوك الأول ذكر نزول كلام الله على سليمان. ورغم كل هذه المحامد والمحاسن ورد أيضا في الإصحاح (١١/ ٤) من كتاب الملوك الأول:

«وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الربّ إلهه كقلب داود أبيه فذهب سليمان وراء عشتورث إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن».

ليتدبّر القراء، ولينصفوا هل يمكن أن يكون الرجل الذي شرّفه الله بالمثول بين يديه، وكلّمه وأعطاه قلبًا حكيمًا، ما أعطى مثله قبله ولا بعده أحدًا، والذي بنى بيت المقدس لعبادة الله، هل يمكن أن يكون قد مال إلى عبادة الأصنام، لأن أزواجه قلن بذلك؟

كلّا! وألف كلّا! ونفسي فداءً لتعاليم القرآن التي تقول:

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ ۝١٠٢﴾ [البقرة: ١٠٢].

وتقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۝١٦﴾ [النمل: ١٦].

وليعلم أن الله ذكر سليمان وحده وارثا لداود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، مع أن داود كان له سبعة عشر ابنا ذكورًا[1]. فظهر منه أن المراد بالوراثة هنا وراثة الكلام الإلهي، لا وراثة الأموال

---

(١) أسماء أبناء داود الستة الذين ولدوا بحبرون مذكورة في سفر صموئيل الثاني الإصحاح (٣/ ٢-٥)، وأسماء أبنائه الأحد عشر، الذين ولدوا في يروشلم، مذكورة في صموئيل الثاني. الإصحاح (٣/ ١٢-١٦).

والأمتعة.

وقد دعاني إلى ذكر هذه الآية هنا ما قد رأيته في كتاب الملوك الأول (١١/ ٤) في شأن سليمان:

«أن قلبه لم يكن كاملًا مع الربّ إلهه كقلب داود أبيه».

فكلما قرأ القارئ بعد هذه الفقرة قول الله عزّ وجلّ ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ ١٦﴾، ظهر له أن سليمان كان في طاعته لله ورضوانه ونبوّته على ما كان عليه داود أبوه من كل الوجوه، وأنه هو الوارث لميراث النبوّة عن داود.

أيوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ:

قد استقلّ الكتاب المقدس بكتاب عن أيوب، يشتمل على اثنتين وأربعين صفحة بخط دقيق، وفي القرآن ورد اسمه مرتين (في سورة النساء وسورة الأنعام) ضمن الأنبياء، أوردت قصته في موضعين، وفي كلا الموضعين، انتهت هاتان القصتان في سطرين.

ففي سورة الأنبياء:

﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾ [الأنبياء: ٨٣ – ٨٤].

وقد وصل الكتاب المقدس أيضًا، إلى نفس النتيجة، بعد بحث يمتدّ إلى اثنتين وأربعين صفحة، كما يظهر من كتاب أيوب (٤١/ ١٠-١٥).

ومن غريب ما ذكره الكتاب المقدّس ولا يوجد إليه أيّ إشارة في القرآن: هو البيان الوارد في كتاب أيوب (١/ ٦) وهو:

«وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الربّ وجاء الشيطان أيضا في وسطهم، فقال الربّ للشيطان من أين جئت؟».

- وقد وردت نفس الألفاظ في الإصحاح (٢/ ١-٢).

تدبّروا كم هو مستحيل حضور الشيطان مع الأنبياء في جناب الربّ جلّ وعلا؟ أليس فيه تذليل للأنبياء وإهانة لجناب الله؟.

ولا أدري إلى أي منقبة من مناقب أيوب يشير هذا البيان؟.

والحمد لله على أن القرآن لا توجد فيه مثل هذه الفقرة.

زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

١- **أورد لوقا في إنجيله** ذكر زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الإصحاح (١/ ٥-٢٥). وورد ذكره في القرآن في الحزب الأوّل من سورة مريم.

ولم يذكر لوقا نصّ دعاء زكريا، الذي هو موجود في القرآن، مع أن هذا الدعاء هو الذي يظهر منه: لماذا كان يرغب نبي الله في الولد... ألتلك الأغراض التي لأجلها يرغب الناس في الأولاد عامة، أم لغرض دينيّ غير هذه الأغراض؟.

ففي القرآن أن زكريا قال:

﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۝﴾ [مريم: ٥-٦].

هذه الألفاظ تدلّ على أنه كان يتمنّى ولدًا نبيا، يقوم معه وبعده، بنشر الدين الإلهي، ويعمل على إسعاد الأمّة والنهوض بها.

وهذا هو السبب الذي جعل دعوة زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تستحقّ الإجابة عند الله.

ولا يغتر أحد بكلمة «الإرث» بأن زكريا يسأل وارثا يرث عنه الأملاك الثابتة وغير الثابتة، فإنه إذا كان هو المراد بذلك، فكيف يمكن لابن زكريا الوحيد، أن يرث آل يعقوب، الذين لا يأتي عليهم الحصر؟.

إن كلمة آل يعقوب يدعو إلى مزيد من التفكير، حيث إن الله لم يقل «بني إسرائيل» وإنما قال آل يعقوب.

فهذان الدليلان يدلان على أن زكريّا لم يبغ من الله إلا ولدًا نبيا، ولذلك بشّر به فور دعائه.

وقد ذكر لوقا في الإصحاح (١/ ٢٥) هذا الأمر بالكلمات الآتية:

«هكذا قد فعل بي الربّ في الأيام التي فيها نظر إليّ ينزع عاري بين الناس».

هذه الألفاظ إنما تدلّ على أن زكريا لم يتمنّ الولد إلا للأغراض والآمال، التي يعقدها عبيد الدنيا بأولادهم عامة.

٢- جاء في إنجيل لوقا (١/ ٢٠) أن جبريل كان قال لزكريا:

«وها أنت تكون صامتا ولا تقدر أن تتكلّم إلى اليوم الذي يكون فيه هذا لأنك لم تُصدّق كلامي الذي سيتمّ في وقته».

ظهر من هذا أمران:

(١) جعل الله زكريا أبكم، جزاء بما لم يصدّق كلام جبريل.

(٢) كانت مدة بكمه إلى ولادة الولد الموعود به.

وفي القرآن الكريم أن زكريا كان سأل ربّه عن آية، حين بُشر بهذا الأمر، فجعل الله آيته: أنه ألا يكلّم النّاس ثلاث ليال إلا رمزًا.(١)

وهنا يستطيع القارئ أن يفهم: هل يستمدّ القرآن هذه المضامين من كتاب قبله، أم أنه يصلح خلل ما قبله، وينفي عن زكريا ما يُنسب إليه من عيب وعقاب وعتاب.

يحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

وصف يحيى في الإنجيل يوحنّا أى بـ«المُعَمّد»، وورد ذكره في إنجيل لوقا في الإصحاح(١/ ٥٧-٨٠)، ثم في الإصحاح(٣/ ١-٢٠)، ثم في الإصحاح(٧/ ١٨-٢٩).

وورد ذكره في القرآن في سورتي مريم وآل عمران بإيجاز.

ففي سورة مريم:

﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ۝١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ۝١٣ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ۝١٤ ﴾ [مريم: ١٢ - ١٤].

وجاء وصفه في سورة آل عمران بهذه الألفاظ:

﴿ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٣٩ ﴾ [آل عمران: ٣٩].

هذه الصفات الاثنتا عشرة لا نجدها في إنجيل لوقا كلّه.

ويفهم من هذا، أن ما ذكره القرآن عن زكريا من صفاته كثير، رغم إيجازه.

---

(١) قال عزّ من قائل: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ۝٤١ ﴾ [آل عمران: ٤١]. (صلاح)

ومن الخطأ أن يقال أنه مستمدّ من الكتاب المقدّس.

عيسى المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

- أخبر القرآن الكريم أن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان بشرًا، ويعتقد النصارى أنه إله.
- وكذلك أخبر القرآن أنه كان رسولا، وهم يقولون: إنه ابن الله.

وعلى ذلك لا يملك النصارى أن يقولوا: إن ما ورد في القرآن من أحوال المسيح مستمدّة من الأناجيل، ولذلك لسنا بحاجة إلى أن نفصل القول في المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

إلا أن إحسان القرآن على النصارى يبقى على الدوام، بأنه كذّب اليهود، ورفع من شأن عيسى، بعد وصف أمه مريم بالصدّيقة، وهكذا صدقت على الرسول ﷺ الفقرة الواردة في الإصحاح (١٦) من إنجيل يوحنا، وهي:

«ذاك الذي يُمجّدني».(١)

* * *

(١) بهذه الجولة الطويلة في رحاب القرآن الكريم، وذكر بعض النصوص من مختلف الأناجيل الموجودة أثبت بأن قصص الأنبياء الواردة في القرآن هي الأوفق والأنسب لمقام النبوّة والأنبياء.
وكذلك أثبت أن الأساطير الموجودة في الأناجيل، لا صلة للقرآن بها، بل القرآن يأتي بما هو حقّ ثابت في حقّ الأنبياء والرسل، وهو يردّ على مزاعم الكفار بقوله: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٢٥﴾ [الأنعام: ٢٥].
وتبيّن من هذا البيان الواضح الشافي أن القرآن من عند الله، وليس من صنع النبي ﷺ، **فيقال:** إنه يستوحيه من الكتب السابقة وأساطير الأولين، ثم يصوغه بأسلوبه الخاص، ويلقي على مسامع الناس.
قال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥]. (صلاح)

الباب الخامس

أفضلية سيّد المرسلين ﷺ

الباب الخامس
أفضلية سيّد المرسلين ﷺ

﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣].

الحمد لله الذي بعث في كل أمّة شهيدًا وجاء بمحمد ﷺ على هؤلاء شهيدا، وصلى الله تعالى عليه وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين صلاة كثيرًا كثيرًا.

أما بعد:

فأمر أفضلية سيّد المرسلين ﷺ إيمان كلّ مسلم، بل هو روح الإيمان، وهذه مسألة، لا تسهل معالجتها والخوض في غمارها لكلّ من يريد ذلك.

فنرى في بعض الأحيان أنّهم يختارون في هذه المسألة أسلوبا، إما أنه يقدح في ذات الله سبحانه وتعالى، وإما أنه يغضّ من شأن الأنبياء الآخرين. فيؤدي ذلك إلى ما نهي عنه في الحديث من «التخيير بين الأنبياء» وهذا مما نُهي عنه المسلمون.

علما بأن علماء السلف لا يعتبرون حديث «لا تخيّروا بين الأنبياء»[(١)] مانعًا من بيان فضل الرسول ﷺ، فقد استرسل الإمام أبو نعيم الأصفهاني[(٢)] والقاضي عياض[(٣)] المالكي من المتقدّمين في بيان هذه المسألة.

يقول القرآن الكريم:

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣].

قد تحقّق من هذه الآية وجود التفاضل بين الرسل، وأما إذا ثبت فضل النبي ﷺ على جميع

---

(١) أخرجه الشيخان عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [البخاري رقم ٦٩١٦، ومسلم رقم ٢٣٧٤].

(٢) أبو نعيم مؤلف كتاب حلية الأولياء من أعلام المحدّثين ولد سنة ٣٣٦هـ وتوفّي سنة ٤٣٠هـ. اسمه أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق.

(٣) كان القاضي عياض قاضيا بغرناطة، وكان إمامًا في الفقه والتفسير والحديث وسائر العلوم الإسلامية. وهو مؤلف كتاب «مشارق الأنوار» وكتاب «الشفا». ولد سنة ٤٧٦هـ وتوفّي سنة ٥٤٤هـ.

الرسل من القرآن، فإنه لا يكون حينئذ التخيير بين الأنبياء من قبل أحد من عباد الله، وإنما يكون بيانًا وتفسيرًا لإرادة الله عزّ وجلّ، وهو مما اتفق على جوازه العلماء، بل جعلوه واجبا.

كلّ ذلك دفعني إلى أن لا أتمسّك في هذا الأمر إلّا بالآيات القرآنية، وأسأل الله تعالى أن يجنّبني مما قد نُهي عنه من التخيير، كما ألتمس من العلماء الكرام أن يوصلوا بداية نشاطي في هذا المنهج إلى نهاية المطاف.

وهذا البحث في وضعه الحالي ناقص حتى عند المؤلف نفسه، وهو يحتاج إلى شرح بعض المواضيع الدقيقة، والتي أردت إلحاقها بالجزء الثالث من هذا الكتاب. ولم نذكر في هذه المقالة إلا الأنبياء الذين وردت أسماؤهم في القرآن الكريم.

ويمكن لبعض القراء بعد دراسة موضع من المواضع أن يقول: إنه كيف يدلّ هذا المقام على فضل الرسول ﷺ، ولكنهم إذا رأوا أن كثيرا من الفضائل تختصّ ببعض الأنبياء والرسل، وأنّها جميعًا تتجلّى في الرسول ﷺ أيضا، أدركوا معنى قول الله: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ۝٩٠﴾ [الأنعام: ٩٠].(١)

---

(١) ذكر الله عزّ وجلّ في سورة الأنعام [٨٣-٨٩] ثمانية عشر نبيًا من أنبيائه بصفاتهم وخصائصهم وفضائلهم، وأخلاقهم وآدابهم، ومناصبهم من أخذ الكتاب والحكم والنبوة، ثمّ أمر سبحانه وتعالى نبيّه ﷺ بالاقتداء بهم قائلا: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَـٰلَمِينَ ۝٩٠﴾ [الأنعام: ٩٠].

فالأمر في هذه الآية يوضّح جليًا أن النبي ﷺ امتثالًا به بعد توفيق الله تعالى اقتدى بهديهم، وحاز فضائلهم جميعًا.

وانطلاقا من هذا المبدأ، يذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب فضائل الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ وخصائصهم، الواردة في القرآن، ثمّ يوضّح في ضوء الآيات ما للنبي ﷺ من نصيب منها، حتى يتبيّن فضل اقتدائه بهديهم، كما نصّ عليه القرآن بكل وضوح: ﴿وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمًا ۝١١٣﴾ [النساء: ١١٣].

(ههنا تنبيهان):

الأوّل: هناك فرق بين الاقتداء بهم، وبين الاقتداء بهديهم المأمور به النبي ﷺ.

الثاني: لا بدّ من الانتباه للوقوع في الإفراط والتفريط المنهي عنهما، بما رواه البخاري (٣٤٤٥) عن عمر بن الخطاب أن النبي ﷺ قال:

«لا تطروني، كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله، ورسوله.» (صلاح)

آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

فضائل آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كثيرة وهي مما اتصفت به شخصية الرسول ﷺ أيضًا.

١- **قال تعالى:** ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ۝٣١﴾ [البقرة: ٣١].

ذكر الله آدم في هذه الآية كتلميذ ربّاني، ولا شك أن تحتلّ تلك النفس الزكية، التي تولّى تعليمها الله، درجة كمال العلم وقمة الفضل.

- وقال تعالى في شأن النبي ﷺ:

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ۝١٥١﴾ [البقرة: ١٥١].

ذكر الله محمدًا ﷺ في هذه الآية كأستاذ ومربّ للعالم أجمع.

وكلمة الكتاب في هذه الآية، تشمل جميع الشرائع الإلهية، كما أن كلمة الحكمة تتضمن سائر العلوم الفاضلة والمعارف النافعة. وكذلك قوله:

﴿مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ۝١٥١﴾ [البقرة: ١٥١].

يدخل فيه جميع ما في عالم الملكوت من أسرار مكنونة، وغوامض مكتومة، مما لم يكن يعرفها العالم المادّي، ولا الشعوب المتحضرة إلى زمن البعثة النبويّة الشريفة.

٢- **قال تعالى في آدم** عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ۝١١٥﴾ [طه: ١١٥].

- أخبر في هذه الآية ما في آدم من صفة البشرية، وأن النسيان من لوازم البشر، فليس ينبغي لأحد أن يقدح فيه، ويعيبه على ما فرط منه من فعل أو ترك فعل نسيانا.

- وقال تعالى في شأن الرسول ﷺ ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾ [الأعلى: ٦].(١) إن كلمة «سنقرئك» في هذه الآية تظهر ما في كلمة «وعلّم آدم» من معنى، كما تبين لنا أن الله تعالى

---

(١) ليعلم أن سهو النبي ﷺ مذكور في ثلاثة أحاديث صحيحة. ففي حديث ذي اليدين أنه سلم على ركعتين، وفي حديث ابن بحينة أنه قام من الركعتين، وفي حديث ابن مسعود: أنّه صلى الظهر خمس ركعات. وهذه الأحاديث لا تعارض عندنا القرآن. فإن النسيان أمر، والسهو أمر آخر وذلك لأن النسيان يتعرض فيه الذهن للذهول والغفلة والآفة، وفي السهو لا يتعرّض الذهن لهذه الأشياء، وإنما هو شغل. والآيتان المذكورتان قد ورد فيهما لفظ النسيان، لا السهو. كما وأن النسيان يتعلّق بالعلم والسهو بالفعل.

هو المقرئ للنبي ﷺ.

وقد نفى النسيان عن النبي ﷺ في هذه الآية، وأخبر أنه أعظم شأنا وأجلّ من الغوائل البشرية.

٣- وقال تعالى في آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: ٣٧].

يظهر من هذه الآية أن الله أكرم آدم بالوحي، وطهّره من الفعل السيء العاقبة. وذكر الله ما جاء به النبي ﷺ من يمن وبركة، فقال:

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴿٢٥﴾﴾ [الشورى: ٢٤ – ٢٥].

فقد ورد في هذه الآية ذكر ما أعطاه الله النبي ﷺ من كلمات، وذكر ما فيها من فوائد وفيوض، تنتفع بها الأمة الإسلامية.

٤- وقال تعالى في آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة: ٣٥ – ٣٦].

هذه الآية ذكرت فيها الشجرة كشيء ابتلي به آدم وزوجته، وكذلك ذكر فيها مصيرهما حين خالفا أمر الله، وهو أنهما ظلما أنفسهما، فأخرجا من الجنة، وأهبطا، وكان بعضهم لبعض عدوًّا.

وقد ذكر القرآن الكريم في أحوال النبي ﷺ الشجرة أيضا، فقال:

﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ [الفتح: ١٨ – ١٩].

وهذه الشجرة هي أيضا موضع بلاء، وكانت نتيجة هذا البلاء أن الله رضي عن المؤمنين، وعلم ما في قلوبهم من إخلاص، وأنزل عليهم السكينة، وأفاض عليهم الرحمة والطمأنينة، وأغدق عليهم الفتوح والمغانم في حاضرهم ومستقبلهم.

٥- وأخبر الله عن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤].

يبدو من هذه الآية علو شأن آدم وسمو مكانته.

وأخبر الله عن النبي ﷺ فقال:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

كلمة «يصلّون» تدلّ على الاستمرار والدوام، ويُعلم منها أن الملائكة لا يزالون يصلّون على النبي، وبما أن الله سبحانه وتعالى نسب الصلاة إلى نفسه، سما بشأن النبي ورفع مكانته.

إدريس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ:

عاش إدريس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في فترة ما بين آدم ونوح.

- قال تعالى في شأنه:

﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٤١﴾ [مريم: ٤١].

- وقال في شأن محمد ﷺ:

﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ ۝٣٣﴾ [الزمر: ٣٣].

- وكذلك ورد في إدريس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ:

﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم: ٥٧].

- وورد في شأن النبي ﷺ.

﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ۝٤﴾ [الشرح: ٤].

وقد جاء تفسير ذلك في الحديث القدسي، بأنه كلّما ذكر اسم الله، ذكر معه اسم محمد ﷺ[1] فليس هناك موضع من الأذان والتكبير والتشهّد والخطبة والصلاة لم يذكر فيه

---

(١) ذكره أبو نعيم في الدلائل كما في تفسير ابن كثير: في تفسير هذه الآية من طريق عثمان بن عطاء عن الزهري عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قال: قال النبي ﷺ: «لما فرغت من أمر السموات والأرض، قلت: يا رب إنه لم يكن نبيّ قبلي إلا قد كرمته، إلى أن قال: أو ليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله، أن لا أذكر إلا ذكرت معي....»

قال ابن كثيرفي البداية والنهاية: (/ ٣٦٩): «هذا إسناد فيه غرابة.»

وسنده ضعيف لضعف عثمان بن عطاء وهو الخراساني، كما في طبعة الدكتور حكمت لتفسير ابن كثير: (٠٧/ ٥٩٦) دار ابن الجوزي. (صلاح)

اسمه ﷺ.(١)

أما الدعاء فقد ورد فيه اسمه في الصلاة على النبي ﷺ. وهذه كلها من مناسك الإسلام.

وقد ذكر الأنبياء السابقون كثيرًا عن مولد النبي ﷺ ومهجره وصفته ومكارم أخلاقه ومحاسنه: مثل إبراهيم ويعقوب وموسى وداود وسليمان ويسعياه ويرمياه ودانيال وحزقي إيل وجلقوق وملاكي ويحيى وعيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

فهؤلاء كلّهم نعتوا أوصاف النبي ﷺ في أساليب رائعة عجيبة، وهذا مما يدلّ دلالة واضحة على سمو ذكره ﷺ.

وسنذكر تنبؤاتهم المذكورة في الجزء الثالث مفصّلا، إن شاء الله.

إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ:

روى البخاري أن النبي إدريس هو الذي اسمه إلياس(٢)، ولذلك يذكر مع إدريس.

---

(١) لقد صحت في تفسير هذه الآية آثار، منها: قال مجاهد: لا أذكر إلا ذكرت معي أشهد. ذكره الطبري وسنده صحيح.

قال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. (ذكره الطبري وسنده صحيح)

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمّد

(راجع «معالم التنزيل» للبغوي: ٤/ ٥٠٢، وابن كثير: ٧/ ٥٩٧، وديوان حسّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ٤٧). (صلاح)

(٢) رواه البخاري (كتاب الأنبياء الباب رقم: ٤) ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الصافات: ١٢٣] تعليقًا ما بين الحديثين (٣٣٤١-٣٣٤٢). وقال: يذكر عن ابن مسعود و ابن عباس أن إلياس هو إدريس.

قال الحافظ ابن حجر: «أما قول بن مسعود فوصله عبد بن حميد، وابن أبي حاتم بإسناد حسن عنه، قال: إلياس هو إدريس، ويعقوب هو إسرائيل.

أما قول بن عباس فوصله جويبر في تفسيره عن الضحاك عنه وإسناده ضعيف، ولهذا لم يجزم به البخاري.» (فتح الباري٦/ ٤٦٥-٤٦٦ طبعة محمود بن الجميل). (صلاح)

وقد ثبت من كتاب الله أن إلياس وعظ قومه وكرّه إليهم عبادة بعل، ودعاهم إلى التوحيد:

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الصافات: ١٢٤ – ١٢٥].

إن تكذيب إله بذكر اسمه، يحتاج إلى جرأة وافية وشجاعة كافية فإنه تشتدّ به الخصومة، ويتفاقم به الأمر، وقد شنع النبي ﷺ على آلهة العرب المشهورة اسما اسما، وأتمّ بذلك الحجة على المشركين، ودعاهم إلى التوحيد، قال تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم: ١٩ – ٢٣].

تجشم النبي أنواعا من البلاء، وألوانا من المحن، لأنه رفع صوته ضد كثير من الآلهة.

نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

هو أوّل رسول من الله، ركّز جهوده على الدعوة إلى التوحيد، وتحمّل في سبيل الله الشدائد، راضيا منشرح الصدر.

١- ورد ذكره في مواضع من القرآن:

فمنها موضعان: ذكر فيهما النبي نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ونبينا محمد ﷺ في آية واحدة، وفي كل من الموضعين قدم ذكر النبي ﷺ على نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

(أ) ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء: ١٦٣].

(ب) ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب: ٧].

فالآية الأولى تخبر بأن الوحي إلى جميع الأنبياء واحد في حقيقته.

والآية الثانية تخبر بأسماء أولي العزم من الرسل.

وتأمّلوا أيضا، إن الأسماء ذكرت من نوح إلى عيسى، قد روعي فيه الترتيب الزمني، أما اسم النبي ﷺ فتقدّم ذكره على سائر الأسماء، والترتيب يقتضي أن يذكر بعد عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

٢- قال تعالى في شأنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴿١﴾﴾ [نوح: ١].

هذا وسورة التوبة والشعراء وصٓ وهود كلّها تبين أن نوحًا لم يرسل إلا إلى قومه، أما نبينا محمد ﷺ فقال الله تعالى فيه:

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ... ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ظهر من هذه الآية أن الله جعل رسالة محمد ﷺ شاملة للعالم أجمع.

٣- حكى الله عن نوح قوله، فقال:

﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [الشعراء: ١١٤].

هذه الآية تنبئ عن ما كان عليه نوح من حسن خلق، كما تبين حال عطفه على المؤمنين، وبذلك أمر الله تعالى النبي ﷺ أيضًا، فقال:

﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ... ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

٤- قال الله تعالى لنوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

﴿ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ... ﴿٤٨﴾ ﴾ [هود: ٤٨].

علم من هذه الآية أن الله أنزل بركات على من كانوا مع نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من الأمم، لأجل مصاحبتهم إياه.

وقال الله مخاطبا أمة النبي ﷺ:

أ- ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

ب- ﴿ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [المائدة: ٦].

ج- ﴿ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأنفال: ١١].

في هذه الآيات الثلاث وعد الله تعالى أصحاب محمد ﷺ بالصلاة عليهم، والتطهيرلهم، وإتمام النعمة عليهم، وإذهاب رجز الشيطان عنهم، والربط على قلوبهم، وتثبيت أقدامهم، ودخل معهم في جميع ما وعدهم الله به الذين اتبعوهم بإحسان. هذه البركات كلّها نالتها أمة محمد ﷺ لاتباعها وحبها لنبيّها ﷺ.

هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:[1]

كان قومه يعترضون عليه في نبوّته، بأنه بشر، حكى القرآن الكريم عنهم قولهم فقال:
﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ [هود: ٢٧].
وكان هذا هو اعتراض كفار مكة على النبي ﷺ:
وقال: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤].
وكان الأغنياء من قوم هود يقولون لهود:
﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ...﴾ [هود: ٢٧].
ومثل ذلك قال المتكبرون الجبابرة في مكّة لأصحاب النبي ﷺ:
﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٣].

فالذين وصفهم هؤلاء الكافرون المغرورون بالسفهاء، رأى العالم أنهم هم الذين ملأوا الدنيا أمنا وسلاما، ولقّنوا درس المساواة، وأمدّوا جزيرة العرب ومصر وإيران والشام والعراق وفلسطين بالعلوم والمعارف والحضارة، والتمدّن. إذا كان هذا شأن أتباع محمد ﷺ فكيف بالنبي ومنصبه الرفيع العليّ؟

قال هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لكفرة قومه:
﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ...﴾ [هود: ٣١].

وقد وردت نفس الألفاظ في الآية رقم (٥٠) من سورة الأنعام، ووردت فيها أولها كلمة «قل»، التي تدلّ على أن الله أمر نبيّه بإبلاغ هذه الألفاظ للناس، والغرض من ذلك ليعلموا أن نبيّ الله لا يحب لنفسه السمعة الكاذبة، بل يكفيه ما قدره الله له من ثناء صادق وذكر حسن.

صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[2]:

أخبر الله تعالى بأن دعوة صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إنما كانت تدور حول إثبات التوحيد

---

(١) عاش هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قبل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.
(٢) عاش صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قبل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ .

وإبطال الشرك:

﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود: ٦١].

وكانت دعوة النبي ﷺ كما أمره بها ربّه تعالى:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر: ١٠ – ١٥].

تدبروا في هذه الآيات التي تتعلق بصميم دعوة النبي ﷺ، كيف كان يدعوهم بها إلى التوحيد الخالص بأحسن وجه، وأروع أسلوب.

إبراهيم خليل الرحمن عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

كان بين النبي ﷺ وبين سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وشيجة تامة، ومشاكلة كاملة، وإبراهيم هو الذي دعا الله تعالى ليبعث في مكّة رسولا منهم.

وقول الله سبحانه لنبيه ﷺ:

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣].

يطلب منّا التفكير في الأمور التالية:

١- ألقي إبراهيم في النّار، فذكر ذلك سبحانه فقال:

﴿يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩].

- **وقال سبحانه في شأن نبيه ﷺ:**

﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة: ٦٤].

٢- بنى إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الكعبة المشرّفة:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧].

- واختارها النبي ﷺ قبلة له، فأنزل الله حكمه بذلك لما قد رأى قلبه يميل إليه:

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [البقرة: ١٤٤].

٣- حطم إبراهيم الأصنام:

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ [الأنبياء: ٥٨].

- وكذلك طهّر النبي ﷺ الكعبة من أرجاس ثلاث مائة وستين صنما، وأبطل عبادتها إبطالا أبديا:

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

٤- تزوّج إبراهيم في أول عمره زوجة واحدة، واكتفى بها ثم عدد في آخر عمره.

- وبذلك عمل النبي ﷺ.

٥- أذّن إبراهيم في الناس بالحجّ:

﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧].

- **وجاء النبي ﷺ بفريضة الحج، مع شرط الاستطاعة:**

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

٦- جعل الله إبراهيم أسوة حسنة بصفة جميلة وهي البغض لله:

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الممتحنة: ٤].

- **وكذلك جعل الله النبي أسوة حسنة لصفة حسنة، وهي الحبّ في الله:**

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وبهاتين الصفتين يكمل الإيمان بالله تعالى، وفيهما جعل الأب الأعظم (إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وسيّد ولد آدم (محمد ﷺ) أسوة حسنة للعالم، فعلى الناس أن يعرفوا سيرتهما، وأقوالهما وأفعالهما حتى لا يصدر منهم إلا ما هو مقبول عند الله عز وجل من قول أو فعل أو عمل.

٧- أشاد الله بخُلُق إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وأثنى عليه، فقال:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

- وكذلك وصف القرآن الكريم خلق النبي ﷺ ونوّه به فقال:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ۝١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٨- **ذكر القرآن الكريم** ما جرى بين إبراهيم وبين منكري وجود الله من مباحثة ومناظرة، فقال:

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ۝٢٥٨﴾ [البقرة: ٢٥٨].

- وكذلك ذكر القرآن الكريم ما أقامه النبي ﷺ من حجج وبراهين على منكري البعث فقال:

﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠﴾ [يس: ٧٩ – ٨٠].

وهناك وجه آخر تثبت به المشابهة بين الواقعتين، وهو أن البراهين التي أقامها إبراهيم كانت من الله، آتاها الله إبراهيم، كما قال تعالى:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ... ۝٨٣﴾ [الأنعام: ٨٣].

كما أن البراهين التي احتج بها النبي ﷺ هي أيضًا من الله تعالى، أوحى إليه إياها. وكلمة «قل» في الآية المذكورة تكشف عن هذا السرّ.

لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[1]:

هو ابن أخي إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأوّل من آمن بإبراهيم بعد سارة زوجة إبراهيم، هاجر إلى الله حبًا لخليل الرحمن، وتغرّب في البلاد.

١- **هدّده قومه بالإخراج:**

﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ۝١٦٧﴾ [الشعراء: ١٦٧].

- وقد همّ الناس بإخراج النبي ﷺ كذلك، أخبر بذلك القرآن:

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣﴾ [التوبة: ١٣].

---

(١) عاش لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قبل مولد المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بنحو ١٨٩٨ سنة ولا يعرف زمن وفاته.

٢- أخبر الله سبحانه عن حال قوم لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذه الألفاظ الموجزة المعجزة:

﴿كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ﴾ [الأنبياء: ٧٤]

- **وقال تعالى يمدح النبي ﷺ ويثنى عليه:**

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

٣- **ذكر القرآن الكريم نزول الملائكة** لنصرة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتدمير أعدائه:

﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَ﴾ [هود: ٨١]

- وقال الله لنبيه ﷺ يخبره عن إمداده إيّاه بالملائكة:

﴿يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥﴾ [آل عمران: ١٢٥]

إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ:

١- يخبر القرآن عن صفة إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ فيقول:

﴿كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ ٥٤﴾ [مريم: ٥٤].

- وذكر الله سبحانه على لسان المؤمنين إنجاز ما وعد به النبي فقال:

﴿قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ ٢٢﴾ [الأحزاب: ٢٢].

٢- وكذلك أخبر عن صفة إسماعيل، فقال:

﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ ٥٥﴾ [مريم: ٥٥].

هذه الآية تعلّم الداعي أن تبدأ دعوته بأسرته وأهله.

- وقال تعالى للنبي ﷺ:

﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ ١٣٢﴾ [طه: ١٣٢].

﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤].

في هاتين الآيتين أن النبي ﷺ بلّغ رسالته عشيرته الأقربين أيضًا بعناية خاصّة، كما بلّغها أهله.

٣- **قال تعالى:**

﴿وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥﴾ [البقرة: ١٢٥].

- وظاهر أن إسحاق وذرّيته ليست داخلة في هذا العهد، وابن إسماعيل وهو النبي ﷺ قد أعلن للناس أمر الله تعالى بما حكاه القرآن:

﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤].

ويظهر منه أن النبي ﷺ هو الذي دلّ أن الكعبة هي قبلة مساجد الدنيا كلّها لا غير.

إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قلما أفرد القرآن ذكر إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإنما يذكر اسمه مع إبراهيم[1] أو إسماعيل أو يعقوب عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

١- **قال تعالى:**

﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾ [الصافات: ١١٢].

- واضح من هذا، أن إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ بشّر به قبل ولادته وكفى به فضلًا وعلوًّا.

٢- **وأخبر سبحانه عن النبي ﷺ أن عيسى قال للناس فيه:**

﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ:[2]

١- ذكر القرآن الكريم وعظ يعقوب لبنيه:

﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ

---

(١) كان عمر إبراهيم مائة سنة كاملة، حين ولد له إسحاق، وكان إسحاق ابن أربعين سنة حين تزوّج ربقة (وهي حفيدة نحور: أخي إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وكان ابن ستين سنة حين ولد له توأمان عيسو ويعقوب. قضى معظم حياته في أرض فلسطين، وتوفّي وهو ابن ١٨٠ سنة، ودفن بجنب أبيه إبراهيم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

(٢) لما بلغ أشده توجه إلى بيت خاله وتزوّج ابنتين له. قضى هناك عشرين سنة ثم رجع إلى الشام ولقبه الله بإسرائيل في عودته. توفّي إسحاق بعد عودته. وبعد وصوله إلى الشام ألقى إخوة يوسف في غيابة الجب ولما علم بوجود يوسف قدم مصر مع أبنائه وأحفاده وأزواجه الذين كانوا ٦٨ رجلا. وقضى بها ١٧ سنة. وتوفّي وهو ابن ١٤٧ سنة. حنطوا نعشه بالعطور أربعين يوما، حملوه إلى كنعان ودفنوه في مقبرة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣٣].

- وهذا ما دعا إليه النبي ﷺ أيضًا العالم كله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

٢- وكان من تعاليم يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧].

- وهذا مما علّمه النبي ﷺ أيضًا أمته:

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩].

٢- حضر بنو يعقوب الآثمون يسألونه:

﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾ [يوسف: ٩٧].

فأجابهم يعقوب:

﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ [يوسف: ٩٨].

- أخبر الله سبحانه وتعالى بمكانة النبي ﷺ رحمة للعالمين، مخاطبًا جميع أهل الأرض، فقال:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء: ٦٤].

ولكي نعرف علوّ مكانة النبي ﷺ، علينا أن نقف وقفة تأمّل عند قول الله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾. وهذا للتأكيد على أن نصلّي على النبي ﷺ في أوّل الدعاء وآخره، فإن الرعيل الأوّل كان بإمكانهم أن يحضروا إلى النبي ﷺ، ويسألوا أن يدعو لهم، فلما انقرض ذلك العصر الميمون، لم يبق للناس طريق إلا أن يصلّوا على النبي ﷺ، ويستحقّوا بذلك رحمة الله وبركاته.

اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد في الأولين والآخرين وفي الملأ الأعلى إلى يوم الدين.

يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وصف يوسف في الحديث الشريف بالكريم، هو «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم».[١]

١- ووردت في القرآن قصة رؤياه:

﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۝٤﴾ [يوسف: ٤].

تحققت رؤيا يوسف هذه بعد بضع سنوات، بحيث خرّ له إخوته سُجّدا حين دخلوا عليه في مصر آمنين، ولقي يوسف خلال هذه السنوات شدائد ومحنا لعداء أخوته له، وواجه إخوته أيضا مصائب ومتاعب كثيرة، لأنهم ما كانوا يعلمون أن وجوده فيهم مبعث يمن وبركة لهم.

- وقد ذكر القرآن الكريم رؤيا النبي ﷺ أيضا، فقال:

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۝٢٧﴾ [الفتح: ٢٧].

لم يلبث أن تحققت هذه الرؤيا بعد سنة واحدة.[٢] عاش النبي ﷺ ثماني سنوات بعيدا عن مكّة، ونكب أهلها خلال هذه الفترة بالجدب والحرب. ورؤيا يوسف يوجد فيها وجه من الاستعارة، أما رؤيا النبي ﷺ أوضح وأجلى من أي استعارة وإلى ذلك تشير كلمة «بالحق» في الآية المذكورة.

٢- إن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وجّهت إليه التهمة من قبل امرأة العزيز، ووجّهت التهمة إلى النبي ﷺ باسم امرأة زيد كذلك، إلا أن هناك فارقًا بين الواقعتين بحيث رمي يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بالفاحشة، واتهمّ النبي ﷺ بأنّه تزوّج من زوجة ابنه.

---

(١) تكملته: «يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم» (البخاري ٤٦٨٨)، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. (صلاح)

(٢) رأى النبي ﷺ في المنام أنه يدخل مكة ويطوف بالبيت وهو في المدينة قبل خروجه إلى الحديبية ولكن تحققت هذه الرؤيا بعد عام حين دخل مكة معتمرًا هو وأهل الحديبية. (راجع تفسير ابن كثير: سورة القصص: ٢٧). (صلاح)

٣- **كانت مؤامرة إخوة يوسف ضدّ يوسف**، كما قال القرآن:

﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا ۝٩﴾ [يوسف: ٩]

- وكانت مؤامرة قريش ضدّ النبي ﷺ كما قال القرآن:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۝٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠].

نجحت مؤامرة إخوة يوسف، فألقوه في غيابة الجبّ، ولكن الله حفظ النبي ﷺ من شرّ أعدائه.

٤- **دخل إخوة يوسف عليه، يقولون له:**

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۝٨٨﴾ [يوسف: ٨٨].

- وكذلك ابتلي أهل مكّة بالجدب، ومسّهم الضر بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، وهو المذكور في الآية التالية:

﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١﴾ [الدخان: ١٠ – ١١].

وبذلك فسّر ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هذه الآية، كما في صحيح البخاري.(١)

٥- **أوفى يوسف لإخوته الكيل من مصر.**

وأمر النبي ﷺ ثمامة بن أثال، فبعث الغلّة إلى أهل مكة من نجد.

شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أرسل شعيب نبيّا إلى قوم مشركين، أثرياء مطففين الكيل، ولذلك كانت مواعظه أكثر الأحوال، بعد عظته لهم بالتوحيد.

١- **ذكر القرآن الكريم مواعظ شعيب لقومه، فقال:**

﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ ۝٨٥﴾ [هود: ٨٥].

- وقد أرشد النبي ﷺ أيضا أمته إلى ذلك، كما تدلّ عليه الآيات التالية:

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩﴾ [الرحمن: ٩].

---

(١) صحيح البخاري: (رقم ٤٨٢١). (صلاح)

﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣﴾ [المطففين: ١ – ٣].

٢- وأخبر سبحانه وتعالى عن شعيب:

﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ٨٨﴾ [الأعراف: ٨٨].

- وكذلك ذكر القرآن الكريم ما لقيه أصحاب النبي ﷺ من نفي وإخراج وما قاموا به من نصرة الله ورسوله، فقال:

﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ ٨﴾ [الحشر: ٨].

٣- إن قوم شعيب قالوا له لما أعجزتهم أدلته:

﴿يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ ٩١﴾ [هود: ٩١].

- هكذا واجه الكفار النبي ﷺ:

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ...﴾ [فصلت: ٥]

- وأجابه اليهود أيضًا بمثل ما أجابه المشركون:

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ ٨٨﴾ [البقرة: ٨٨].

٤- قال قوم شعيب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ له:

﴿يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ ٨٧﴾ [هود: ٨٧].

يبدو أن هؤلاء القوم المرابين يتمنّون أن يرضوا نبيّهم بصلاتهم، ويستمروا أيضا في أكل الربا بالبقاء على شركهم الموروث، وإن لم يكن لهم الجمع بين الصلاة وبين أكل الربا تخلوا عن مثل هذه الصلاة، وإذا لم يتمكنوا من الجمع بين هذه الصلاة والوثنية رفضوا أيّ أمر لنبيّهم رأسا.

- وممكن أن يكون قد تمنّى رجل من الأغنياء مثل هذا التمنّي قبل إسلامه في زمن النبي ﷺ أيضًا، فأنزل الله تعالى الآية الآتية للقضاء على أمنية مثل هؤلاء حتى يجعل المسلمين أكمل إيمانًا:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ۝٢٧٩﴾ [البقرة: ٢٧٨ – ٢٧٩].

وقد لاح لي من هذه الآية أنه إذا رفع أحد أمره إلى القاضي، ليتقاضى رأس ماله من القرض مع الربا، فعلى القاضي أن يرفض دعواه كلّية، فإن الحصول على رأس المال، إنما يتوقّف على التوبة: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

كليم الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

يمتاز موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بين أنبياء بني إسرائيل بميزة خاصة، وهي كما في التوراة أنه لم يرسل نبيّ إلى بني إسرائيل كموسى. (التثنية ص:٣٣)

١ – يخيّل إليّ حين أدرس أخبار موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أنه ولد يتيمًا. ويؤيّد ظنّي هذا وحي الله إلى أمّ موسى، أن تلقي موسى في اليمّ، وقولها لابنتها: ﴿قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١١﴾ [القصص: ١١]. ولم يذكر أبو موسى في الموضعين.

– وكان النبي ﷺ قد أصبح يتيما كذلك، قبل أن يتنفّس في هذه الدنيا.

٢ – ربّت آسية موسى، فاستوجبت الفضيلة.

– وكذلك عاملت حليمة السعدية النبي ﷺ معاملة الأم لابنها، فاحتلت مكانة القبول والرضا.

٣– نجا موسى من أعدائه.

– وكذلك نجا النبي ﷺ ممن حاصروه من المشركين، وذرّ الرماد في عيونهم، وأخذ طريقه إلى غار ثور.

٤ – عرفت ابنتا شعيب[1] موسى لما كان يتّصف به من صفة القوّة والأمانة.

---

(١) قد اختلف المفسّرون في هذا الرجل من هو؟ على أقوال:
أحدهما: أنه شعيب النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي أرسل إلى أهل مدين، وهذا هو المشهور عند كثير من العلماء.
وقد وردت أقوال أخرى كثيرة. وقال ابن جرير بعد ذكر الأقوال: «والصواب أن هذا لا يدرك إلا بخبر، ولا خبر تجب به الحجّة.» (راجع تفسير ابن كثير: القصص: ٢٥). (صلاح)

- وعرفت خديجة النبي ﷺ لما كان يتّصف به من صفة الصدق والأمانة ففدته بنفسها.

٥- حكى الله تكليمه مع موسى فقال:

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [القصص: ٢٩ – ٣٠].

- جاء ذكر هذه الرؤية -نظرًا إلى الحياة الظاهرة- بكلمة النار، والوادي، والشجرة، والنداء.

- وجاء ذكر رؤية النبي أيضًا في القرآن. وفيما يلي الآيات التي تتعلق برؤيته ﷺ:

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١].

وقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١٣ – ١٨].

وقال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١].

وقال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١٠].

- لا يعلم أحد على وجه الدقّة ما في هذه الرؤية من الروحانية، والمشاهدة العينية، واليقين القلبي إلا الله ثمّ رسوله، ولكنّ جزالة اللفظ، وفخامة المعنى، وعلو المفهوم، يجعل هذه الكيفية العجيبة متصوّرة متشكلة في العقل البشري، بحيث يتلذّذ بها القلب ويتكيّف، مع ما فيها من حيرة واستعجاب.

٦- اتبع فرعون موسى وبني إسرائيل، وكاد يدركهم إذ نادى بنو إسرائيل:

﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الشعراء: ٦١].

فأجابهم موسى: ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء: ٦٢].

تدبّروا قليلا، فموسى لم يُدخل معه قومه في المعية الربانية، لأنهم في الأغلب كانوا

بعدُ على المكانة المنحطّة، التي لم تؤهّلهم لهذه المعية حتى الآن.

- ومثل ذلك وقع للنبي ﷺ كان هو وأبو بكر في غار ثور، والكفّار قد وصلوا إليه، كان لسان أبي بكر ساكت، ولكن قلبه يموج حزنا وأسى وهنالك قال النبي ﷺ:

﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

إذا تأملنا في قول موسى (معي) وقول النبيّ (معنا)، علمنا ما يملكه النبي ﷺ من قوة العاطفة، حيث أشرك صاحبه معه في المعية الإلهية، التي كانت له وحده فداه أبي وأمي.

٧- إن بني إسرائيل رفضوا الامتثال بأمر موسى بالجهاد، وأجابوه:

﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

فعاقبهم ربّهم على ذلك، وقال:

﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦].

غفر لهم خطيئتهم هذه بعد أربعين سنة، فجاهدوا مع يوشع بن نون، بعد ما توفّي موسى، فانتصروا.

- وكذلك وقع للأعراب في زمن النبي ﷺ، قال تعالى:

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الفتح: ١٦].

نزلت سورة الفتح سنة سبع من الهجرة، ولم يُدع هؤلاء المخلفون إلى الجهاد في حياة النبي ﷺ، لأن القرآن كان قد أخبرهم حين استأذنوا النبيّ للجهاد:

﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣].

وفي السنة الحادية عشرة من الهجرة دعا أبو بكر جميع القبائل والأفراد إلى الجهاد، فاجتمعوا له زرافات ووحدانا.

وتبيّن منه فضل النبي ﷺ، حيث كانت خطيئة بني إسرائيل وخطيئة المسلمين من الأعراب واحدة، إلا أن بني إسرائيل غفر لهم ذنبهم بعد أربعين سنة، قضوها حائرين متغربين، وغفرت للمسلمين خطيئتهم خلال أربع سنوات.

كما ثبت منه أن دعوة أبي بكر إلى الجهاد كانت من أمر الله، وخلافته كانت كخلافة

يوشع بن نون. ويتم وجه التشبه حين نرى أن الأرض الموعودة بشّر بها موسى قومه، وتمت هذه البشرى على يد يوشع بن نون.

وكذلك بشّر النبي أصحابه بالأرض الموعودة، وتمّ ذلك في العصر الميمون من خلافة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٨- وذكر القرآن الكريم ما صارت إليه عداوة فرعون لبني إسرائيل وظلمه لهم، فقال:

﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٨ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ۝٥٩﴾ [الشعراء: ٥٧ – ٥٩].

وكذلك أجلب الكفار بخيلهم ورجلهم على النبي ﷺ والمسلمين، فذكر الله مصيرهم، فقال:

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۚ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝٢٥ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝٢٦ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝٢٧﴾ [الأحزاب: ٢٥ – ٢٧].

٩- لما بشّر موسى بالنبوّة قال:

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٢٥﴾ [طه: ٢٥].

- وقال الله في شأن النبي ﷺ:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح: ١].

١٠- لما اشتغل موسى بمهامّ النبوّة، سأل الله:

﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۝٢٩ هَارُونَ أَخِي ۝٣٠﴾ [طه: ٢٩ – ٣٠].

- وقال الله في شأن نبيه ﷺ:

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾ [الشرح: ٢ – ٣].

١١- قال موسى لربّه حين أتاه:

﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۝٨٤﴾ [طه: ٨٤].

- وقال الله في شأن نبيه ﷺ:

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾ [الضحى: ٥].

إن في الآية الأولى طلب رضا الربّ، والآية الثانية تنطق برضا محمد ﷺ.

هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ:(١)

كان هارون شقيق موسى الأكبر، أكرم بالنبوة لدعاء موسى ربه، وسؤاله له في ذلك.

١ - في التوراة: أن هارون كان يتعهّد المعبد، ويؤمّ الناس جميعا.

- وثبت من القرآن الكريم أن النبي ﷺ كان يصلّي بالناس بنفسه، والناس يصلّون معه. قال تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۝٢٠﴾ [المزمل: ٢٠].

وقال:

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩﴾ [الشعراء: ٢١٨ – ٢١٩].

٢ - قال الله على لسان موسى:

﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا ۝٣٤﴾ [القصص: ٣٤].

وذلك يدلّ على كمال فصاحة هارون وبلاغته.

الفصاحة والبلاغة أمر وجدانيّ:

إن الفصاحة والبلاغة أمر وجداني، يصعب تصويرها بالكلمات، وكذلك تتصل الفصاحة والبلاغة بالألفاظ كما تتصل بالمعاني، وتتصل بالأسلوب كما تتصل بمناسبة الكلام، وكذلك فإنّ الفصاحة والبلاغة لهما شأنهما في كلّ من الألفاظ والمعاني وأسلوب الكلام، ومناسبة هذا الكلام، وشأن القائل، ومنزِلة المستمع، فإذا تضمّن الكلام هذه الأوصاف كلّها، فلا شك أنه يبلغ الذروة العليا من الفصاحة والبلاغة.

وهذه الأوصاف كلّها توفّرت في كلام النبي ﷺ توفّرا، يجعل الناقد البصير يعترف بقصور باعه، وقلة شأنه فيها.

---

(١) توفّي هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل موسى بسنتين سنة ١٤٥٣ ق-م، بالطور الذي كان قريبا من حدود الروم.

نماذج من فصاحة النبي ﷺ وبلاغته:

وأسوق هنا للنبي ﷺ أقوالًا، كنماذج يقدّر الخبير بالفصاحة ما فيها من وضوح البيان، وإيجاز الكلام، وجزالة اللفظ، وجمال المنطق. قال النبي ﷺ:

«١- ما هلك امرؤ عرف قدره.(١)

٢- حبّك الشيء يعمي ويصمّ.(٢)

٣- اليد العليا خير من اليد السفلى.(٣)

٤- الخير كثير وقليل فاعله.(٤)

٥- رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم.(٥)

٦- ثلاث منجيات وثلاث مهلكات، فأما المنجيات فخشية الله في السر والعلانية، والاقتصاد في الغنى والفقر، والحكم بالعدل في الرضا والغضب؛ وأما المهلكات فشحّ مطاع، وهوى متّبع، وإعجاب المرء بنفسه.

٧- لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنما والصدقة مغرما».

القرآن يؤكّد على فصاحته وبلاغته:

وأتطرق الآن إلى ما نحن بصدده، فأقول إن القرآن الكريم يشير إلى ما يملكه النبي ﷺ من فصاحة وبلاغة، فيقول على لسان أعدائه ﷺ:

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾﴾ [المدثر: ٢٤].

ومهما أسماه أعداؤه سحرًا أو غيره، ولكن الواقع يشهد بأن كلامه لم يخرج من فيه،

---

(١) الشفا للقاضي عياض: ١/ ١٧٤، مناهل الصفا: ١١. (موسوعة أطراف الحديث النبوي: ٩/ ٣٣٣)

(٢) ضعيف أبي داود للألباني (٥١٣٠)، وضعيف الجامع (٢٦٨٨) عن عبد الله بن أنيس، وأبي الدرداء، وأبي برزة رضي الله عنهم. (صلاح)

(٣) البخاري (٥٣٥٥)، ومسلم (١٠٤٢ بنحوه) عن أبي هريرة وغيرهم رضي الله عنهم. (صلاح)

(٤) رواه الخطيب، ضعيف الجامع (٢٩٥٣) عن ابن عمرو رضي الله عنهما. (صلاح)

(٥) صحيح الجامع (٣٤٩٦، ٣٤٩٧) عن خالد بن عمران (مرسلا) وعن أبي أمامة، راجع «الصحيحة» للألباني (٨٥٥). (صلاح)

إلا وأخذ بمجامع القلوب، وتغلغل في الأذهان والنفوس.

وبالجملة: فإن فصاحة النبي وبلاغته، قد اعترف العرب بكمالها، حتى أنه لم يكن في «جزيرة العرب» أحد ينكر له فصاحته، ولو وجد فيهم من كان ينكر نبوّته، ولم ينكرها له أحد نبغ في العربية حتى اليوم.

وقد استعملت كلمة «جزيرة العرب» قبل هذه الفقرة، لأن العرب كانت توجد فيهم لهجات مختلفة، ولغات متعددة. انظروا حوار النبي ﷺ مع أهل الحجاز، ثم حواره مع أهل المدينة، وهلمّ جرا.

وكذلك تأمّلوا كلمات، وجهها إلى وائل الكندي، وقطن العليمي، وطهفة النهدي، وأبي ثور بن نمط الهمداني وغيرهم من ملوك اليمن، وحضرموت، تجدوها في كل لهجة ولغة بحرا، يزخر بالفصاحة ويموج بالبلاغة.

اليسع عَلَيْهِ السَّلَامُ:(١)

اليسع أو يسع، هو الذي سمّاه التوراة يوشع بن نون.

١- **ووصف اليسع في سورة الكهف بفتى موسى.**

- وورد في القرآن [الأحزاب: ٣٧] ذكر فتى النبي ﷺ أيضا، وهو زيد.

٢- **واليسع هو الذي ذكر في هذه الآية:**

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣].

- وقد جاء ذكر زيد كذلك في القرآن بهذه الكلمات:

﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب: ٣٧].

٣- **ورد اسم اليسع في سورة ص،** وأخبره الله من الأخيار.

- وذكر القرآن الكريم نزول الخير على النبي ﷺ، وبالتالي على أمته، فقال:

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم

---

(١) توفّي يوشع بن نون قبل ١٤٦٦ سنة من مولد المسيح، وعمره ١١٠ سنوات، وهو الذي فتح الأرض الموعودة بالخلافة والنبوّة بعد موسى بخمس وأربعين سنة. (سفر يشوع ٢٤/ ٢٩)

﴿مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥].

داود عَلَيْهِ السَّلَامُ:

إن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الذي استعاد لبني إسرائيل مجدهم المفقود، وجعل من اثنتي عشرة أسباطا جماعة واحدة، وجاهد المنكرين الكافرين، ونهض بقومه وبلده إلى العزّ والكرامة، وجمع بين الحكومة والنبوّة، والدين، والدنيا، إنه أشبه ما يكون إلى النبي ﷺ، وهو الذي بشّر بني إسرائيل بقدوم النبي ﷺ، وأخبرهم بآثاره وعلاماته.

١- قال تعالى يمدح داود ويثني عليه:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ [النمل: ١٥].

إن العلم نعمة ما فوقها نعمة، ولا شك، ولا سيما علم الأنبياء الذي يتلقّونه من عند ربهم، ولذلك صرّح الله حيث قال:

﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩].

- وقال تعالى في شأن النبي ﷺ:

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣].

- وقال:

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

الآية الأولى تنصّ على أن النبي ﷺ ألهم جميع المعارف والعلوم مرة واحدة، وقد دلّت الآية الثانية على أن علمه كان في تزايد مستمرّ كل حين بإذن ربّه.

٢- قال تعالى في شأن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا﴾ [سبأ: ١٠].

- وقال في شأن النبي ﷺ:

﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

٣- قال تعالى لداود:

﴿يَٰدَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [ص: ٢٦].

اسم الأرض يطلق على أرض الميعاد، وهي الأرض التي جعل الله فيها داود خليفة، وكتب الله الأرض الموعودة لذرّية إبراهيم إلى يوم القيامة.

وقبل أن يبشّر داود بالخلافة في الأرض كان يرعى الغنم، فرفع الله درجته، وجعله خليفة في الأرض.

- **وأخبر النبيّ في القرآن، أنه سيستخلف الذين آمنوا في الأرض:**

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

ظهر بعد التأمل أن هذه الآية بينت لنا الأمور التالية:

(أ) المخاطبون في هذه الآية هم الذين كانوا يتصفون قبل نزولها بصفة الإيمان، والعمل الصالح.

(ب) وعد الله في هذه الآية باستخلاف المؤمنين في الأرض.

(ج) هذه الخلافة هبة من عند الله.

(د) هذا الاستخلاف، إنما يكون في تلك الأرض، التي استخلف الله فيها عباده الصالحين من قبل.

(هـ) من علامات هذه الخلافة، تمكّن دين الله الذي ارتضى لهم فيها.

(و) ومن علاماتها أيضا: قيام الأمن والسلام، وتلاشي الخوف والذعر.

(ز) والذين يتولّون أمور الخلافة، يكونون من عباد الله المخلصين العابدين.

(ح) دخل في هذا الوعد أكثر من المسلمين الاثنين، فإن الضمير في قوله «ليستخلفنهم» للجمع، وصيغة الجمع في العربية تستدعي أكثر من اثنين.

ويجب هنا تعيين زمن نزول هذه الآية، فهذه الآية من سورة النور، وسورة النور مشتملة على قصّة الإفك، وهي وقعت في غزوة المريسيع، في سنة خمس من الهجرة.

وأما السرّ في ذكر الخلافة بعد ذكر قصّة الإفك، فهو أنه لما أحزن المفترون الكذابون قلب أبي بكر، ونالوا منه، وعده الله بالخلافة، وفرج بذلك عن كربه، وخفض من حزنه، فكانت النتيجة أن الآية نزلت في السنة الخامسة من الهجرة، واختير للخلافة من الصحابة

من سبقوا إلى الإسلام، واتّصفوا بصفة الإيمان والعمل الصالح قبل السنة الخامسة للهجرة.

فهؤلاء الخلفاء الأربعة، أسلم كل منهم قبل السنة الخامسة بكثير، فيدخل فيهم الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي كانت مدة خلافته تسعة أشهر، لأنه تكرم بالإسلام في السنة الثالثة من الهجرة. إن أبا بكر وعمر هما الأولان اللذان استخلفا في الأرض في الإسلام. وبما أن الفضل في خلافة الخلفاء الأربعة، يرجع إلى إيمانهم بمحمد ﷺ، فإن آية الاستخلاف لا تدلّ إلا على فضل النبي ﷺ.

٤- قال تعالى في شأن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝١٠﴾ [سبأ: ١٠].

- وقال في شأن من آمن بما جاء به النبي ﷺ من الشرائع:

﴿تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ ۝٢٣﴾ [الزمر: ٢٣].

سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ:

هو أشهر أبناء داود، وهو الذي خلف أباه فأحسن خلافته من بين سبعة عشر أخا وثماني عشرة أختا له، ومن ثم خصّه القرآن بقوله:

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ ۝١٦﴾ [النمل: ١٦].

١- **إن ما جرى بين سليمان** عَلَيْهِ السَّلَامُ وبين رسل الملكة سبأ، من حوار يدلّ على أن سليمان لم يكن يقيم لحطام الدنيا وزنا، ولا يحسب له حسابا:

﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم ۝٣٦﴾ [النمل: ٣٦].

- **وقال في شأن النبي ﷺ:**

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ [الضحى: ٨].

٢- قال الله في شأن سليمان:

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ ۝١٢﴾ [سبأ: ١٢].

- **وقال في شأن نبيه ﷺ وأحواله:**

﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ ۝٩﴾ [الأحزاب: ٩].

ذكرت هذه الآية من عمل الريح، ما كان من تدمير أعداء الإسلام وتبديدهم، وفي رواية لصحيح البخاري قال النبي ﷺ «نصرت بالصبا».

وقد وردت كلمة الريح في القرآن لأمة محمد ﷺ أيضا، وإن اختلف معناها في ذلك الموضع عن هذا المعنى. قال تعالى:

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٦].

والحاصل: أن سليمان كان يحكم الريح، وكذلك بقيت هذه الريح في حوزة المسلمين الأولين، ولما تنازعوا ذهبت ريحهم وساءت أحوالهم.

٣- ذكر الله قوة سليمان وعظمته، فقال:

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ ﴿١٧﴾﴾ [النمل: ١٧].

- وجاء ذكر هؤلاء الثلاثة في أحوال النبي ﷺ أيضا. فقال الله في سورة الجن:

﴿ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ﴿٢﴾﴾ [الجن: ١ – ٢].

وقال في جنود من الإنس:

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾ [النصر: ١ – ٢].

وقال في ما كان للطير من خدمة وعمل:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾﴾ [الفيل: ١ – ٥].

اتفق المفسّرون على أن هذا الحديث كان إرهاصًا للنبوّة، فهو أيضا من فضائل النبي ﷺ. مرة في قوله (ألم تر)، ومرة في قوله (ربك) وذلك إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أن بيان المفسّرين توضيح كامل لإرادة الله.

يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ:[1]

أرسل يونس رسولا إلى أرض نينوى، التي كان عدد سكانها أكثر من مائة ألف نسمة، فكفر أهلها بهذا النبي، فغضب عليهم النبي يونس، وتولّى عنهم، فتأسّف الناس على ذلك، ثم عاد إليهم يونس بأمر ربه، فآمن به الناس جميعًا.

١- قال تعالى في شأن يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢﴾ [الصافات: ١٤٢].

- قضى يونس في بطن الحوت ثلاثة أيام سويّا.

- وقضى النبي ﷺ أيضا في بطن الغار ثلاثة أيام، ففي القرآن:

﴿إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ ٤٠﴾ [التوبة: ٤٠].

دخل يونس في بطن الحوت بعد ما هجر الطغاة من قومه، ودخل النبي ﷺ في بطن الغار بعد ما هاجر من مكة.

٢- قال تعالى في شأن يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤﴾ [الصافات: ١٤٣ - ١٤٤].

وفيه: دلالة على أن يونس لم يكن غافلا عن ذكر الله، حتى في بطن الحوت. وكذلك ما كان محمد ﷺ غافلا عن ذكر الله في الغار أيضا، بل كان يتمتّع بالمعية الربّانية، كما قال تعالى:

﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ٤٠﴾ [التوبة: ٤٠].

٣- جاء ذكر ما سبّح به يونس في القرآن، وهو:

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧].

- تأملوا هذه الآية، وهي قد جمعت بين تقديس الله وتقصير العبد. وقد اجتمع هذان الأمران في جواب الرسول للكفّار وهو:

﴿قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٣﴾ [الإسراء: ٩٣].

---

(١) عاش يونس بن متى عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل مولد المسيح بنحو ٨٦٢ سنة.

- وقد سبّح النبي ﷺ في هذه الآية بحمد ربّه، وبرأ نفسه من أن يزكّيها.
- وهنالك آيات كثيرة جمعت بين هذين الأمرين، منها:

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٣].

ومنها:

﴿سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩١].

٤ - وعد الله الذين آمنوا بالله ورسوله بنجاتهم، إذا دعوا الله ودعاء يونس:

﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٨].

أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ:[1]

ذو فضل كبير من الأنبياء، ورد اسمه في آخر حزب من سورة النساء، ويتّضح منه أنه نزل عليه الوحي من عند الله.

١ - قال تعالى في صفة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ﴿٤٤﴾﴾ [ص: ٤٤].

إن الصبر فضيلة عليا من الفضائل المحمودة. ولن يحتلّ أحد منصبا عاليا دينيا كان أو دنيويا، ما لم تتحقق فيه صفة الصبر، وفي الحقيقة قوةُ الإرادة، والصمود، والاستقلال، والتوكل على الله إن هي إلا فروع للصبر.

- قال الله في صفة نبيه ﷺ:

﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٧].

- وتبيّن هذه الآية للنبي ﷺ صفتين صفة الصبر، وصفة الإخلاص. وقال:

﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴿٤٨﴾﴾ [الطور: ٤٨].

تُعدّ هذه الجملة في دنيا المحبة والحنين مما يدخل على النفس السرور، ويهزّ أوتار القلب والعقل، وكم يفرح المحبين قوله «بأعيننا» ويبهج قلوبهم؟

---

(١) اختار أهل الكتاب أن زمن أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ كان قبل مولد المسيح بنحو ١٥٢٠ سنة، وبعد البلاء كان أيوب قد ملك من الماعز أربعة عشر ألفا، ومن الجمال ستين ألفا ومن الثيران ألفا، ومن الحمير ألفا. وكان أبا سبعة أبناء، وثلاث بنات، وعاش ١٤٠ سنة.

٢- قال تعالى في صفة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿نِّعْمَ الْعَبْدُ ﴾ [ص: ٤٤].

- وقد ثبت كمال عبودية النبي ﷺ في مواضع كثيرة، فالإسراء الذي هو مرتبة قصوى من مراتبه ﷺ، قد ذكر الله فيه نبيه بكلمة العبد حيث قال:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾ [الإسراء: ١].

- وكذلك ذكر الله نبيه بكلمة العبد في صفة صلاته، فقال:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۝﴾ [العلق: ٩ – ١٠].

- **وقال:**

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۝﴾ [الجن: ١٩].

ولعلّ هذا هو السرّ في كون الصلاة معراجا للمؤمنين.

٣- قال تعالى في صفة أيوب:

﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝﴾ [ص: ٤٤].

أما كيف كان أوابا إلى الله، راجعا إليه، فيوضّحه القرآن، فقال:

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۝﴾ [ص: ٤١].

تبيّن منه أنه إنما كان يدعو الله في المرض والصحة والشدّة والرخاء، وأنه كان يراعي الأدب في الدعاء، فلم يكن ينسب المرض والألم إلى الله عز وجل.

- وكان النبي ﷺ في كل لحظة من لحظات حياته، يرجع إلى الله، وذلك واضح من هذه الآية:

﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝﴾ [الأنعام: ١٦١ – ١٦٣].

زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ:

١- قال تعالى عن زكريا:

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝﴾ [مريم: ٢].

- **وقال في شأن النبي ﷺ:**

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ۝﴾ [الإسراء: ٨٧].

- وقال في موضع آخر:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

سمّى الله في هذه الآية النبي ﷺ بأنّه رحمة، أي أنه قد جعل وجوده رحمة، وذلك شرف دونه كل شرف.

٢- ذكر الله دعاء زكريا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لربّه، فقال:

﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ٣﴾ [مريم: ٣].

وقد تقبل منه هذا الدعاء، فبشّر بابن اسمه يحيى. وذلك يشير إلى ما كان عليه زكريا من شرف وعزّ حيث قبل دعاؤه، ورزق ولدا، رغم ما كان يفقده من أسباب مادية ظاهرة هناك.

- قال الله عزّ وجلّ في شأن نبيه ﷺ:

﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ ... ١٤٤﴾ [البقرة: ١٤٤].

تدلّ هذه الآية على ما كان يتمتّع به النبي ﷺ من عزّ وشرف، فقد تقبل الله منه ما دار بخلده، وظهر على وجهه، مع أنه لم ينطقه بلسانه، ولاشكّ في هذا عظم هذا الأمر، وجسم خطبه، فقد كان الأمر أمر تحويل قبلة صلّى إليها ألوف الأنبياء، واعترفوا بقداستها، ولكن الله آثر رضا نبيه ﷺ على رضاهم، وقدّم النزول عند رغبته على النزول عند رغبتهم، فحوّل القبلة وقال:

﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ ... ١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣].

يحيى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ:

هو نتيجة لدعاء أبيه الهرم زكريا، الذي دعا ربه في المحراب.

ومحمد ﷺ هو أيضا نتيجة لدعاء أبيه إبراهيم الهرم الذي دعا هو وابنه إسماعيل ربّهما، وهما يبنيان البيت:

١- ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ

أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: ١٢٧ – ١٢٩].

٢- قال تعالى في شأن يحيى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ:

﴿مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ ... ﴿٣٩﴾﴾ [آل عمران: ٣٩].

وصف القرآن عيسى بن مريم بكلمة الله، وجعل يحيى مصدّقا به. ومما لا ريب فيه أن يحيى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أخبر الناس بقدوم عيسى بن مريم، وأطلعهم على فضائله. وسمّى الله نبيه ﷺ مصدّقا لما بين يديه.

ومنه يتبين أن تصديقه للأنبياء، كان أوسع وأشمل:

أ- أنبأ الناس بأسماء بعض الأنبياء، وبين أخبارهم ممن لم يكن يعرفهم حتى أهل الكتاب مثل هود وصالح وشعيب.

ب- وصدّق بنبوة بعض من كذّبه أهل الكتاب، مثل سليمان، الذي كذّبه اليهود والنصارى، وعيسى بن مريم الذي كذّبه اليهود.

ج- وأكبر من ذلك أنه كشف الغطاء عن مبدأ شامل جهله العالم كليا:

وهو أن بني إسرائيل كانوا يدعون بأن النبوّة ما آتاها الله قوما غيرهم، وكذلك الفرس كانوا يدّعون بأنه لم يؤت الله النبوّة إلا أهل «مه»، الذين كانوا من أصل فارسي، وبذلك ادّعى الهنود وأهل الصين وأهل مصر من القدماء.

فكان كل قوم كذّبوا غيرهم فيما ادّعوا به، وجرّ ذلك عليهم عداوة وبغضاء، فرقت بين الأمم والبلاد، فجاء النبي ﷺ مصدّقا لما بين يديه، وفكّ هذه العقدة، وكشف هذا السرّ، فتلا عليهم آيات كثيرة، وردت بألفاظ مختلفة وأساليب شتى:

﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر: ٢٤].

﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ [الرعد: ٧].

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴿٤﴾﴾ [إبراهيم: ٤].

﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا ... ﴿٨٤﴾﴾ [النحل: ٨٤].

كما أن هذه التعاليم السمحة عامّة شاملة، كذلك ازدادت بها الشعوب والأمم حبّا وودّا، وتوطّدت العلاقات الأخوة فيما بينها.

٣- وصف الله يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالسيّد [آل عمران: ٣٩].

وخاطب نبيه ﷺ أيضا بهذا الخطاب فقال: (يٓس) أي السيّد.[(١)]

٤ - وصف الله يحيى بالحصور [آل عمران: ٣٩] أيضا، وكان النبي ﷺ حصورا.

(الحصور في اللغة الممسك (بفتح السن)، والمراد به من عصمه الله بنفسه.)

- وقال الله في نبيه ﷺ:

﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ۝٦٧﴾ [المائدة: ٦٧].

صدق إطلاق «الحصور» على النبي ﷺ:

وقد ذكر للحصور معنى آخر، وهو الممتنع عن الانغماس في الشهوات مع قدرته عليها.[(٢)]

ويعلم من له خبرة ومعرفة بالسيرة النبوية أن النبي ﷺ لم يتزوّج حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره، ولما تزوّج لم يكن ذلك برغبة منه، وإنما كان برغبة من خديجة، وقد استجاب لها، لأنّه لم يكن يردّ سؤال أحد.

وكذلك يعلم الخبير بالسيرة النبوية، أنه لم يكن في بيته إلا زوجة واحدة حتى السنة الثالثة والخمسين من عمره، كانت خديجة وحدها حتى الخمسين، وسودة وحدها إلى سن الثالثة والخمسين من عمره.

وهاتان الزوجتان اللتان نكحهما النبي ﷺ واحدة بعد وفاة الأخرى، كانتا قد فقدتا شبابهما، ولا يرضى بنكاح مثلهما إلا «الحصور»، من لا تستهويه خصائص الجنس اللطيف.

أما ما كان للنبي ﷺ من نكاح مع غيرهما، فيجد القارئ بيانه في ما كتبنا تحت عنوان «**أمهات المؤمنين**»، ويتبين أنه لم يكن ذلك منه تنقلا في الشهوات، أو تقلّبا في الرغبات. واقرأوا قول الله عزّ وجلّ:

---

(١) روي هذا المعنى عن الإمام جعفر الصادق. انظر كتاب الشفا، طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٥٠م.

(٢) (الحصور): «من لا يأتي النساء، وهو قادر على ذلك، أوالممنوع منهن، أو من لا يشتهيهن، ولا يقربهن.» (القاموس المحيط: «حصر» ص٣٧٦). (صلاح)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾ [الأحزاب: ٥٠].

إذا نظر مؤرخ في هذه الأنواع السبعة من النساء، وجد أنه لم يتزوّج النبي ﷺ إلا النوع الأوّل منهنّ، أما غيره من الأنواع فلم تكن تحته إمراة منها. ويذكر البعض اسما أو اسمين ضمن النوع الثاني، ولكنه مشكوك فيه.

ويمكن أن يقول أحد بأن زينب بنت جحش داخلة في النوع الرابع، فنقول نعم إنها بنت لعمته، ولكنّها معدودة في النوع الأوّل.

وبالجملة فإن من لم يلتفت إلى هذه الأنواع من النساء رغم إذن الله بهن، وإحلال القرآن لهنّ، هل بقي شك في كونه حصورا؟

٥- وصف القرآن يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ بكونه نبيّا.

- **وقد خوطب النبي ﷺ بـ﴿يا أيها النبي﴾ إحدى عشرة مرة في القرآن.**

٦- قال الله مخاطبا ليحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ ﴿١٢﴾﴾ [مريم: ١٢].

- وقال في شأن النبي ﷺ:

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ... ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢].

٧- وقال في شأن يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا ... ﴿١٣﴾﴾ [مريم: ١٣].

- وقال في شأن نبيه ﷺ:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ... ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٨ - وقال: ﴿وَزَكَوٰةً﴾ أي طاهرا نظيفا.

- وقال في شأن النبي ﷺ: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ ۚ ... ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: ١٢٩].

٩- وقال في صفة يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَكَانَ تَقِيًّا ۝١٣﴾ [مريم: ١٣].

- **وقال فيمن كانوا يصحبون النبي ﷺ:**

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۝٢٦﴾ [الفتح: ٢٦].

١٠- وأخبر الله بأن يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ ۝١٤﴾ [مريم: ١٤].

- أما النبي ﷺ فكان يتيمًا، فلم يتمكّن من السلوك مع أبويه. إلا أنه قد عاشت في عصره أم أيمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكانت مولاة حبشية ربّت النبي ﷺ في حجرها، فكان يكرمها إكراما، ويزورها في بيتها، ويناديها بأمي بعد أمي، ويجلس ابنها أسامة على فخذ والحسن على أخرى.

وكان العبّاس عمّا للنبي ﷺ فيناديه بأبي. كل أولئك يدلّ على ما كان يتّصف به النبي ﷺ من صفة البرّ.

عيسى المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ:

إن علوّ شأن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ واضح في زمرة الأنبياء الكرام غاية الوضوح. وفي القرآن أن جدته كانت دعت الله وقت ولادة أمه مريم الصديقة:

١- ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٣٦﴾ [آل عمران: ٣٦].

- وقد علّم النبي ﷺ أيضا أن يستعيذ بربّه ويقول:

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ۝٩٨﴾ [المؤمنون: ٩٧ – ٩٨].

٢- وورد في القرآن عن مريم وابنها عيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ۝٥٠﴾ [المؤمنون: ٥٠].

هذه الآية تتعلّق بطفولة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهي تدلّ على أنه نشأ وترعرع في رعاية الله وكنفه.

- وقال تعالى في شأن النبي ﷺ:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦﴾ [الضحى: ٦].

إن عيسى ما كان له أب وكان النبي ﷺ أيضا قد فقد أباه حين ولد فأمرهما سواء في

الحرمان من العطف الأبوي والرحمة الأبوية.

٣- قد نقل كلام عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآن الكريم وهو:

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠﴾ [مريم: ٣٠].

- وقال سبحانه في شأن نبيه ﷺ:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢﴾ [الكهف: ١ - ٢].

٤- ذكر القرآن الكريم قول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال:

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ۝٣١﴾ [مريم: ٣١].

- وأرشد النبي ﷺ أيضا أمته إلى كيفية تحصيل هذه البركة وذكره القرآن فقال:

﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۝٦١﴾ [النور: ٦١].

٥- ذكر عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الأحكام التي كان العمل بها واجبا في شريعته فقال:

﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١﴾ [مريم: ٣١].

- وقال تعالى لنبيه ﷺ:

﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر: ٩٩].

٦- قال تعالى في شأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧].

- وقال في شأن نبيه ﷺ:

﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ۝٤٠﴾ [التوبة: ٤٠].

وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ ۝٦٢﴾ [الأنفال: ٦٢].

وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۝١٠٢﴾ [النحل: ١٠٢].

ذكر القرآن هدف رسالة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في الآية التالية:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۝٦﴾ [الصف: ٦].

ذكر عيسى أن رسالته تهدف إلى أمرين:

أ- التصديق بالتوراة.

ب- والتبشير برسول يأتي من بعده اسمه أحمد.

ونحن نبين هنا ما بذل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من جهود تجاه هذين الأمرين:

(أ) التصديق بالتوراة: قال المسيح: لا تظنّوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل. فإني الحقّ أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لايزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكلّ. (إنجيل متى: الإصحاح ٥/ ١٧ - ١٨)

هذا الكلام المعجز القويّ يوضّح جيدا أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حقّق الغرض الأول من رسالته على أحسن وجه.

(ب) التبشير بمن اسمه أحمد: إن كلمتين في هذه البشرى تستحقان التفكير أكثر من غيرهما.

(الأولى): كلمة «من بعدي» فهي توجب أن من أتى بعد عيسى، ينبغي أن يكون هو الذي بشّر به عيسى، ولا يحول بينهما رجل آخر يدعى رسولا، ويسمّى أحمد، لأنه لو كان كذلك لالتبس الأمر.

وهذا المعنى الذي بيّناه للآيات ليس مما اخترعناه، فقد قال القاضي عياض في «الشفا» والإمام جلال الدين السيوطي في «الخصوصيات الصغرى» وابن دحلان في «إنسان العيون»: **إن أحمد اسم لم يسم به أحد قبل النبي ﷺ.**

(والكلمة الثانية) التي تستحق التفكير هي قوله «اسمه أحمد» أي هل كان أحمد اسم النبي ﷺ في الحقيقة؟

ليعلم أن له اسمين ذاتيين أحمد ومحمد.

أما أحمد فاختارته له آمنة أمّه لما قد أمرت بذلك في الرؤيا التي رأتها.

وأما محمد فاختاره له جدّه وكلاهما مشتقّ من مادة «حمد». فأحمد صيغة اسم التفضيل من «حمد» ومحمد على وزن مفعّل من «حمد».

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «جلاء الأفهام»: وقد ظنّ طائفة منهم أبو القاسم السهيلي وغيره أن تسميته ﷺ بأحمد كانت قبل تسميته بمحمد، قالوا: ولهذا بشّر به المسيح باسم أحمد.

ونحن نسوق هنا أدلّة على أن أحمد اسم للنبي ﷺ!

ورود اسمه أحمد في الأحاديث

١- روى ابن سعد في الطبقات الكبرى:

عن أبي جعفر محمد بن علي قال: أمرت آمنة وهي حامل برسول الله ﷺ أن تسميه أحمد.

٢- وكذلك روى مر فوعا:

عن محمد بن علي يعني ابن الحنفية أنه سمع علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: قال رسول الله ﷺ:

«سميت أحمد».[١]

٣- وروى البيهقي في الخصائص الكبرى:

عن ابن عبّاس قال: قدم الجارود بن عبد الله فأسلم، وقال:

والذي بعثك بالحقّ لقد وجدت وصفك في الإنجيل ولقد بشر بك ابن البتول.[٢]

٤- وروى ابن سعد في الطبقات الكبرى:

عن سهل مولى عتيبة أنه كان نصرانيا من أهل مريس، وكان يقرأ الإنجيل فذكر: أن صفة النبي ﷺ في الإنجيل وهو من ذرية إسماعيل، اسمه أحمد.

٥- وروى مسلم في صحيحه:

«إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي محا الله بي الكفر، وأنا الحاشر

---

(١) في حديث طويل، رواه أحمد (٧٦٣) حسن الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٩٣٩). (صلاح)

(٢) أخرج البيهقي في دلائل النبوّة: (٢/ ١٠٥) وروى من وجه آخر منقطعا، وتأريخ دمشق (٣/ ٤٢٨)، وقال غريب وذكر الألباني قريبًا منه عن ابن عباس في السلسلة الضعيفة(١٨٦٥) وقال: موضوع. (صلاح)

الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي لا نبيّ بعدي».[١]

٦- وقد روى البخاري هذه الرواية في صحيحه أيضا.[٢]

ينبغي لنا أن نتدبر حديث الصحيحين، فقد ذكر النبي ﷺ معنى «الماحي» و«الحاشر» و«العاقب»، ولم يذكر معنى «أحمد» و«محمد»، وبذلك ثبت أن محمدًا وأحمد اسمان ذاتيان للنبي ﷺ ولو كان واحد منهما اسما وصفيا له، لذكر معناه مثل ما ذكر معنى الماحي والحاشر والعاقب.

---

(١) مسلم (٢٣٥٤) عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) البخاري (٣٥٣٢، ٤٨٩٦) عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ورود اسمه أحمد في الشعر

إن الاحتجاج بشعر العرب الموثوق به في واقعة ما، قطعي عند أئمة التأريخ، كما يعتبر أئمة اللغة الاستشهاد بشعر القدماء أمرا قطعيا في استعمال كلمة من الكلمات.

(أ) ما قيل من شعر قبل ولادة النبي ﷺ:

١- كان تبّع الوارد اسمه في القرآن ملكا من ملوك اليمن، حارب الأوس والخزرج واليهود في يثرب، فكان أهل يثرب يحاربونه نهارا ويضيفونه ليلا. فلما مضت على ذلك ثلاث ليال ندم تبع وطلب منهم الهدنة، فحكموا أجيحة بن الجلاح الأوسي وبنيامين القرظي لعقد معاهدة الصلح. فقال أجيحة لتبع: لم حاربتنا ونحن من قومك[(١)] فقال بينامين اليهودي: وأنت لا تستطيع أن يفتح هذا البلد فقال تبع: لماذا؟ قال بنيامين: هذا البلد مهبط نبيّ قريش.[(٢)] فأنشد تبع الأبيات التالية:

ألقى إلي نصيحة كي أزدجر ... عن قرية محجورة بمحمّد

ثم قال هذه الأبيات [حين سمع عن رسول الله ﷺ]:

شهدت على أحمد أنه ... رسول من الله بارئ النّسم

فلو مدّ عمري إلى عمره ... لكنت وزيرا له وابن عمّ[(٣)]

وقال التلمساني بثبوت هذه الأبيات بالتواتر.[(٤)]

٢- كان قس بن ساعدة الإيادي أسقف نجران ومن حكماء العرب ومن شعره:

---

(١) نسب الأوس والخزرج ينتهي إلى أهل اليمن. كانوا قد قدموا المدينة بعد سيل العرم.

(٢) راجع القصة بطولها في «السيرة النبوية لابن كثير»: (١/ ١٩-٢٠). (صلاح)

(٣) راجع «السيرة النبوية لابن كثير»: (١/ ٢٣-٢٤). (صلاح)

(٤) لولا قول التملساني هذا في هذه الرواية، لما ذكرت هنا هذه الأبيات.

الحمـــــد لله الــــذي لم يخلــق الخلــقَ عَبَـث
لم يخلنـــا يومًـــا ســـدًى مـن بعـد عيسـى واكـترث
أرســـل فينـــا أحمـــدا خــير نبـــيٍّ قــد بعـــث
صـــلّى عليـــه الله مـــا حـجّ لـه ركـب وحـث(١)

(ب) ما قيل من شعر في حياة النبي ﷺ:

١- قال حسان بن ثابت المؤيد بروح القدس يصف النبي ﷺ:

متى يَبْد في الداجي البهيم جبينه يَلُحْ مثل مصباح الدجى المتوقّد
فمن كان أو من قد يكون كأحمد نظـامٌ لحـقّ أو نكـال لملحـد

هذه الأبيات موجودة في ديوان حسان بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.(٢)

وقد حكى ابن عبد البر شهادة عائشة بهذه الأبيات في كتابه الاستيعاب، فقال: أنشدتها عائشة، وقالت: كان والله كما قال فيه شاعره: حسان بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.(٣)

٢- كان كعب بن مالك الأنصاري،(٤) من صفوة شعراء النبي ﷺ، وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم في القرآن.(٥) وله شعر في غزوة أحد:

غـــداة أجابـــت بأســـيافها جميعًـــا بنـــو الأوسِ والخـــزرج
وأشـــياع أحمـــد إذ شـــايعوا عـلى الحـق ذي النـور والمـنهج(٦)

---

(١) راجع «السيرة النبوية» لابن كثير (١/ ١٥١). (صلاح)

(٢) وكذلك له بيت فيه ذكر أحمد اسم النبي ﷺ: صلى الإله ومن يحفّ بعرشه والطيبون على المبارك أحمد. (صلاح)

(٣) راجع «الاستيعاب» (١/ ٤٠٠ رقم ٥٢٥) ترجمة حسّان بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. (صلاح)

(٤) راجع ترجمته في «الاستيعاب» (٣/ ٣٨١ رقم ٢٢٣١). (صلاح)

(٥) وهما: هلال بن أمية ومرارة بن ربيع رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ حين تخلفوا من غزوة تبوك فأنزل الله فيهم: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ...﴾ [التوبة: ١١٨]. (صلاح)

(٦) «السيرة النبوية» لابن هشام (ص٧١٢) في قصيدة طويلة. قال ابن إسحاق: قاله كعب يبكي حمزة ابن عبد المطلب وقتلى أحد من المسلمين. (صلاح)

٣ - وقال عن غزوة خيبر:

ونحن وردنا خيبرا وفروضه لكل فتى عاري الأشاجع مذود
يرى القتل مدحا إن أصاب شهادة من الله يرجوها وفوزًا بأحمد(١)

(ج) ما قيل من شعر بعد وفاة النبي ﷺ:

١ - قال حسان في قصيدة له طويلة:

أطالت وقوفا تذرف العين جهدها على طَلَل الذي فيه أحمد
فبوركت يا قبر الرسول وبوركت بلاد ثوى فيها الرشيد المسدّد(٢)

٢- لما قالت الخوارج لعليّ بأن يجدّد إيمانه، ويدخل في الإسلام من جديد، أنشد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

يا شاهد الخير عليّ فاشهد أني على دين النبيّ أحمد
من شك في ديني فإني مهتدي(٣)

٣- قالت فاطمة بنت محمد ﷺ ترثي والدها:

صبّت عليّ مصائب لو أنها صُبّت على الأيام صرن لياليا
ماذا على من شم تربة أحمد أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا(٤)

والغرض من هذه الأدلّة كلها، أن اسم النبي «أحمد» ما زال مسلّما به في كل زمان قبل ولادته وفي حياته وبعد وفاته على السواء. فكان اليهود والنصاري في جزيرة العرب واليمن ونجران والشام يعرفونه بأحمد، وتربط كل طائفة انتصارها وفتحها بقدومه.

---

(١) «السيرة» لابن هشام (ص٨٨٦). (صلاح)

(٢) راجع «السيرة النبوية» لابن هشام: (ص١١٤٣) ط. الأوقاف بدولة قطر. (صلاح)

(٣) كتاب الكامل لأبي العباس المبرد [٣/ ١٤٠]، وراجع «شعر الآل والأصحاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ للدكتور/ أحمد سيد أحمد علي (ص١١٢) ط. أولى، الكويت ٢٠١٤. وفيه: «يا شاهد الله...». (صلاح)

(٤) سيرأعلام النبلاء للذهبي: (٣/ ٤٢٦). وقال: ومما ينسب إلى فاطمة، ولا يصح. وراجع «شعر الآل والأصحاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» (٥٧١). (صلاح)

وكذلك كان الصفوة من شعرائه وأقربائه ينادونه بأحمد في حياته وبعد موته.

سبق أن ذكرت أن أحدًا لم يُسمّ قبل ولادة النبي ﷺ بأحمد، لا في جزيرة العرب ولا في بلد آخر تكلّم أهله بالعربية. أي أن الله صان بشارة عيسى بمحمد طوال مدة ست مائة سنة إلا خمسا وعشرين سنة، حتى لم يسمّ أحد بهذا الاسم خلال هذه الفترة الطويلة.

ونريد الآن أن نبين مدى استعمال هذا الاسم الميمون تبركا في أمة محمد ﷺ بعد وفاته. ولما ارتفع شرط «من بعدي»[(١)] بقدوم الرسول ﷺ، وزالت مظنة الالتباس ولم يبق إلا التبرك باسمه اقتضت حكمة قدرة الله أنها كما حفظته قبل ولادته، من أن يكون له سمي، فكذلك شاءت أن يشيع اسمه بعد وفاته، ويثبت كل من سمّي باسمه ظهور المبشّر بهذا الاسم، وصدق بشارة عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في هذه الدنيا. ولذلك أريد أن أثبت هنا قائمة تشتمل على من سمّوا باسم «أحمد» في الإسلام من المحدثين والمفسّرين والفقهاء والعلماء والملوك والأمراء.

ولو ذهبنا نستوعب هذه الأسماء لاحتجنا إلى كتاب مستقل بذلك، ولذا نذكر هنا من هذه الأسماء ما يوافق عدد اسم «أحمد» بحساب الجمل وهو ٥٣.[(٢)]

---

(١) أي من قوله تعالى في أمر عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦﴾ [الصف: ٦]. (صلاح)

(٢) أ= ١+ح=٨+م=٤٠+ د=٤=٥٣. (صلاح)

الأئمة المحدّثون المسمّون بأحمد[(١)] (١٠)

١- أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله إمام أهل السنّة والجماعة وأحد الأئمة الأربعة رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

٢- أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي.

٣- أحمد بن شعيب بن علي بن سنان (أبو عبد الرحمن الإمام النسائي).

٤- أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري المفسّر المعروف بأبي إسحاق الثعلبي.

٥- أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصفهاني (الحافظ أبو نعيم).

٦- أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي (أبو الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ).

٧- أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد الحافظ أبو بكر المعروف بالخطيب البغدادي.

٨- أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد سلفة الأصفهاني (الحافظ أبو طاهر).

٩- أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمداني أبو الفضل الحافظ المعروف ببديع الزمان.

١٠- أحمد بن عبد الحليم بن عبد الله بن أبي القاسم الحرّاني الدمشقي شيخ الإسلام ابن تيمية أبو العبّاس.

---

(١) بعد الاطلاع على كتب تراجم المحدثين ورواة الحديث يظهر أن القرن الأول الهجري يخلو ممن اسمه «أحمد». وأما في أواخر الثلث الأول من القرن الثاني، فوجد أحمد بن عبد الله بن يونس التميمي (١٣٢-٢٢٧هـ)، توفي وهو ابن أربع وتسعين سنة. وروى عنه أصحاب الكتب الستة. (تقريب التهذيب: ٢٩٣، رقم ٦٣ طبعة أبي الأشبال، وسير أعلام النبلاء: ١٠/ ٤٥٧، رقم ١٥١، مؤسسة الرسالة ط. ثانية ٢٠١١م.

وكذلك يوجد اسم «أحمد بن بشير المخزومي اليربوعي، أبو بكر الكوفي (-١٩٧هـ)، روى عنه البخاري والترمذي وابن ماجة، ولايعرف تأريخ ولادته. (تقريب التهذيب: ص١٣ رقم ١٣، وسير أعلام النبلاء: ٩/ ٢٤١ رقم ٦٨)

أحسب أن هؤلاء أوائل، أو من أوائل من سمّوا بـ«أحمد» من المحدثين ورواة الحديث. ولايفوتني أن أذكر أن الإمام أحمد بن شعيب النسائي (-٣٠٣هـ) آخر أصحاب الكتب الستة موتًا. (صلاح)

الفقهاء المحقّقون المسمّون بأحمد[١] (١٩)

١١- أحمد بن عمرو بن شريح (أبو العباس رَحِمَهُ ٱللَّهُ).
١٢- أحمد بن أبي أحمد المعروف بابن القاص الطبري الفقيه (أبو العبّاس).
١٣- أحمد بن عامر بن بشير بن حامد المروزي القاضي أبو حامد.
١٤- أحمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن القحطان البغدادي (أبو الحسين).
١٥- أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي (أبو جعفر).
١٦- أحمد بن أبي طاهر محمد بن الأصغر الأميني (الشيخ أبو حامد).
١٧- أحمد بن محمد بن أحمد بن القاسم الضبي المحاملي.
١٨- أحمد بن محمد بن جعفر أبو الحسين المعروف بالقدوري.
١٩- أحمد بن أبي داود فرح بن جرير الأيادي القاضي (أبو عبد الله).
٢٠- أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الهروي القاشاني (أبو عبيد).
٢١- أحمد بن علي بن محمد الوكيل أبو الفتح المعروف بابن البرهان.
٢٢- أحمد بن محمد بن المظفر الخواني (أبو المظفر).
٢٣- أحمد بن موسى بن يونس بن محمد الأرملي (أبو الفضل شرف الدين).
٢٤- أحمد بن محمد بن أبي الفضل المعروف بابن الخازن أبي الفضل.
٢٥- أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد الرازي (أبو الحسين).
٢٦- أحمد بن محمد الحسين أبو بكر ناصح الدين.
٢٧- أحمد بن منير بن أحمد الطرابلسي (أبو الحسن مهذب الدين).
٢٨- أحمد بن علي بن إبراهيم الغساني الأسواتي (القاضي الرشيد).
٢٩- أحمد بن عبد الغني بن أحمد اللخمي المالكي (أبو العباس).

---

(١) يتبيّن من فهارس الأسماء أن الفقيه: أحمد بن حفص، أبا حفص البخاري (١٥٠-٢١٧هـ) والد محمد بن أحمد الفقيه، من أوائل الفقهاء الذين سمّوا باسم «أحمد» والله أعلم. (سير أعلام النبلاء: ١٠/ ١٥٧ رقم ٢٢). (صلاح)

أهل السلوك والمعرفة المسمّون بأحمد(٤)

٣٠- أحمد بن محمد بن محمد الطوسي الغزالي أبوالفتح. (أخو الإمام الغزالي).

٣١- أحمد السرهندي الشيخ الإمام مجدد الألف الثاني الفاروقي.

٣٢- أحمد المشهور بشاه ولي الله المحدث بن شاه عبد الرحيم (الفقيه الدهلوي).

٣٣- أحمد البريلوي السيد الإمام المجاهد في سبيل الله.

الوزراء والأمراء (٦)

٣٤- أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن سهل الكاتب أبو العباس صاحب كتاب الخراج.

٣٥- أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي أبو العلاء المعدي.

٣٦- أحمد بن عبد الملك الأشجعي الأندلسي ذو الوزارتين الأعلى.

٣٧- أحمد بن هارون الرشيد بن المهدي الهاشمي (أبو العباس).

٣٨- أحمد بن طولون صاحب الديار المصرية (أبو العباس).

٣٩- أحمد بن المستنصر بن الظاهر (أبو القاسم).

الشعراء والأدباء المسمّون بأحمد (١٢)

٤٠- أحمد بن الحسين بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكوفي أبو الطيب المتنبي.
٤١- أحمد بن محمد الدارمي المصفى المعروف بالنامي (أبو العباس).
٤٢- أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الطباطبا.
٤٣- أحمد بن محمد الأنطاكي (أبو حامد الشاعر).
٤٤- أحمد بن جعفر بن موسى البرمكي النديم.
٤٥- أحمد بن محمد بن العاصي بن محمد الأندلسي (أبو عمرو).
٤٦- أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب المخزومي الأندلسي القرطبي (أبو الوليد).
٤٧- أحمد بن محمد الخولاني الأندلسي المعروف بابن الآبار.
٤٨- أحمد بن يوسف السليكي (أبو نصر).
٤٩- أحمد بن محمد بن علي الثعلبي الدمشقي (أبو عبد الله).
٥٠- أحمد بن محمد بن أحمد الميداني النيسابوري (أبو الفضل).
٥١- أحمد بن عبد الله بن أحمد اللخمي القاسمي (أبو العباس).
٥٢- أحمد بن علي بن أحمد بن إلهي (أبو العباس).[١]

(١) ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ههنا ثلاثة عشر اسمًا، إلا أنه في العنوان صرّح بأن عددهم (١٢) فليتنبه. (صلاح)

النحاة (٢)

٥٣- أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي المصري (أبو جعفر).

٥٤- أحمد بن بكر بن بقية العبدي (أبو طالب).[(١)]

وبعد:

فإن كل ما ذكرناه إلى الآن كان بيانا لفضيلة خاتم النبيين مع بيان فضيلة الأنبياء المرسلين من رب العالمين. وهنالك صفات عالية ومحامد متكاثرة اختص بها النبي ﷺ وسنذكرها فيما بعد إن شاء الله.

وقبل أن نختم هذا الباب نعالج هنا بحثا وجيزا حول آية قرآنية على أمل أن يجده القراء مناسبا لهذا الباب.

(١) ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يذكر في هذا المبحث ثلاثة وخمسين اسمًا ممن سمّوا بأحمد إلا أنه زاد اسمًا واحدًا في عنوان الشعراء والأدباء، فصار العدد أربعة وخمسين اسمًا. (صلاح)

من أوصاف النبي ﷺ

قال تعالى يخاطب نبيه ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦ ﴾ [الأحزاب: ٤٥ – ٤٦].

شاهدًا

وصف القرآن الكريم محمدًا ﷺ مرة بالشاهد ومرة بالشهيد. تدبّروا الآيات التالية:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ ﴾ [الأحزاب: ٤٥].

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ ﴾ [الفتح: ٨].

﴿ لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ۝٧٨ ﴾ [الحج: ٧٨].

﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۝١٤٣ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝٤١ ﴾ [النساء: ٤١].

الشهادة تعني الإخبار بحقيقة الأمر، وإقناع الآخر بذلك الأمر بالبيان. والشهادة التي قام بها النبي ﷺ، وبها وصل الناس إلى درجة التيقن، كانت تتعلّق بإثبات وجود الله سبحانه، وتقديس ذاته وتنزيه صفاته، وسلسلة الوحي والنبوّة، وبيان الأعمال وما يترتّب عليها من الثواب والعقاب، وبيان حقيقة الثواب والعقاب، وإثبات وجود عالم المعاد والأرواح، وعلوم ما بعد الطبيعة، فهذه كلّها أمور بيّنها النبي ﷺ، بكمال وضوح وتمام علم، وبراهين قاطعة ودلائل دامغة، على غاية من العلم والبصيرة. وجعل بقوله وعمله قلوب الملحدين والمنكرين والماديين تتيقن بصدقها، وتؤمن بواقعيتها، وذلك نصيب النبي ﷺ.

ويبدو أن القدرة الإلهية والحكمة الربّانية عرضته على العالم كشاهد لها. والحقيقة أن قلة الشهداء وكثرتهم لا تؤثر شيئا على ثبوت أمر أو نفيه، بل الشيء الذي يدعم الشهادة، ويوصلها إلى درجة الصدق، هو كون الشاهد ثقة، وصادقا أمينا.

وقد كان النبي ﷺ من الصدق والأمانة بمكان أن الكفّار سألوا أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ما الذي حملك على أن آمنت بمحمد رسولا؟

قال أبو بكر ردًا عليهم: ليست هاتان الشفتان لكاذب.

وكذلك قال هرقل مجيبا على أبي سفيان: إن الرجل الذي لم يكذب على الخلق، لا يمكن أن يكذب على الله.

وكان أبو جهل العدوّ اللدود، قد قال: يا محمد! لا أظنّك كاذبًا، ولكن لا يطمئن قلبي لما تقول.

مثل هذا، فليكن التصدق والاعتبار بحيث إن الشهادة سواء قبلها أحد أم لم يقبلها ولكن لم يخرج كلمة ضدّ ثقة الشاهد، أو لا يستطيع أن يخرجها على قول أبي سفيان، بل كل قد علم أن النيل من شأنه والطعن في صدقه يجلب الشماتة والذل إلى نفسه.

عرض النبي ﷺ هذه الشهادة على الجبال والوديان، وبلّغها إلى البلاد والصحاري، وملأ ما بين السماء والأرض بهتاف «**أشهد أن لا إله إلا الله**»، وانتزع من عقول الناس وأذهانهم الشكوك والشبهات والظنون الفاسدة.

يا له من شاهد! جاء بهذه الشهادة ونطق بها، فنطق بها الناس معه عجميّهم وعربيّهم، وشرقيّهم، وغربيّهم. ولم يقف الشاهد عند هذا الحدّ، بل استمر فيها حتى جعل الألوف المؤلفة من الناس، يشعرون بواجبهم الذي أوجبه الله عليهم بقوله: ﴿وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ ۝٧٨﴾ [الحج: ٧٨]. وجعل الأسود والأحمر، والعبيد والملوك يخضعون لقول الله: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ ۝٨﴾ [المائدة: ٨]. وارتحل من هذه الدنيا وقد شهد بصدقه آلاف من الشهداء بالغيب واستنارت بنور شهادته البلاد والشعوب والأنجاد والأغوار على السواء. **وقال لهم جميعا وهو في آخر عهده بالدنيا:**

«أنتم تسألون عنّي فما أنتم قائلون»؟ قالوا: بلّغت وأدّيت ونصحت، فقال بإصبعه يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد».[1]

إن النفوس تتفانى في مثل هذا الشاهد الذي جاء وحيدًا بالشهادة في هذه الدنيا، وارتحل منها وحوله جم غفير وجمع حاشد من الشهداء على الناس. وفي الحقيقة أن الله تعالى بوصفه النبي ﷺ بالشاهد والشهيد أطلع الناس على ميزة بارزة وسمة ظاهرة للنبي ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا باختلاف يسير. (صلاح)

مبشرًا ونذيرًا

والصفة الثانية هي كونه مبشرًا ونذيرًا. تصفحوا القرآن كلّه لا تجدون نبيًا من الأنبياء وردت في شأنه هاتان الكلمتان. أما النبي ﷺ فقد وصف تارة بأنه بشير ونذير، وتارة أخرى بأنه مبشّر ومنذر. وهاتان الصفتان من أهم صفاته التي تظهر علو مرتبته من النبوّة، لأنهما خاصتان به دون غيره من الأنبياء.

وقد بشّر الله المؤمنين بواسطة النبي ﷺ بأمور كثيرة فقال تعالى:

﴿بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ۝٤٧﴾ [الأحزاب: ٤٧].

وقال:

﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٦٤﴾ [يونس: ٦٤].

وقال:

﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ ۝١٨﴾ [الزمر: ١٧ – ١٨].

هذه كلّها بشارات روحية وخلقية، حث الله المؤمنين عليها ولها أعدهم.

يقول بعض الناس إن الإنذار معناه: التخويف. ولكن التخويف لا يؤدّي إلى ما في الإنذار من معنى، بل قد يُغير معناه تماما.

فالإنذار: هو التحذير من شر يصيب المرء في مستقبله. وكان الأنبياء يحذّرون قومهم من العواقب الوخيمة المترتبة على أعمالهم السيئة، وينبهونهم على سوء مصيرهم.

إن صفة الإنذار تنشأ عن حرقة القلب، وعاطفة النصح والمواساة، وتنمو وتترعرع بالرحمة والتقوى، وتزدهر وتنتشر بحب الجنس البشري. وحياة النبي ﷺ تدلّ على أنه كملت فيه هذه الصفات كلّها، ولأجل ذلك صار من خاصة طبعه الشريف أن ينبه القوم الضالّين على عوج الطريق، ويحذّرهم من أخطاره. وقد ورد في الحديث حيث، قال النبي ﷺ:

«إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النّار يقعن فيها، فجعل الرجل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النّار وهم يقتحمون فيها» (البخاري (٧/ ١٧٦)).[١]

(١) البخاري (رقم ٦٤٨٣)، ومسلم (٢٢٨٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره باختلاف يسير. (صلاح)

داعيًا إلى الله بإذنه

بدأ النبي ﷺ دعوته إلى الله بنشاط وحيوية، وبلغ بها إلى قمة الانتصار والنجاح، بحيث صار هذا نصيبه الخاص بإذن الله تعالى.

(أ) انظروا إلى خطبته التي ألقاها على جبل الصفا مخاطبا العرب بقوله «يا آل فهر ويا آل غالب».

(ب) وتصوروا تلك الخلوة التي كان يعلّم فيها الناس سرّا في دار أرقم بن أبي أرقم في ظلّ سفح الجبل بعيدًا عن مكّة.

(ج) واذكروا الطائف حيث اختضب نعلاه بالدماء، وهو مستمر في دعوة إلى الله.

(د) وسرحوا طرفكم في موسم عكاظ، حيث يردّد النبي ﷺ قوله: «**يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**».

وأبو لهب يتبعه بالأذى، وبكلمات من السفه.

(هـ) وتصوّروا شعب العقبة، ساد فيه الظلام، ولا يرضى راكب من الركاب بأن يقيم بهذا المكان المحفوف بالأخطار، ولكن قافلة يثرب اضطرت إلى النزول به خوفا من صعوبة الطريق وأخطاره. فاتجه إليها الرسول الداعي ﷺ في مثل هذا الظلام وحيدًا منفردًا، آملا أن يصغي أحد إلى دعوته.

(و) وأجيلوا بصركم في وادي جبل التنعيم، حيث وجد العدوّ الماكر رسول الله ﷺ وحيدًا نائما، فأخذ سيفه وأيقظه بوقاحة وكبر، فنظر إليه الرسول ﷺ فإذا بيده سيف مصلت يسأله: من يمنعك مني يا محمد؟ وفي مثل هذه الساعة الحرجة ما نسي الرسول ﷺ واجبه نحو الدعوة إلى الله، بل عرض عليه ذلك الاسم الميمون الذي يزيل الحجب الكثيفة عن قلب المرء الغافل المريض، ويبعث في القلب الميت حياة جديدة.

(ز) وسيروا في طريق الهجرة التي يواجه فيها الرسول ﷺ رحلة مئات الأميال. تسير الناقتان في الجبال الوعرة والمفاوز القاحلة الجرداء من غير وقوف للراحة

في الطريق. ومع النبي ﷺ مخلصان ووفي، وهم يخافون كل حين من أن يدركهم العدو، وهذا الخوف يدفعهم إلى الأمام بخطى حثيثة. ومع هذا كلّه ما نسي الرسول ﷺ فريضة الدعوة إلى الله أيضًا، فأم معبد الخزاعية وسراقة بن مالك المدلجي وبريدة بن الحصيب الأسلمي وسبعون أصحابه كلّ هؤلاء ممن ارتووا بماء الحياة الحقيقي في هذه الصحراء القاحلة المجدبة، ووجدوا فيها معينًا إيمانيًا للحياة.

(ح) إن الرسول ﷺ قد وصل إلى قباء بعد جهود ثمانية أيام ولياليها، وأتعبت هذه الرحلة الشاقة حتى الراحلة البكماء القوية، ولكن رغبة الرسول ﷺ في الدعوة إلى الله واهتمامه بها جعله في اليوم التالي ينشغل ببناء المسجد ليعلو منه كل صباح ومساء نداء «حي على الصلاة» و«حي على الفلاح» متجاوبا للجبال، موقظًا للنائمين، داعيًا للشائقين. ولا يزال هذا النداء يجدد نداء الداعي حتى اليوم.

(ط) يتوجه النبي ﷺ من قباء إلى المدينة المنورة، وأهلها من ذكر وأنثى وصغير وكبير ويهودي ونصرانيّ وصابئ كلّهم مشتاقون إلى لقائه، اشتياق المؤمنين الهائمين، وبينا هو يسير إذ تدركه الصلاة في الطريق، فيتوقف للدعوة إلى الله ويصبغ قلوب بني سليم السليمة بصبغة التقوى، ويبشّرهم برضوان الله عليهم.

(ي) إن بني إسرائيل وبني غفار والأوس والخزرج كل منهم قد فرش العيون للنبي ﷺ في المدينة، يقولون له: بأبي وأمي بأبي وأمي ولكنه ﷺ يتوجّه إلى عبد الله بن أبي بن سلول للدعوة إلى الله، ويجلس عنده على الأرض، وهو يشمخ بأنفه ويغطّي وجهه معرضا عنه، ويقول: يا محمد! قد آذيتني بغبارك وآذتني ناقتك برائحتها ولكن النبي ﷺ يبتسم، ويبلغه الدعوة، ويتلو عليه القرآن.

(ك) إنه يدخل على الربيع بنت معوّذ: حديثة النكاح، فيجد عندها جواري يغنين الأبيات الحربية، يفخرن ويتبجحن فيلقّنهنّ أيضًا العقيدة السليمة الصافية.

(ل) إنه يقدم على ابنته، فيجد ابنتها تكيد بنفسها، فيأخذها في حجره، ويقوم بالدعوة إلى الله، وكذلك يجلس على قبر ابنه إبراهيم، ويعلّم الناس معنى سخط الله ورضاه، ويضرب لهم مثلا في الاستقامة.

(م) إنه في مرضه الأخير الذي أفاق فيه قليلا بعد أحد عشر يومًا من الحمى

الشديدة، وقد بلغ من الضعف حتى لا يستطيع أن يقوم على قدميه، ولكنه مع ذلك يتحمس للدعوة إلى الله، كما كان يتحمس لها من قبل. فيحمله عباس وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلى المسجد وليس له طاقة بأن يصعد المنبر فيجلس على سلمه الأوّل فينصح الناس، ويعظهم بنصائحه البليغة ومواعظه المودّعة متمما لفريضة الدعوة.

(ن) إنه في آخر عهده بالدنيا حيث لم تبق لرحلته إلى الآخرة إلا خمس ساعات، والمسلمون مجتمعون في المسجد لصلاة الصبح وهو لشدة ضعفه وصداعه مضطجع على فراشه، الذي وطئ من ليف، ولكن فريضة الدعوة إلى الله تبعث في قلبه الحرارة، فيكشف القناع الذي كان قد ضرب بين المسجد وحجرته، ويبتسم برهة، ويشاهد ذلك المنظر الذي تمثل له من وقوف مئات المسلمين لعبادة إله واحد، في جهة واحدة، ونداء واحد. ثم يتقدم إليهم متهاديا، ويضرب لهم مثلا رائعا للدعوة إلى آخر مرة.

(س) إنه في آخر لحظات حياته، وأزواجه وبناته وأسباطه كلّهم مجتمعون في حجرة ضيقة لا تسع أكثر من عشرة أشخاص. وفي مثل هذه اللحظات أيضًا يردّد لسانه الدعوة إلى الله، والتلطف بالعباد فيقول:

«**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم**».(١)

(ع) إنه يلفظ أنفاسه الأخيرة ويحدق بصره إلى السماء، ثم يتلفظ بذلك الاسم الطاهر الذي ما زال حياته يدعو إليه الناس. ويطبق عينيه عن المناظر الفانية وهو يقول:

«**اللهم الرفيق الأعلى**».(٢)

إن التاريخ البشري عاجز عن الإتيان برجل انقضت كل لحظة من لحظات حياته في الدعوة إلى الله، ولذا يرى أن خطاب الله «داعيا إلى الله» إنما هو خاص بالنبي ﷺ، وبهذا السبب عرف الله النبي ﷺ بهذه الصفة.

---

(١) صحيح «أبي داود» (٥١٥٦)، عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان آخر كلام رسول الله ﷺ: الصلاة الصلاة! اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم.»، ورواه غيره عن غيره أيضًا. (صلاح)

(٢) البخاري (٦٣٤٨) بطوله، عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. (صلاح)

سراجًا منيرًا

قد وصف الله في سورة الفرقان وسورة نوح «الشمس» بالسراج، وفي سورة النبأ وصفها بالسراج الوهّاج. **أما السراج المنير فلم يستعمل لأحد سوى النبي ﷺ.**

إن للشمس شأنا عظيمًا في النظام الشمسي، لأنها هي نقطة الدائرة التي تدور حولها جميع الأجرام الموجودة في هذا النظام.

وكذلك لهذا العالم المادي حاجة كبيرة إلى الشمس، فإن لضوئها تأثيرا بالغا على وجود كل شيء ونموّه، هذه هي شمس العالم المادي.

وها هو الله قد أرانا شمس العالم الروحي في نوره،[1] وعرض علينا محمدًا ﷺ كسراج منير، وصحيح أن النبي ﷺ مدار أعظم، تدور حوله نجوم سماء النبوّة، وعلة أولى لدوام عالم الشريعة وبقائها ﷺ!

إن الشمس تبدّد ظلام الليل، وكذا السراج المنير قد بدّد ظلمات الكفر والشرك. إن ضوء الشمس يسود النجوم ويواريها، وكذا شريعة السراج المنير قد سادت جميع الشرائع، وتسيطرت عليها. إن ضوء الشمس يحول دون ارتكاب الجرائم، وكذا نور السراج المنير قد حال دون ارتكاب المعاصي.

إن الشمس لا تنير في وقت واحد إلا وجهًا واحدًا من الكرة الأرضية. أما السراج المنير فقد بدّد بأشعته في وقت واحد ظلمات الجاهلية، وغياهب الجهل، وسواد الكفر والشرك، وحلكة العادات والتقاليد الزائفة، وعتمة التقليد الأعمى، وملأ القلوب بنور الإيمان، وأفعمها بلمعات العقيدة السليمة، وأنار الأبصار بمطالعة الكتاب المبين، وأزال الشك المظلم بالأدلّة الساطعة، وأباد الظنون الحالكة بالبراهين القاطعة. واستطاع كل واحد بهذا النور أن يكتنه حقيقة الأشياء، ويدرك به كوامن النفس. والذين كانوا قد نسوا

(١) النور أيضا اسم من أسماء القرآن.

معنى الإنسانية، أصبحوا الآن بحيث قال فيهم الرسول ﷺ: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم.»[1] والذين كانوا قد ضلوا الطريق أصبحوا الآن هداة على الطريق.

إن الخفافيش لا تبصر إلا في الظلام، وكذا شأن الأشقياء، الذين لا يطيقون الأنوار المحمدية ولا يستنيرون بالرسالة النبوية.

أما المؤمنون الصادقون فإنه لا بدّ لهم أن يتساقطوا بأرواحهم على هذا السراج الرباني المنير ﷺ.

---

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٧٦٠) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغيره عن غيره. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «إعلام الموقعين»: (٢/ ١٣٣) مشهور روي من طرق لا يثبت منها شيء. (صلاح)

الباب السادس

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾

[الأنبياء: ١٠٧]

الباب السادس

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾

حينما اخترت هذه الآية: عنوانا لهذا الباب، ما لبثت أن خيّل إليّ أن أراجع القرآن الكريم وأنظر ما هي الأشياء أو الأشخاص الذين وردت في حقهم كلمة «العالمين»؟

وقد وجدتها في الآيات التالية:

١ - ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام: ٩٠].

٢ - ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾ [يوسف: ١٠٤]. [ص: ٨٧].

٣ - ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٥٢﴾ [القلم: ٥٢].

٤ - ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾ [الأنبياء: ٧١].

٥ - ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩٦﴾ [آل عمران: ٩٦].

٦ - ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٥﴾ [العنكبوت: ١٥].

٧ - ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾ [الأنبياء: ٩١].

٨ - ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢﴾[1] [الروم: ٢٢].

إذا تدبّرنا هذه الآيات، ظهر لنا أن الآيات الثلاث الأول، قد جعل فيها القرآن «ذكرا للعالمين» ومما لا يختلف فيه اثنان أنه كلام الله الذي هو ذكر للعالمين جميعا.

وقد اشتقّ اسم النبي ﷺ أيضا، من هذا المصدر، قال تعالى:

﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١﴾ [الغاشية: ٢١].

والآيتان: الرابعة والخامسة، قد استعمل الله فيهما لفظ البركة. أما الآية الرابعة فقد

(١) في الآية (للعالِـمين) بكسر اللام نوّه بها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ للعالَمين وليست للعالِمين. (المراجع)

وردت في بيت المقدّس وأما الآية الخامسة فقد وردت في البيت الحرام. وإن المسلمين ليحترمون هذين المسجدين احترامًا، كما أمرهم القرآن بذلك.

وبما أن لفظ البركة يشملهما جميعا، ولفظ الهدى خاص بالمسجد الحرام فقط فالمسجد الحرام أرفع درجة من بيت المقدّس.

والآيات: السادسة والسابعة والثامنة، قد استعمل فيها لفظ الآية، ويختلف مصداق لفظ الآية في كل من هذه الآيات.

فجُعلت سفينة نوح أو أصحاب السفينة آية في الآية رقم (٦).

وجُعلت مريم وابنها آية في الآية رقم (٧).

وأخبر أن اختلاف الألوان والألسنة آية في الآية رقم (٨).

وخلاصة ذلك كله:

أن القرآن وحده ذكر للعالمين.

وأن بيت المقدس والبيت الحرام وحدهما مباركان للعالمين.

وأن سفينة نوح، وأصحاب السفينة، ومريم، وابنها، واختلاف الألوان والألسنة للأمم كلّ هذه آيات للعالمين.

أما لفظ الرحمة فقد استعمل للنبي ﷺ وحده، ولم يستعمل لأحد غيره. ونرى أن الله تعالى يقول:

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۝١٥٦﴾ [الأعراف: ١٥٦].

فلما جُعل النبي ﷺ رحمة للعالمين جميعًا، ثبت أن نبوته أيضا تشمل العالمين جميعًا.

من مهمات رحمة للعالمين:

واعلموا أنّه لا يتصف برحمة للعالمين إلا ذلك الوجود الطاهر، الذي بذل حياته المطهرة في سبيل إسعاد العالم بل العالمين، وفي سبيل رخائهم وفلاحهم، وخيرهم وصلاحهم، ونهوضهم ورقيهم، لا يريد به عوضًا ولا يبغي به بدلًا.

- والذي أوصل العباد بربّهم.
- والذي طهّر القلوب ونوّر الأرواح، وصحّح العقول ومهّد الطبائع.

- والذي عززت تعاليمه السلام العالميّ، ووطدت توجيهاته المصلحة العامة.

- والذي وجّه الإنسان في كلّ مرحلة من مراحله، في فقره وغنائه، وشبابه وهرمه، وحربه وسلمه، وخوفه ورجائه، ورقّه وسيادته، وطربه وورعه، وفرحه وترحه.

- والذي عرف الخلق بخالقهم، في علوّ السماء، وحضيض الأرض، وظلام الليل، وضوء النهار، ونور الشمس، وإشراق اليراعة، وتناثر الذرة، وابتلال القطرة.

- والذي جعلت تعاليمه السامية من الوحوش إنسانًا، والذئاب رعاة، والنهاب قادة، والعبيد ملوكًا، والملوك إخوانا ناصحين.

- والذي فجر ينابيع العلوم والمعارف والكتاب والسنة في المفازة القاحلة الجرداء.

- والذي جعل أصحاب المصالح الشخصية يواسون قومهم ووطنهم.

- والذي جعل أعداءه أفلاذ كبده.

وهو محبّ الفقير، ورفيق المسكين، وتاج الملوك، وقائد القادة، ومحسن العبيد، وعماد الأيتام، ومأوى البائسين، وملجأ المشرّدين، ودواء المنكوبين، ومواسي الضعفاء، ومؤيد المساواة، ومؤسس الأخوة، ومقدّر الحبّ، وطالب الإخلاص، ومنبع الصدق، ومعدن الصبر، وقدوة التواضع، ومظهر الرحمة، وآخر الرسل.

فالذي يجمع بين هذه الصفات كلّها إن لم يلقّب برحمة للعالمين فبأيّ شيء يلقّب إذن؟

من خصائص رحمة للعالمين وامتيازاته:

ألا! إن رحمة للعالمين هو الذي قرّب البلاد، وألّف الشعوب، وقضى على اختلاف الألوان والألسنة، وملأ القلوب بعاطفة واحدة، والعقول بفكرة واحدة، وأنطق الألسنة بكلمة واحدة.

- **ألا! إن رحمة للعالمين** هو الذي لا يجعل «لاوي» (Levi)[1] وسيلة لقبول النذور مثل اليهود.

ولا يفوّض مفاتيح السماوات إلى رجل واحد مثل المجوس.

---

(١) «لاوي»: أحد أبناء يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ولا يمنح البراهمة حق إدخال الروح في الجنّة أو النار،

ولا يجعل أهل مكان خاص أبناء ملكوت السماوات.

ولا يخصص رجال أسرة واحدة باصطفائهم عند الله.

ولا يغلق أبواب الرحمة والفضل دون غيره مثل اليهود، والنصارى، والزرادشتية، والبراهمة، والجينيين، والبوذيين.

- **ألا! إن رحمة للعالمين** هو الذي يربط العبد بربّه، ويخبره بقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ ۝٦٠﴾ [غافر: ٦٠].
ولا يترك مجالًا لثالث أن يتدخل بين العبد وربّه.

- ألا! إن رحمة للعالمين هو الذي يجلس جنبا بجنب بين يديه عداس النينوائي، وبلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي، وضماد الأزدي، وطفيل الدوسي، وذو الكلاع الحميري، وعدي الطائي، وثمامة النجدي، وأبو سفيان الأموي، وأبو ذر الغفاري، وأبو عامر الأشعري، وكرز الفهري، وأبو حارث المصطلقي، وسراقة المدلجي.

وهل يرى حول أحد في أي مكان آخر مثل هذا الجمع الحاشد الذي يضمّ أمثال هؤلاء الرؤساء ذوي الاتجاهات المتباينة، لشعوب مختلفة وأقوام شتى.

كل امرئ منهم يمثّل بلده وقومه، ويملأ جيبه بأزهار الإيمان، بقدر سعة قلبه، ويعطّر بها أنفاس بلاده.

- **ألا! إن رحمة للعالمين: هو الذي يوجد بحضرته عثمان بن طلحة،** الذي كان مكرمًا بين الشعوب العربية لأجل تولية مفاتيح الكعبة، مثل ما يكرم سادن الكنيسة الرومية لتولية مفاتيح السماء بزعمهم.

ويوجد بحضرته عبد الله بن سلام أيضًا الذي إذا نظرت إلى نسبه، وجدته ينتهي إلى يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ. وإذا رأيت وجاهة شرفه القوي وجدته تناديه أطفال بني قريظة وبني قينقاع وبني النضير وخيبر وفدك بأنه خيرنا وابن خيرنا. وإذا أردت أن تعرف فضيلته العلمية وعظمته القيادية فاعلم أن الربيين والأحبار يخاطبونه بسيدنا وابن سيدنا.

فهذا هو الرجل العظيم يفتخر بجلوسه على عتبة النبي ﷺ ويفرح في نفسه بذلك.

- **ويوجد بحضرته صرامة بن أنس** أيضًا، الذي هو عالم بصحف الأنبياء، زائر لسوريا ويروشلم مرارًا، دارس التوراة والإنجيل باللغات القديمة، ومكرم عند هرقل ملك الروم، معترف بعظمته عند النجاشي ملك الحبشة، فكأنه هو أكبر أساقفة نصارى الحجاز، ولكنّه يردد الآن قول الله تعالى:

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ ۝٧٥﴾ [المائدة: ٧٥]. ويستغرق في لذة التوحيد الخالص.

- **ويوجد في حضرته سلمان الفارسي** أيضًا، وهو بكر لرجل من كبار الإقطاعيين من أهل فارس، فارق المجوسيّة، واعتنق النصرانية الكاثوليكية، ولما لم يطمئن بها قلبه خرج باحثًا عن الدين الحق، ولم يزل يتنقل من الشام إلى العراق، ومن العراق إلى الحجاز، والآن قد ترامى بنفسه وقلبه أمام النبي ﷺ، وإذا سأله أحد عن اسم أبيه، قال: سلمان بن إسلام بن إسلام بن إسلام سبعين مرّة.

- **ويوجد بحضرته خالد بن الوليد**، الذي أظهر جوهر رجولته وشجاعته لتأييد الوثنية، ونصرة الأصنام وهزم الجيش الإسلامي يوم أحد، وكان ينبغي أن يزيده سرور الفتح ونشوة الغلبة غفلة ورعونة ولكن تواضع نبي الرحمة للعالمين، قد فتح قلب هذا الفاتح أيضًا، فينجذب إليه بنفسه، ويطلب منه ﷺ أن يذهب ليهدم اللات والعزّى.

- ويرد إلى حضرته ﷺ كتاب ملك الحبشة، يريد أن يتنازل عن الحكومة ويحضر إليه.

- ويوجد بحضرته ذو البجادين الذي فارق أهله وبيته لأجله، وعليه كساء من صوف، وقميص مخيط من أشواك السمرة يبدو كأنه يحسب نفسه اليوم لفرط شوقه، ونشوة سروره، أرفع من ملك ذي تاج عالٍ.

- **ألا! إن رحمة للعالمين** هو الذي يعاهد قومًا أذلة مخذولين القوم المخذول كاليهود بهذه البنود:

أ - **« أن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين».**

ب - **«وأن بينهم النصر على من حارب».**

ج - **«وأن بينهم النصح والنصيحة والبرّ دون الإثم».**

د - «وأن بطانة يهود كأنفسهم».

هـ - «وأن النصر للمظلوم».[1]

● إن رحمة للعالمين هو الذي يعاهد النصارى المفتوحين الذميين بهذه الألفاظ:

١ - «لنجران جوار الله وذمّة محمد النبي على أنفسهم وملّتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وتبعهم».

٢ -«وأن لا يغيروا لما كانوا عليه».

٣ -«ولا يغير حقّ من حقوقهم».

٤ - «ولا يغير كلّ ما تحت أيديهم من قليل أو كثير»[2].

● إن رحمة للعالمين هو الذي يعلن للكافرين أيضًا، قوله تعالى:

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: ٦].

● إن رحمة للعالمين هو الذي يعلّم العالم أجمع مبدأ عن دينه:

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ ۝٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ثم يظهر مكانة نفسه في ذلك بصراحة:

﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ ۝٩٩﴾ [المائدة: ٩٩].

● إن رحمة للعالمين هو الذي يعلّم البر بالنّاس والمعاملة الحسنة معهم، فيقول:

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ [الممتحنة: ٨].

● إن رحمة للعالمين هو الذي يعلم السلوك الحسن تجاه العدوّ، فيقول:

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤﴾ [فصلت: ٣٤].

● إن رحمة للعالمين هو الذي يأمرنا بالتخلّي عن عواطف العداوة والبغضاء في أمور العدل، وبالقيام بالعدل، فيقول:

---

(١) السيرة النبويّة لابن هشام (١/ ١٧٨).

(٢) فتوح البلدان للبلاذري.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨].

ويقول:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة: ٢].

- **إن رحمة للعالمين** هو الذي حثّ الناس على الشهادة، فقال:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨].

- إن العدل يقوم على الشهادة، فلذا كرّر تعليم الشهادة بهذه الألفاظ:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء: ١٣٥].

- **إن رحمة للعالمين** هو الذي يعلّم كل رجل عن زوجته:

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١].

- **إن رحمة للعالمين** هو الذي جعل الرابطة الزوجية رابطة طاهرة زكية، بحيث إنه لم يفرق بينهما وقت الدخول في الجنة أيضًا، بل بشّرهما بقوله تعالى:

﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزخرف: ٧٠].

- **إن رحمة للعالمين** هو الذي بيّن حقوق الزوجين فقال:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٢٨].

ثم أخبر أوّلية الرجل، فقال:

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ ﴿٣٤﴾﴾ [النساء: ٣٤].

- **إن رحمة للعالمين** هو الذي عرّف قيمة نفس الإنسان، بهذه الألفاظ:

﴿...مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة: ٣٢].

- إن **رحمة للعالمين** هو الذي أوقف الحروب الدامية، وحرّم أن يحارب أحد على مبدأ بسط السيطرة، أو تحقيق المطامع التوسّعية، أو إظهار القوّة أو لحماسة الانتقام، وإنما جعلها آخر طريق لنصرة المظلوم، وآخر وسيلة لإنقاذ الضعفاء والبؤساء والأطفال والنساء من اليد الظالمة، وآخر حيلة لإقامة العدل وإيجاد التوازن بين الأديان المختلفة، ولا يستطيع أحد مهما كان رحيما أن ينكر الحاجة إلى الحرب في سبيل هذه المبادئ، ولا يتردّد رجل عادي أن يجعل هذه الحروب رحمة:

واسمعوا الآن الأحكام التي بينها رحمة للعالمين حسب المبادئ المذكورة:

١ - ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ ۝٤٠﴾ [الحج: ٣٩ - ٤٠].

٢ - ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا ۝٧٥﴾ [النساء: ٧٥].

هذه الأحكام تبين أن الإسلام اختار الحرب لا للطمع في السلطة، ولا للطموح إلى أخذ الحكم، بل لتخليص المستضعفين من النساء والولدان من براثن الظلم والطغيان، واختارها لا لإكراه النّاس على قبول الإسلام، بحد السيف، بل لصيانة الصوامع والبيع والصلوات من أن تهدم.

وهل جاء في كتاب مقدّس لدين من الأديان، ما ينصّ على أن قوما حاربوا لأجل حماية الأديان المختلفة وإقامة معابدها؟

إذا كان الجواب بالنفي -ونحن نثق بذلك- فلا بدّ من الاعتراف بأن رأفة نبيّ الرحمة للعالمين القلبية، هي التي جعلت للحرب غاية نبيلة لا ينكرها دين من الأديان.

وقد أوجب نبي الرحمة في حالة الحرب، أن تكون مدّة الإنذار الأخير طويلة، حتى يتمّ فيها التفاهم، وينجلي خطر الحرب. ففي القرآن الكريم:

﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ۝٢﴾ [التوبة: ٢].

وهذه الفرصة التي أتيحت قبل الحرب هي رحمة لهم وقد استثنى الله أشياء بعد

نشوب الحرب أيضا بوجه خاص، فقال:

(أ) ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾﴾ [النساء: ٩٠].

(ب) ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ ﴿٩٠﴾﴾ [النساء: ٩٠].

فهؤلاء كلهم قد استثناهم الله أن يقاتلوا، وقد صرّح القرآن، فقال:

﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾﴾ [النساء: ٩٠].

تدبّروا هذه الأحكام كيف توضّح أن هذه الحروب لا تقوم على إكراه النّاس على قبول الإسلام.

تفكّروا! أن هناك قوما ذميين ليسوا من المسلمين، فإنهم لو كانوا مسلمين لما كانت علاقتهم بالمسلمين علاقة (بينكم وبينهم ميثاق) فقط، بل كانوا منهم في درجة (إخوانكم في الدين).

ولهؤلاء القوم الذميين من الاحترام ما لو انضمّ إليهم أحد من الفريق المحارب لخرج عن حكم المحاربين، وكذلك يخرج عن حكم المحاربين من يعاهد المسلمين بأنه يكون محايدًا، لا يتعصّب للمسلمين ولا لخصومهم.

فلو كانت الحرب على أساس إكراه الناس على اعتناق الإسلام، لما قررّت هذه المبادئ لغير المسلمين أبدًا.

- **إن رحمة للعالمين** هو الذي لقّن الناس دروس الأخلاق الفاضلة، والفضائل المحمودة والمحاسن الجميلة، والصّفات الشاملة، فعلّمهم عن الوالدين، وقال:

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٤].

أمرهم ههنا بالطاعة والخدمة، كما أمرهم بأن يدعو لهما، لأنّ كلّ إنسان يحتاج إلى رحمة الله، احتياج الطفل إلى تربية أبويه.

وحث الناس على الصفح عن المخطئين فقال:

﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [النور: ٢٢].

إن العفو أمر يشقّ على الإنسان، ولذا لما كان هو طالبا من الله العفو، فما باله لا يحبّ هو نفسه العفو عن غيره، فكأن الله أخبره عن مبدأ وهو «اصفح يصفح».

وقد اختير الأسلوب نفسه لبيان قبح الزنا، قال تعالى:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢].

تفكروا في قوله: ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾:

إن الماجن قد لا يعتبر الزنا أمرا شنيعا شائنا بسبب فساد طبعه، ولكن ينبغي له أن يفكّر أنه إن كان لا يكره أن يدعو بنت أحد أو زوجته إلى فراشه، ولكن ألا يكره أن تذهب بنته أو زوجته إلى فراش أحد؟ فإن كانت غيرته لا تحب لها ذلك، فليعلم أنه يمهد السبيل لمثل هذه الفاحشة بعمله نفسه. وهذه السبيل إنما تتجه إلى بيته قبل كل شيء.

- **إن رحمة للعالمين** هو الذي بلّغ تحريم الخمر والميسر إلى العالم كلّه، وجعل الخمر رجسًا من عمل الشيطان، ووصفها أساس العداوة، وسبب البغضاء، ومجلب الغفلة، ووسيلة البعد عن الله تعالى.

وقد أصدر هذا الحكم في زمن كان العالم كلّه قد أشرب في قلبه الخمر.

فأتباع بولس يرون شرب الماء بدونها حطًا من شأنهم.

وأهل إيران يعتبرون كأسها كأسا ملكية.

وأهل الهند لا يجدون بدًا من استعمالها للتقرب إلى الآلهة.

وكانت معظم الطقوس الدينية والدنيوية لا تكمل بدونها.

وكان كلام الشعراء العرب لا يخلو عن وصفها.

وبالجملة فما زال العالم طيلة ثلاثة عشر قرنا يكافح هذا الأمر الذي جاء به الإسلام، حتى كشفت الحرب العالمية الأولى (من سنة ١٩١٤ م إلى سنة ١٩١٨ م) عن حقيقته.

فجورج الخامس ملك بريطانيا هو أوّل من كان قدوة لقومه في الكفّ عن شرب الخمر، واتّبعته روسيا وإنكلترا وفرنسا في ذلك إلى حدّ ما. وكذلك أظهرت أمريكا إرادتها عن عدم صنع الخمر، والحقّ أن الكفّ عن شربها رحمة وفضل من الله.

- **إن رحمة للعالمين** هو أوّل شخصية مباركة هَدَت العالم إلى هذه المسألة، وهذا الحكم ومثله من الأحكام الواردة في الكتاب والسّنة يبلغ عددها المئات والآلاف.

إذا أمعن القارئ النظر، علم أن جميع المسائل التي ذكرناها في هذا البحث، هي مما ينفع المسلمين وغير المسلمين على السواء، ولا يتصوّر تكوين الحضارة والحفاظ على معالم المدنيّة إلا بالانصراف عنها، ومن هنا يضطرّ العالم إلى الاعتراف بأن النبي ﷺ كان رحمة للعالمين بحقّ.

إلا أن عطف النبي ﷺ على المسلمين أشدّ وأكبر، وهم يسعون للاستنارة بهذه الشمس أكثر فأكثر. ولهذا السبب وصفه الله تعالى، بقوله:

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨]. فقد أضاف إليه صفة الرأفة مع صفة الرحمة.

هنيئا للذين يستفيضون من رحمة النبي ﷺ ورأفته.

الباب السابع

حب النبي ﷺ

الباب السابع

حبّ النبي ﷺ

إن المولعين بالأدب والغزل كثيرا ما يستعملون لفظة العشق. ولا يخفى على الخبير بالكتاب والسّنة أن هذه اللفظة لم ترد فيهما.(١)

وفي القاموس: «الجنون فنون والعشق من فنه، يستجلبه المرء على نفسه باستحسان بعض الصور والشمائل.»

فلما كان العشق قسما من الجنون، كان لا بدّ أن لا يستعمل في كلام الله ورسوله، ولا أن يعدّ من الفضائل الحميدة والمحاسن الجميلة.

أما لفظ المحبّة فلا شك أنّه قد ورد في كلّ من الكتاب والسّنة، وذلك يدلّ على أن المحبّة صفة من صفات الكمال البشري.

والفرق بين المحبّة والعشق: أن المحبّة عبارة عن رغبة طاهرة ناشئة عن الروح ولا يجب وجود هذا الشرط في العشق.

وأما المحبوب فهو الذي يليق بأن يحبّ لأجل كمالاته العالية، وأما المعشوق أن يكون أحد قد استحسنه.

فالمحبوب محبوب سواء أحبّه أحد أم لم يحبّ، ولكن المعشوق لا يكون معشوقًا إلا إذا وجد له عاشق. والمثل الفارسي الذي يقول «إن ليلى ينبغي أن ينظر إليها بعين مجنونها» لعلّ واضعه قد عبر عن نفس المعنى بأسلوب آخر.

وقد ذكر بعض الناس معنى المحبّة، فقالوا هو الشوق إلى المحبوب.

---

(١) ولا يحفظ عن رسول الله ﷺ لفظ العشق في حديث صحيح البتة. (زاد المعاد ج ٢)

وليعلم أن «حديث من عشق فعفّ فمات، فهو شهيدً، أو حديث، من عشق وكتم وعفّ وصبر...» الخ كل واحد منهما ليس بصحيح. فقد ذكرهما ابن الجوزي في الموضوعات، ولم يرو هذين الحديثين إلا سويد بن سعيد وقد طعن فيه أئمة الحديث.

وذكر بعضهم أنها إيثار للمحبوب.

وقال بعضهم «هي مواطأة القلب لمراد المحبوب».

والحبّ عندي هو ما ذكرته أوّلا، وأكثر العبارات المتقدمة إشارة إلى ثمرات المحبّة دون حقيقتها. إن الحبّ صفة نورانية للروح البشرية، وجدت فيها قبل حلولها في جسم الإنسان. وإلى هذا المعنى يشير قول النبي ﷺ:

«**الأرواح جنود مجنّدة**»(١)

ومدارج المحبّة تتوقف على مدارج المحبوب فالمحبّة ترتفع درجتها بقدر ارتفاع درجة المحبوب، وتزداد رغبة المحب فيه بقدر معرفته بذات المحبوب وصفاته.

﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة: ١٦٥].

وليعلم أن هدفي بل وهدف جميع العلماء من تأليف «**السيرة النبويّة**» هو أن ينال قلب القارئ الإيمان، وفؤاده الإيقان، وتنال روحه الراحة وصدره الانشراح، وأن تجري عين الحبّ الطاهر التي كان قد تجمدت لغثاء العلائق، أو وقفت أمام صخور الجهل فتفور إلى العلوّ الذي فارت منه حين فورانها.

إن الحب هو الذي يدفع اليأس، ويرحّب بالمصائب، وهو حياة للقلب ونجاح للحياة، به يتكلل الفوز بالبقاء، ثم يتبوأ هذا البقاء عرش الارتقاء.

إنّ الحبّ صفة قال النبي ﷺ فيها:

«**المرء مع من أحبَّ**».(٢)

قد ذكرنا آنفا أن المحبّة تقوم على أساس كمال أصليّ. فمئات الألوف من الناس يحبّون حاتمًا الطائي، لا لأنّهم قد وجدوا من ماله نصيبا، بل لأنّهم يحبّون صفة الجود والسخاء.

ومئات الألوف من النّاس يحبون «أنوشيروان» العادل، لا لأنه قد أغاثهم في مظلمة، أو حكم لهم في قضية، بل لأنّهم يحبون فيه صفة العدل والإغاثة.

ومئات الألوف من النّاس يتحمسون لقراءة قصص «رستم، وأسفنديار»، وينتشون

(١) مسلم (٢٦٣٨) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وغيره عن غيره أيضًا.

(٢) أخرجه البخاري [٦١٧٠] عن أبي موسى في باب علامة الحب ضمن كتاب البرّ والصّلة، [ومسلم ٢٦٤١].

بسماعها، لا لأنهم شركاء في فتوحهم، بل لأنهم يحبّون صفة الفتوّة والشجاعة.

وعشرات النّاس يذكرون سقراط وأفلاطون بحبٍّ وحنين، لا لأنهم تلقوا دروسًا في مدرستهما الخاصة، التي لم تزل أبوابها مغلقة دون العوام، بل لأنهم يقدّرون العلم، ويحبّون الحكمة.

وعشرات النّاس يبذلون أقصى قدرتهم الكلامية لبيان فصاحة شكسبير وهومر والفردوسي وسعدي والمتنبي وبياس ووالميك بحكم بلاغتهم، لا لأن لهم فضلًا في نشر صيتهم، بل لأنهم يشتاقون إلى الاطلاع على أسرار الطبيعة البشرية، فيحبون الثناء على كل من يتصل بهذا الفنّ.

أما الشخصية التي نتحدث عن حبّها هنا، فهي عظيمة وتصوّروا عظمتها:

إن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ قد كشف سرّ الإنابة إلى الله.

وأن إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ قد قام بتدريس علوم الأوّلين والآخرين.

وأن نوحا عَلَيْهِ السَّلَامُ قد دعا قومه فأعلن لهم وأسرّ لهم إسرارًا.

وأن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قد سأل ربه العفو عن المجرمين.

وأن إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ قد جعل بيت الله معظّما.

وأن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ عاهد الله فوفى بعهده.

وأن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ قد تعطّف على حاسديه.

وأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أكرم قومه بالعزّ والكرامة.

وأن هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ كان إمامًا فصيحًا.

وأن يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان داعيًا متواضعًا.

وأن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ قد جمع شمل قومه.

وأن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ قد بنى لله بيتا.

صلّى الله عليه وعلى جميع إخوانه من النبيّين والمرسلين.

ولكن ما أعظم تلك الشخصية، التي أخبر موسى عن نزول كلام الله عليها، ووصفها عيسى بروح الحق، وخوّف داود بهيبتها الأعداء، وتغنى سليمان بجمالها في البيت المقدس، وملأ حبقوق بحمدها ما بين السماء والأرض، وكرّم ملاكي عَلَيْهِ السَّلَامُ

بتهنئة قدومها بيت الله الحرام، ورأى يوحنا لباسها، وقرأ ما كان مكتوبًا من أنّه «ملك الملوك وسيّد السادة». أفلا يحبّ من وهب نور البصيرة والفؤاد، أن يفدي بمهجته مثل هذا المحبوب والمحمود والمصطفى ومحمّد، ولا يعتبر ذلك غاية شرفه وكمال إنسانيته؟!

هذا هو السّر الذي كشفت عنه هذه الآية:

﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾ [التوبة: ٢٤].

إن الحبّ لجميع ما ذكره الله في هذه الآية من الأشخاص والرّجال مسلّم وطبيعي، ولذا نرى أن الله الذي فطر النّاس عليه، ما نفى الحبّ عن هؤلاء، بل أمرهم بأن ينزلوا الأشياء منازلها وإلا ضلوا.

وهذا هو السرّ الذي كشفه الحديث الذي رواه أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «الصحيحين»:

«**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده والنّاس أجمعين**».[1]

وروى ابن خزيمة في صحيحه[2]:

«**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من أهله وماله**».[3]

ونحن نعتقد أنّ النبي ﷺ ليس بمحبوب فحسب، بل هو حبيب أيضا، يعني أن صفاته العالية وفضائله المتكاثرة، ومحاسنه الجميلة، ونعوته الرفيعة التي جعلته محبّ الله، ومحبوب الخلق، خالدة باقية ثابتة مستقرّة.

وإني أريد أن أقدم هنا نماذج من حسن خلقه وشرف أفعاله، وأبين من يرغب عن محبة هذا الرجل صاحب الخلق العظيم.

(١) البخاري (١٥، ١٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم (٤٤) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(صلاح)

(٢) الزرقاني (٦/ ٢٨٠).

(٣) مسلم (٤٤) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحيح ابن حبان (٦٧٦٥). (صلاح)

نماذج من حسن خلقه وكريم أفعاله ﷺ

جوده وسخاؤه:

١- بلغت غنائم يوم حنين ستة آلاف أسير، وأربعا وعشرين ألفًا من الإبل، وأربعين ألفًا من الغنم، وأربعة آلاف أوقية من الفضة. ولكن النبي ﷺ لم يأخذ منها شيئًا، وعاد إلى بيته كما كان خرج منه بالخير والبركة.

٢- وعن عائشة قالت:

ما ترك رسول الله ﷺ دينارًا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرًا ولا أوصى بشيء.

٣- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من ترك دينًا فعليّ ومن ترك مالا فلورثته».(١)

٤- وعن جابر بن عبد الله الصحابي الأنصاري قال:

«ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: **لا**».(٢)

وعن هذا المعنى عبّر أحد الشعراء بقوله:

ما قال لا قطّ إلا في تشهّده ... لولا التشهّد كانت لاؤه نعم

إذا نظرتم إلى هذه الروايات، وتدبرتم معناها علمتم أن النبي ﷺ كان بحقّ أجود الناس بالخير.(٣)

---

(١) أعلام النبوّة (ص ١٥٥). [تخريج صحيح ابن حبان (٦٠٣٦) عن المقدام، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن في الشواهد، وأصله في الصحيحين].

(٢) أخرجه الشيخان. [البخاري(٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١)].

(٣) عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان، فيأتيه جبريل فيعرض عليه القرآن، فإذا لقيه جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة.» (البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨) باختلاف يسير). (صلاح)

عدله:

١ - قد اعترف له بهذه الصفة أعداؤه.

فعن الربيع بن خثيم قال: كان يتحاكم إلى رسول الله ﷺ في الجاهلية قبل الإسلام[١].

٢- قد ذكرنا في الجزء الأوّل من هذا الكتاب، الاختلاف الذي كان حدث بين قريش في وضع الحجر في مكانه حين بناء الكعبة من جديد، والذي يجدر هنا بالذكر، هو أنّهم حكّموا أوّل داخل عليهم، فإذا به النبي ﷺ فقالوا: هذا محمد هذا الأمين قد رضينا به[٢].

هكذا كان يقينهم محكمًا في عدل النبي ﷺ بأن المختلفين فيما بينهم رضوا بحكمه قبل أن يحكم ﷺ.

٣- إن فاطمة بنت الأسود، سرقت فأخذت، فكلّم فيها أسامة بن زيد النبي ﷺ فغضب النبي ﷺ وقال:

«أتشفع في حد من حدود الله، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».[٣]

نجدته وشجاعته:

أما النجدة: فهي ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت، حيث يحمد فعلها دون خوف.

وأما الشجاعة: فهي كمال قوة الغضب، الذي يحصل لانقياده للعقل.

وقد حفظت عن النبي ﷺ عشرات الروايات والمشاهدات التي شهدها الرواة أنفسهم وهي تدلّ على هاتين الصفتين له ﷺ:

١- من الذي لا يعرف عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومواقفه وبطولاته، الذي قال: إنا كنّا إذا حمي

---

(١) كتاب الشفا (١/ ٧٨).

(٢) الشفا (١/ ٧٨).

(٣) البخاري (٦٧٨٨ مطولا)، ومسلم (١٦٨٨) عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. (صلاح)

البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدّو منه.(١)

٢- وهذا يوم حنين أمطر فيه الأعداء وابلا من السهام حتى غيروا وجه الجيش الإسلامي الذي كان يضم اثني عشر ألف رجل.

وقال رجل للبراء: أفررتم يوم حنين عن رسول الله ﷺ قال: لكن رسول الله ﷺ لم يفرّ، ثم قال: لقد رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفيان آخذ بلجامها والنبي ﷺ يقول: «**أنا النبي لا كذب**».(٢)

إن ركوبه على البغلة البيضاء، نفسه دليل على الثبات والصمود، فإن الفارّ إنما يحبّ الجواد السريع.

وكذلك اختياره البغلة البيضاء أيضًا، دليل على الرجولة، فإن الناس ليختارون في الحرب مركوبا يتوارى في الغبار، ولهذا الغرض يختارون للجنود بدلة غبراء.

وكذلك ثباته في ساحة الحرب بعد فرار اثني عشر ألف جندي أيضًا، لا يستطيعه إلا من له همة مثل الجبل، دليل على بسالته.

وكذلك تنويهه باسمه بأعلى صوته، ليعرفه من ليس يعرفه، وترديده لهم الكلمة المثيرة لبغضهم، كلّ ذلك لم يكن إلّا من خواصّ إنارة قمر النبوّة.

إلى هذا تشير رواية عبّاس عمّ النبي ﷺ: «ولّى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله ﷺ يركض ببغلته قبل الكفّار، وأنا آخذ بلجامها، أكفّها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركابه.»(٣)

---

(١) رواه الحاكم باختلاف يسير في المستدرك (٢٦٦٩) صحيح الإسناد. وقال العراقي في تخريج «إحياء علوم الدين» (٢/ ٤٦٧) صحيح الإسناد. (صلاح)

(٢) البخاري (٤٣١٦)، ومسلم (١٧٧٦) مطوّلا، عن البراء بن عازب بزيادة: «أنا ابن عبد المطلب.» (صلاح)

(٣) صحيح مسلم (١٧٧٥) عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (صلاح)

وفي «صحيح مسلم»: نزل النبي ﷺ عن بغلته.[١]

إن من غاية شجاعة النبي ﷺ ببغلته نحو الذين فرّ عنهم اثنا عشر ألف جندي ويتقدّم إليهم ماشيا حين أمسك رجلان من أهل البيت بغلته وهما عمّه وابن عمّه.

٣- **وعن أنس في الصحيحين**: كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، لقد فزع أهل المدينة ليلا، فانطلق أناس قبل الصوت، فتلقّاهم رسول الله ﷺ راجعًا، قد سبقهم إلى الصوت، وهو يقول: لن تراعوا لن ترعوا، وهو على فرس لأبي طلحة عُرِيٍ في عنقه سيف[٢].

٤- لعلّ القراء يتذكرون سبب لقاء بيعة العقبة الأساسي حيث اضطرّ ركب إلى اللجوء إلى عقبة الجبل، خوفًا من وحشة الطريق وظلمة الليل، فاتجه إليه النبي ﷺ في مثل هذا الأوان، لأن يدعوهم إلى الله وقد كان كل فرد بمكة من أعدائه ﷺ.

٥- إنّ القيام بإعلان المبادئ السليمة، أمام العالم كلّه، وبالجهر بتضليل كلّ المذاهب في بلاد يسودها حكم سفك الدماء، مع عدم الاكتراث بغضب كسرى، وقيصر، وملوك الحبشة، ومع إغاظة القبائل العربية الهمجية، كلّ ذلك يعتبر أعلى نموذج من نماذج شجاعة النبي ﷺ ورباطة جأشه، التي يندر نظيرها في التأريخ.

تواضعه:

أما التواضع فكان من صفاته اللازمة، فكان يركب البغلة والحمار، ويردف خلفه، ويعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجلس بين أصحابه مختلطًا بهم، حيثما انتهى به المجلس جلس، ويجيب دعوة العبيد، ويحمل بضاعته من السوق، ويعقل البعير، ويعلف

(١) وزاد: «أنا النبي لا كذب، قال إسرائيل وزهير: نزل النبي ﷺ عن بغلته.» وهو متفق عليه. (البخاري: ٤٣١٧، ومسلم: ١٧٧٦) عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (صلاح)

(٢) البخاري (٦٠٣٣)، ومسلم (٢٣٠٧). (صلاح)

ناصحه، وكان في بيته في مهنة أهله[١]، مع وجود آلاف ممن يستعدّون لأداء خدمته، ويعتبرونه سعادة لهم.

- **وعن أنس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** حجّ رسول الله ﷺ على رحل رثّ، وعليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم.

وكان النبي ﷺ يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف، عليه إكاف من ليف.[٢]

- **وعن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **قال:** دخلت السوق مع النبي ﷺ، فاشترى سراويل، وقال للوزان: «**زن وأرجح**» -وذكر القصّة-، قال: فوثب إلى يد النبي ﷺ يقبّلها، فجذب يده وقال:

«**هذا تفعله الأعاجم بملوكها ولست بملك إنما أنا رجل منكم**».[٣]

حياؤه:

١- **عن أبي سعيد الخدري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان رسول الله ﷺ أشدّ حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه.[٤]

وكان من أثر هذه الصفة أنه لم يكن يواجه أحدًا بشيء في وجهه.

٢- **عن أنس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دخل على النبي ﷺ رجل به أثر صفرة، فلم يقل له شيئا، وكان رسول الله ﷺ لا يكاد يواجه أحدا بشيء يكره، فلما قام، قال للقوم: «**لو قلتم له يدع هذه الصفرة**»[٥].

---

(١) هذه الأمور المذكورة في تواضع النبي ﷺ واردة في كتب الأحاديث. (صلاح)

(٢) مختصر شمائل الترمذي للألباني (٢٨٦) وقال: ضعيف. أما ركوبه ﷺ على حمار عليه إكاف على قطيفة فدكية فثابت كما في «صحيح الأدب المفرد» للألباني (٨٤٤). (صلاح)

(٣) ذكره ابن حبان في المجروحين (١/ ٤٧٢)، وابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٢١٥) والشوكاني في نيل الأوطار (٢/ ١٠٢)، وقال: إسناده ضعيف جدا. (صلاح)

(٤) البخاري (٦١٠٢)، ومسلم (٢٣٢٠). (صلاح)

(٥) شمائل الترمذي [ضعفه الألباني في «مختصر الشمائل» (٢٩٧)].

٣- وكان النبي ﷺ قد يملّ لطول كلام أصحابه، أو لجلوسهم طويلًا، فيتحمّل ذلك، ولا يقول لهم شيئًا.

شفقته ورأفته:

١- عن أبي هريرة أن أعرابيا جاء إلى النبي ﷺ يطلب منه شيئا، فأعطاه ثم قال: «**أحسنت إليك!**»، قال الأعرابي: لا، ولا أجملت، فغضب المسلمون، وقاموا إليه، فأشار إليهم أن كفّوا، ثم قام ودخل منزله وأرسل إليه رسول الله ﷺ وزاده شيئا، ثم قال: «**أحسنت إليك**» قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا، فقال له النبي ﷺ: «**إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي من ذلك شيء، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك**» قال: نعم. فلما كان الغد أو العشي جاء، فقال ﷺ: «**إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه، فزعم أنه رضي أكذلك**» قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا. فقال النبي ﷺ: «**مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه، فاتبعها الناس، فلم يزيدوها إلا نفورًا، فناداهم صاحبها: خلوا بيني وبين ناقتي، فإني أرفق بها منكم وأعلم، فتوجه لها بين يديها، فأخذ لها من قمام الأرض، فردها حتى جاءت واستناخت وشدّ عليها رحلها، واستوى عليها، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار**».(١)

٢- ومن شفقته ﷺ أن دعا ربه وعاهده، فقال:

«**أيما رجل سببته أو لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورًا وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة**».(٢)

---

(١) أخرجه البزار (٨٧٩٩)، وضعفه العراقي في تخريج «الإحياء» (٢/ ٤٦٦)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ١٨): «فيه إبراهيم بن الحكم بن أبان، وهو متروك.» (صلاح)

(٢) صحيح أبي داود للألباني (٤٦٥٩) عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره عن غيره باختلاف بلفظ: «...أو لعنته لعنة في غضبي، فإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون، وإنما بعثني رحمة للعالمين، فاجعلها عليهم صلاة يوم القيامة...» (صلاح)

٣- وجيء إليه برجل فقيل هذا أراد أن يقتلك، فقال النبي ﷺ: «**لن تراع، لن تراع، ولو أردت ذلك لم تسلط عليّ**».[١]

عفوه وكرمه:

أما العفو فهو ترك المؤاخذة مع تحقّق الجريمة والقدرة على معاقبة المجرم.

وأما الكرم فهو السخاء والسماحة.

١- **عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:** كنت مع النبي ﷺ وعليه برد غليظ الحاشية فجذبه أعرابي بردائه جذبة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم قال: يا محمد احمل لي على بعيريّ هذين من مال الله الذي عندك فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك فسكت النبي ﷺ ثم قال: «**المال مال الله وأنا عبده**» ثم قال: «**ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي**» قال: لا، قال: «لم» قال: لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة، فضحك النبي ﷺ ثم أمر: «**أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر**».[٢]

٢- **عن عبد الله بن سلام** جاءه زيد بن سعنة[٣] قبل إسلامه، يتقاضاه دينا عليه فجذب ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له، ثم قال: إنكم يا بني عبد المطّلب مطل فانتهره عمر، وشدّد له في القول والنبي ﷺ يتبسّم، فقال رسول الله ﷺ: «**أنا وهو كنّا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي**» ثم قال: «**لقد بقي من أجله ثلاث وأمر عمر يقضيه ماله**

---

(١) الشفا (ص٤٨).

(٢) أصله في الصحيحين: البخاري (٣١٤٩)، ومسلم (١٠٥٧) مختصرًا باختلاف في الألفاظ. (صلاح)

(٣) زيد بن سعنة كان أحبار اليهود كما في هذه الرواية عن عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويزيده عشرين صاعا لما روعه» فكان سبب إسلامه[١].

٣- **وقال أنس:** هبط ثمانون رجلا من التنعيم عند صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله ﷺ فأخذوا فأعتقهم رسول الله ﷺ[٢].

٤- **وقال لأبي سفيان بن حرب** -وقد سيق إليه، بعد أن جلب إليه الأحزاب، وقتل عمّه وأصحابه، ومثّل بهم، فعفا عنه، ولاطفه في القول-: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟

فقال: بأبي أنت وأمّي ما أحلمك وأوصلك وأكرمك![٣]

٥- ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية، التي سمّته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية.[٤]

زهده في الدنيا:

إن وقائع زهده التي سنذكرها الآن، هي تتعلق بزمن حين كان الرسول ﷺ يحكم

---

(١) الشفا (٦٣-٦٤) [الحاكم في المستدرك (٢٢٧١، ٦٧٠٩)، صحيح الإسناد، وقال شعيب الأرنؤوط في تخريج «مشكل الآثار» (٤٣٣٠). فيه: محمد بن حمزة، وروى عنه جمع، وذكره ابن حبان في الثقات، وأبوه: حمزة بن محمد بن جعفر لم يوثقه غير ابن حبان، ولم يرو عنه غير ابنه محمد. وباقي رجاله ثقات. وقال ابن حجر في «الإصابة» (١/ ٥٦٦): رجال الإسناد موثقون، وله شاهد من وجه آخر، ولكن لم يسمّ فيه. (صلاح)]

(٢) رواه مسلم [١٨٠٨]، وصحيح أبي داود [٢٦٨٨]، وصحيح الترمذي [٣٢٦٤]، [وكلهم باختلاف يسير، وزاد الترمذي: فأنزل الله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم...﴾ [الفتح: ٢٤]. (صلاح)]

(٣) ذكره الطحاوي في «معاني الآثار» (٣/ ٢٣٠)، وابن حجر في «المطالب العالية» (٤/ ٤١٨) بطوله وصحّحه، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وكذلك صحّحه الألباني بمجموع طرقه في «السلسلة الصحيحة» (٣٣٤١). (صلاح)

(٤) اختلفوا في تصحيحه وتضعيفه، صححه لغيره شعيب الأرنؤوط في تخريج أبي داود (٤٥١٠)، وأورده الألباني في ضعيف أبي داود (٤٥١٠). (صلاح)

العرب كلها، وكانت كلمته هي النافذة من البحرين إلى الحبشة.

وليعلم القراء أن زهده لم يكن لاضطرار، وإنما كان باختيار منه. ولم يكن لفقر، وإنما كان للطافته الروحية، فما كان ليلتصق بالعلائق المادية.

١- **عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت:** لم يمتلئ جوف النبي ﷺ شبعا قط، ولم يبث شكوى إلى أحد. وكان الفقر أحبّ إليه من الغنى، وإن كان ليظلّ جائعا يلتوى طول ليله من الجوع، فلا يمنعه صيام يومه، ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها، ولقد كنت أبكي له رحمة مما أرى به، وأمسح بيدي على بطنه مما به من الجوع، وأقول: نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول:

«يا عائشة مالي وللدنيا، إخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشدّ من هذا، فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم، فأكرم ما بهم وأجزل في ثوابهم فأجدني أستحيي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غدا دونهم، وما من شيء هو أحبّ إلي من اللحوق بإخواني وأخلائي».

قالت: فما أقام بعده إلا شهرا حتى توفي ﷺ(١).

«اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات وجبّار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق والفاتح لما أغلق والمعلن الحقّ بالحقّ والدامغ لجيشات الأباطيل كما حمل فاضطلع بأمرك لطاعتك مستوفزا في مرضاتك بغير نكل عن قدم ولا وهن في عزم داعيًا لوحيك حافظًا لعهدك ماضيًا على نفاذ أمرك حتى أورى قبسا لقابس آلاء الله تصل بأهله أسبابه، به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والإثم وأبهج موضحات الأعلام ومنيرات الإسلام ونائرات الأحكام فهو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم

---

(١) الشفا (١/ ٨٣-٨٤) [باختلاف يسير في «إحياء علوم الدين». وقال العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ١٠٢): لم أجده.]

الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحقّ رحمة»(١).

٢- وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألت رسول الله ﷺ عن سنّته فقال:

«المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحبّ أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضا غنيمتي، والعجز فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حسبي، والجهاد خلقي، وقرة عيني في الصلاة»(٢).

أخلاقه العامة:

١- قد شهدت خديجة الكبرى أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا للنبي ﷺ بحسن خلقه قبل بعثته، في ضوء تجربتها معه، التي دامت خمس عشرة سنة، فقالت:

«إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحقّ»(٣).

٢- وعن أبي قتادة قال: قدم وفد النجاشي على رسول الله ﷺ فقام يخدمهم فقال أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله ﷺ؟ فقال:

«إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإنّي أحبّ أن أكافئهم».(٤)

---

(١) الحزب الأعظم. المنزل السادس [لنور الدين علي القاري] كتاب «الحزب الأعظم والورد الأفخم» أو القول الصادق في مناجاة الخالق لنور الدين علي القارئ الحنفي (صاحب مرقاة المفاتيح)، كتاب يجمع بين دفتيه أسماء الله الحسنى، ثم تلتها من الأوراد والمناجات والصلاة على النبي والمغالاة في الدعاء ما يستغنى عنه بالأدعية المأثورة.»]

(٢) الشفا (١/ ٨٥-٨٦) [ذكره التاج السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٦/ ٣٧٨)، قال العراقي في «تخريج الإحياء» (٥/ ٨٥): لم أجد له إسنادا. وقال الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (ص٣٢٧): «آثار الوضع عليه لائحة.»)]

(٣) أخرجه البخاري [رقم٣ عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا] في كتاب مبعث النبي ﷺ، [ومسلم: ١٦٠].

(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٣٠٢٢)، ودلائل النبوة (٢/ ٣٠٧) ذكره الألباني في «السلسلة الضعيفة»، وقال: ضعيف جدًا. (صلاح)

٣- قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي أفّ قط، وما قال لشيء صنعته لِمَ صنعته، ولا لشيء تركته لِمَ تركته.[١]

- وعنه قال: كان رسول الله ﷺ من أحسن النّاس خلقا، فأرسلني يوما لحاجة فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجت حتى أمرّ على الصبيان، وهم يلعبون في السوق فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي قال: فنظرت إليه وهو يضحك فقال:

«**يا أنيس أذهبت حيث أمرتك**» قال قلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله[٢].

٤- وكان النبي ﷺ كثير السكوت، لا يتكلّم في غير حاجة، وكان كلامه فصلا، لا فضول ولا تقصير، مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وأمانة، وجُلّ ضحكه التبسم وكان ضحك أصحابه عنده التبسّم.[٣]

وكان النبي ﷺ معروفا بالصّدق لدى الناس حتى قال النضر بن الحارث -وهو عدوّه- لقريش: قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم: ساحر، لا والله ما هو بساحر[٤].

غاية القول:

وبالجملة فإن الخوض في هذا البحر الزاخر محال، وغاية القول هل يليق هادي هذه الأخلاق الفاضلة، وحامل هذه المحاسن الجميلة، وصاحب هذه الأقوال الشريفة ومصدر هذه السجايا الحميدة بأن نحبّه أم أنه لا يليق به؟

- **إني أؤكد القول** بأن من لم يحب مثل هذا الرسول، ومثل هذا المحمود، ومثل هذا الوجود ذي الجود، ومثل هذا المصطفى، ومثل هذا المجتبى فكأنه في الحقيقة لم يحبّ

(١) البخاري (٦٩١١ وغيره من المواضع)، ومسلم (٢٣٩٠) بشيء من الاختلاف في اللفظ. (صلاح)

(٢) مسلم (٣٢١٠).

(٣) الشفا (ص١١).

(٤) الشفا (ص٦٠).

هذه الأخلاق والصفات وبالتالي فإنه لا يصلح أن يتّصف هو نفسه بهذه الصفات -وأعاذنا الله منها-.

من مظاهر حبّ الصحابة للنبي ﷺ:

تعالوا! نحبّ النبي ﷺ ونتعلم الحبّ ممن اختارهم الله، لمحبّته وصحبته.

وليعلم أن المحبّة هي التي تعلّمنا الأدب والاحترام، وتحثنا على الطاعة والاستسلام، ولا يكون التعظيم تعظيما، إلا إذا نشأ عن المحبّة، ولا يكون الإكرام إكراما إلا إذا نبع عن المحبّة.

• إن قريشا كانوا قد بعثوا عروة بن مسعود رسولا إلي النبي ﷺ قبل صلح الحديبية، وكانوا قد أوصوه بأن ينظر حال المسلمين ويخبرهم بها، فلما جاء عروة النبي ﷺ رأى أن رسول الله ﷺ ما تنخم نخامة إلا وقعت في كفّ رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلّم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون إليه النظر تعظيما له.

فلما رجع عروة إلى أصحابه حكى لهم ذلك، وقال:

أي قوم! لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشيّ، والله ما رأيت ملكا قطّ يعظّمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدًا[1].

• **عن عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قالت:** جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنك لأحبّ إليّ من نفسي، وأحبّ إلي من أهلي، وأحبّ إليّ من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإن دخلتُ الجنة خشيت أن لا أراك. فلم يردّ عليه النبي ﷺ حتى نزلت عليه:

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ

---

(١) البخاري (٢٧٣١) في حديث طويل عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم. (صلاح)

وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ [النساء: ٦٩][١].

وفي حديث آخر: كان رجل عند النبي ﷺ ينظر إليه لا يطرف فقال: «**ما بالك؟**» قال: بأبي أنت وأمي، أتمتعَ من النظر إليه فإذا كان يوم القيامة رفعك الله بتفضيله، فأنزل الله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩]. الآية[٢].

- **وفي حديث أنس قال قال النبي ﷺ:**

«**من أحبّني كان معي في الجنّة**».

وفي بداية هذا الحديث أن النبي ﷺ قال:

«**يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لأحد فافعل**» ثم قال لي: «**يا بني وذلك من سنّتي ومن أحيا سنّتي فقد أحبّني ومن أحبّني كان معي في الجنّة**»[٣].

- وروي أن امرأة أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نعوا لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرًا يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين. قالت: كل مصيبة بعدك جلل[٤].

- وكان عبد الله بن أبيّ بن سلول رئيسا للمنافقين وكان ابنه عبد الله من الصادقين، قال عبدالله بن عبد الله للنبي ﷺ: لو شئت لأتيتك برأسه يعني أباه، فأبى النبي ﷺ[٥].

---

(١) مجمع الزوائد (٧/ ١٠)، وقال: رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي، وهو ثقة، وذكره الألباني في «السلسة الصحيحة» (٦/ ١٠٤٤)، وقال: «عبد الله بن عمران، صدوق، ويقويه أن له شواهد مرسلة.» (صلاح)

(٢) ورد هذا الحديث بألفاظ مختلفة. (صلاح)

(٣) رواه الترمذي [ذكره الألباني في ضعيف الترمذي: ٢٦٧٨].

(٤) الزرقاني (٦/ ٢٩٠). وهذه السيدة هي هند زوجة عمرو بن الجموح الأنصارية رضي الله عنها [كما تقدّم تعليقًا من كلام المؤلف رحمه الله].

(٥) أخرجه البزار (٧٩٧٨)، وابن حبان (٤٢٨)، والطبراني في «الأوسط» (٢٢٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٧/ ٦٧٧)، بزيادة: «فقال النبي ﷺ: لا، ولكن برّ أباك وأحسن صحبته.» (صلاح)

• **وعن عمرو بن العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ ولا أجلّ في عيني وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له[(١)].

• وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس، فيهم أبو بكر وعمر، فلا يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر، فإنهما كانا ينظران إليه، وينظر إليهما، ويتبسمان إليه ويتبسم لهما[(٢)].

• ومن هذا لما أذنت قريش لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الطواف بالبيت، حين وجّهه النبي ﷺ في صلح الحديبية أبى، وقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ.

• وسئل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كيف كان حبّكم لرسول الله ﷺ؟ قال: كان والله أحبّ إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ.

إذا أردت أن تعرف عواطف الحبّ والحنين فانظر حين يذكر صحابيّ رسولَ الله ﷺ:

• **عن أنس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا، ولا مسست خزّا قط ولا حريرا ولا شيئًا كان ألين من كفّ رسول الله ﷺ ولا شممت مسكا قط، ولا عطرا كان أطيب من عرق النبي ﷺ[(٣)].

• وسأل رجل البراء بن عازب أكان وجه النبي ﷺ: مثل السيف؟ قال: لا، بل مثل القمر[(٤)].

• **وعن أنس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **قال**: كان رسول الله ﷺ أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ[(٥)].

• **وعن جابر بن سمرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **قال**: صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله وِلدان فجعل يمسح خدّي أحدهم واحدا

---

(١) راجع قصة إسلامه، وما مرّ به من مراحل في حياته في صحيح مسلم (١٢١) مطولا. (صلاح)

(٢) أحمد في مسنده (١٢٥١٦)، وذكره الألباني في «ضعيف الترمذي» (٣٦٦٨). (صلاح)

(٣) رواه [البخاري (٦٩١١)]، ومسلم [(٢٣٠٩) بنحوه مطوّلا].

(٤) البخاري (٣٥٥٢) وغيره عن غير البراء أيضًا.

(تنبيه): في الأصل: سئل جابر بن سمرة، والمعروف هو البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (صلاح)

(٥) رواه الشيخان [البخاري (٣٥٦١ مختصرًا)، ومسلم (٢٣٣٠) باختلاف يسير مطوّلا].

واحدا، قال: وأما أنا فمسح خدّي، قال: فوجدت لِيَدِه بردًا أو ريحا كأنما أخرجها من جؤنة عطارٍ[١].

• **وعن علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **قال:** من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبّه. يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله[٢].

• **وعن ربيع بنت معوذ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُا: أن حفيد عمار بن ياسر قال: صفي لي النبي ﷺ، فقالت: لو رأيته لرأيت الشمس طالعة[٣].

• **وعن جابر بن سمرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **قال:** كانت ليلة البدر وكان رسول الله ﷺ في حلته الحمراء، فأنظر إليه، وأنظر إلى القمر فإذا هو أحسن عندي من القمر[٤].

إن كلمة «عندي» في هذه الرواية تُظهر عجيب لذة اللقاء، وذوق النظر.

• إن الوجه الذي أشرقت له عينا جابر، قد أنار قلب عبد الله بن سلام. ففي حديث الترمذي قال: جئته لأنظر إليه فلمّا تبيّنتُ وجهه، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب[٥].

• **وعن أنس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن أم سليم أن النبي ﷺ كان يأتيها، فيقيل عندها، فتبسط له نطعا فيقيل عليه، وكان كثير العرق فكانت تجمع عرقه، فتجعله في الطيب والقوارير، فقال النبي ﷺ:

«**يا أم سليم ما هذا؟**» قالت: عرقك أدوف[٦] به طيبي[٧].

• وخرج عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليلة يحرس الناس، فرأى مصباحا في بيت، فإذا عجوز

---

(١) رواه مسلم [٢٣٢٩] في الفضائل.

(٢) رواه الترمذي [ذكره الألباني في «ضعيف الترمذي» (٣٦٣٨)].

(٣) أخرجه الدارمي (٦٠)، قال في المجمع (٨/ ٢٨٣) رجاله وثقوا. (صلاح)

(٤) صححه الألباني في «مختصر شمائل الترمذي» (٨)، باختلاف يسير. (صلاح)

(٥) ذكره الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٤٨٥). (صلاح)

(٦) أدوف به: أي أخلط به طيبي. (القاموس المحيط: دوف). (صلاح)

(٧) مسلم (٢٣٣٢) عن أم سليم بنت ملحان، أم أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

تنفش صوفا، وتقول:

علـى محمـد صـلاة الأبـرار صلى عليـه الطيبـون الأخيـار
قـد كنـت قوامـا بكـى بالأسـحار ياليـت شـعري والمنايـا أطـوار
هـل تجمعنـي وحبيبـي الـدار

فجلس عمر يبكي، متأثرا بما سمع، حتى لزم الفراش عدّة أيام.

والغرض هنا ذكر عواطف الحبّ والحنين فقط.

- وانظروا إلى هذه الأبيات التي قالها حسّان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على وفاة الرسول ﷺ:

وجهـي يقيـك الـترب لهفـي ليتنـي غُيبـتُ قبلـك في بقيـعِ الغرقـدِ
أأقـيم بعـدك بالمدينـة بيـنهم يـا لهـف نفسـي ليتنـي لم أولَـدِ
فظللـت بعـد وفاتـه متلـدّذا يـا ليتنـي أسـقيت سـمّ الأسـودِ
أو حَـلّ أمـر الله فينـا عـاجلا مـن يومنـا في روحـة أو في غـدِ
فتقـوم سـاعتُنا فنلقـى طيّبـا محضـا ضرائبـه كـريم المحتـدِ
والله أسـمع مـا حييـتُ بهالـك إلا بكيـتُ عـلى النبـي محمّـدِ
صـلى الإلـه ومـن يحـفّ بعرشـه والطيّبـون عـلى المبـارك أحمـدِ(١)

حبّ الله تعالى لا يتأتى إلا باتباع النبي ﷺ:

إنّ الصحابة كانوا يعرفون جيدًا أن المحبة لا تثبت بالإيماء اللفظي، وكيف وقد قال لهم ربهم الودود الغفور:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ۝٣١﴾ [آل عمران: ٣١].

ولذلك نرى الصحابة قاموا بأعمال في اتباع النبي ﷺ، تترجم المفهوم الصحيح لصدق الإسلام وإخلاص الصحابة وحبّ النبي ﷺ لآلاف من السنين.

---

(١) راجع «السيرة النبوية لابن هشام» (١١٤٥-١١٤٦) (طبعة الأوقاف بدولة قطر) في هذه الأبيات تقديم وتأخير، واختلاف يسير في بعض الكلمات. (صلاح)

من علامات حبّ النبي ﷺ وتوقيره:

أحوال الصحابة تدلّ على ما كان في قلوبهم من توقير للرسول ﷺ وإجلال له وإكرام.

فعن المغيرة كان أصحاب رسول الله ﷺ يقرعون بابه بالأظافر(١).

- وكذلك لا يرفع أحد منهم صوته فوق صوت النبي ﷺ وكان ذلك من تعليم الله لهم:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الحجرات: ٢].

إن العلماء يقولون: إن هذا الحكم ثابت على الدوام، فإن الحديث النبوي صوت للنبي ﷺ، ومع وجوده إذا حاول أحد فرض رأيه، وفهمه، وتقديم أقواله، فإنه يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ.

- وقد أثنى الله مع هذا النهي، على الذين يلتزمون بهذه الآداب فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحجرات: ٣].

- **فمن علامات الحبّ** أن نحبّ قول الرسول ﷺ من أعماق القلب، ولا نتردد في العمل بما صدر عنه من قول أو فعل مما أوجب الله علينا طاعته، ولا نتعذر في تركه بأعذار واهية.

- **ومن علامات المحبّة** للنبي ﷺ أن يكون ذكره جاريا على لساننا دائما. ففي الحديث قال النبي ﷺ:

«من أحبّ شيئًا أكثر ذكره»(٢).

---

(١) لم أجده عن المغيرة ولكن روى البزار (٧٦٠٤)، وابن حبان في المجروحين (٢/ ١٢٩). عن أنس ابن مالك: «كان بابه يقرع بالأظافر.» (صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٨٠٥) وذكره في «السلسلة الصحيحة» (٢٠٩٢) وذكر له شاهدًا). (صلاح)

(٢) الزرقاني (٦/ ٢٨٥) [عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. ذكره الألباني في «ضعيف الجامع» =

- **ومن علامات المحبّة للنبي ﷺ محبّة آله بقلب صاف.**

- يحكى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه لما فرض لابنه عبد الله ثلاثة آلاف، ولأسامة بن زيد ثلاثة آلاف وخمس مائة.

قال عبد الله لأبيه: لم فضّلته فو الله ما سبقني إلى مشهد؟

فقال له: لأن زيدًا كان أحبّ إلى رسول الله ﷺ من أبيك، وأسامة أحبّ إليه منك، فآثرت حبّ رسول الله على حبّي(١).

- ومحبّة الإمامين السيّدين الحسن والحسين وأبويهما الطيّبين (علي وفاطمة رضي الله عنهما)، هي عين المحبّة للرسول ﷺ، وكذا حفظ فضائلهم وبيانها، واتباع طريقهم عين محبّة النبي ﷺ.

- **ومن علامات المحبّة محبّة الأنصار والمهاجرين**، الذين وردت فضائلهم بكثرة في القرآن المجيد والحديث الشريف. واتباع الصحابة واتباع سنّة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين، عين محبة النبي ﷺ.

اللهم ارزقنا حبّك وحبّ من يحبّك وحبّ عمل يقرّبنا إلى حبّك.

=

(٥٣٤١)].

(١) رواه الترمذي، وأورده الألباني في «ضعيف الترمذي» (٣٨١٣)، وضعفه شعيب الأرنؤوط في «تخريج سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤٩٩). (صلاح)

الباب الثامن

﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ ٥﴾

[يونس: ٥]

الباب الثامن(١)

﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۝﴾[يونس: ٥]

يذكر كثير من الكتّاب الأفاضل الكبار وقائع السيرة النبوية، ويلاحظ أنهم إذا ما ذكروا ويذكرون معها اليوم والتاريخ، فإنهم يخطئون في تعيين اليوم تارة، وفي تعيين التاريخ تارة أخرى. فلذا رأيت أن أكتب موجزًا عن السنة الهجرية، ليفيد ذلك في تصحيح اليوم والتاريخ الهجريين وتطبيقهما. وقد أعرضت عن المباحث الطويلة الزائدة عن موضوعنا.

١ - السنة الهجرية

١- هذه السنّة قمرية أصلا، وهي لا تقلّ عن ٣٥٤ يومًا، ولا تزيد عن ٣٥٥ يومًا.
وقد بدأت بعد مرور ١٩٤٨٤٣٩ يومًا على سنة تقويم اليوليان.

---

(١) ساق المؤلف في الباب الثامن بحثا تناول فيه التقاويم المختلفة: الهجرية، جوليان، العبري، نوح أو الطوفان، كل جك، إبراهيم، بخت نصر، الإسكندر، البكرمي، والتقويم الشمسي والقمري البكرمي والتقويم الميلادي القديم والجديد والتقويم القبطي الجديد وتقويم سنة جلوس أنوشيروان وعام الفيل ثم أثار المؤلف أنه طبقا لهذه التقاويم فإن مولد الرسول ﷺ كان كما يلي: سنة ٥٢٨٤ في تقويم يوليان وسنة ٤٣٣١ العاشر من آيار التقويم العبراني، وفي غرة شهر جيت سنة ٣٦٧٢ لسمت بروشتة وفق تقويم كل جك، وفي الثاني عشر من شهر توت سنة ١٣١٩ لتقويم بخت نصر، وسنة ٨٨٢ في العشرين من نيسان وفق تقويم الإسكندر وفي غرة جيت سنة ٦٢٨ لتقويم سمت بروشتة، ويقع مولده ﷺ في يوم موهنى إكاوش وهو يوم مقدس عند الهنادكة (السنة الشمسية القمرية البكرمية) ووفق السنة الميلادية القديمة والجديدة كان مولده ﷺ في ٢٢ أبريل ٥٧١ م. وفي ٢٥ برموده ٢٧٨ طبقا للتقويم القبطي الجديد وطبقا لسنة عام الفيل كان مولده في التاسع من ربيع الأول من السنة الأولى لعام الفيل (بتلخيص عن الأصل الأردي من ص ٣٥٠ - ٣٦١ المجلد الثاني ط لاهور). («رحمة للعالمين» (ص٥٩٠) د. سمير عبد الرحيم)

٢- قسم الفلكيون السنين القمرية إلى دورين: صغير وكبير.
فالدور الصغير يكون ٣٠ سنة قمرية.
والدور الكبير[1] يكون سبعة أدوار صغيرة أي ٢١٠ سنة قمرية.
والدور الصغير يكون طوال ١٩ سنة ٣٥٤ يومًا، وطوال ١١ سنة ٣٥٥ يومًا، خلال مدة ثلاثين سنة.
وعدد الأيام في كلّ دور صغير ١٠٦٣١ يومًا، وفي كلّ دور كبير ٧٤٤١٧ يومًا.

٣- يشبه كلّ دور صغير بدور صغير آخر، بحيث أن الشهور القمرية كما تكون تسعا وعشرين أو ثلاثين يومًا في الدور الأوّل، فكذلك تكون تسعًا وعشرين أو ثلاثين يومًا في الدور الصغير الثاني، وبنفس الترتيب. كما أن جميع أشهر سنوات الدور الصغير تبدأ بالترتيب بعد خمسة أيام بما سبقه من السنوات والأشهر من الدور الصغير.

٤- ومن خصائص الدور الكبير أنّه يوافق ما سبقه من الدور سنة وشهرًا، أي أن الأيام التي تبدأ فيها السنوات والأشهر وكذا عدد أيام هذه السنوات والأشهر، يكون بالترتيب، كما كان في الدور السابق.

٥- أثبتنا في الجدول الآتي اليوم الذي تبدأ فيه السنون الهجرية من السنة الأولى الهجرية إلى سنة سبعين وأربع مائة بعد الألف من الهجرة، حسب رؤية العرب.
أما السنون التي تكون ٣٥٥ يوما، فقد ذكرناها في الخطوط الواحدانية.

طريقة استكشاف غرّة السنّة الهجرية

٦- لمعرفة بداية السنة الهجرية من خلال الجدول الآتي، اقسم تلك السنة على ٢١٠، ثم انظر السنين الباقية بعد التقسيم في عمود السنين الهجرية، فاليوم المكتوب تحت عدد العمود (ب) الواقع تجاه عدد العمود (ألف) هو البداية لتلك السنّة الهجرية.

(١) الدور الأوّل الكبير من السنّة الهجرية يكمل في سنة ٢١٠ الهجرية. عشر سنوات منها من عصر النبوّة والمائتان الباقيتان من حديث الآيات بعد المائتين.

جدول غرّة السنين القمرية الهجرية

السنوات الهجرية (ألف)					هذا الجدول يوافق التقويم	الأدوار الممتدة ٣٠ سنة (ب)						
السنوات الهجرية						٢١٠	٣٠	٦٠	٩٠	١٢٠	١٥٠	١٨٠
١		٩	١٧	٢٥		الأحد	الجمعة	الأربعاء	الاثنين	السبت	الخميس	الثلاثاء
٢		١٠	١٨	٢٦		الجمعة	الأربعاء	الاثنين	السبت	الخميس	الثلاثاء	الأحد
		١١	١٩	٢٧		الثلاثاء	الأحد	الجمعة	الأربعاء	الاثنين	السبت	الخميس
	٤	١٢	٢٠	٢٨		السبت	الخميس	الثلاثاء	الأحد	الجمعة	الأربعاء	الاثنين
	٥	١٣	٢١	٢٩		الخميس	الثلاثاء	الأحد	الجمعة	الأربعاء	الاثنين	السبت
	٦	١٤	٢٢			الاثنين	السبت	الخميس	الثلاثاء	الأحد	الجمعة	الأربعاء
	٧	١٥	٢٣			السبت	الخميس	الثلاثاء	الأحد	الجمعة	الأربعاء	الاثنين
٣	٨	١٦	٢٤	٣٠		الأربعاء	الاثنين	السبت	الخميس	الثلاثاء	الأحد	الجمعة

٧- لبيان مطابقة أشهر السنة الهجرية بأشهر السنة الميلادية وتاريخهما، نثبت فيما يلي جدولا عن عدد أيام السنين الهجرية. فإذا طلبت غرّة سنة هجرية وما يوافقها من التاريخ والسنة والشهر الميلادي فانظر إلى ما مضى من السنوات الهجرية، واستخرج أيامها من جدول تعداد أيام السنين الهجرية ثم زد إلى هذه الأيام المستخرجة ٢٢٧٠١٥ يومًا.

كما بيّنا ضمن السنة الميلادية الجديدة. فحيث تنتهي هذه الأيام من السنة والشهر والتاريخ الميلادي، فذلك التاريخ الميلادي يكون غرّة محرم من السنة المطلوبة للهجرة.

جدول تعداد أيام السنين الهجرية

تعداد الأيام الميلادية من غرة يناير من يوم الاثنين السنة الأولى إلى غرة محرم من السنين المذكورة أدناه	جدول تعداد أيام السنين الهجرية			تعداد الأيام الميلادية من غرة يناير من يوم الاثنين السنة الأولى إلى غرة محرم من السنين المذكورة أدناه	جدول تعداد أيام السنين الهجرية		
	السنون الهجرية	تعداد الأيام	مجموع الأيام الزائدة		السنون الهجرية	تعداد الأيام	مجموع الأيام الزائدة
٢٢٧٠١٤	١	١٠	٣٥٤	٢٣٢٣٣٠	١٦	٣٥٥	٥٦٧٠
٢٢٧٠٦٨	٢	٣٥٥	٧٠٩	٢٣٢٦٨٥	١٧	٣٥٤	٦٠٢٤
٢٢٧٧٢٣	٣	٣٥٤	١٠٦٣	٢٣٣٠٣٩	١٨	٣٥٤	٦٣٧٨
٢٢٨٠٧٧	٤	٣٥٤	١٤١٧	٢٣٣٣٩٣	١٩	٣٥٥	٦٧٣٣
٢٢٨٤٣١	٥	٣٥٥	١٧٧٢	٢٣٣٧٤٨	٢٠	٣٥٤	٧٠٨٧
٢٢٨٧٨٦	٦	٣٥٤	٢١٢٦	٢٣٤١٠٢	٢١	٣٥٥	٧٤٤٢
٢٢٩١٤٢	٧	٣٥٤	٢٤٨٠	٢٣٤٤٥٧	٢٢	٢٥٤	٧٧٩٦
٢٢٩٤٩٥	٨	٣٥٥	٢٨٣٥	٢٣٤٨١١	٢٣	٣٥٤	٨١٥٠
٢٢٩٨٥٠	٩	٣٥٤	٣١٨٩	٢٣١٥٦٥	٢٤	٣٥٥	٨٥٠٥
٢٣٠٢٠٤	١٠	٣٥٤	٣٥٤٣	٢٣٥٥٢٠	٢٥	٣٥٤	٨٨٥٩
٢٣٠٥٥٨	١١	٣٥٥	٣٨٩٨	٢٣٤٨١١	٢٦	٣٥٤	٩٣١٣
٢٣٠٩١٣	١٢	٣٥٤	٤٢٥٢	٢٣٦٢٢٨	٢٧	٣٥٥	٩٥٦٨
٢٣١٢٦٧	١٣	٣٥٥	٢٦٠٧		٢٨	٣٥٤	٩٩٢٢
٢٣١٦٢٢	١٤	٣٥٤	٤٩٦١		٢٩	٣٥٤	١٠٢٧٦
٢٣١٩٧٦	١٥	٣٥٤	٥٣١٥		٣٠	٣٥٥	١٠٦٣١

جدول الأدوار الصغيرة مع تعداد الأيام		جدول الأدوار الكبيرة مع تعداد الأيام	
تعداد السنين القمرية	تعداد الأيام	تعداد السنين القمرية	تعداد الأيام
٣٠	١٠٦٣١	٤٢٠	١٤٨٨٣٤
٦٠	٢١٢١٢	٦٣٠	٢٢٣٢٥١
٩٠	٣١٨٩٣	٨٤٠	٢٩٧٦٨٦
٩٠	٣١٨٩٣	١٠٥٠	٣٧٢٠٨٥
١٢٠	٤٢٥٢٤	١٢٦٠	٤٤٦٥٠٢
١٥٠	٥٣١٥٥	١٤٧٠	٥٢٠٩١٩
١٨٠	٢٣٧٨٦		
٢١٠	٢٤٤١٧		

٨- بدأ استخدام السنّة الهجرية في الإسلام في خلافة عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجعل حادث الهجرة النبوية بداية السنة بمشورة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الخميس في ٣٠ من جمادى الآخرة سنة ١٧ هجرية الموافق ٩/ ١٢ من يوليو سنة ٦٣٨ ميلادية، وجعل شهر محرم أوّل الشهور بمشورة عثمان ذي النورين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٩- ومن خصائص السنة الهجرية العجيبة، أنّها ما زالت تستمر على صورتها المعينة من أوّل يومها إلى يومنا هذا. وهذه ميزة قد لا توجد في تقويم من التقاويم المتداولة في العالم.

ومن خصائصها العجيبة أيضا: أنها أقدم التقاويم المتداولة وأكثرها تداولا واستعمالًا. وإن كانت تلك التقاويم تبدو قديمة بأعدادها، وعلى سبيل المثال: غرة محرم من السنة الأولى الهجرية توافق ١٦/ من يوليو سنة ٥٣٣٥ اليوليان.

(أ) وبالنسبة اليوليانية تبدو أنها أقدم من السنّة الهجرية بـ٥٣٣٤ سنة، مع أنها وضعت بعد السنة الهجرية بـ٩٨٩ سنة، في عام ١٥٨٢ الميلادي.

(ب) وفق السنة العبرية كانت غرة محرم من السنة الأولى الهجرية موافقة للثالث من شهر آب سنة ٤٣٨٢ العبرية.

وعلى هذا يبدو أن السنة العبرية أقدم من السنة الهجرية بـ٤٣٨١ سنة مع أنها

وضعت في سنة ١٥٨٢ ميلادية. انظر (دائرة المعارف البريطانية).

(ج) وسنة «كل جك» (الهندوسية) أقدم من السنة الهجرية بـ٣٧٢٣ سنة، ولكن المؤرخين الأوربيين والفلكيين يعترفون بأنها وضعت في القرن الرابع الميلادي، أي أنها ظهرت إلى حيز الوجود بعد ما مرّ عليها ٣٤ قرنًا بحسابها.

(د) وسنة الإسكندر أقدم من السنة الهجرية بـ٩٣٢ سنة، ولكنها بوضعها الحالي مستحدثة، لأنها في بدايتها ظلّت تستعمل حسب الشهور القمرية عدة قرون، والآن قد استبدلت بالشهور الشمسية.

(هـ) وفق سنة «سمت بروشتة»، كانت غرة محرم من السنة الأولى الهجرية موافقة لست وعشرين من شهر ساون سنة ٦٧٩ لسمت بروشتة. ولذا تبدو سنة سمت بروشتة أقدم من السنة الهجرية بـ٦٧٨ سنة. ولكن قد ثبت من بحوث الهنادك والباحثين الأوربين أن سنة ٨٩٨ لسمت بروشتة هي أوّل سنة سميت بسنة سمت بروشتة. وبما أن غرة شهر بهار سنة ٨٩٨ لسمت بروشتة توافق ٢٣ من جمادى الأولى سنة٢٢٦ هجرية، فإن بداية سنة سمت بروشتة كانت بعد السنة الهجرية بـ٢٢٥ سنة.

(و) تم تدوين السنة لأوّل مرة في التأريخ سنة ٤٧٨م، الموافق سنة ١٣٠ هـ. (انظروا «القاموس الكلاسيكي» -جي- جمرانز طبع لندن سنة ١٨٣١ م.)

(ز) إن السنة الميلادية ظلت مستمرة في إنكلترا القديمة إلى الثاني من سبتمبر يوم الأربعاء سنة ١٧٥٣م، الموافق الثالث من ذي القعدة سنة ١١٦٥ هـ. وفي الرابع من ذي القعدة يوم الخميس سنة ١١٦٥ هـ كتبت بالحساب الجديد ١٤/ من سبتمبر سنة ١٧٥٢ م.

١٠- إن نظام عدد السنة في الإسلام، يجري على حساب القمر، ولتطبيق هذا الحساب مع حساب الشمس لم يختر الإسلام (الأشهر الكبيسة). ولما كان الإسلام دين الفطرة، كان لا بدّ أن يختار النبي ﷺ من الحساب ما يوافق الفطرة السليمة والمصلحة الدينية.

إن المساواة ميزة بارزة من ميزات الإسلام:

ومن ميزاته: أن هذه المساواة شاملة عامة. ولصيانة هذه الميزات شاء الإسلام

أن تقع الأشهر الإسلامية في فصول مختلفة متغيرة، ولا يغلق باب تقلّب الأيام بزيادة الكبيسة.

وتدبّروا قليلًا: شهر رمضان الذي هو الركن الرابع من أركان الإسلام، لو أن النبي ﷺ عيّن شهرًا شمسيا للصيام، أو أقرّ بالكبيسة في حساب القمر، فماذا كانت النتيجة؟

إن الشهر المحدّد من قبل النبي ﷺ صيفًا كان أو شتاء، كان يستلزم منه أن يكون المسلمون في يسر دائم في نصف العالم، وفي عسر دائم في النصف الآخر. فإن الخبير بالجغرافيا لا يخفى عليه أن شهر ديسمبر الذي هو شهر بارد وأقصر الشهور نهارًا في شمال العالم، هو شهر حارّ وأطول الشهور نهارًا في جنوب العالم في الوقت ذاته. فكان من مقتضيات مساواة الإسلام الشاملة أن تكون السنة الإسلامية بحساب القمر ولا تعطل حركاته بزيادة الكبيسة، التي هي من اختراع البشر. **(ولله الحجة البالغة)**

٢- الدور اليولياني

١	٢	٣	٤	٥	٦
أول يوم في السنة	أول الشهور في السنة	مقدار السنة	تعداد أيام الدور اليولياني قبل بداية هذه السنة	التأريخ القمري من أول السنة قبل بداية السنة الهجرية	تعداد الأيام من أوّل السنة إلى تاريخ المولد النبوي. وقد دخل فيها يوم الولادة أيضا
الثلاثاء	يناير	٣٦٥ يوما و٦ ساعات		٢٠/ من شعبان سنة ٥٤٩٩	١٩٢٩٧٢٥[1]

إن السنة اليوليانية، التي وضعت في عام ١٥٨٢م، الموافق عام ٩٩٠هـ قد جعلت

(١) إن سنة ٥م، عدّت قبل ٤٧١٣ سنة من بداية السنة الميلادية. أي أن مجموع أيام سنة العصر اليولياني ١٠٢٢٧ يومًا. وبعد ذلك جميع السنوات والشهور توافق نفس أيام الأسبوع، التي كانت في الدور السابق.

بدايتها قبل السنة الميلاية بـ٤٧١٣ سنة، نظرا إلى تصحيح السنين، والتواريخ المختلفة وتطبيقها. ولذا إذا ضمّت إلى السنة الميلادية ٤٧١٣ سنة، عُلمت السنة اليوليانية. إن السنة تكون ٣٦٥ يومًا و٦ ساعات، ولكن لو تركت كسور ست ساعات إلى ثلاث سنوات، تبقى مقدار السنة لمدّة ٣٦٥ يومًا، ولما يكمل اليوم لأربع وعشرين ساعة بعد جمع كسور ست ساعات في أربع سنوات، فيضم هذا اليوم إلى شهر فبراير، فيكون شهر فبراير ٢٩ يومًا بدل ٢٨ يومًا. وتكون كلّ سنة رابعة ٣٦٦ يومًا.

دور السنة اليوليانية الصغير يكون ٢٨ سنة، ثم تقع جميع الشهور والأيام في السنة كسابقتها، وعلى هذا أثبتنا هنا جدول السنة اليوليانية الممتدة ٢٨ سنة، وقد ذكرنا فيها اليوم الذي تبدأ فيه كلّ سنة من الدور اليولياني.

٣- السنة العبرية

١	٢	٣	٤	٥	٦
أول أيام السنة	أول شهور السنة	مقدار السنة	تعداد أيام الدور اليولياني قبل بداية هذه السنة	التأريخ القمري من أول السنة قبل بداية السنة الهجرية	تعداد الأيام من بداية السنة إلى تاريخ المولد النبوي. وقد دخل فيها يوم الولادة أيضا
الاثنين	تسرى	١٢-١٣ من الشهر القمري	٣٤٧٩٩٧	٢٨/ من شعبان سنة ٤٥١٧	١٥٨١٧٢٨

كانت ولادة النبي ﷺ من السنة اليوليانية في سنة ٥٢٨٤. وإذا قسمنا هذا العدد على ٢٨، خرجت ٢٠ سنة. وذلك يدلّ على أن سنة ٥٢٨٤ من السنة اليوليانية إنما تبدأ في اليوم الذي كانت قد بدأت فيه السنة العشرون من الدور الصغير. وقد ظهر من الجدول المذكور أعلاه أن السنة العشرين كانت بدايتها في يوم الأربعاء. ولأجل ذلك تبدأ غرة يناير عام ٢٠ يوم الأربعاء.

كان الناس في زمن أنبياء بني إسرائيل يبدأون السنة في شهر نيسان.

أما اليهود فاختاروا بداية سنتهم قبل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في شهر تسرى من فصل الخريف، ثم جعلوا يبدأونها في شهر نيسان من عام موسى، ثم رجعوا عنه، وأقرّوا بداية

السنة في شهر تسري، وقد وقع هذا التغيير في سنة ٣٥٨م.

ولم تكن لدى اليهود سنة خاصة بهم حتى القرن العاشر الميلادي الموافق للقرن الثامن الهجري، بل كانوا يستعملون سنة الإسكندر مع الأشهر الإسرائيلية طوال هذه المدة، حتى وضعوا في القرن الخامس عشر الميلادي، الموافق للقرن التاسع الهجري سنة أسموها سنة التكوين، وجعلوا بدايتها بحسابهم قبل خلق آدم بعام، وقبل سنة الإسكندر بـ ٣٤٤٩ سنة.

فبحساب هذه السنة كانت ولادة آدم قد مرّ عليها ٣٤٤٨ سنة إلى سنة الإسكندر. والتأريخ الأول من شهر تسري من أول سني اليهود، كان موافقا لـ١٧/ من أكتوبر سنة ٩٥٣ اليوليانية. إن حساب سني اليهود جعل على الدور الممتد ١٩ سنة، وسنة ٤٣٣١ لليهود كانت بدايتها في١٦/ ١٨ للقمر سنة ٥٧٠ يوم الثلاثاء، الموافق ٢٩/ من رجب. وكان مجموع أيام هذه السنة ٣٤٥ يومًا.

إن ١٢/ شهرا من الدور الممتد ١٩ سنة، تكون قمرية، وكذا ١٣/ شهرًا منها تكون قمرية إلى سبع سنوات. فالسنة التي تكون ١٢/ شهرًا تسمّى السنّة البسيطة، والسنّة التي تكون ١٣/ شهرًا تسمّى السنّة الكبيسة. ثم تنقسم السنوات الكبيسة والبسيطة إلى ثلاثة أقسام:

السنون البسيطة		السنون الكبيسة
السنة البسيطة الناقصة = ٣٥٣ يوما		السنة الكبيسة الناقصة= ٣٨٣ يوما
السنة البسيطة المعتدلة = ٣٥٤ يوما		السنة الكبيسة المعتدلة= ٣٨٤ يوما
السنة البسيطة الكاملة أو الزائدة= ٣٥٥ يوما		السنة الكبيسة الكاملة أو الزائدة= ٣٨٥ يوما

فالسنة التي تكون ٣٥٣ يوما تبدأ في يوم السبت أو الاثنين. والسنة التي تكون ٣٥٤ يومًا تبدأ في الثلاثاء أو الخميس، والسنة التي تكون ٣٥٥ يوما؛ والتي تكون ٣٨٣ يوما؛ والتي تكون ٣٨٥ يوما تبدأ كل هذه السنين في يوم السبت والاثنين والخميس. والتي تكون ٣٨٤ يوما تبدأ يوم الثلاثاء.

ولا تبدأ أية سنة من سني اليهود في يوم الجمعة والأحد والأربعاء.

وإذا ضمّت إلى السنة الميلادية ٣٧٦٠ سنة قبل سبتمبر، و ٣٧٦١ سنة بعد سبتمبر تعلم السنة العبرية. وإلى ولادة النبي ﷺ كان قد مضى:

من الدور الصغير	١٥٧٥٣١١	يومًا
ومن ١١٧ سنة	٦٢٠٠	يوم
ومن ٧ أشهر	٢٠٧	أيام
ومن الشهر الثامن	١٠	أيام

أي المجموع الكلي: ١٥٨١٧٢٨ يومًا.

كان مولد النبي ﷺ وفق هذه السنة في ١٠/ من آيار سنة ٤٣٣١ العبرانية.

٤- سنة نوح أو سنة الطوفان

١	٢	٣	٤	٥	٦
أول أيام السنة	أول شهور السنة	تعداد أيام السنة	تعداد أيام الدور اليولياني قبل بداية هذه السنة	التاريخ القمري من أول السنة قبل بداية السنة الهجرية	تعداد الأيام من أول السنة إلى تأريخ المولد النبوي. وقد دخل فيها يوم المولد أيضا
الخميس	توت	٣٦٥	٥٨٨٤٦٤	٢٧/ من ربيع الأول سنة ٣٨٣٨ق	١٣٤١٢٦١

إن علماء النصارى مختلفون في مدّة ما بين الطوفان وبين ولادة المسيح، لأن المدّة المستخرجة من التوراة العبرية هي ٢٣٤٨ سنة شمسية، والمدة المستخرجة من التوراة السامرية هي ٢٩٩٨ سنة شمسية، والمدة المستخرجة من التوراة اليونانية هي ٣١٢٨ سنة شمسية ، فالفرق فيما بينها هو من ١٣٠ سنة إلى ٧٨٠ سنة . إن دور سنة الطوفان يكون ٧ سنين، والسنوات والشهور والأسابيع الآتية بعد هذا الدور تقع أيامها كالأيام السابقة.

وقد حدد أبو معشر البلخي الطوفان باعتبار سير الكواكب، وهو من اجتماع الكواكب السيّارة في الدرجة السابعة والعشرين من برج الحوت إلى الدرجة الأولى من برج الحمل. وكذلك المدة التي توجد إلى سنة ٧/ الميلادية، هي بحساب أبي معشر ٣١٠٢ سنة، ومدة بدء الطوفان التي قرّرها أبو معشر كانت بعد المدة البسيطة للنصارى المستمدة من التوراة اليونانية بست وعشرين سنة.

بحساب أبي معشر وأبي الريحان كان بدء الطوفان قبل السنّة الهجرية بـ١٣٥٩٩٧٥ يوما. وعلى هذا فأول يوم من سنة الطوفان يوافق ١٧/ من فبراير يوم الخميس سنة ١٦١٢ من الدور اليولياني، أي قبل السنة الميلادية بـ٣١٠٢ سنة.

أما استاذ جامعة ألبانيا الذي نقل كتاب «الآثار الباقية» للبيروني من العربية إلى الألمانية، فقد جعل أوّل يوم من الطوفان الجمعة.

وقد وقع هذا الاختلاف لأن ابن البازيار ذكر في كتاب «القرانات» أن الطوفان كان بدأ في الليلة بين الخميس والجمعة، فجعل بعض أهل العلم الجمعة أول يوم بعد ليلة الطوفان، وجعل بعضهم بعده بيوم. وقد ذكرت كتب علم الهيئة القديمة أن بداية سنة الطوفان كانت في يوم الخميس.

ومع أن أبا معشر البلخي سلّم أن مجموع أيام السنة الشمسية ٣٦٥ يوما وست ساعات، وقد اعتبر في الطوفان حساب الشمس، وجعل السنة ٣٦٥ يوما، كل شهر منها ٣٠ يوما، ثم زيدت ٥ أيام بعد نهاية السنة، فصارت يوم الطوفان ٣٦٥ يومًا.

٥- سنة كل جك

١	٢	٣	٤	٥	٦
أول أيام السنة	أول شهور السنة	مقدار السنة	تعداد أيام الدور اليولياني قبل بداية هذه السنة	التاريخ القمري من أول السنة قبل بداية السنة الهجرية	تعداد الأيام من أول السنة إلى تأريخ المولد النبوي. وقد دخل فيها يوم المولد أيضا
الجمعة	بيساك	الأيام ٣٦٥ الساعات٦ الدقيقة١٢- الثواني٣٥٨٥٥ء٢٦	٥٨٨٤٦٥	٢٨/ من ربيع الأول سنة ٣٨٣٨	١٣٤١٢٦٠

كان بداية سنة «كل جك» قبل يوم الاعتدال الربيعي بـ٥٨ يومًا. في الساعة الثانية عشرة من الليلة ما بين ١٧-١٨ من شهر فبراير. وقد وقع يوم الاعتدال الربيعي في هذه

السنة في ١٦/ من شهر أبريل سنة ١٦١٢ الموافق ٢٩/ من شهر «جيت» يوم الأحد. ويتم تعداد سنة «كل جك» بعدها بسنة، ومبدأ سنة كل جك يسمّى في مصطلح علم الهيئة بسنة الصفر لكل جك.

وبسبب التفارق بين سنة الطوفان وسنة كل جك يبدو أنهما سنتان مختلفان، مع أنهما متحدتان في الحقيقة. وبدايتهما في ليلة الطوفان، فبداية سنة كل جك هي ذكرى الحادث العظيم المعروف بالطوفان، وفق هذه السنة كان مولد الرسول ﷺ في غرة شهر «جيت» سنة ٣٦٧٢ كل جك.

٦- السنة الإبراهيمية

١	٢	٣	٤	٥	٦
أول أيام السنة	أول شهور السنة	مقدار السنة	تعداد أيام الدور اليولياني قبل بداية هذه السنة	التاريخ القمري من أول السنة قبل بداية السنة الهجرية	تعداد الأيام من أول السنة إلى تاريخ المولد النبوي. وقد دخل فيها يوم المولود أيضا
السبت	أكتوبر	الدقائق - الساعات ٠ ٦ الأيام ٣٦٥		٥/ من ربيع الثاني سنة ٢٧١٧ ق. هـ	٩٤٤٠٠٨

إن السنة الإبراهيمية توافق السنة الميلادية إذا ضمّت إلى السنة الميلادية ٢٠١٤ سنة و٣ أشهر، وقد ذكر (آرك بشب آنر) زمن ولادة إبراهيم قبل السنة الميلادية بـ١٩٩٦ سنة، وقد ذكرت دائرة المعارف البريطانية زمن ولادة إبراهيم قبل ٢٠١٥ سنة من السنة الميلادية. (دائرة المعارف البريطانية (٤/ ٦٨١) الطبعة التاسعة). وذلك يوافق غرة شهر أكتوبر سنة ٢٦٩٩ من الدور اليولياني. وقد رجحنا في هذا الجدول بيان دائرة المعارف. وفق هذه السنة كان مولد الرسول ﷺ في ٢٠/ من الشهر السابع من هذه السنة.

٧- سنة بخت نصر

١	٢	٣	٤	٥	٦
أول أيام السنة	أول شهور السنة	مقدار السنة	تعداد أيام الدور اليولياني قبل بداية هذه السنة	التاريخ القمري من أول السنة قبل بداية السنة الهجرية	تعداد الأيام من بداية السنة إلى تاريخ المولد النبوي وقد دخل فيها يوم الولادة أيضا
الأربعاء	توت	الأيام ٣٦٥	١٤٤٨٦٣٧	٤/ شعبان سنة ١٤١١ ق. هـ	٤٨١٠٨٨

تبدأ هذه السنة في ٢٦ من فبراير سنة ٣٩٦٧ اليوليانية قبل ٧٤٧ سنة بمولد المسيح في يوم جلوس بخت نصر الأول. وهو غير بخت نصر الذي هدم بيت المقدس، فإنه عاش بعده بـ١٤٢ سنة.

دور هذه السنة يكون ٧ سنوات، وبعد تمام هذا الدور تبدأ السنوات والشهور في نفس أيام الأسبوع التي كانت قبل ٧ سنوات. وفق هذه السنة كان مولد الرسول ﷺ في ١٨/ من شهر توت سنة ١٣١٩ لسنة بخت نصر.

٨- سنة الإسكندر

١	٢	٣	٤	٥	٦
أول أيام السنة	أول شهور السنة	مقدار السنة	تعداد أيام الدور اليولياني قبل بداية هذه السنة	التاريخ القمري من أول السنة قبل بداية السنة الهجرية	تعداد الأيام من بداية السنة إلى تاريخ المولد النبوي. وقد دخل فيها يوم الولادة أيضا
الاثنين	تشرين الأول	الساعات ٦ الأيام ٣٦٥	١٦٠٧٧٣٨	٢٤/ من رجب سنة ٩٦٢	٣٢١٩٨٧

سنة الإسكندر تعرف اليوم في القسطنطينية بالسنة الرومية، باعتبارها سنة شمسية. والسنة الرابعة منها، التي إن قسمت على أربع، خرج ثلاث تكون ٣٦٦ يوما. وهذه

السنة يكون فيها شهر شباط ٢٩ يوما، بدل ٢٨ يوما. ودور هذه السنة يكون ٢٨ عاما. ثم تقع جميع السنوات والشهور وأيام الأسبوع وفق الدور السابق.

الأوربيون يطلقون على هذه السنة اسم السنة المقدونية أو السلوكسية. وقد تمّ تنفيذ هذه السنة بعد وفاة الإسكندر بـ١٢ سنة، على يد نائبه القائد سلوكس حين فتح بابل. وكانت بدايتها قبل ٣١١ سنة وثلاثة أشهر من السنة الميلادية في غرة أكتوبر سنة ٤٤٠٢ اليوليانية.

وفق هذه السنة كان مولد الرسول ﷺ في ٢٠/ من شهر نيسان سنة ٨٨٢ للإسكندر.

٩- سنة بكرمي بروشته

١	٢	٣	٤	٥	٦
أول أيام السنة	أول شهور السنة	مقدار السنة	تعداد أيام الدور اليولياني قبل بداية هذه السنة	التاريخ القمري من أول السنة قبل بداية السنة الهجرية	تعداد الأيام من بداية السنة إلى تاريخ المولد النبوي وقد دخل فيها يوم الولادة أيضا
السبت	بيساك	الدقائق ١٢ الساعات ٦ الأيام ٣٦٥ الثواني ٣٦،٥٥٨٥٣	١٧٠٠٦٧٥	٢٨/ من شوال سنة ٧٠٠ ق هـ	٢٢٩٠٥٠

إن سنة سمت بروشتة وإن كانت تبدو سنة شمسية، ولكنها في الحقيقة سنة شمسية كوكبية، لأن تساوي الليل والنهار، وكون النهار أصغر وأكبر، يقع في تاريخ واحد معين وفق السنة الشمسية. أما سنة سمت بروشتة فتساوي الليل والنهار في فصلي الربيع والخريف، وكون النهار أكبر وأصغر يقع فيها في الأشهر والتواريخ المختلفة. فمبدأ غرة شهر بيساك من سنة بروشتة كان قبل السنة الميلادية بست وخمسين سنة وتسعة أشهر وتسعة عشر يوما، أي في ١٣/ من شهر مارس سنة ٤٦٥٧ اليوليانية، قبل دخول النيّر في برج الحمل بعشرة أيام، وسنة بكرمي بروشتة تبدأ في عصرنا هذا في ١٣/ من أبريل، أي بعد يوم الاعتدال الربيعي بثلاثة وعشرين يوما.

وفق هذه السنة كان مولد الرسول ﷺ في غرة جيت سنة ٦٢٨ لسمت بروشتة.

١٠ - السنة الشمسية القمرية البكرمية

١	٢	٣	٤	٥	٦
أول أيام السنة	أول شهور السنة	مقدار السنة	تعداد أيام الدور اليولياني قبل بداية هذه السنة	التاريخ القمري من أول السنة قبل بداية السنة الهجرية	تعداد الأيام من بداية السنة إلى تاريخ المولد النبوي وقد دخل فيها يوم الولادة أيضا
السبت	جيت	١٣-١٢ شهرا قمريا	١٧٠٠٦٧٥	٢٨/ من شوال سنة ٧٠٠	٢٢٩٠٥٠

إن السنة البكرمية الشمسية القمرية الهندية تكون ١٢/ ١٣ شهرا قمريا. وكل شهر قمري منها ينقسم إلى جزئين: كل جزء منها خمسة عشر يوما.

الجزء الأول: يسمّى بدي بكش، وهو يبدأ عامة من التاريخ ١٤ القمري، وينتهي إلى التاريخ ٢٨/ القمري.

والجزء الثاني: يسمّى شدي بكش، وهو يبدأ قبل رؤية الهلال بيوم أو يومين وينتهي إلى تاريخ ١٣/ القمرى.

واليوم الخامس عشر من بدي بكش يسمّى أماوس (اجتماع النيرين).

واليوم الخامس عشر من شدي بكش يسمّى بورنماشي(البدر).

وهذه السنة تبدأ في الوقت الذي تنقضي فيه خمسة عشر يوما من شهر «جيت»، وتبقى منه خمسة عشر يوما. وهكذا يدخل النصف الأول من شهر جيت القمري في السنة التي ما قبله، ويدخل النصف الآخر في السنة التي ما بعده.

والسنة إنما تكون ١٣/ شهرا حينا يقع اجتماع النيرين مرتين في شهر شمسي من سنة شمسية. وهذا إنما يكون في الأشهر الشمسية التي تكون أزيد من ٣٠/ يوما. والشهر الثالث عشر الذي يسمّى الشهر الكبيس.

إن الشهر الكبيس إنما يزاد بحساب «سوريا سدهانتا» حينما يكون النصف الأول من الشهر العادي قد انقضى ويكون النصف الآخر منه قد بقي.

والناس في جنوب الهند يزيدون الشهر الكبيس قبل الشهر العادي.

وإذا لم يقع اجتماع النيرين في شهر شمسي ولو مرّة لا يعدّ اسم الشهر القمري لذلك الشهر الشمسي من أشهر السنة. هذا الشهر كسشيا (المتروك) ولا يكون الشهر كسشيا إلا من هذه الأشهر الثلاثة منكهر وبوش وماك. وبسبب هذا الترك تكون السنة أحد عشر شهرا. ولتصحيح هذا النقص يزيدون الشهر الكبيس عوضا للشهر القمري الأصلي . وكثيرا ما يقع شهر كسشيا (المتروك) في السنة التي يقع في أحد شهورها اجتماع النيرين مرتين. وفي هذه الصورة تكون سنة كسشيا أحد عشر شهرا قمريا متواصلا وشهرين من الكبيسة. (أحدهما عوض كسشيا والثاني عوض أوبك ماس). ولذلك تكون سنة كسشيا في أكثر الأحيان ثلاثة عشر شهرا، وفي بعض الأحيان اثني عشر شهرا.

إلى ولادة النبي ﷺ كانت قد انقضت من ٦٢٧ سنة قمرية شمسية، ٣٩٦ سنة و١٢/ شهرا، و٢٣١ سنة و١٣ شهرا، يعنى ٧٧٥٥ شهرا كاملا. فكان ٣٦٤١ شهرا منها يكون ٢٩ يوما، و٤١١٤ شهرا منها يكون ٣٠ يوما. وهكذا تكون ٦٢٧ سنة قمرية شمسية ٢٢٩٠٩٠ يوما. وإذا ضمت إليها ١٥ يوما من جيت شدي سنة ٦٢٨ و١٥ يوما من بيساك بدي سنة ٦٢٨ و١١ يوما من بيساك شدي سنة ٦٢٨ أصبح مجموع الأيام ٢٢٩٠٥٠ يوما إلى مولد الرسول ﷺ.

وعلى هذا يقع المولد النبوي في يوم موهني أكاوش، الذي يعتبر يومًا مقدّسا عند الهنادك:

١١ - السنة الميلادية القديمة

١	٢	٣	٤	٥	٦
أول أيام السنة	أول شهور السنة	مقدار السنة	تعداد أيام الدور اليولياني قبل بداية هذه السنة	التاريخ القمري من أول السنة قبل بداية السنة الهجرية	تعداد الأيام من بداية السنة إلى تاريخ المولد النبوي وقد دخل فيها يوم الولادة أيضا
السبت	يناير	الساعات ٦ الأيام ٣٦٥	١٧٢١٤٢٣	٦/ من جمادي الأولى سنة ٦٤٠ ق.هـ	٢٠٨٣٠٢

جعلت بداية السنة الميلادية من مولد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ ولكن الباحثين الأوربيين قد اعترفوا في هذا العصر بأن مولد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ كان قبل أربع سنوات من هذه السنة. وقد تم تدوين الميلادية لأوّل مرة في التاريخ سنة ٧٤٨م الموافق سنة ١٣٠ هـ. ودور هذه السنة يكون ٢٨ عاما ، ثم تقع جميع السنوات والشهور والتواريخ في نفس الأيام التي كانت في الدور السابق. إن الأقطار المختلفة كانت تبدأ هذه السنة إما من شهر مارس أو من يوم عيد الفصح أو من يوم ميلاد المسيح أو من شهر سبتمبر. ولكن بدأتها إنجلترا من شهر يناير سنة ١٧٥٢ م. والناس في أوربا وأمريكا يبدأون السنة الآن من هذا الشهر.

وفق هذه السنة كان مولد الرسول ﷺ في ٢٠/ من أبريل سنة ٥٧١ م.

١٢ - السنة الميلادية الجديدة

١	٢	٣	٤	٥	٦
أول أيام السنة	أول شهور السنة	مقدار السنة	تعداد أيام الدور اليولياني قبل بداية هذه السنة	التاريخ القمري من أول السنة قبل بداية السنة الهجرية	تعداد الأيام من بداية السنة إلى تاريخ المولد النبوي وقد دخل فيها يوم الولادة أيضا
الاثنين	يناير	الساعات ٥ الأيام ٣٦٥ الدقائق ٤٨ الثواني ٤٦	١٧٢١٤٢٥	١٨/ من جمادى الأولى سنة ٦٤١ ق.هـ	٢٠٨٣٠٠

في الحساب القديم كان مقدار السنة يزيد عن المقدار الصحيح بإحدى عشرة دقيقة وأربع عشرة ثانية. ولذا كان الاعتدال الربيعي يوافق ٢١/ من شهر مارس وفي سنة ١٥٨٢م، يوافق ١١/ من شهر مارس. ثمّ تمّ إصلاح هذا الخطأ المتزايد. وبالحساب الحالي يكون يوم الاعتدال الربيعي والخريفي في تأريخه المعين بكونه الأصغر والأكبر كما أنه قد زال أمر وقوع شهور الشتاء في الصيف، و بالعكس.

وفي الحساب القديم كان يوم الاثنين يوافق ٣/ من يناير السنة الأولى من الميلاد. أما في الحساب الجديد قد جعل الاثنين موافقا لغرّة يناير السنة الأولى من الميلاد. وفق

الحساب القديم كانت السنة تكون ٣٦٦ يوما لكل قرن كامل، والقرن يكون ٣٦٥٢٥ يوما.

أما اليوم وفق الحساب الجديد فمن القرن الأول إلى القرن التاسع والثلاثين. وكل قرن قسم على ٤٠٠ يوم، وما خرج منه شيء تكون سنة هذا القرن ٣٦٦ يوما، ويكون القرن ٣٦٥٢٥ يومًا.

وكل قرن لا يتم تقسيمه على ٤٠٠، تكون سنة هذا القرن ٣٦٥ يوما، ويكون هو ٣٦٥٢٤ يومًا.

وفق هذه السنة كان مولد الرسول ﷺ في ٢٢/ من أبريل سنة ٥٧١م.

١٣ - السنة القبطية الجديدة

١	٢	٣	٤	٥	٦
أول أيام السنة	أول شهور السنة	مقدار السنة	تعداد أيام الدور اليولياني قبل بداية هذه السنة	التاريخ القمري من أول السنة قبل بداية السنة الهجرية	تعداد الأيام من بداية السنة إلى تاريخ المولد النبوي وقد دخل فيها يوم الولادة أيضا
الجمعة	توت	الساعات٦ الأيام ٣٦٥	١٨٢٥٠٢٩	٢٩/ من رمضان سنة ٣٤٩ ق.هـ	١٠٤٦٩٦

تبدأ هذه السنة ٢٩/ من أغسطس سنة ٢٨٤ يوم الجمعة، يوم جلوس قلطيانوس الأنطاكي آخر ملوك رومة الوثنيين. ولا تزال إلى اليوم جارية في مصر. إن ثلاث سنوات في هذه السنة تكون ٣٦٥ يوما، والسنة الرابعة التي إذا قسمت على أربع خرج ثلاث تكون ٣٦٦ يوما. وكل شهر منها ثلاثون يومًا، والقبط يزيدون خمسه أيام في السنة التي تكون ٣٦٥ يوما، وستة أيام في السنة التي تكون ٣٦٦ يوما بعد نهاية السنة القبطية، ويسمّونها النسيء.

يكون دور هذه السنة ٢٨ عاما. وفق هذه السنة كان مولد الرسول ﷺ في ٢٥/ من شهر برمودة سنة ٢٧٨ القبطية.

١٤- سنة جلوس أنوشيروان

١	٢	٣	٤	٥	٦
أول أيام السنة	أول شهور السنة	مقدار السنة	تعداد أيام الدور اليولياني قبل بداية هذه السنة	التاريخ القمري من أول السنة قبل بداية السنة الهجرية	تعداد الأيام من بداية السنة إلى تاريخ المولد النبوي وقد دخل فيها يوم الولادة أيضا
السبت	خرداد	٣٦٥	١٩١٥٢٦٠	١٤/ من جمادي الأولى سنة ٩٤ ق. هـ	١٤٤٦٥

إن المجوس كانوا يستعملون السنة حسب جلوس كل ملك، فإذا جلس ملك جديد بطلت السنة المستعملة من قبل. كان جلوس أنوشيروان بعد ٦٣ يوما من بداية السنة المجوسية يوم السبت في ١٣/ ١٥ من سبتمبر سنة ٥٣١ م الموافق ٤/ من شهر خرداد. وكان مولد النبي ﷺ بعد ١٤٤٦٤ من يوم جلوس أنوشيروان، أي في ١٨/ من شهر وفي سنة ٤٠ المجوسية، الموافق ٢٠-٢٢ من شهر أبريل سنة ٥٧١ م.

والسنة عند المجوس تكون ٣٦٥ يوما وست ساعات، ولكنهم لا يعتدون بكسور ست ساعات إلى ١١٩ عاما، وفي ١٢٠ عاما إذا تكونت ثلاثون يوما من مجموعة كسور ست ساعات المتروكة، زادوا في السنة المائة والعشرين سنة كبيسة. الدور الصغير يكون ١٢٠ سنة، والدور الكبير يكون اثني عشر دورا صغيرا أي ١٤٤٠ سنة. وكيفية زيادة السنة الكبيسة بعد كل دور صغير، أنهم في السنة المائة والعشرين من الدور الأوّل يعدّون الشهر الأوّل مرتين، وكذا في السنة المائة والعشرين من الدور الثاني يعدّون الشهر الثاني مرتين، وكذا في السنة المائة والعشرين من الدور الثالث يعدّون الشهر الثالث مرتين، وكذا في السنة الألف وأربع مائة والأربعين من الدور الكبير يعدّون الشهر الثاني عشر مرتين. ثم يستأنفون عداد السنة الكبيسة من الشهر الأوّل.

وقد انقضت عادة زيادة السنة الكبيسة بعد يزدجرد آخر ملوك فارس. والمجوس يستعملون اليوم سنة يزدجرد المكوّنة من ٣٦٥ يوما، بحيث إنهم يعدّون الشهر ثلاثين يوما، ثم يزيدون خمسة أيام مترقية، ويعدّون السنة ٣٦٥ يوما. إن المجوس يزيدون خمسة

أيام بعد شهر آبان. أما المسلمون فإنهم يزيدونها بعد الشهر الأخير. وهكذا يقلّ تاريخ المجوس بعد شهر إلى آخر السنة بخمسة أيام عن تأريخ المؤرخين المسلمين. دور السنة المجوسية يكون سبع سنوات.

١٥ - سنة عام الفيل

١	٢	٣	٤	٥	٦
أول أيام السنة	أول شهور السنة	مقدار السنة	تعداد أيام الدور اليولياني قبل بداية هذه السنة	التاريخ القمري من أول السنة قبل بداية السنة الهجرية	تعداد الأيام من بداية السنة إلى تاريخ المولد النبوي وقد دخل فيها يوم الولادة أيضا
الأحد	محرم	الدقائق ٤٨ الساعات ٨ الأيام ٣٥٤ الثواني ٤٤ء٣٤	١٩٢٩٦٥٧ ١٩٢٩٦٧٤	١٨/ من محرم سنة ٥٣ ق. هـ	٦٨/ ٥١

كان هجوم أصحاب الفيل على مكة المكرمة في ١٧/ من محرم الحرام، ولذا يبدأون سنة أصحاب الفيل من ١٨/ من محرم، يوم الأحد. وقد وقع هذا الحادث قبل خمسين يوما من مولد الرسول ﷺ.

١٣ يوما — من محرم الحرام

٢٩ يوما — من صفر المظفر

٨ أيام — من ربيع الأوّل

المجموع= ٥٠ يومًا.

وفق هذه السنة كان مولد الرسول ﷺ في ٩/ من ربيع الأول، السنة الأولى من عام الفيل.

جدول بداية الشهور القمرية لثلاث وعشرين سنة من عصر النبوّة مع تعيين اليوم وموافقة التاريخ والشهر والسنة الميلادية

السنون الإسلامية	محرم الحرام	صفر المظفّر	ربيع الأوّل	ربيع الثاني
٤١ من مولد النبي ﷺ	الخميس ٤/١٢/٦٠٩	السبت ٣/١/٦١٠	الأحد ١/٢/٦١٠	الثلاثاء ٣/٣/٦١٠
٤٢	الاثنين ٢٣/١١/٦١٠	الأربعاء ٢٣/١٢/٦١٠	الجمعة ٢٢/١/٦١١	السبت ٢٠/٢/٦١١
٤٣	السبت ١٣/١١/٦١١	الأحد ١٢/١٢/٦١١	الثلاثاء ١١/١/٦١٢	الأربعاء ٩/٢/٦١٢
٤٤	الأربعاء ١/١١/٦١٢	الجمعة ١/١٢/٦١٢	السبت ٢٠/١٢/٦١٢	الإثنين ٢٩/١/٦١٣
٤٥	الاثنين ٢٣/١٠/٦١٣	الثلاثاء ٢٠/١١/٦١٣	الخميس ٢٠/١٢/٦١٣	الجمعة ١٨/٠/٦١٤
٤٦	الجمعة ١١/١٠/٦١٤	السبت ١٩/١١/٦١٤	الاثنين ٩/١٢/٦١٤	الأربعاء ٨/١/٦١٥
٤٧	الثلاثاء ٣٠/٩/٦١٥	الخميس ٣٠/١٠/٦١٥	الجمعة ٢٨/١١/٦١٥	الأحد ٢٨/١١/٦١٥
٤٨	الأحد ١٩/٩/٦١٦	الإثنين ٨/١٠/٦١٦	الأربعاء ١٧/١١/٦١٦	الخميس ١٦/١٢/٦١٦
٤٩	الخميس ٨/٩/٦١٧	السبت ٨/١٠/٦١٧	الأحد ٦/١١/٦١٧	الثلاثاء ٦/١٢/٦١٧
٥٠	الاثنين ٢٨/٨/٦١٨	الأربعاء ٢٧/٩/٦١٨	الخميس ٢٦/١٠/٦١٨	السبت ٢٥/١١/٦١٨
٥١	السبت ١٨/٨/٦١٩	الأحد ١٦/٩/٦١٩	الثلاثاء ١٦/١٠/٦١٩	الأربعاء ١٤/١١/٦١٩

٥٢	الأربعاء ٦/٨/٦٢٠	الجمعة ٥/٩/٦٢٠	السبت ٤/١٠/٦٢٠	الاثنين ٣/١١/٦٢٠
٥٣	السبت ٢٧/٧/٦٢١	الثلاثاء ٢٥/٨/٦٢١	الخميس ٢٤/٩/٦٢١	الجمعة ٢٣/١٠/٦٢١
١ هـ	الجمعة ٢٧/٧/٦٢٢	الأحد ١٥/٨/٦٢٢	الاثنين ١٢/٩/٦٢٢	الثلاثاء ١٢/١٠/٦٢٢
٢ هـ	الثلاثاء ٥/٧/٦٢٣	الخميس ٤/٨/٦٢٣	الجمعة ٢/٩/٦٢٣	الأحد ٢/١٠/٦٢٣
٣ هـ	الأحد ٦/٦/٦٢٤	الاثنين ٣/٧/٦٢٤	الأربعاء ٢٢/٨/٦٢٤	الخميس ٢٠/٩/٦٢٤
٤ هـ	الخميس ١٣/٦/٦٢٥	السبت ١٣/٧/٦٢٥	الأحد ١١/٨/٦٢٥	الثلاثاء ١٠/٩/٦٢٥
٥ هـ	الاثنين ٣/٦/٦٢٦	الأربعاء ٢/٧/٦٢٦	الخميس ٢١/٧/٦٢٦	السبت ٣٠/٨/٦٢٦
٦ هـ	السبت ٢٣/٥/٦٢٧	الأحد ٢١/٦/٦٢٧	الثلاثاء ٢١/٧/٦٢٧	الأربعاء ١٩/٨/٦٢٧
٧ هـ	الأربعاء ١١/٥/٦٢٨	الجمعة ١٠/٦/٦٢٨	السبت ٩/٧/٦٢٨	الاثنين ٨/٨/٦٢٨
٨ هـ	الأحد ٣٠/٤/٦٢٩	الثلاثاء ٣٠/٥/٦٢٩	الأربعاء ٢٨/٦/٦٢٩	الجمعة ٢٨/٧/٦٢٩
٩ هـ	الجمعة ٢٠/٤/٦٣٠	السبت ١٩/٥/٦٣٠	الاثنين ١٨/٦/٦٣٠	الثلاثاء ١٧/٧/٦٣٠
١٠ هـ	الثلاثاء ٩/٤/٦٣١	الخميس ٩/٥/٦٣١	الجمعة ٧/٦/٦٣١	الأحد ٧/٧/٦٣١
١١ هـ	السبت ٢٨/٣/٦٣٢	الاثنين ٢٧/٤/٦٣٢	الأربعاء ٢٧/٥/٦٣٢	الخميس ٢٥/٦/٦٣٢

السنون الإسلامية	جمادى الأولى	جمادى الثانية	رجب	شعبان
٤١ من مولد النبي ﷺ	الأربعاء ١/ ٤/ ٦١٠	الجمعة ٢٧/ ٨/ ٦١٠	السبت ٢٥/ ٩/ ٦١٠	الاثنين ٢٥/ ١٠/ ٦١٠
٤٢	الاثنين ١٨/ ٧/ ٦١١	الثلاثاء ٢٦/ ٨/ ٦١١	الخميس ١٥/ ٩/ ٦١١	الجمعة ١٨/ ٦/ ٦١١
٤٣	الجمعة ١٠/ ٣/ ٦١٢	الأحد ٩/ ٤/ ٦١٢	الاثنين ٨/ ٥/ ٦١٢	الأربعاء ٧/ ٦/ ٦١٢
٤٤	الثلاثاء ٢٧/ ٢/ ٦١٣	الخميس ٢٩/ ٣/ ٦١٣	الجمعة ٢٧/ ٤/ ٦١٣	الأحد ٢٧/ ٥/ ٦١٣
٤٥	الأحد ١٧/ ٢/ ٦١٤	الإثنين ١٨/ ٢/ ٦١٤	الأربعاء ١٧/ ٤/ ٦١٤	الخميس ١٦/ ٥/ ٦١٤
٤٦	الخميس ٦/ ٢/ ٦١٥	السبت ٨/ ٣/ ٦١٥	الأحد ٦/ ٤/ ٦١٥	الثلاثاء ٦/ ٥/ ٦١٥
٤٧	الاثنين ٢٦/ ١/ ٦١٦	الأربعاء ٢٥/ ٣/ ٦١٦	الجمعة ٢٦/ ٣/ ٦١٦	السبت ٢٤/ ٤/ ٦١٦
٤٨	السبت ١٥/ ١/ ٦١٧	الأحد ١٣/ ٢/ ٦١٧	الثلاثاء ١٥/ ٣/ ٦١٧	الأربعاء ١٣/ ٤/ ٦١٧
٤٩	الأربعاء ٤/ ١/ ٦١٨	الجمعة ٣/ ١/ ٦١٨	السبت ٤/ ٣/ ٦١٨	الاثنين ٣/ ٤/ ٦١٨
٥٠	الاثنين ٢٥/ ١٢/ ٦١٩	الثلاثاء ٢٣/ ١/ ٦١٩	الخميس ٢٢/ ٢/ ٦١٩	الجمعة ٢٢/ ٣/ ٦١٩
٥١	الجمعة ١٤/ ١٢/ ٦٢٠	السبت ١٢/ ١/ ٦٢٠	الإثنين ١١/ ٢/ ٦٢٠	الثلاثاء ١١/ ٣/ ٦٢٠
٥٢	الثلاثاء ٢/ ١٢/ ٦٢١	الخميس ١/ ١/ ٦٢١	الجمعة ٣٠/ ١/ ٦٢١	الأحد ١/ ٣/ ٦٢١

٥٣	الأحد ٢٢/ ١١ / ٦٢٢	الاثنين ٢١/ ١٢ / ٦٢٢	الأربعاء ٢٠/ ١ / ٦٢٢	الخميس ١٨/ ٢ / ٦٢٢
١ هـ	الخميس ١١/ ١١ / ٦٢٣	السبت ١١/ ١٢ / ٦٢٣	الأحد ٩/ ١ / ٦٢٣	الثلاثاء ٨/ ٢ / ٦٢٣
٢ هـ	الاثنين ٣١/ ١٠ / ٦٢٣	الأربعاء ٣٠/ ١١ / ٦٢٣	الخميس ٢٩/ ١٢ / ٦٢٣	السبت ٢٨/ ١ / ٦٢٤
٣ هـ	السبت ٢٠/ ١٠ / ٦٢٤	الأحد ١٨/ ١١ / ٦٢٤	الثلاثاء ١٨/ ١٢ / ٦٢٤	الأربعاء ١٦/ ١ / ٦٢٥
٤ هـ	الأربعاء ٩/ ١٠ / ٦٢٥	الجمعة ٨/ ١١ / ٦٢٥	السبت ٧/ ١٢ / ٦٢٥	الاثنين ٢٦/ ١٢ / ٦٢٦
٥ هـ	الأحد ٢٨/ ٩ / ٦٢٦	الثلاثاء ٢٨/ ١٠ / ٦٢٦	الخميس ٢٨/ ١١ / ٦٢٦	الجمعة ٦/ ١ / ٦٢٧
٦ هـ	الجمعة ١٨/ ٩ / ٦٢٧	السبت ١٧/ ١٠ / ٦٢٧	الاثنين ١٦/ ١١ / ٦٢٧	الثلاثاء ١٥/ ١٢ / ٦٢٧
٧ هـ	الثلاثاء ٦/ ٩ / ٦٢٨	الخميس ٦/ ١٠ / ٦٢٨	الجمعة ٤/ ١١ / ٦٢٨	الأحد ٤/ ١٢ / ٦٢٨
٨ هـ	السبت ٢٦/ ٨ / ٦٢٩	الاثنين ٢٥/ ٩ / ٦٢٩	الأربعاء ٢٥/ ١٠ / ٦٢٩	الخميس ٢٣/ ١١ / ٦٢٩
٩ هـ	الخميس ١٦/ ٨ / ٦٣٠	الجمعة ١٤/ ٩ / ٦٣٠	الأحد ١٤/ ١٠ / ٦٣٠	الاثنين ١٢/ ١١ / ٦٣٠
١٠ هـ	الاثنين ٥/ ٨ / ٦٣١	الأربعاء ٤/ ٩ / ٦٣١	الخميس ٣/ ١٠ / ٦٣١	السبت ٢/ ١١ / ٦٣١
١١ هـ	السبت ٢٥/ ٧ / ٦٣٢	الأحد ٢٣/ ٨ / ٦٣٢	الثلاثاء ٢٢/ ١٠ / ٦٣٢	الأربعاء ٢١/ ١١ / ٦٣٢

السنون الإسلامية	رمضان	شوال	ذوالقعده	ذو الحجة
٤١ من مولد النبي ﷺ	الثلاثاء ٢٨/ ٧/ ٦١٠	الخميس ٢٧/ ٨/ ٦١٠	الجمعة ٢٥/ ٩/ ٦١٠	الأحد ٢٥/ ١٠/ ٦١٠
٤٢	الأحد ١٨/ ٧/ ٦١١	الاثنين ٢٦/ ٨/ ٦١١	الأربعاء ١٥/ ٩/ ٦١١	الخميس ١٤/ ١٠/ ٦١١
٤٣	الخميس ٦/ ٧/ ٦١٢	السبت ٥/ ٨/ ٦١٢	الاثنين ٤/ ٩/ ٦١٢	الثلاثاء ٣/ ١٠/ ٦١٢
٤٤	الاثنين ٢٥/ ٦/ ٦١٣	الأربعاء ٢٥/ ٧/ ٦١٣	الجمعة ٢٤/ ٨/ ٦١٣	السبت ٢٢/ ٩/ ٦١٣
٤٥	السبت ١٥/ ٦/ ٦١٤	الأحد ٢١/ ٧/ ٦١٤	الثلاثاء ١٣/ ٨/ ٦١٤	الأربعاء ١١/ ٩/ ٦١٤
٤٦	الأربعاء ٤/ ٦/ ٦١٥	الجمعة ٢١/ ٧/ ٦١٥	السبت ٢/ ٨/ ٦١٥	الاثنين ١/ ٩/ ٦١٥
٤٧	الاثنين ٢٤/ ٥/ ٦١٦	الثلاثاء ٢٢/ ٦/ ٦١٦	الخميس ٢٢/ ٧/ ٦١٦	الجمعة ٢/ ٨/ ٦١٥
٤٨	الجمعة ١٣/ ٥/ ٦١٧	السبت ١١/ ٦/ ٦١٧	الاثنين ١١/ ٧/ ٦١٧	الأربعاء ١٠/ ٨/ ٦١٧
٤٩	الثلاثاء ٢/ ٥/ ٦١٨	الخميس ١/ ٦/ ٦١٨	الجمعة ٣٠/ ٦/ ٦١٨	الأحد ٣٠/ ٧/ ٦١٨
٥٠	الأحد ٢٢/ ٤/ ٦١٩	الإثنين ٢١/ ٥/ ٦١٩	الأربعاء ٢٠/ ٦/ ٦١٩	الخميس ١٩/ ٧/ ٦١٩
٥١	الخميس ١٠/ ١/ ٦٢٠	السبت ١٠/ ٥/ ٦٢٠	الأحد ٦/ ٦/ ٦٢٠	الثلاثاء ٨/ ٧/ ٦٢٠
٥٢	الاثنين ٣٠/ ٣/ ٦٢١	الأربعاء ٢٩/ ٤/ ٦٢١	الخميس ٢٨/ ٥/ ٦٢١	السبت ٢/٦/ ٦٢١

٥٣	السبت ٢٠/ ٣/ ٦٢٢	الأحد ١٨/ ٤/ ٦٢٢	الثلاثاء ١٨/ ٥/ ٦٢٢	الأربعاء ١٦/ ٦/ ٦٢٢
١ هـ	الأربعاء ٩/ ٣/ ٦٢٣	الجمعة ٨/ ٤/ ٦٢٣	السبت ٧/ ٥/ ٦٢٣	الاثنين ٦/ ٦/ ٦٢٣
٢ هـ	الأحد ٢٦/ ٢/ ٦٢٤	الثلاثاء ٢٧/ ٣/ ٦٢٤	الخميس ٢٦/ ٤/ ٦٢٤	الجمعة ٢٥/ ٥/ ٦٢٤
٣ هـ	الجمعة ١٥/ ٢/ ٦٢٥	السبت ١٦/ ٣/ ٦٢٥	الاثنين ١٥/ ٤/ ٦٢٥	الثلاثاء ١٤/ ٥/ ٦٢٥
٤ هـ	الثلاثاء ٤/ ٢/ ٦٢٦	الخميس ٦/ ٣/ ٦٢٦	الجمعة ٤/ ٤/ ٦٢٦	الأحد ٤/ ٥/ ٦٢٦
٥ هـ	الأحد ٢٥/ ١/ ٦٢٧	الاثنين ٢٣/ ٢/ ٦٢٧	الأربعاء ٥/ ٣/ ٦٢٧	الخميس ٢٣/ ٤/ ٦٢٧
٦ هـ	الخميس ٢٥/ ١/ ٦٢٨	الجمعة ١٢/ ٢/ ٦٢٨	الأحد ١٣/ ٣/ ٦٢٨	الثلاثاء ١٢/ ٤/ ٦٢٨
٧ هـ	الاثنين ١٤/ ١/ ٦٢٩	الأربعاء ١/ ٢/ ٦٢٩	الخميس ٢/ ٣/ ٦٢٩	السبت ١/ ٤/ ٦٢٩
٨ هـ	السبت ٢٣/ ١٢/ ٦٣٠	الأحد ٢١/ ١/ ٦٣٠	الثلاثاء ٢/ ٢/ ٦٣٠	الأربعاء ٢١/ ٣/ ٦٣٠
٩ هـ	الأربعاء ١٢/ ١٢/ ٦٣٠	الخميس ١٠/ ١/ ٦٣١	السبت ٩/ ٢/ ٦٣١	الاثنين ١١/ ٣/ ٦٣١
١٠ هـ	الأحد ١/ ١٢/ ٦٣١	الثلاثاء ٣١/ ١٢/ ٦٣١	الأربعاء ٢٩/ ١/ ٦٣١	الخميس ٢٧/ ٣/ ٦٣٢
١١ هـ	الجمعة ٢/ ١١/ ٦٣٢	السبت ١٩/ ١٢/ ٦٣٢	الإثنين ١٨/ ١/ ٦٣٣	الثلاثاء ١٦/ ٢/ ٦٣٣

جدول الأحداث التاريخية المتعلقة بالسّيرة النبوية

الرقم المسلسل	الحادث	اليوم	السنة الإسلامية القمرية			السنة الميلادية الشمسية					الميلادية القمرية(١)
			التاريخ	الشهر	عام الولادة	عام البعثة	عام الهجرة	التاريخ	الشهر	السنة	
١	الولادة النبوية	الأحد	١	محرم	١				فبراير	٥٧١	٥٨٨
		الاثنين	٩	ربيع الأول	١				أبريل	٥٧١	٥٨٨
٢	البعثة	الاثنين	٩	ربيع الأول	٤١	١		١٢/٩	٢	٦١٠	٦٢٨
٣	وجوب صلاة الفجر والعصر على المسلمين	الاثنين	٩	ربيع الأول	٤١	١			٢	٦١٠	٦٢٨
٤	بدء نزول القرآن	ليلة الجمعة	١٧	رمضان	٤١	١		١٧ /١٤	٨	٦١٠	٦٢٨
٥	هجرة الصحابة إلى أرض الحبشة			رجب	٤٥	٥			٤	٦١٤	٦٣٢
٦	حصار النبي ﷺ في شعب أبي طالب	الثلاثاء	١	محرم	٤٧	٧		٣٠ /٣	١٠/٩	٦١٥	٦٣٤
٧	سفره إلى الطائف			جمادى الثانية	٥٠	١٠			٢	٦١٩	٦٣٧

(١) في أغسطس السنة الأولى الميلادية يوم الأربعاء كانت غرّة محرم الحرام، وقد بدأنا السنة الميلادية القمرية من نفس التاريخ. وقد وضعنا السنة الميلادية القمرية، ليعلم الفرق بين السنوات الشمسية والقمرية خلال مدّة معينة.

الرقم المسلسل	الحادث	اليوم	السنة الإسلامية القمرية								الميلادية القمرية
			التاريخ	الشهر	عام الولادة	السنة الميلادية الشمسية					
						عام البعث	عام الهجرة	التاريخ	الشهر	السنة	
٨	الإسراء والمعراج وفرض الصلوات	الاثنين	ليلة ٢٧	رجب	٥٠	١٠			٢	٦١٩	٦٣٧
٩	بداية إيمان أهل المدينة			ذو الحجة	٥٠	١٠			٧	٦١٩	٦٣٧
١٠	بيعة العقبة			ذو الحجة	٥٢	١٢			٧	٦٢١	٦٣٩
١١	بيعة العقبة الثانية			ذو الحجة	٥٣/ ٥٤	١٣/ ١٤			٦ يونيو	٦٢٢	٦٤٠
١٢	الهجرة من مكة والدخول في الغار	ليلة الجمعة	٢٧	صفر	٥٤	١٤	١	ليلة ١٠/ ١٣	٩/ سبتمبر	٦٢٢	٦٤١
١٣	الدخول في قباء	الاثنين	٨	ربيع أول	٥٤	١٤	١	٢٠/ ٣٠	٩/ سبتمبر	٦٢٢	٦٤١
١٤	الدخول في المدينة المنورة	الجمعة	١٢	ربيع الأول	٥٤	١٤	١	٢٤/ ٢٧	٦/ سبتمبر	٦٢٢	
		الاثنين	١٢	ربيع الأول	٥٤	١٤	١	٤/ ٨	٦/ سبتمبر	٦٢٢	٦٤١ (١)
١٥	بناء المسجد النبوي			ربيع الأول	٥٤	١٤	١		١٠/ أكتوبر	٦٢٢	٦٤١
١٦	الزيادة في صلاة الظهر والعصر والعشاء			ربيع الثاني	٥٤	١٤	١		١٠ أكتوبر	٦٢٢	٦٤١

(١) هذا التاريخ مذكور حسب تحقيق الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وقد اختار غيره من علماء السيرة تاريخ الدخول في المدينة يوم الجمعة ١٢/ من ربيع الأوّل.

الرقم المسلسل	الحادث	اليوم	السنة الإسلامية القمرية					السنة الميلادية الشمسية			الميلادية القمرية
			التاريخ	الشهر	عام الولادة	عام البعثة	عام الهجرة	التاريخ	الشهر	السنة	
١٧	تحويل القبلة	السبت	١٥	شعبان	٥٥	١٥	٢	١٤/ ١١	١٠ أكتوبر	٦٢٤	٦٤٢
١٨	أول الصوم بعد وجوب رمضان	الأحد	١	رمضان	٥٥	١٥	٢	٢٩/ ٣٦	٢٠ فبراير	٦٢٤	٦٤٢
١٩	وجوب الزكاة				٥٥	١٥	٣			٦٢٤	٦٤٢
٢٠	وجوب الجهاد				٥٥	١٥	٢			٦٢٤	٦٤٢
٢١	يوم وقعة بدر	الثلاثاء	١٧	رمضان	٥٥	١٥	٢	١٦/ ١٣	٣ مارس	٦٢٤	٦٤٢
٢٢	تحريم الخمر				٥٦	١٦	٣			٦٢٥	٦٤٣
٢٣	نزول الحجاب	الجمعة	١	ذو القعدة	٥٧	١٧	٤	٤/ ٧	٤ أبريل	٦٢٦	٦٤٤
٢٤	دعوة الملوك العظام إلى الإسلام	الأربعاء	١٧	محرم	٦٠	٢٠	٧	١٤/ ١١	٥ مايو	٦٢٨	٦٤٧
٢٥	الفتح المبين	الخميس	٢٠	رمضان	٦١	٢١	٨	١٤/ ١١	١ يناير	٦٣٠	٦٤٨
٢٦	وجوب الحج				٦٢	٢٢	٩			٦٣١	٦٤٩
٢٧	أول حجة في الإسلام في إمامة أبي بكر	الاثنين أو الثلاثاء	٩	ذو الحجة	٦٢	٢٤	٩	١٨/ ٢١	٣ مارس	٦٣١	٦٤٩
٢٨	حجة الوداع	الجمعة		ذو الحجة	٦٣		١٠	٦/ ٩	٣/ مارس	٦٣٢	٦٥٠

الرقم المسلسل	الحادث	اليوم	السنة الإسلامية القمرية			السنة الميلادية الشمسية					الميلادية القمرية
			التاريخ	الشهر	عام الولادة	عام البعثة	عام الهجرة	التاريخ	الشهر	السنة	
٢٩	بداية مرض النبي ﷺ	الاثنين	٢٩	صفر	٦٤	٢٤	١١	٢٨/ ٢٥	٥ مايو	٦٣٢	٦٥١
٣٠	الوفاة	الاثنين في وقت الضحى	١٣	ربيع الأول	٦٤	٢٤	١١	١١/ ٨	٦ يونيو	٦٣٢	٦٥١
	التدفين	ليلة الأربعاء تم تدفينه بعد وفاته باثنين وثلاثين ساعة	١٤	ربيع الأول	٦٤		١١	٩/ ١٢	٦/ يونيو	٦٣٢	٦٥١

اللّهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبرهيم إنّك حميد مجيد، اللّهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد.

انتهى الجزء الثاني من كتاب
«رحمة للعالمين» للعلامة المنصور فوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ
ويليه الجزء الثالث وهو يبدأ
من «باب خصائص النبي ﷺ».

فهرس الموضوعات
للجزء الثاني

الجزء الثاني

مقدمة المؤلّف (للجزء الثاني) ٦٤٩

الباب الأوّل
نسب النبي ﷺ
(٦٥٣-٨٠٥)

عدد أيام حياة النبي ﷺ ٦٥٤

الفصل الأول «الشجرة الطيبة»

- الفرع الأول ٦٥٥
- الفرع الثاني ٦٥٧
- الفرع الثالث ٦٦٠
  - ملاحظات واشكالات في بيان هذه الأعمار ٦٦١

(شجره طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السماء) ٦٦٣

- الفرع الأوّل ٦٦٣
- الفرع الثاني نسبه ﷺ إلى إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ ٦٦٧
- الفرع الثالث نسب إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ٦٧٠

نسب المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ ٦٧٢

- الفرع الأوّل ٦٧٢
  - ملاحظات على نسب المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ ٦٧٣
- الفرع الثاني ٦٧٤
- الفرع الثالث ٦٧٨

الفصل الثاني: أحوال أشهر المشاهير ٦٨٠

آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ٦٨٠

نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ٦٨١

- [١] أولاد سام ٦٨٢

• [٢] أولاد حـام ٦٨٣

• [٣] أولاد يافث ٦٨٤

• حال سـام (أو سم) ٦٨٥

○ تشابه اللغات السامية فيما بينها ٦٨٧

سيّدنا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٦٨٨

أم المسلمين هاجر عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ ٦٩١

سبب تسميتها بـ«هاجر» ٦٩٢

هجرة إبراهيم بهاجر وولدها إلى مكة ٦٩٢

من فضائل هاجر عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ ٦٩٣

رمي أهل الكتاب «هاجر» بكونها أمة، تقليلاً بشأنها ٦٩٤

استبعادكون «هاجر» أمة، رواية عند المسلمين ٦٩٥

شهادة تكفي، ولكنها تحتاج إلى مزيد من التحقيق ٦٩٦

قول ضرّة في ضرّتها حين الغضب لايقبل ٦٩٦

ما هو جواب أهل الكتاب عن هذه الحقائق فهو جوابنا ٦٩٦

دعوة أهل الكتاب لمزيد من التأمّل ٦٩٧

كلمات: «الوليدة والجارية والأمة» تستعمل للابنة أيضاً ٦٩٨

سيّدنا إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٦٩٩

نشأته في جوار بيت الله الحرام ٦٩٩

زواجه ٦٩٩

إسماعيل هو الذبيح عند جمهور المسلمين ٧٠٠

دلاله آيات القرآن الكريم على كونه ذبيحًا ٧٠٠

ووجه الاستدلال بهذه الآيات ٧٠١

إسماعيل نبيّ مبعوث إلى الجزيرة العربية ٧٠٢

تعلّم إسماعيل العربية من أصهاره ٧٠٣

إسماعيل وإسحاق كلاهما يشارك الآخر في الفضل والكرامة ٧٠٣

كان إسماعيل راميا ٧٠٤

كان صادق الوعد ٧٠٥
ما هو هذا الوعد؟ ٧٠٥
كل منهما كان يشاطر الآخر أفراحه وأتراحه ٧٠٥
تشابه عجيب بين أولادهما ٧٠٥
إسماعيل لم يفارق رحاب بيت الله حيّاً وميتاً ٧٠٦
أولاد إسماعيل كانوا معروفين بأسمائهم وديارهم ٧٠٦
وكذلك جاء في التوراة ٧٠٦
عدنان ٧٠٨
معد ٧٠٨
نزار ٧٠٩
مضر ٧١٠
إلياس ٧١٠
مدركة ٧١١
خزيمة ٧١٢
كنانة ٧١٢
النضر ٧١٣
مالك بن النضر ٧١٣
فهر الملقّب بقريش ٧١٣
غالب ٧١٤
لؤيّ ٧١٥
كعب ٧١٥
مرة ٧١٦
كلاب ٧١٧
قُصَيّ ٧١٧
عبد مناف ٧١٩
من أقسام الدخل في الحكومة ٧٢١
جدول أحكام تقسيم الصدقات والغنيمة والفيء مع ذكر آيات القرآن المجيد ٧٢٤

هاشم ٧٢٦
عبد المطلب ٧٢٨
الحارث عمّ النبيّ ﷺ ٧٣١
أبو طالب عمّ النبي ﷺ ٧٣٣
(أ) عقيل بن أبي طالب ٧٣٣
(ب) جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٧٣٥
(ج) علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٧٣٦
العباس بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٧٣٩
عمر (الأطراف) بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٧٤٠
شجرة أولاد عمر (الأطراف) ٧٤١
أبو القاسم محمد بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المعروف بابن الحنفية ٧٤١
محمد بن علي المرتضى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٧٤٢
أبوبكر بن علي المرتضى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٧٤٢
(د) أم هاني بنت أبي طالب ٧٤٢
(ه) جمانة بنت أبي طالب ٧٤٣
حمزة عمّ النبيّ ﷺ ٧٤٤
أبو لهب بن عبد المطّلب ٧٤٦
عبّاس بن عبد المطّلب عمّ النبيّ ﷺ ٧٤٧
أولاده ٧٤٨
الزبير عمّ النبيّ ﷺ ٧٥١
عمّات النبيّ ﷺ ٧٥٢
أم حكيم البيضاء ٧٥٢
أميمة ٧٥٢
عاتكة ٧٥٢
صفيّة ٧٥٢
برّة ٧٥٣

أروى ٧٥٣
عبدالله والد النبيّ ﷺ ٧٥٤
نذر عبدالمطلب لنحر ابنه عبدالله ٧٥٤
من بركات هذا النذر على البشرية ٧٥٥
عفّة عبدالله بن عبدالمطلب ٧٥٦
زواج عبدالله من آمنة ٧٥٦
عبد الله وآمنة وابنهما محمد هذه الأسماء لها دلالتها ٧٥٧
آمنة أم النبي ﷺ ٧٥٨
صفة حمل آمنة به ﷺ ٧٥٩
مرضعته حليمة السعدية ٧٥٩
ذهاب أمّه به إلى أخواله في يثرب ٧٦٠
من ذكريات صباه في المدينة ٧٦١
وفاة أمه ﷺ ٧٦١

الفصل الثالث آل النبي ﷺ

أبناء النبي ﷺ ٧٦٢
القاسم عليه السلام ٧٦٢
عبدالله عليه السلام ٧٦٢
إبراهيم عليه السلام ٧٦٣
تحقيق تأريخ ولادته ووفاته ٧٦٥
دروس وعبر في حديث وفاة إبراهيم ٧٦٦
جدول كسوف الشمس في عهد النبوة ٧٦٧
جدول كسوف الشمس لثلاث وعشرين سنة من العصر النبويّ ٧٦٨
بنات النبي ﷺ ٧٦٩
الأدلة على أنهن من صلب النبي ﷺ: ٧٦٩
١ - زينب رضي الله عنها ٧٧١
٢ - رقية رضي الله عنها ٧٧٥

٣- أم كلثوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٧٧٨
٤ - فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٧٧٩
الأحاديث الواردة في فضلها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٧٨٤
أبناء فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٧٨٦
- **الحسن بن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سبط الرسول ﷺ** ٧٨٦
  - أولاد الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٧٩٢
  - بيان من استمرّ نسبهم ٧٩٢
- **الحسين بن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سبط الرسول ﷺ** ٧٩٥
  - من فضائله ٧٩٥
  - من مروياته ٧٩٦
- **أولاد الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** ٧٩٩
  - زين العابدين علي بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ ٧٩٩
  - عبدالله الباهر بن زين العابدين ٧٩٩
  - زيد الشهيد بن زين العابدين ٧٩٩
  - عمر الأشرف بن زين العابدين ٨٠٠
  - حسين الأصغر بن زين العابدين ٨٠٠
  - عليّ الأصغر بن زين العابدين ٨٠٠
  - الباقر محمد بن زين العابدين رَحِمَهُ اللَّهُ ٨٠٠
  - جعفر الصادق بن محمد الباقر رَحِمَهُ اللَّهُ ٨٠١
  - موسى الكاظم بن جعفر الصادق ٨٠٢
  - علي الرضا بن موسى الكاظم ٨٠٢
  - محمد الجواد بن عليّ الرضا ٨٠٢
  - علي الهادي بن محمد الجواد ٨٠٣
  - الحسن العسكري بن علي الهادي ٨٠٣

الباب الثاني
أمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ
(٨٠٧-٨٩٠)

حكم تعدد الزوجات: شبهات وردود ٨٠٩
تعدّد الزوجات في الديانات المشهورة في آسيا ٨١٠
منهاج النبوّة وتعدّد الزوجات ٨١٢
الأنبياء السابقون ومكانتهم عند النصارى ٨١٢
موقف الأنبياء السابقين من تعدّد الزوجات ٨١٣
جواز تعدّد زوجات لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ٨١٣
شجرة نساء داود عَلَيْهِ السَّلَامُ ٨١٤
الفصل الأوّل: محمد ﷺ وتعدّد الزوجات ٨١٧
لم يكن تعدّد الزوجات تتبعًا للجمال، وإشباعًا للغريزة ٨١٧
دعوة إلى التفكير في أهم عوامل تعدّد زوجاته ٨١٨
الفصل الثاني: فضائل أزواج النبي ﷺ ٨٢٢
فالفضيلة الأولى ٨٢٢
كلمة الزوج تقتضي الانسجام والتوافق بين الزوجين ٨٢٢
والفضيلة الثانية ٨٢٥
الفضيلة الثالثة ٨٢٥
الفضيلة الرابعة ٨٢٦
الفضيلة الخامسة ٨٢٧
الفضيلة السادسة ٨٢٧
هل اختارت أزواجه المطهرات الدنيا وزينتها؟ ٨٢٨
الفضيلة السابعة ٨٢٩
الفضيلة الثامنة ٨٢٩
الفضيلة التاسعة ٨٣١
فضل الأم ٨٣٢
الفصل الثالث: حسن عشرة النبي ﷺ مع أزواجه المطهرات ٨٣٣

وظيفة أمهات المؤمنين ٨٣٥
مهور أمهات المؤمنين ٨٣٥
الفصل الرابع: تقارب نسب الأزواج المطهرات من نسب النبي ﷺ ٨٣٦
الفصل الخامس: تفصيل أحوال أمهات المؤمنين: أزواج النبي ﷺ ٨٣٨
أم المؤمنين خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٨٣٨
أبناء خديجة الكبرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٨٤٠
أقاربها ٨٤٢
أولاد النبي ﷺ من خديجة الكبرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٨٤٢
أم المؤمنين سودة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٨٤٣
أقاربها ٨٤٣
أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٨٤٥
امتحان الحبّ والوداد ٨٤٧
فضلها ٨٤٩
مدى حبّ عائشة للنبي ﷺ ٨٥٠
علمها وفقها ٨٥١
فضائل خديجة وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ٨٥٢
مرويات عائشة في كتب الحديث، ودواوين السنة ٨٥٢
الجهاد في سبيل الله ٨٥٣
أراء عائشة أم المؤمنين في ضرائرها ٨٥٣
أمومة الأمّة ٨٥٤
عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وحرب الجمل ٨٥٤
ماورد فيما كان بين عليّ وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ٨٥٥
من الخصائص التي كانت عائشة تفتخر بها ٨٥٦
من أقوالها ٨٥٦
أقاربها ٨٥٧
إخوتها وأخواتها ٨٥٧
إيثارها خدمة الإسلام على المضض الشخصيّ ٨٥٩

أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٨٦١
أقاربها ٨٦٢
أم المؤمنين: أم المساكين زينب بنت خزيمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٨٦٤
أم المؤمنين: أم سلمة (هند) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٨٦٥
ما لقيت حين الهجرة إلى المدينة من صعوبات ٨٦٥
عثمان بن أبي طلحة ودوره النادر في إنجاح هجرتها ٨٦٥
زواجها مع النبي ﷺ ٨٦٦
أقاربها ٨٦٦
وفاتها ٨٦٧
أم المؤمنين زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٨٦٩
علوّ نسب زيد بن حارثة بن شراحيل الكعبي ٨٦٩
إدخال الإصلاح في نظام العبودية ٨٧٠
نظام التبنّي وأثره السيئ في المجتمع ٨٧١
إبطال نظام التبنّي ٨٧٢
تطليق زيد زينب ٨٧٢
أثر هذا الطلاق على زينب وأسرتها ٨٧٣
أثر هذا الطلاق على النبي ﷺ ٨٧٣
زواج النبي ﷺ مع زينب قضاء على عادة التبنّي للأبد ٨٧٣
لماذا يعترض النصارى على هذه الواقعة؟ ٨٧٤
البنوّة لاتثبت إلا بعلاقة الدم ٨٧٤
كيف يكون الإنسان الفاني ابنًا للحيّ القيوم ٨٧٤
دعاية افتتان النبي ﷺ بها، وتكذيبها عقلًا وتجربة ومشاهدة ٨٧٥
وفاتها ٨٧٥
أقاربها ٨٧٥
إخوة أم المؤمنين ٨٧٦
أم المؤمنين جويريّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٨٧٩
من أحاديث جويريّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٨٨٠

مروياتها ٨٨٠

أقاربها.. ٨٨١

أم المؤمنين أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٨٨٢

وفاتها ٨٨٣

مروياتها ٨٨٣

أقاربها.. ٨٨٤

أم المؤمنين صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا........................ ٨٨٧

وفاتها ٨٨٧

مروياتها ٨٨٧

أقاربها.. ٨٨٧

أم المؤمنين ميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا........................ ٨٨٨

وأخوات ميمونة لأبيها وأمّها أربع ٨٨٨

وأخواتها لأمّها أربع ٨٨٩

مروياتها ٨٨٩

ملحق جدول عن أحوال أمّهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ التاريخية........................ ٨٩٠

الباب الثالث
الغزوات والسرايا
(٨٩٣-٩٥٧)

الغزوات والسرايا.. ٨٩٣

تشكيل لجان لمقاوة دعوة التوحيد........................ ٨٩٣

مهمات هذه اللجان التضييق على المسلمين، وهجرتهم إلى الحبشة ٨٩٣

بقاؤ النبي ﷺ في مكة أملًا باهتدائهم ٨٩٤

أرادوا القضاء على النبي ﷺ........................ ٨٩٤

رصد النبي ﷺ تحرّكاتهم ضدّ الإسلام والمسلمين ٨٩٥

إجراءات النبي ﷺ للدفاع عن الإسلام لم تكن حربًا ٨٩٥

غزوات وسرايا، لم تكن مرادفة للحروب ٨٩٥

جدول الغزوات والسرايا التي وقعت من سنة اثنتين من الهجرة........................ ٨٩٧

نظرة تحليليّة على هذه الغزوات والسرايا ٩١٦
(أ) وفي هذا الجدول أحداث ارتكبت ضدّ المسلمين ٩١٦
(ب) وفي هذا الجدول وقائع قام بها المسلمون أيضًا ضدّ الكفّار ٩١٧
(ج) هناك أحداث نشأت عن سوء فهم ٩١٨
ليس كل ما ذكر تحت عنوان «الغزوات والسرايا» كان حربًا ٩١٩
عناوين مناسبة للغزوات لفهم القصد ٩٢٠
ذكر الغزوات والسرايا حسب القبائل والطوائف ٩٢٣
الأسباب الداعية لحرب القبائل ٩٢٤
اجتماع هذا القبائل كلّها في جدّ واحد ٩٢٤
جميع الحروب وقعت بين إخوته من أجداده ٩٢٥
دليل قاطع على أن النبي ﷺ لم يقم بإشعال الحرب بين العرب كلّهم ٩٢٥
فلسفة التأريخ تستدعي إلى معرفة الفريقين ٩٢٦
القبائل المشاركة في غزوة الخندق وقادتها ٩٢٨
خلاصة القول ٩٢٩
خسارة المسلمين والفريق المحارب ٩٣٠
هل هذا العدد من الأسرى يكفي لإكراه الناس على ترك دينهم ٩٣٠
مصير هؤلاء الأسري في الإسلام ٩٣٠
تضحيته هذه الأرواح عادت إلى العالم بفائدة لاتتصور ٩٣١
خسائر الأرواح والأملاك في الحروب في العالم المتحضر ٩٣١
فصل ٩٣٣
- شهداء بدر رضي الله عنهم ٩٣٤
- شهداء غزوة السويق رضي الله عنهم ٩٣٦
- شهداء أحد رضي الله عنهم ٩٣٦
  - المهاجرون ٩٣٦
  - الأنصار ٩٣٦
  - الملاحظة ٩٤٣
- شهداء يوم الرجيع رضي الله عنهم ٩٤٣

- شهداء بئر معونة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ٩٤٤
- شهيد المريسيع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ٩٤٦
- شهداء غزوة الخندق رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ٩٤٦
- شهداء غزوة بني قريظة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ٩٤٧
- شهداء غزوة الغابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ٩٤٧
- شهداء ذي القصّة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ٩٤٨
- شهيد سريّة وادي القرى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ٩٤٨
- شهيد العرنيّين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ٩٤٨
- شهيد غزوة وادي القرى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ٩٤٨
- شهداء خيبر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ٩٤٨
- شهيد سريّة الخربة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ٩٥٠
- شهيد سريّة ابن أبي العوجاء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ٩٥٠
- شهيد أطلاح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ٩٥٠
- شهداء مؤتة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ٩٥١
- شهداء فتح مكّة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ٩٥٤
- شهداء حنين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ٩٥٥
- شهداء غزوة الطائف رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ٩٥٥
- شهداء المشاهد المختلفة من غير تحديدها ٩٥٦

الباب الرابع
(٩٦١-٩٨٢)

سبب ذكر هذا الباب في السيرة النبويّة الشريفة ٩٦١

آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ٩٦٢

قابيل وهابيل ابنا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ٩٦٣

نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ٩٦٣

إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ٩٦٥

لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ ٩٦٧

إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ ٩٦٨

يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٩٦٨
يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٩٧٠
موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٩٧٣
داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٩٧٦
سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٩٧٨
أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٩٧٩
زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٩٨٠
يحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٩٨١
عيسى المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٩٨٢

الباب الخامس
أفضلية سيّد المرسلين ﷺ
(٩٨٥-١٠٤٤)

أفضلية سيّد المرسلين ﷺ ٩٨٥
آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٩٨٧
إدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٩٨٩
إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٩٩٠
نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٩٩١
هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٩٩٣
صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٩٩٣
إبراهيم خليل الرحمن عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٩٩٤
لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٩٩٦
إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٩٩٧
إسحاق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٩٩٨
يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٩٩٨
يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ١٠٠٠
شعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ١٠٠١
كليم الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ١٠٠٣

هارون عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ١٠٠٧

الفصاحة والبلاغة أمر وجداني ١٠٠٧

نماذج من فصاحة النبي وبلاغته ١٠٠٨

القرآن يؤكد على فصاحة وبلاغته ١٠٠٨

اليسع عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ١٠٠٩

داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ١٠١٠

سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ١٠١٢

يونس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ١٠١٤

أيوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ١٠١٥

زكريا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ١٠١٦

يحيى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ١٠١٧

صدق إطلاق «الحصور» على النبي ﷺ ١٠١٩

عيسى المسيح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ١٠٢١

ورود اسمه أحمد في الأحاديث ١٠٢٤

ورودو اسمه أحمد في الشعر ١٠٢٦

الأئمة المحدّثون المسمّون بأحمد (١٠) ١٠٣٠

الفقهاء المحقّقون المسمّون بأحمد (١٩) ١٠٣١

أهل السلوك والمعرفة المسمّون بأحمد (٤) ١٠٣٢

الوزراء والأمراء المسمّون بأحمد (٦) ١٠٣٣

الشعراء والأدباء المسمّون بأحمد (١٢) ١٠٣٤

النحاة المسمّون بأحمد (٢) ١٠٣٥

من أوصاف النبي ﷺ ١٠٣٦

- شاهدًا ١٠٣٦
- مبشرًا ونذيرًا ١٠٣٨
- داعيًا إلى الله بإذنه ١٠٤٠
- سراجًا منيرًا ١٠٤٣

الباب السادس
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾
(١٠٤٧-١٠٥٧)

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ ١٠٤٧
من مهمات رحمة للعالمين ١٠٤٨
من خصائص رحمة للعالمين وامتيازاته ١٠٤٩

الباب السابع
حب النبي ﷺ
(١٠٦١-١٠٨٢)

حبّ النبي ﷺ ١٠٦١
نماذج من حسن خلقه وشرف أفعاله ﷺ ١٠٦٥
جوده وسخاؤه ١٠٦٥
عدله ١٠٦٦
نجدته شجاعته ١٠٦٦
تواضعه ١٠٦٨
حياؤه ١٠٦٩
شفقته ورأفته ١٠٧٠
عفوه وكرمه ١٠٧١
زهده في الدنيا ١٠٧٢
أخلاقه العامة ١٠٧٤
غاية القول ١٠٧٥
من مظاهر حب الصحابة للنبي ﷺ ١٠٧٦
حبّ الله تعالى لايتأتى إلا باتباع النبي ﷺ ١٠٨٠
من علامات حبّ النبي ﷺ وتوقيره ١٠٨٠

الباب الثامن

﴿لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ ۝٥﴾

(١٠٨٥-١١١٤)

١- السنة الهجرية ١٠٨٥
طريقة استكشاف غرّة السنّة الهجرية ١٠٨٦
جدول غرّة السنين القمرية الهجرية ١٠٨٧
جدول تعداد أيام السنين الهجرية ١٠٨٨
إن المساواة ميزة بارزة من ميزات الإسلام ١٠٩٠
٢- الدور اليولياني ١٠٩١
٣- السنة العبرية ١٠٩٢
٤- سنة نوح أو سنة الطوفان ١٠٩٤
٥- سنة كل جك ١٠٩٥
٦- السنة الإبراهيمية ١٠٩٦
٧- سنة بخت نصر ١٠٩٧
٨- سنة الإسكندر ١٠٩٧
٩- سنة بكرمي بروشته ١٠٩٨
١٠- السنة الشمسية القمرية البكرمية ١٠٩٩
١١- السنة الميلادية القديمة ١١٠٠
١٢- السنة الميلادية الجديدة ١١١٠١
١٣- السنة القبطية الجديدة ١١١٠٢
١٤- سنة جلوس أنوشيروان ١١١٠٣
١٥- سنة عام الفيل ١١١٠٤
جدول بداية الشهور القمرية لثلاث وعشرين سنة من عصر النبوّة مع تعيين اليوم وموافقة التاريخ والشهر والسنة الميلادية ١١١٠٥
جدول الأحداث التاريخية المتعلقة بالسّيرة النبوية ١١١١
فهرس الموضوعات (الجزء الثاني) ١١١٧